الجمهوريـــّة الجزائريـــــة الدّيمقراطيّـــة الشّعبيّـــــة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية: أصول الدين

–قسنطينـــــة– — قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل:..... — تخصص: عقيدة

الرقم التسلسلي:.....

التجربة الروحية في المذهب الإباضي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العقيدة

إعداد الطالبة:
فريدة بوتمجت

إشراف الأستاذ الدكتور:
أسعيد عليوان

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجـامعة الأصلية	الصفة
د.عبد المالك عياس	أ.محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	رئيـــسا
أ.د.أسعيد عليوان	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	مشرفا ومقررا
أ.د.مصطفى وينتن	أستاذ	جامعة غرداية	عضو
د.حسن برامة	أ.محاضر أ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	عضو

السنة الجامعية: 1437–1438 هـــ الموافق 2016– 2017م

الجمهوريّة الجزائريـة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية — كلية: أصول الدين

–قسنطينـة– — قسم: العقيدة ومقارنة الأديان

رقم التسجيل:..... — تخصص: عقيدة

الرقم التسلسلي:.....

التجربة الروحية في المذهب الإباضي

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه ل م د في العقيدة

إعداد الطالبة:
فريدة بوتمجت

إشراف الأستاذ الدكتور:
أسعيد عليوان

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجـامعة الأصلية	الصفة
			رئيسا
أسعيد عليـــــــوان	أستاذ	جامعة الأمير عبد القادر – قسنطينة	مشرفا ومقررا
مصطفى وينتـــــــن			عضو
محمد بابا عـــــمي			عضو
حسن برامـــــــة			عضو
عبد المالك بن عباس			عضو

السنة الجامعية: 1437–1438 هـ الموافق 2016– 2017م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة أم القرى - مركز تطوير العلوم الإسلامية

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾

القصص ٧٧.

صدق الله العظيم

والله نسأل أن يرزقنا الإخلاص في القصد، والصحة في الفهم، والبيان في القول ، والتوفيق في العمل ، والتيسير للختم، إنه المولى الكريم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس

من خطب الإمام العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس

كتاب تفسير ابن باديس .

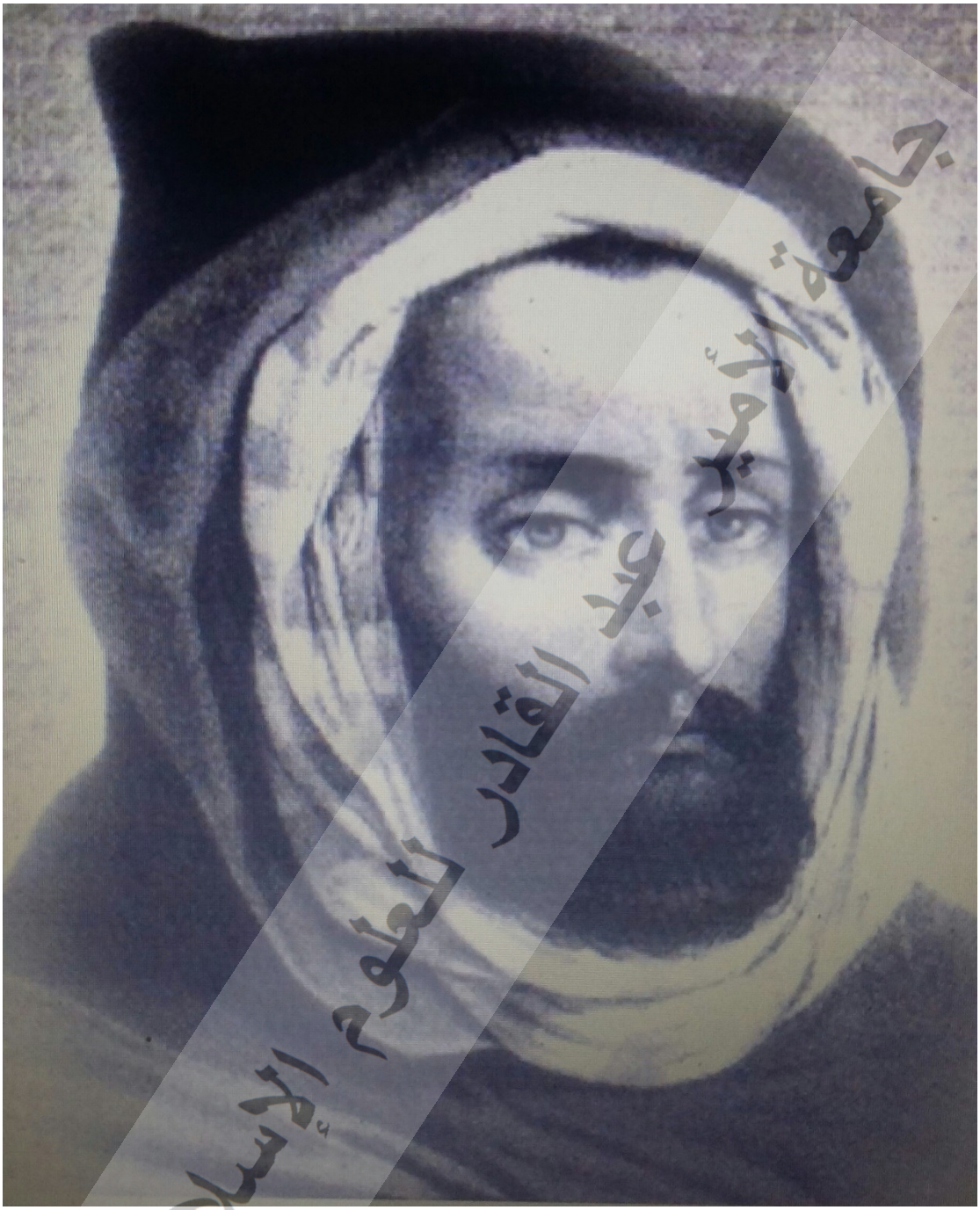

من ديوان الأمير عبد القادر : ﷺ وراء الصورة ﷺ

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك الرسم صورتنا العظمى

فثم وراء الرسم شخص محجب له همة تعلو بأخمصها النجمـــــا

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكن بالعقل والخلق الأسمـــــــــى

وإن جمعت للمرء هذي وهـــذه فذاك الذي لا يُبتغى بعده نُعمـــــــى

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهداء

أهدي هذا العمل إلى **من ربياني صغيرا**

- **.....والدي رحمه الله**
- **.....ووالدتي** أطال الله في عمرها
- **.....وكل العائلة وأخص بالذكر**
- ..... عبد الله...عمر ...عادل
- ..... محمد ...صفوان ...نزيم ...طه.....
- .....إسراء ...رفيف ...بيلسان .....رنيم ...
- ....هديل .....وصال .....مرام .....آلاء .....
- .....**و إلى زوجي** الشيخ موسى بن قسور العامري...
- .....وأمي فاطمة الرواحية ....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

أولا أبدأ بشكري لله عز وجل على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

ثم أتقدم بالشكر الجزيل مع كامل التقدير أولا لمشرفي الدكتور" اسعيد عليوان" الذي شجعني على خوض غمار هذا البحث وهو أدرى بما فيه من صعوبات ،كما لا يفوتني أن أشكره على تحمله عبأ الإشراف على هذه الرسالة وترك لي الحرية في البحث ولم يستبد برأيه أو يفرض فكرة وعلى ما أفادني به من توجيهات قيمة

وأشكر أعضاء لجنة المناقشة ...كل واحد باسمه .

كما أقدم شكري لوزارة الأوقاف بسلطنة عمان وعلى رأسهم :

سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان

والشيخ أحمد بن سعود السيابي الأمين العام لمكتب الفتوى

والشيخ كهلان الخروصي نائب المفتي

والأستاذ عيسى الزكواني مسؤول مكتب التبادل الثقافي

والأستاذ خالد العبادي

والدكتور عبد الله الهاشمي عميد كلية العلوم الشرعية

وموظفي وزارة التراث القومي ...قسم المخطوطات

والدكتورة إيمان بن ستيرة

الدكتور عبد الجليل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كما أقدم شكري الجزيل وعرفاني بالجميل للقائمين و للقائمات على مكتبة كلية العلوم الشرعية بسلطنة عمان ...

الأستاذ كمال السيابي

الأستاذة هاجر كسكاس

الأستاذة مثلى راشد

الأستاذة أماني الدغيشية

وأشكر كل من قدم لي يد العون من قريب أو بعيد من أساتذتي الكرام وأخص بالذكر :

الدكتور صالح نعمان

الدكتور عبد الوهاب فرحات

الدكتور مصطفى وينتن

الدكتور كمال جحيش

الدكتورة زهرة لحلح

الدكتورة زبيدة طيب

الدكتورة نورة رجاتي

ولا أنسى الشكر لكل من :

كل القائمين على مكتبة عمي سعيد بغرداية

الشيخ محمد اطفيش القائم على مكتبة القطب

القائمين على مكتبة جمعية التراث

السيد مدير مكتبة جامعة غرداية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

السيد مدير الإقامة الجامعية بغرداية

عائلة الدكتور محمد بابا عمي بني يزقن

عائلة الدكتور طه كوزي بن يزقن

وإلى كل عمال مكتبة ...جامعة الأمير عبد القادر

و عمال مكتبة جامعة غرداية المركزية

وإلى المشايخ الكرام على إفادتي في البحث

الشيخ التواتي بن تواتي....الأغواط

الشيخ ابراهيم طلاي.....بني يزقن

الشيخ فرحات الجعبيري ....تونس

أيوب صدقي .....بني يزجن

الشيخ أحمد نوح .....بني يزجن

الشيخ حمو كروم.....مليكة

وإلى رفيقة مساري العلمي خلال عشر سنوات

أقدم لها شكري على مساندتها

الأستاذة : سلاف بوخالفة

ووالديها الكريمين خالتي مسعودة وعمي الدراجي

والصديقة الوفية الدكتورة : لويزة زروقي

وإلى كل جنود الخفاء الذين لم أذكرهم والذين لا تسعهم صفحات رسالتي لكثرة عددهم بارك الله فيهم وجازاهم الله خيرا .

من قسنطينة والجزائر وغرداية والأغواط وقسنطينة وتونس وسلطنة عمان .....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأشكر كل من قال لي كلمة طيبة رفعت همتي ، أو أفادني بمعلومة أثرت بحثي وكل من ساندني وآزرني.

وأخص شكري الجزيل وعرفاني لكل من :

أفلح اطفيش ....بني يزجن

محمد حاج يعقوب ....بني يزجن

باية بوشلاغم .....بني يزجن

لالة بابا عمي.....بني يزجن

فتيحة بابا عمي .....بني يزجن

وكل سكان وادي ميزاب عامة وقصر بني يزجن خاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة :

تمتد جذور أو أصول التجربة الروحية بصفة عامة وباختلاف الأديان منذ بدأ الخلق ، حيث تمثل علاقة الموجد بالموجودات ، وهي تجربة مشتركة بين الإنسان والكون ، وإن كان الإنسان أولى بها لتميزه عن سائر المخلوقات بملكة العقل الذي هو مناط التكليف والتكريم الإلهي له ،ومن الإنسان وحده يكون التدبر والتفكر والاعتبار والذي يعيش بين ثنائيات متعددة العلم والجهل، الأمر والنهي ،الحب والبغض، المسؤولية والجزاء الثواب والعقاب الذكر والإعراض، الجنة والنار، الدنيا والآخرة الهدى والضلالة الفلاح والخسران بصفته حامل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان ، والتي هي مجال التجربة الروحية .

والتجربة الروحية، هي الحياة المعنوية التي عاشها ويعيشها الإنسان في مختلف العصور باختلاف الديانات ، مارس من خلالها طقوس وطاعات و شعائر ، سواء بالكلمات أو بالحركات أو بتقديم القرابين ،وخاطب فيها معبوده سواء ا في السر وخفية أو علنا ، كل هذا إما خوفا من الغضب والسخط أو حبا أو طمعا في رضا المعبود كل حسب معتقده ، وكل حسب تصوره لإلهه أو معبوده ،أو القوى الخفية المسيرة لهذا الكون والذي يسعى لكسب رضاها والخوف من سخطها وتفادي غضبها ، ومهما اختلفت التجربة فمضمونها واحد لأنها تمثل تلك العلاقة الفردية بين العبد والمعبود وإن اختلفت في الطريقة والمنهج والديانة عبر العصور ،لكن دين الإسلام هو الدين الصحيح فالله هو الخالق الأحد والمعبود الحق فقد سطع نوره ليخرج الناس من عبادة الأوثان والأصنام والطواطم وما عاشته البشرية من شرك ،إلى عبادة رب كل شيء وخالق الكون فمعلوم أن الملائكة مارست التجربة الروحية قبل الإنسان ولا زالت ،ولكن الإنسان هو الخليفة في الأرض وهو مدار الحديث في التجربة الروحية الإسلامية بالخصوص .

والتجربة الروحية في الإسلام تشكل علاقة المسلم بربه في أرقى صورها من محبة وخضوع وخوف وطاعة وعبودية ، وهي ذلك الاتصال المباشر بين المخلوق العابد والخالق المعبود ، عن طريق أداء الفرائض التي اوجبها الله عيله ، بالدعاء والمناجاة والتوسل والتضرع فهي عالم معنوي يعيشه داخل عالم مادي بكل مراحله وأحواله ومقاماته ، وهو انسجام يحققه العابد بين عالم الغيب والشهادة وبه يتحقق معنى الإيمان بجانبيه المعرفي والعملي ، والتجربة الروحية هي طريق يسلكها المسلم الذي تتحقق فيه حكمة الله تعالى من خلق الإنسان وهي عبادة الله على أكمل وجه والوصول إلى مرتبة العبودية .

كما تتلخص التجربة الروحية الإسلامية في كلمات ثلاث وهي الإسلام والإيمان والإحسان فالإسلام والإيمان يمثلان المنهج والطريق وهما مرحلتين للوصول إلى أعلى مرتبة وهي الإحسان ومن ثم إلى اليقين ، وموضوع بحثنا هو التجربة الروحية في المذهب الإباضي تلك العلاقة بين العبد والمعبود أو المخلوق والخالق ، وإن عبر عنها بتسميات مختلفة من ما هو مقبول عند الأصحاب ومنها ما هو مردود وإن اختلف الحديث عندهم كالتصوف والسلوك والزهد وسواء كانت هذه التجربة فردية أو جماعية فالبحث يعنى بها منذ نشأة المذهب الإباضي من خلال حياة وسلوك الأئمة العلماء إلى الفرد والمجتمع .

الإشكالية :

الإشكالية البحث تدور حولها مجموعة من الأسئلة الفرعية وهي :

كيف كانت التجربة الروحية عند الإباضية ؟

ما مدى قبول علماء الإباضية لمصطلح التصوف ؟

ما الفرق بين السلوك والتصوف عند الإباضية ؟

هل فعلا وجد متصوفة من الإباضية ؟ وإن وجدوا فما طبيعة تصوفهم ؟

والإشكالية بما أن التجربة الروحية هي التجربة الصوفية ، هل يوجد تصوف في المذهب الإباضي ؟وهل وجد انفصال بين الممارسة والتسمية .

أسباب اختيار الموضوع :

معلوم أن البحث عبارة عن مشكلة تشغل فكر الباحث أو فكرة مبهمة تعذر عليه فهمها أو حقيقة مخفية يصبوا الباحث للوصول إليها وكشفها وذلك لغموضها بسبب اختلاف الآراء ووجهات النظر وتضارب المصادر وتعارضها ، نتج عنها أسباب دفعتني لاختيار هذا الموضوع وهي تنقسم إلى ذاتية وموضوعية :

الذاتية :رغبة عاشت بداخلي وشغلت فكري منذ بداية مساري الجامعي وهي الاطلاع على المذهب الإباضي ومعرفته من مصادره ، رغبة مني في الهروب من الصدام الفكري والعقدي الذي نعيشه ، والتطلع إلى التقارب والانسجام ،إضافة إلى الميل إلى دراسة المذاهب والفرق الإسلامية من جانبيها العقدي والروحي، وتبيين محاسنها ، دون الالتفات إلى المسائل الفرعية الاجتهادية التي هي محل خلاف ، وهي في حقيقتها آراء لعلماء اجتهدوا ففي الإصابة والخطأ أجر ، وتوجهي إلى ما يخدم المجتمع وهو البحث في موضوع علاقة الإيمان بالسلوك .

والموضوعية : الرغبة في التعرف على المذهب الإباضي من مصادره الأصلية ، ومن أفواه علمائه وتقصي الحقائق من عند أصحابها .

الأهداف :

*محاولة التركيز على الجوانب المشرقة لدى المذاهب الإسلامية المعتدلة ، من خلال دورها في تربية أفرادها ومنهجها في تزكية الأنفس ودورها في الدعوة إلى الله ومكانتها بين الفرق .

*التعرف على منهج المذهب في التعامل مع الإيمان وأثره على سلوك الفرد والمجتمع .

* محاولة المقارنة بين المذهب الإباضي والسني والكشف عن أوجه المقاربة ونقاط التوافق .

* الرغبة على التعرف على جزء ولو قليل من التراث الإباضي على أساس أنه تراث إسلامي .

* محاولة إزالة نظرة الخلاف بسبب الآراء بين المذاهب والتركيز على الأصل الذي يجمعها لتحقيق الوحدة الإسلامية .

منهج البحث :

المنهج الذي يتناسب مع البحث هو المنهج التاريخي وذلك لتتبع مراحل نشأة المذهب الإباضي وتاريخ ظهور التصوف عند الإباضية علما وممارسة ، ومحاولة استقراء القليل من التراث الإباضي من خلال سير علمائه وتحليلها ، والمنهج المقارن لأجل معرفة التقارب بين الإباضية والسنة في التجربة الصوفية .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث والتقصي في الدراسات السابقة عثرت على دراسة تاريخية تحليلية للدكتور " سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ، وهو بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة ٢٠٠٧م بعنوان " البعد الصوفي في الفكر الإباضي دراسة تحليلية تاريخية ، حيث تناول الباحث ظاهرة التصوف في الفكر الإباضي ومراحل تطورها وانتشارها موضحا أنواع التصوف بوجه عام ، وقد بين الباحث أن الإباضية " أهل النهروان " أو " المحكمة " مثلوا تجربة روحية نفسية ، وذلك من خلال تفانيهم في الجهاد في سبيل الله علما أن هذه التجربة الروحية أطلق عليها الباحث اسم " التصوف الجهادي " ثم تابع الباحث مراحل تطور التصوف عند الإباضية إلى ما يعرف عند أهل السنة بالتصوف السني " العملي القائم على الخلوات والأذكار والأوراد ، ويقول الباحث أن شيوخ التصوف الإباضي قد قبلوا التصوف الإشراقي المعتمد على ما يمنه الله للسالك من فيوضات روحانية ، وهذه الدراسة لم تكن معمقة من جهة ، ومن جهة أخرى فهي دراسة نظرية تاريخية لم تتكلم عن عمق التجربة الروحية للشخصيات المعروفة من أقطاب السلوك في عمان

كما أن دراسة الفكر الصوفي اقتصر فقط على إباضية المشرق دون ذكر أو الإشارة إلى إباضية المغرب .

وبهذا يكون الدكتور الباحث سلطان قد أغفل الجانب العملي في الظاهرة الصوفية، عدا بعض الإشارات إلى علماء كانت لهم ممارسات وصب كل اهتمامه في التحليل والوصف ، وانطلاقا مما وصل إليه الباحث ، حاولت البحث في الحياة الروحية للمذهب الإباضي مشرقا ومغربا واستقراء القليل من آثار علماء الإباضية ولم يقتصر البحث في هذا الجانب عن السلوك الفردي بل حاولت التركيز على السلوك الجماعي كونه مضمون الحياة الروحية .

الصعوبات :

ربما وبدون مبالغة هذا البحث اجتمعت فيه كل الصعوبات التي تعترض طريق الباحث ويمكن أن نذكر بعضها وليس كلها :

كون المصادر والمراجع كلها في مناطق بعيدة :

* تأخر البحث بسبب الاحداث التي عاشتها غرداية ، لأن مكتباتها غنية بالمصادر والمراجع .

* كذلك الوضع في تونس والذي يقتضي السفر إلى جزيرة جربة للاطلاع على كتب المكتبة البارونية الإباضية وغيرها من المكتبات .

*صعوبة الموضوع في حد ذاته ،فالدراسات في هذا المجال تكاد تنعدم .

*مشقة وصعوبة كبيرة في كيفية الحصول على المصادر والمراجع ، { توفرها في غرداية ، وسلطنة عمان ، تونس جربة }

* صعوبة التعامل مع المخطوطات ، وكثرة صفحاتها بالإضافة إلى سيف الوقت .

* ضعف الإمكانيات المادية ، لأن طبيعة الدراسة تقتضي السفر والترحال وغيرها من احتياجات الطالب الباحث .

* صعوبة الحصول على المادة العلمية رغم وجودها وذلك لعدم وجود مؤلفات متخصصة أو مباشرة ، فأغلب المادة العلمية هي شراذم .

* ضيق الوقت ، مقارنة بنوع البحث ، لأنه يحتاج إلى التدقيق في المعلومة وأخذها من مصدرها ونظرا لتنوع المناهج فيها.

* صعوبة كون الباحث {امرأة} وليس الذكر كالأنثى خاصة أثناء الحل والترحال ومن حيث طبيعة المجتمع قيد البحث .

* وكون البحث يقتضي لقاءات مع بعض العلماء والمشايخ وأصحاب الخبرة .

* المناخ وصعوبة التعود عليه بسبب الحر الشديد { غرداية –سلطنة عمان }.

وقد قسمت البحث إلى خمسة فصول كل فصل ، يحتوي على ثلاثة مباحث والمبحث تندرج تحته ثلاثة مطالب ، تناولت في الفصل الأول :التجربة الروحية في الإسلام بصفة عامة ثم ذكرت في المبحث الأول مصادرها في ثلاثة مطالب ، الأول القرآن الكريم والثاني ، النبي صلى الله عليه وسلم والثالث الصحابة والأولياء الصالحين والمبحث الثاني ذكرت نماذج لأصحاب التجربة الروحية في الإسلام ممارسة وتأليفا ، وفي المطلب الأول: الشيخ الأكبر ابن عربي ثم في المطلب الثاني ابن ، الفارض والمطلب الثالث ، ابن عطاء الله السكندري ثم المبحث الثالث ذكرت أركان التجربة الإسلامية تمثلت ك>لك في ثلاثة مطالب ، المطلب الأول وهو معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به ثم يليه المطلب الثاني ال>ي يتحدث عن القدوة والإخلاص وثالثا الهجرة إلى الله ، أما الفصل الثاني فقد أوردت فيه تعريفا موجزا بالمذهب الإباضي ففي المبحث الأول ذكرت النشأة والتطور ثم قسمته إلى ثلاثة مطالب ففي المطلب الأول، نشأة المذهب الإباضي وأعلامه ثم المطلب الثاني مكانة المذهب الإباضي بين الفرق .

و تطرقت ثالثا لأثر المذهب الإباضي في التاريخ الإسلامي، أما المبحث الثاني فقد ذكرت فيه مراحل تطور المذهب الإباضي ، المطلب الأول :مرحلة الإعداد ودورها في انتشار المذهب الإباضي ، ثم المطلب الثاني :مرحلة القوة والظهور ، والمطلب الثالث مرحلة الدفاع

والشراء ، أما المبحث الثالث ، أماكن وجود المذهب الإباضي المطلب الأول الإباضية في عمان بعده المطلب الثاني الإباضية في ليبيا لمطلب الثالث :الإباضية في الجزائر و تونس ثم عرضت في الفصل الثالث :حقيقة التصوف عند الإباضية ومبحثه الأول بينت فيه ظهور التصوف عند الإباضية وفي المطلب الأول ، مدلول الزهد والتصوف عند الإباضية ومضامينهما ثم في المطلب الثاني المصطلحات الصوفية عند شيوخ الإباضية وبعده

المجاهدة و الرياضة ، ثم في المبحث الثاني مقومات التصوف واندرجت تحته ثلاثة مطالب أولها الولاية والكرامة وثانيها الأربعينية و الأذكار وثالثها الحضرة الإلهية والمشاهدة ، وفي المبحث الثالث لهذا الفصل ذكرت نماذج لبعض من الشخصيات الروحية في الماضي والحاضر واخترت منها ثلاثة ،في المطلب الأول ، الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي شاعر المحبة الإلهية: ثم في المطلب الثاني :المدرسة الروحية للشيخ حمود الصوافي ثم المطلب الثالث : الشيخ أحمد بن حمد الخليلي العالم الروحاني ، أما الفصل الرابع ذكرت فيه تجليات التجربة الروحية في المذهب الإباضي ومباحثه ثلاثة في المبحث الأول ، الآراء العقدية في المذهب الإباضي ، المطلب الأول الآراء المتعلقة بالإلهيات، والمطلب الثاني، الآراء المتعلقة بالإنسان ومجتمعه ثم المطلب الثالث ::الآراء المتعلقة بالسياسة الشرعية ،ثم يليه المبحث الثاني بعنوان أقطاب شعر الزهد والسلوك الإباضي العماني ثم عرضت نماذج ففي المطلب الأول : الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي وديوانه نفائس العقيان ثم في المطلب الثاني الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي من خلال إيضاح نظم السلوك: والثالث ، الصوفي الشاعر أبي مسلم البهلاني النفس الرحماني ، بعده وفي المبحث الثالث أبرزت ملامح التجربة الروحية في النظام الاجتماعي الإباضي ففي المطلب الأول حلقة العزابة ثم الحياة الروحية للمرأة الإباضية ، ثالثا دورات المصابرة وتدبر القرآن الكريم والفصل الخامس والأخير حاولت وضع مقاربة بين الإباضية وأهل السنة وسميتها المقاربة الروحية وقد ضم الفصل ثلاثة مباحث ،المبحث الأول عنوانه العقيدة وأثرها في التجربة الروحية ثم المطلب الأول تكلمت فيه عن تلازم الإيمان والعمل عند المذهبين ثم المطلب الثاني : المعاصي والكبائر وأثرها على النفس المطلب الثالث ، أسماء الله وتجلياتها الروحية بين المذهبين وبعده المبحث الثاني

توافق محاور التجربة الروحية عند أهل السنة والإباضية وتحته ثلاثة عناوين الأول محبة الله وتعظيمه ثم الثاني : الإنسان الثالث: الدنيا أما المبحث الثالث ذكرت نماذج المقاربة للتجربة الروحية الإباضية والسنية ، في المطلب الأول :أبو بلال مرداس بن حدير والأمير عبد القادر المطلب الثاني التقارب الروحي من خلال تفسير القرآن المطلب الثالث كتاب الإحياء و قناطر الخيرات ، أما الخاتمة فقد ذكرت فيها ما خلصت إليه من نتائج .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : مصادر التجربة الروحية في الإسلام وأركانها

المبحث الأول: مصادر التجربة الروحية في الإسلام

المطلب الأول: القرآن الكريم

المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم

المطلب الثالث: الصحابة والأولياء الصالحين

المبحث الثاني: نماذج لأصحاب التجربة الروحية في الإسلام ممارسة وتأليفا

المطلب الأول: الشيخ الأكبر ابن عربي

المطلب الثاني: : ابن الفارض

المطلب الثالث: ابن عطاء الله السكندري

المبحث الثالث: أركان التجربة الروحية الإسلامية

المطلب الأول: معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به

المطلب الثاني : القدوة والإخلاص

المطلب الثالث : الهجرة إلى الله

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول : مصادر التجربة الروحية في الإسلام وأركانها

المبحث الأول: مصادر التجربة الروحية في الإسلام

المطلب الأول: القرآن الكريم

بعث الله سبحانه وتعالى رسولهﷺ بالهدى ودين الحق وأنزل على قلبه قرآنا عربيا مبينا فكان شفاء للقلوب وذكرى للعالمين وهو الكتاب المهيمن المشتمل على كل جوانب حياة الإنسان والصالح لكل زمان ومكان، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [1]ويقول الشعراوي في معرض حديثة عن معجزة القرآن (...ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى قرر أن يحافظ على القرآن ولو أخذنا خطين ...خط تطبيق القرآن ..والعمل بتعاليمه ...وخط المحافظة على القرآن ..نرى أن خط تطبيق القرآن كلما مر الزمن ضعف .. وخط المحافظة على القرآن كلما مر الزمن ازداد[2] ولو كنا نطبق المنهج تطبيقا سليما لكان هذا أمر طبيعيا ..ولكن غفلتنا عن تعاليم القرآن كسلوك في الحياة لا تتمشى مع ازدياد الحفاظ على القرآن...[3] والمسلم لا يكتفي بالحفاظ على كتاب الله شكلا بل هو مطالب بالحفاظ على مضمونه ويكون ذلك بتطبيقه وتجليه على أرض الواقع وترجمته في أخلاق المسلمين وهذا هو المقصد وقد ذكره حجة الإسلام أبو حامد الغزالي في جواهر القرآن يقول: (وطريق السلوك إلى الله تعالى يكون بالتبتل كما : قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴾[4] ، أي انقطع إليه والانقطاع إليه يكون بالإقبال عليه والإعراض عن غيره والاقبال عليه يكون بملازمة الذكر والإعراض عن غيره يكون بمخالفة الهوى والتنقي عن كدورات الدنيا وتزكية القلب عنها والفلاح نتيجتها[5].

---

[1] سور يونس الآية ٥٧ .

[2] متولي الشعراوي –معجزة القرآن – المختار الإسلامي للطباعة والنشر ١٧٠٧–القاهرة ط١ –١٣٩٨هـ–١٩٧٨م––ص١٠.

[3] لمصدر نفسه ص ١١.

[4] سورة المزمل الآية ٨.

[5] أبو حامد الغزالي، محمد رشيد رضا القباني –جواهر القرآن ت:––دار إحياء علوم الدين –١٤٠٥هـ–١٩٨٥م–لبنان –ص٢٨.

كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [1]، فالحق هو الإيمان والعمل ولا يتمان إلا بالصبر عليهما والتواصي بهما – كان حقيقا بالإنسان أن يُنفق ساعات عمره – بل أنفاسه – فيما ينال به المطالب العالية ويخلص به من الخسران المبين وليس ذلك إلا بالإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره واستخراج كنوزه وإثارة دفائنه وصرف العناية إليه والعكوف بالهمة عليه فإنه الكفيل بمصالح العباد في المعاش والمعاد والموصل لهم إلى سبيل الرشاد ، فالحقيقة والطريقة والأذواق والمواجيد الصحيحة كلها لا تقتبس إلا من مشكاته ولا تستثمر إلا من شجراته[2].

يقول الشيخ سليمان الكندي[3] :

ومصدر العلم هو القرآن موهبة جاد بها الرحمـــن

معجزة الرسول جاءت فيه واضحة للعاقل النبيـــــه

وسنة الرسول أصل ثان لطالب العلوم بالإتقـــــان

ويقول :

موضحا علومه العميقة بما حوت من درر الحقيقة[4]

لم يكون انطلاقهم في هذا العالم الروحاني عشوائيا أو عن جهل ، بل كان مصدره صحيح وأساسه متين ، يقول الحكيم الترمذي : ومما لا سبيل إلى الريب فيه أن المصدر الأول الذي أرشد المسلمين إلى هذا الصراط السوي وأنار لهم طريق العروج إلى رب

[1] سورة الأعلى الآيتان ١٤-١٥.

[2] أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتب العلمية – بيروت –لبنان ط١-ج١- ص١١.

[3] هو سليمان بن سعيد بن ناصر أبو سلام الكندي أديب ناظم للشعر عاش في القرن الرابع عشر الهجري من ولاية نزوى ولد في نزوى سنة ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م ، توفي سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م. فهد بن علي بن هاشل السعدي ،معجم شعراء الإباضية ، قسم المشرق ، مكتبة الجيل الواعد ،مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م، ج١و٢ص ١٩٥.١٩٤.

[4] عبد الله بن سيف بن محمد الكندي ،كتاب عقود العقيان في ذكر شيء من مباحث القرآن ،ط١ ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م ص ٩.

العالمين هو القرآن الكريم[1]، فهو دستور كبير يحمل بين طياته المنهج القويم والصراط المستقيم في الحياة والفوز بالنعيم بعد الممات فمن اهتدى بهديه وارتوى منه فقد نال سعادة الدارين ومع التمسك به والعمل بمقتضاه يكون قد سلك طريقه إلى الله .

ويقول صاحب العقود :

وبعد فالقرآن هو المرجع لكل علم سابق والمنبـــــــع

وإنه معتمد الأنـــــام والمورد العذب لكل ضـــام

آياته قد بهرت أولي البصر الكاشفين بالعقول ما استـــتر[2]

القرآن هو الكتاب الله المنزل على عبده محمدا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين وهو كمال الدين وختام الرسالة وهو المهيمن على ما سبقته من كتب ، خاطب العقل لينير به ظلمة القلوب لقوله تعالى:﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[3]، حيث يؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية المعنى الذي ثبت بالحديث ": الإسلام علانية والإيمان في القلب" [4]فيذهب إلى أن أعمال القلوب وهي التي تسمى المقامات والأحوال تجب على المسلمين كافة ، لأن الإسلام أمر بمحبة الله والإخلاص له والتوكل عليه وإلى طاعته وما عليها من أعمال باطنة مكلف بها العامة والخاصة ولا يكون تركها محمودا في حال أحد وإن ارتقى مقامه وعندما أقام منهجه في الحياة الروحية الوجدانية أو ما يسمى عنده أيضا بأعمال القلوب ربط أفكار الصوفية الذين يسميهم أصحاب التصوف الشرعي عن المقامات والأحوال

[1] أحمد عبد الرحيم السائح ،السلوك عند الحكيم الترمذي: ومصادره من السنة دار السلام-مصر ،ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ص٢٥.

[2] عقود العقيان ،مصدر سابق ، ص ١٣.

[3] سورة إبراهيم الآية ١.

[4] رواه أحمد في مسنده ، ح ١٢٣٨١،كتاب الإيمان والرؤيا ، باب ما قالوا في صفة الإيمان ، أنظر ابن أبي شيبة ، المصنف ت: حمد بن عبد الله الجمعة ، محمد بن ابراهيم اللحيدان ط١، مكتبة الرشد ناشرون ١٤٢٥÷/ ٢٠٠٤م، الرياض ، المملكة العربية السعودية ج١٠ ص ٢٨٩.

بالآيات القرآنية وأعطى تفسيرا ذوقيا للمعاني الدقيقة ووجد السند أيضا من الأحاديث " ذلك لأنه يرى أن هذين المصدرين يشكلان المنبع والنشأة للحياة الوجدانية والأخلاقية السليمة لأن الله تعالى قد أظهر من نور النبوة ما طمس به من معالم الآراء الجاهلية وعاش السلف في ضوء هذا النور الساطع ، يتضح جليا أن أعمال القلوب عند ابن تيمية ومحاولته صياغتها في إطار القيم المستنبطة من آيات الكتاب وأحاديث رسول الله ﷺ تثبت لنا بذلك أن الدائرة الاسلامية الكبرى تحتوي بداخلها على أسس وحدانية وتفسيرات ذوقية وقواعد سلوك إلى جانب الاستدلال النظري وقواعد التشريع[1] فابن تيمية هنا يؤكد على مصدرية القرآن الكريم وأنه الأساس القائم لتحقيق الحياة الروحية وهو المنهج القويم لسلوك الطريق إلى الله تعالى وتحقيق العبادة الخالصة لأنه النور الذي يهتدي به الضال وهو الشفاء للقلوب العليلة وبه تكون التزكية ، وهو المنهاج القويم الذي يهدي إلى الصراط المستقيم وينال المتقين جنات النعيم ، ويذكر الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في كتابه جواهر التفسير أن القرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم هو منبع هذا الخير كله ، ومطلع هذه الهداية التي أشرق نورها على قلوب الناس فبدد منها الظلمات ، واستأصل منها الضلالات ، فمن تمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، فهو كلام الله رب العالمين لقوله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2] ومن خلال قراءته وتلاوته يدل على عظمة محتواه وعلى القصد من إنزاله [3]،ولقد وصف الرسول القرآن الكريم وصف العارف به، كيف لا ؟ وهو الذي أنزل عليه ليبينه للناس كافة ، مصداقا لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[4]، ولعل أجمع حديث لصفات القرآن ما رواه الإمام أحمد والترمذي عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله

[1] مصطفى حلمي ابن تيمية والتصوف دار الدعوة ، الإسكندرية ١٩٨٢، ط٢، ص٣٣٧

[2] سورة فصلت الآية ٤٢

[3] أحمد بن حمد الخليلي جواهر التفسير ،أنوار من بيان التنزيل ،مكتبة الاستقامة سلطنة عمان ،ج١، ١٤٠٤هـ٦١٩٨٤مط١،ص ٣.

[4] سورة النحل الآية ٤٤.

وجهه أن النبي ﷺ قال:{ ستكون من بعدي فتن كقطع الليل المظلم،[1] قيل يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، إن هذه الإحاطة الدقيقة بصفات القرآن لا تكون إلا ممن أنزل إليه وقصارى ما يمكن أن يصل إليه فهمنا من هذا الوصف الجامع للقرآن الكريم، من شمولية واحتواء القرآن على كل ما يحتاج إليه الإنسان ...وهو حبل الله الذي لا ينقطع بمن تمسك به ونوره الذي لا يضل من استبصر به[2]، وصراط مستقيم لا يزل من سلكه ولا يضل فالقرآن الكريم أنزل ليكون نورا وهدى يقوم المنحرفين عن الجادة ويهدي الضالين عن الحق وفي حديث أخرجه مسلم عن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويخف آخرين"[3]وهو يعني أن الله يرفع به الذين يهتدون بنوره ويقفون عند حدوده ويخفض به الذين يضلون عنه ويبغونه عوجا[4]، ونلاحظ أن كلام الخليلي يتمم ما قاله ابن تيمية بأن القرآن هو نور القلوب وهو الهدي لمن ضل ، وهو السبيل لمن أراد الفلاح ، وهو سبيل الرشاد والهدي الذي تجسد في شخص الرسول ﷺ كما وصفته عائشة رضي الله عنها أنه :"كان قرآنا يمشي" واقتدى به الصحابة الكرام والتابعين ثم اقتفى أثره الصالحون والأولياء والأخيار من الصوفية، وإذا تصفحنا تاريخ السلف الصالح الذين تلقوا من رسول الله صلى الله عليه وسلما القرآن غضا طريا فكان هجيراهم آناء الليل وأطراف النهار[5]، نجد أنهم بالقرآن

---

[1] أخرجه الترمذي في سننه ح= ٢١٣٩٥، رواه أبو هريرة ،كتاب الفتن ، باب ماجاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم : أنظر الترمذي : الجامع الصحيح ت: إبراهيم عطوة عوض ، ج٤، ص ٤٨٧، وعلق عليه أبو عيسى فقال : هذا حديث حسن صحيح.

[2] أحمد بن حمد الخليلي جواهر التفسير، أنوار من بيان التنزيل، مكتبة الاستقامة سلطنة عمان ،ج١،١٤٠٤هـ١٩٨٤م ط١، ص٤

[3] أخرجه مسلم في صحيحه ح ٢٢٩، رواه عمر بن الخطاب =كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل القرآن وما يتعلق به : باب من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ، أنظر صحيح مسلم ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ط١، دار الحديث مصر ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج ١/ص٥٥٩.

[4] أحمد بن حمد الخليلي جواهر التفسير ، أنوار من بيان التنزيل مصدر سابق ص ٥.

[5] المصدر نفسه ص ٦.

والسنة استطاعوا تحقيق الأماني التي لا يكاد العقل يتصورها فقد كان القرآن مصدر عزتهم وقوتهم وبإدراكهم لذلك كانوا يدأبون عليه تلاوة وعملا ودراسة وكانوا تتمثل فيهم صفات الإيمان بالقرآن التي ذكرها الله تعالى يقول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] وقال تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[2]، وكانوا متفاعلين في أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأمثاله ، فقد أشربت قلوبهم حبه وجرى في أرواحهم وعقولهم مجرى الدم في العروق منعكسة آدابه وأخلاقه على معاملاتهم فكان كل منهم صورة حية لهداية القرآن متأثرين في ذلك بالرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، الذي تصفه عائشة رضي الله عنها { كان خلقه القرآن }[3]، فالمسلم العاقل[4] مستيقن أن القرآن الكريم هو دستور حياة البشرية وسعادتها في الدارين، إذا كان العمل بمقتضاه وتطبيق أحكامه وتجليه في سلوكهم، علما وعملا فكان نزول القرآن في القلب وتجليا في السلوك محفوظا في الصدور قبل أن يدون في السطور ، ومما لا شك فيه أن الكثير من العلماء الذين عاشوا مع القرآن تجربة جادة وصادقة وتعاملوا معه بروحانية وصدق وإخلاص لله، فكانت قراءتهم تدبرا وتفكرا واعتبار وعملا به، فأنتجت تراث إسلامي يمثل نموذج عملي واقعي لتجربة ذاتية في كيفية التعامل مع كتاب الله العزيز والأمثلة كثيرة والشواهد متعددة وقد اخترت أنموذج يليق بهذا المقام وهو من المؤلفات التي اعتبرتها روحية ونابعة من صدق تجربة صاحبها ومعاناته وهو كتاب سيد قطب: في ظلال القرآن الذي يعتبر أنموذج للعيش مع القرآن الكريم، الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله وعاشه لحظة لحظة وفكرة فكرة ولفظة لفظة وأودعه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان ، عالم الاتصاف الحقيقي المحض، الذي

---

[1] سورة السجدة الآية ١٥.

[2] سورة السجدة الآية ١٦ .

[3] أخرجه أحمد في مسنده ، ح= ٢٤٦٠١، رواه = عائشة رضي الله عنها ، مسند تتمة مسند عائشة ، ج ٤١، ص=١٤٩/١٤٨، علق عليه في الهامش : حديث صحيح ، وسيرد برقم ٢٤٨١٠، أنظر مسند الإمام أحمد ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بيروت لبنان ج=٤١، ص١٤٩/١٤٨.

[4] جواهر التفسير، مصدر سابق ص ٧.

يكون فيه العبد في أعلى مرحلة من العبودية ، ولا نجد أصدق وأبلغ من تعبير صاحب الكتاب حيث يقول: الحياة في ظلال القرآن نعمة لا يعرفها إلا من ذاقها (كما يقول الصوفية من ذاق عرف) ونعمة ترفع العمر وتباركه وتزكيه ويقول: لقد عشت في ظلال القرآن أنظر من علو إلى الجاهلية التي تموج في الأرض وإلى اهتمامات أهلها الصغيرة الهزيلة، ...وانتهيت من فترة الحياة في ظلال القرآن إلى يقين حاسم ...إنه لا صلاح لهذه الأرض ولا راحة لهذه البشرية ولا طمأنينة لهذا الإنسان ولا رفعة ولا بركة ولا طهارة ولا تناسق مع سنن الكون وفطرة الحياة ...إلا بالرجوع إلى الله ، والرجوع إلى الله –كما يتجلى في ظلال القرآن –له صورة واحدة وطريق واحد ...واحد لا سواه ...إنه العودة بالحياة كلها إلى منهج الله الذي رسمه للبشرية في كتابه الكريم ، إنه تحكيم هذا الكتاب وحده في حياتها والتحاكم إليه وحده في شؤونها،[1] وإن الاحتكام إلى منهج الله في كتابه ليس نافلة ولا موضع اختيار إنما هو الإيمان أو فلا إيمان، والأمر إذن جد إنه أمر العقيدة من أساسها ثم هو أمر سعادة هذه البشرية أو شقائها، إن هذه البشرية وهي من صنع الله لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده سبحانه وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق وشفاء كل داء وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين[2] "مصداقا لقوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[3]، فالقرآن الكريم هو الذي ربى الأمة وأدبها فزكى منها النفوس، وصفى القرائح وأذكى الفطن وجلا المواهب وأرهف العزائم وأعلى الهمم وصقل الملكات وقوى الإرادات ومكن للخير في النفوس وغرس الإيمان في الأفئدة وملأ القلوب بالرحمة، كما أن القرآن هو الذي جلا العقول على النور الإلهي فأصبحت كشافة عن الحقائق العليا وطهر النفوس من أدران السقوط والإسفاف إلى الدنايا فأصبحت نزاعة إلى المعالي، مقدمة

[1] سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق ط٣٢، ١٤٢٣ه/ ٢٠٠٣م، القاهرة ج١ ص١٥.

[2] سيد قطب في ظلال القرآن المصدر نفسه ج١ ص ١٥ .

[3] سورة الإسراء الآية ٩.

على العظائم[1]، وهو المنهل العذب الذي يستقي منه الصوفية علومهم، وهو مصدر إلهامهم ومنه العبرة وفيه القدوة، وبه تكون مناجاتهم في خلواتهم وجلواتهم .

القرآن الكريم يحدثنا بأسلوب لا لبس فيه عن المعجزات التي تفضل الله بها على رسله وأنبيائه ويحدثنا سبحانه عن الكرامات التي منحها سبحانه لأوليائه وأصفيائه ألم يحدثنا القرآن الكريم بصورة لا تحتمل التأويل بأن عيسى عليه السلام كان يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فتكون طير بإذن الله وأنه يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ألم يحدثنا موسى عليه السلام أنه ألقى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون وبأنه أخرج يده فإذا هي بيضاء للناظرين وسيدتنا مريم ألم تحمل بسيدنا عيسى من غير أب خارقة بذلك قوانين الطبيعة وكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أنى هذا[2]، قالت: هو من عند الله، ثم إن ما سميته قوانين الطبيعة إنما هو في الواقع عادات الطبيعة وخرقها ليس يستحيل عقلا وخرقها لا يترتب عليه مستحيل وعادات الطبيعة لا تسيطر على رب الطبيعة والذين تجري على أيديهم المعجزات والكرامات لا ينسبوها إلى أنفسهم إنما ينسبوها إلى المتفضل الوهاب ، صاحب القدرة والقهر[3]، إنهم ينسبوها إلى من هو على كل شيء قدير ينعم الله عليهم بها لتقواهم وصلاحهم وشدة ورعهم ،ليبين أن لا قادر سواه ، وسنسوق نموذج آخر من العلماء الربانيين الذين استقوا معارفهم ونهلوا من المنبع الأصلي للحياة الروحية وكان هو المنطلق والمعتمد في كل مؤلفاتهم، ابن عطاء الله السكندري في كتابه الحكم والقارئ المستبصر للحكم العطائية يلاحظ أسلوبها القرآني في قالبها الصوفي الجذاب وما في الحكمة من تربية للروح وتزكية للنفس وتهذيب الأخلاق وتقويم السلوك وإرشاد إلى طريق الهدي فهي مزيج من المصطلحات الصوفية ومصدرية القرآن الكريم ، لأن القرآن جاء ليتدبره الناس، فيصبحوا عبيد الله بالطوع والاختيار، كما خلقهم عبيدا له بالفطرة والإجبار ومن أجل هذا كان لابد أن ينهج بالناس نهجا تربويا في كل ما يأتيهم به من أخبار وآيات وعظات

[1] سالم بن مسعود بن سليم الصوافي ، إمام العلم والعمل الشيخ الرضي حمود بن حميد الصوافي ، سيرة حياة ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣. ص ٣١.

[2] عبد الحليم محمود سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ، ط٢/ ٦٢هـ ص ١٦٣.

[3] المصدر نفسه ص١٦٤.

وأحكام، ومن أجل هذا كان هذا الكتاب أعظم مصدر للتربية(التربية الروحية) إلى جانب أنه يقدم للإنسان حقائق الكون كله[1]، القرآن يضع المتأمل في آياته في حالة وسطى بين الخوف من عذاب الله تعالى ورجاء رحمته وعفوه وهو مسلك السائرين في الطريق إلى الله، وذلك كي لا يسيطر عليه من الرهبة والخوف ما يجعله في يأس من سعة عفوه فيمضي بذلك في الطريق التي يشتهيها لاعتقاده بعدم الجدوى من الحذر والاستقامة، ولكي لا يفيض قلبه أملا بمعاني الرحمة والمغفرة وحدها فلا يجد بذلك ما يصده عن ارتكاب أي منكر والانحراف إلى أي زلل، والقرآن يربي النفس البشرية،[2] ويمنحها أخلاقا قرآنية متجلية في السلوك الخارجي للإنسان، و الإنسان في القرآن خليفة الله عز وجل في الأرض أي أنه جلت قدرته شاء أن يكون الإنسان مظهرا لعدالته وأن يكون هو لسان الكون الناطق بحمده وتسبيحه والإيمان به وذلك عن طريق تنفيذ أوامره وتطبيق شرعه والاهتداء إلى ألوهيته ووحدانيته وفي بيان هذا يقول الله تعالى وهو يقص علينا بدء الخلق﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾[3] والإنسان في القرآن أخيرا عبد الله خلق ليكون مظهرا لإلهية الله عز وجل وما صفة الخلافة فيه وتكريمه على سائر المخلوقات وتسخير الكون له إلا وسيلة لأن يحقق عبوديته لله تعالى بالكسب والممارسة والاختيار كما خلقه عبدا له بالجبر والاضطرار ،ونيله المرتبة العالية في الدار الآخرة وخير جزاء ، والقرآن هو كتاب الله المسطور، وهو المنظار الذي نرى من خلاله تجارب الأمم السابقة ممن حادوا عن طريق الحق وضلوا وأضلوا فهو ينبئنا عن مسار حياته وكذا مآلهم من الجحيم بسبب إنكارها كتاب الله والتكذيب بما جاءت به الرسل لتبين لهم الحق ولتهديهم إلى الصراط المستقيم، فمن خلال نظرة القرآن الكريم للحياة نجد أن :القرآن يتحدث عن الحياة الدنيا من جانبين :الأول من حيث قيمتها وعلاقتها بما وراءها ومركزها من قصة الوجود والحياة كلها والثاني من حيث ما يجب أن تكون عليه حالة الإنسان تجاهها ومدى ما ينبغي أن يستفيده منها، فالحياة الدنيا من حيث قيمتها الحقيقية حياة فانية وظل زائل ومعبر إلى الحياة الباقية الأخرى، والقرآن يظل يلح على

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مكتبة الفارابي ص ٢١١.

[2] المصدر نفسه ص ٢١٤.

[3] سورة البقرة الآية ٢.

بيان هذه الحقيقة وتجسيدها وتنبيه الناس إليها فيقول تعالى﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾[1] أما الحياة الدنيا من حيث ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الإنسان بها فهي وسيلة إلى تقويم معاشه ومعاده وسبب لابد من مباشرته لإصلاح أمره وإسعاد نفسه وبني جنسه ولذلك فالقرآن يأمر الإنسان بالاستفادة من الحياة على أن لا تكون همه الأول، وعلى أن يتخذ منها وسيلة للغاية الكبرى التي خلق من أجلها وسببا يضمن لنفسه به سعادة الدارين وهو يقول تعالى﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾[2] ويقول محذرا من معارضة الفطرة الانسانية بالانقطاع عن متعة الحياة الدنيا وطيباتها [3]، فإذا تأملت هذا التقويم القرآني لكل من الكون والإنسان والحياة أدركت أن محور المخلوقات كلها في الرتبة والأهمية إنما هو الإنسان وأن الغاية التي خلق من أجلها أن يكون مظهرا لحكمة الله تعالى وعظمته وعدالته في الأرض بما يلتزمه من منهج العبودية له تعالى وأن محور الوجود كله إنما هو الدار الآخرة فالدنيا بكل ما فيها والحياة بكل صورها وأشكالها مقدمة بين يدي تلك الحياة الأبدية الأخرى، تلك الحياة التي لا تكاد تجد صحيفة من القرآن خالية عن التذكير بها والتحذير من جحودها[4]، فبهذا يتجلى دور القرآن الكريم ومكانته عند المسلمين وأنه عامة وعند الربايين خاصة وأنه الوحي الذي تتم بمقتضاه الحياة الروحية، لأنه يشتمل على المبادئ العقدية والأخلاقية التي بتطبيقها يصل السالك إلى المقام الذي جاهد نفسه وعبد الله لأجله وهو مقام المتقين والأبرار .

---

[1] سورة الحديد الآية ٢٠.

[2] سورة القصص الآية ٧٧.

[3] محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن ، مصدر سابق ص٢٢٧.

[4] المصدر نفسه ص ٢٢٧.

يقول الفخر الرازي بعد خوض تجربة عميقة في بعض العلوم: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن يقول اقرأ في الإثبات الرحمن على العرش استوى –إليه يصعد الكلم الطيب ...واقرأ في النفي ليس كمثله شيء –ولا يحيطون به علما ،ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي[1].

وفي هذا السياق يقول أبو الحسن الشاذلي: التصوف الحقيقي هو النابع من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم[2]، كما يقول الشيخ محمد ناصر : ونحن الأمة الإسلامية قوم أغنانا الله عن الاستمداد من هذه الفلسفات حين خطط لنا منهجا تربويا في كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد وحين جسد لنا ذلك المنهج محسوسا ملموسا متمثلا في رسوله إلينا صلى الله عليه وسلم وبهذا لم يتركنا في متاهات الحيرة والتساؤل إذ فصل لنا منهجنا نظريا في القرآن الذي أرسله إلينا [3]يمثل في أقواله وأعماله وإقراره المثال الكامل الذي ينبغي علينا الاقتداء به إذ مدحه: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ ﴾[4] امتدحه القرآن ليبين لنا بأنه هو الوحيد الذي سيجسد القرآن وتعاليمه على الأرض وقد سئل أقرب الناس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم خبرة ومعاشرة وهو زوجه عائشة رضي الله عنها عن خلقه فأجابت : " كان خلقه القرآن " .

إن هذا التكامل بين القرآن والسنة النبوية يعبر بطريقة مثلى عن المنهج التربوي الإسلامي[5].

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ،ابن قيم الجوزية تح: محمد سيد كيلاني ،مكتبة دار التراث –القاهرة ص٥٧.

[2] مأمون غريب أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وأوراده ،دار غريب –٢٠٠٠م ص ١٦

[3] محمد صالح ناصر ،مع كلام رب العالمين ، جمعية التراث ، القرارة ،ج١، ص٧.

[4] سورة القلم الآية ٤.

[5] محمد صالح ناصر ،مع كلام رب العالمين ، ،ج١، جمعية التراث ، القرارة ،ط١١٤٦هـ-٢٠١٤م ص ٧.

المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم

معلوم أن القرآن الكريم هو كلام الله المنزل على عبده المنقول إلينا بالتواتر والمتعبد بتلاوته وذكرنا سابقا أنه مصدر التجربة الروحية ، والنبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين وهو الذي أنزله الله على قلبه ليكون الكتاب المهيمن وليبين به الحق ويظهره على الدين كله، وليجسد أخلاق القرآن على أرض الواقع، والرسول الكريم ﷺهو أفضل عباد الله وأحبهم إلى الله ﷻ وخليل الله ، ومصطفاه ، ومجتباه أكمل عباد الله عبادة وأزكاهم خلقا وأطيبهم نفسا وأحسنهم معاملة وأعظمهم معرفة بالله سبحانه وتعالى وتحقيقا لعبوديته، اختاره للدلالة على الهدى وخصه بأكمل صفات البشر من حيث الخُلق والخَلق من أفضل وأعرق البشرية نسبا، و الله عز وجل جعله قدوة للعباد وأسوة للناس وأمر باتباعه والسير على منهاجه بل هو الإمام الأعظم والقدوة الأكمل قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[1] فمحبة الله للعبد مقرونة بمحبة العبد للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد اصطفاه الله تعالى وجعله معصوما من كل زلل، فهو القدوة والمثل الأعلى و الإنسان الكامل ،وسلوكه وأخلاقه وعبادته لخالقه أدهشت المسلم وحيرت الكافر، وأن المصدر الثاني هو أقوال النبي ﷺ وأفعاله الظاهرية[2]،وأحواله الباطنية التي يرونها ببصائرهم ويستشفونها بقلوبهم فيتخذون منها مثلهم العليا ونماذجهم الرفيعة ،وأجلاء الصالحين قد اتخذوا من سلوك النبي صلى الله عليه وسلم نبراسا استضاءوا به فاستخلصوا من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم سلوكا تسامى بهم وأن الاقتداء به أساس أصيل لسلوك المؤمنين إلى الله، وتحقق السلوك إنما يتم عن طريق وجود المثل الأعلى الكامل[3].

---

[1] سورة آل عمران ٣١ الآية –٣٢.

[2] عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، شرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، مكتبة الملك فهد – الرياض ط١١٤٣٥هـ-٢٠١٤م ص٢٤.

[3] شرح شمائل النبي مصدر سابق ص٢٥.

كما يرى الحكيم الترمذي أن صفة الاقتداء تتمثل في أن يتبع آيات القرآن والسنة وإجماع العلماء وإشارات الحق على الكشف ،[1] فهو للصوفية والربانيين والسالكين وسائر المسلمين طريق التقوى ومصدر هديهم و قدوتهم، والسراج الذي ينير لهم الطريق إلى الله، وفيه تجلت كل معاني الإنسان الكامل، وفي شخصه اكتملت كل الأخلاق الإنسانية، والحياة الروحية الإسلامية أو التصوف الإسلامي [الصافي] هو التطبيق الكامل لمنهج الرسول الكريم في الحياة مظهرا وسلوكا النابعة من القرآن الكريم لأن النبي صلى الله عليه وسلم (كان خلقه القرآن)، (وكان قرآنا يمشي)، والحياة الروحية الصوفية أو السلوكية باختلاف مسمياتها إنما هي امتداد لحياة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاستغراق في أعمال الإيمان والتقوى بدءا من الخلوة إلى الجهر بالدعوة ، بالإخلاص لله تعالى والصدق والصبر على هوى النفس وفي الامتثال والإخبات في السر والنجوى وهذا هو غاية ما يتمناه الموفون والإنسان إذا أنعم الله عليه باليقظة بعد نوم الغفلة وتاب إلى الله وأناب وتخلص من ذنوبه وقيود مخالفاته وعمر حياته بالإيجابيات وتحمل المشاق وأرهق النفس تأديبا وشغل قلبه بحب الله واختفت من حياته جميع السلبيات بحيث رد جميع المظالم وقضى ما ترتب على ذمته من الفوائت والتزم أداء الفرائض التي هي أساس العبودية ورأس حقوق الألوهية والربوبية يلزمه أن ينظر في ضبط الوقت وحمايته من الفراغ والضياع[2]، لأن علاقة الإنسان بربه تقوم على رأس المهام التي من أجلها جاء الأنبياء والمرسلون وفي سبيل تبيانها وإجلالها كرسوا حياتهم أجمعين وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاتم لمسيرة إخوانه المباركين والمتلقي آخر كلمات الوحي إلى البشرية جمعاء فقد راح يعطي اهتماماته العميقة والراسخة لتلك العلاقة الروحية والسلوكية التي تصل الإنسان بربه الكبير المتعال والتي ترفع بدورها مستوى الحياة الإنسانية إلى أعلى مستويات الكمال الميسور لبني الإنسان ، من مرحلة البهيمية إلى المرحلة الملائكية ولقد كان أما م الرسول صلى الله عليه وسلم طريقة واحدة لإنشاء هذه العلاقة ، تلك التي علمه إياها القرآن الحكيم في قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ

[1] أحمد عبد الرحيم السائح ،السلوك عند الحكيم الترمذي: ومصادره من السنة، دار السلام-مصر ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ص٢٥.

[2] ابراهيم الحسني ، جمعية الدعوة العالمية الإسلامية – أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي في الفترة ما بين ٢٢-٢٤ ربيع الآخر الموافق ل ١٦-١٨- ١٤٢٤هـ-١٩٩٥م –طرابلس ط١، دار الكتب الوطنية ، طرابلس ، ص ٣٩٠.

رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾[1]، وإسلام الوجه إلى الله سبحانه في إحسان لطاعته وعبادته وهو جوهر العلاقة الروحية العلوية التي تصل العبد بربه والتي تجعل منه ربانيا له عند الله منزلة ومقام ولكن لكي يسلم الإنسان وجهه إلى الله ويسعى إليه بالعمل الصالح والحياة الطيبة لابد أولا وبداهة أن يكون قد عرفه وآمن[2]، إن أول إثبات وجودك أن تؤمن بالله الذي منحك هذا الوجود وحين تؤمن به الإيمان الصحيح الصادق فنصيبك هذا الإيمان أن تعبده وتطيعه[3]، والنبي صلى الله عليه وسلم أنموذج للكمال الإنساني وأسوة حسنة لمن أراد الهدى لقوله تعالى:﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[4] والصوفية اقتفوا أثره وتتبعوا سيرته واقتدوا بأقواله وأفعاله، في خلواته وأذكاره وكل ما كان يتعبد به، وكان ذلك جلي في كتاباتهم ،ومحبتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم للقياه لأن محبة النبي ﷺ مقرونه بمحبة الله تعالى فالله عز وجل يقول في محكم تنزيله قال تعالى:﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[5] ورسول الله ﷺ وطيد الثقة بالإنسان وهو بما علمه ربه يدرك القدر العظيم الهائل الكامن في أعماق كل فرد وإنسان والذي إذا أحسن أخلاقه أتى من الخير العظيم ومن العظمة الخيرة كل معجزة وعجيب ورسول الله محمد صلى الله عليه وسلم داعية هدى وصاحب رسالة وحامل مشعل السماء ومن ثم فهو دائم الحرص على أن تكثر وتنموا صفوف الذين آمنوا وعملوا الصالحات من خلال بطولات الروح الانساني تلك البطولات التي تتمثل في التغلب على الهوى وترفع بأصحابها فوق مستوى الضعفاء في هداهم وتقاهم إلى مستوى الأبرار الذين يصير وجودهم آخر الأمر وكأنه مثوبة الله وهديته للنوع الإنساني بأن أولئك هم الذين جاء محمد صلى الله عليه وسلم ليبحث عنهم ويخرجهم

---

[1] سورة البقرة الآية ١١٢.

[2] خالد محمد خالد ، كما تحدث الرسول ، دار العلم للملاين ١٩٨٤. ص ١٧٩.

[3] المصدر نفسه ص ١٨٠.

[4] سورة الأحزاب الآية ٢١.

[5] سورة آل عمران الآية ٣١.

من بين الصفوف المزدحمة فينفض عنهم غبار التيه وشيوخهم زهاد التفوق ويجعل منهم رايات مبسوطة وخفاقة في جو الحياة وليس لجواز مرورهم الى الله علاقة أدنى بالثروة ولا بالعائلة ولا بالمنصب ولا بالجاه إنما هي ثروة الروح وحسب أنما هو الدنو العظيم إلى ما عند الله من هدى ويقين: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾[1] إنما هو سعي الرواد وزهد الرواد وإصرار الرواد على كشف طريق الروح وتعبيده وعلى الوصول بالنفس إلى مجال كمالها الميسور في غير ضراء مضرة ولا فتنة مظلة ، هذه غاية تتطلب قوة عظمى لا جرم بيد أنها لن تكون بحال قوة العقل المقتول ولا النفس المتسلطة ولا الجموح العاصف، بل قوة النفس الباطنة هي القدر الذي يحملنا في رحلة التفوق والكمال إذا ألهمت تقواها وهي القدر الذي يدحرجها في مهاوي التعاسة والظلال إذا ألهمت فجورها وتحويل النفس الباطنة إلى نفس مطمئنة ونفس مشعة بالخير تواقة إلى الكمال وهو غاية الدين وغاية المرسلين في تعلية النوع الإنساني وبعث إرادة الخيرية فيه[2]،والفلاح والخيبة متوقف على النفس لقوله ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3] .

ويكون في خلوته جاعلا وقته شيئا واحدا موهوب لله بإدامة فعل الرضا، إما تلاوة أو ذكر أو صلاة أو مراقبة وأي وقت قر عن هذه الأقسام ينام فإذا زاد تعيين أعداد من الركعات ومن التلاوة والذكر أتى بذلك شيئا فشيئا وإن أراد أن يكون بحكم الوقت يعتمد أعطف منا على قلبه من هذه الأقسام ، فإذا قر عن ذلك ينام وإن أراد أن يبقى في سجود واحد أو ركوع واحد أو ركعة واحدة أو ركعتين ساعة أو ساعتين فعل ويلازم في خلوته إدامة الوضوء ولا ينام إلا عن غلبة بعد أن يدفع النوم عن نفسه مرات فيكون هذا شغله ليله ونهاره وإن كان ذاكر لكلمة "لا إله إلا الله" وشمت للنفس الذكر باللسان

[1] سورة آل عمران الآية ١٩٨.

[2] خالد محمد خالد موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ،إنسانيات محمد ص عشرة أيام في حياة الرسول ص كما تحدث الرسول ص ، ط١٤٢٩،١٠هـ- ٢٠٠٨م ص ٣٠٧.

[3] سورة الشمس الآية ١٠.

بقولها بقلبه من غير حركة اللسان[1]، وإن الصوفية أوفر الناس حظا من حيث الاقتداء بالرسول ﷺ وأحقهم بإحياء سنته والتخلق بأخلاقه ، فالصوفية أحيوا سنته ﷺ لأنهم وقفوا في بداياتهم لرعاية أقواله وفي بسط حالهم اقتدوا بأعماله واقتفوا أثره وساروا على هديه فأثمر لهم ذلك في نهاياتهم أن تحققوا بأخلاقه وتحسين الأخلاق لا يتأتى إلا بعد تزكية النفس وطريق التزكية بالإذعان لسياسة الشرع وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] لما كان أشرف الناس وأزكاهم نفسا كان أحسنهم خلقا، قال مجاهد : أي دين عظيم والدين مجموع الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة[3]، وكان الحب الإلهي هو رجاؤهم في الدنيا والآخرة والنور المحمدي أو الحقيقة المحمدية أو الدرة البيضاء كما سماه ابن عربي هي أساس تبنى عليه هذه المحبة وكل المحاور تدور في دائرته لأنه البشر الوحيد الذي حمل رسالة التوحيد الذي بلغ درجة الكمال الإنساني وهو المعلم لسلوك الطريق ، قال الجنيد : كان خلقه عظيما لأنه لم يكن له هما سوى الله تعالى وقيل التصوف هوالخلق مع الخلق والصدق مع الحق وقيل عظم خلقه حيث صغرت الأكوان في عينه لمشاهدة مكونها وقيل سمي خلقا عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه[4]، والنظرة الدقيقة إلى سلوك النبي ﷺ تعطينا الإيمان بحقيقة على غاية من الأهمية من ناحية الفصل في قضية الاقتباس التي أتاهم بها صوفية المسلمين وأنهم اقتبسوا تصوفهم من تصوف غيرهم وذلك أن أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وسلوكياته وهي المنار الذي يهتدي به الصوفية دائما إنما كانت عن طبيعة وسجية ولم تكن عن تكلف وتصنع كما كان عليه حال القوم الذين رمي المسلمون بالاقتباس منهم كالمسيحيين وغيرهم [5]، وليس هذا الحكم وليد نظر بشري يحتمل النقض أو الجدل وإنما هو حكم الله في كتابه حيث يستبعد الجدل حوله كما يستبعد احتمال البطلان

---

[1] عبد الحليم محمود ، د، محمود بن الشريف عوارف المعارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي ٥٣٩م-٦٣٢هـ-ج٢تح: دار المعارف القاهرة ص٥١.

[2] سورة القلم الآية ٤.

[3] السهروردي أخلاق الصوفية وشرح الخلق " عوارف المعارف ج٢اص ٥٦.

[4] المصدر نفسه ص ٥٩.

[5] عبد القادر أحمد عطا ، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي دار الجيل بيروت ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، ص ١٨٩.

لمضمونه[1] أي قل لهم يا محمد إني لست متكلفا فيما يظهر لكم من أخلاقي وإنما أصدر في كل ذلك عن طبع لا أثر فيه للصنعة ولا للتقليد للغير وأن الله سبحانه وتعالى أطلق عليه ﷺ صفتين من صفاته هما الرأفة والرحمة قال تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وتلك هي الغاية التي يجاهد الصوفي المسلم نفسه للوصول إلى صورة من صورها على مختلف الطرق والمناهج التي ابتكرها الصوفية للسلوك[3] والأصل والمنبع واحد، قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[4] هذه الآية فيها القول الفصل وقد اشتملت على أن النبي ﷺ هو القدوة الحسنة، فلا سبيل إلا اتباع هديه لما كان رجاؤه هو رضا الله ومحبته والفوز العظيم في اليوم الآخر وكل هذا أسسه ذكر الله .

كانت حياة رسول الله ﷺ ، من أنصع الأدِلَّة على نُبُوَّتِه؛ لما تَتَّصف به من نقاء وصفاء ووضوح وإخلاص وتربية أخلاقية وروحية، ولا يكون ذلك إلاَّ لنبي مُرْسَل من ربِّه، لا يُمَثِّلُ نفسه، وإنما يُمَثِّل الإرادة العليا؛ مصداقًا لقوله تبارك وتعالى:﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾[5]، فانظروا إلى الرسول العابد الذي لا يفتر عن ذكر ربِّه في ليله ونهاره والأمي الذي علَّمه شديد القوى، والحريص على أُمَّته من عذاب رب العالمين، والزاهد في الدنيا رغم أنها أتته راغبة، وانظروا أيضًا إلى عصمة الله له وإلى نقاء حياته؛ ستدركون عندها أن محمدًا ﷺ رسول من رب العالمين؛ فهذه الحياةُ النقية لا يمكن أن يكون صاحبها دَعِيًّا، ولا يمكن أن يكون دجالاً، كما لا يمكن أن يكون طالب مُلْكٍ، ولا يمكن أن يكون رجل دُنْيَا، وقد استقى الصوفية مبادئهم من منهج النبي ﷺ لم في عبادته وحاولوا بل واجتهدوا في أن يعيشوا بعض من صور زهده فقد ، وصل زهده

[1] السهروردي أخلاق الصوفية وشرح الخلق مصدر سابق ص ٨٦.

[2] سورة التوبة الآية ١٢٨.

[3] عبد القادر أحمد عطا ، التصوف الإسلامي مصدر سابق ص ١٩٠.

[4] سورة الأحزاب الآية ٢١.

[5] سورة النجم الآية ٣ –٥.

إلى مرحلة لا يقدر عليها إنسان إلا من جاهد نفسه واجتهد في تزكيتها وتنقيتها من العلائق و من كدر الحياة وشواغلها ،حتى ينالوا درجة الفلاح :لقوله تعالى:﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[1] كان الرسول ﷺ عظيما في عبادته وكانت حياته أنموذجًا عمليًّا لهذه النظرة الربَّانيَّة للدنيا الفانية، التي تبناها جمهور الصوفية وكانت محط نقد وما هي إلا قبس من زهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد وصف عمر بن الخطاب بيت وحال رسول الله ﷺ بقوله:... فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رُمَال حصير[2]، ليس بينه وبينه فراش، قد أَثَّرَ الرمالُ بجنبه، مُتَّكِئًا على وسادة من أَدَم حشوها ليف... ثم رفعتُ بصري في بيته، فو الله ما رأيت فيه شيئًا يَرُدُّ البصر غير أَهَبَة ثلاثة، فقلتُ: ادعُ الله فليوسِّع على أُمَّتِك؛ فإن فارس والروم وُسِّعَ عليهم، وأُعْطُوا الدنيا، وهم لا يعبدون الله وكان متَّكِئًا، فقال:" أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يَا بْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، قال الله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[3]ولقد أشفق أصحاب رسول الله –رضي الله عنهم- عليه عندما وجدوا الحصير قد أثَّر في بدنه؛ فعن عبد الله بن مسعود قال: اضطجع النبي على حصير،فأثَّر في جلده، فقلتُ: بأبي وأمي يا رسول الله، لو كنتَ آذنتنا ففرشنا لك عليه شيئًا يقيك منه، فقال رسول الله :"مَا أَنَا وَالدُّنْيَا، إِنَّمَا أَنَا وَالدُّنْيَا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا"[4]،وهذا رسول الله ﷺ –وهو القائد العامُّ لجموع المسلمين في الجزيرة العربيَّة، ومع ما فتح الله عليه من الفتوح- مستمسِّكًا بحياة الزهد، مبتعدًا عن الزعامة المتصنَّعة، متواضعًا في مأكله ومشربه، وقد لا يجد ما يملأ به بطنه فقد ثبت أن

---

[1] سورة الشمس الآيات ٧-٨-٩.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه ، ح= ٢٣٣٦، رواه عمر بن الخطاب ،كتاب المظالم ، باب = الغرفة والعلية المسرفة في السطوح وغيرها ح٢، ص ٨٧١=٨٧٣، أنظر صحيح البخاري ت: مصطفى ديب البغا ، ط ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار ابن كثير اليمامة دمشق.

[3] سورة الشورى الآية ٢٠.

[4] أخرجه ابن ماجة في سننه ح= ٤١٠٩، رواه عن عبد الله بن مسعود ،كتاب الزهد ن باب مثل الدنيا ، ج ٢، ص ١٣٧٦، أنظر ابن ماجة السنن ت: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ج٢، ص ١٣٧٦.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يظل اليوم يلتوي ، ومن هذه المواقف ما ذكره أبو هريرة بقوله:خرج رسول الله ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر، فقال: "مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟" قالا: الجوع يا رسول الله قال: "وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ،أَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا،وعن عبادته واجتهاده سئلت عائشة رضي الله عنها : أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخص شيئا من الأيام ؟ قالت : لا كان عمله ديمة وأيكم يطيق ما كان رسول الله ﷺ يطيق ...في الصحيحين[1] وعن أبي حازم، قال :رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مرارا :والذي نفس أبي هريرة بيده ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله ثلاثة أيام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا في الصحيحين [2].

لقد كان زهد رسول الله ﷺ في حقيقته زهد العارفين بالله حق معرفة والموقنين بأن الآخرة هي دار القرار والذي نال بعبادته أعلى درجة ينالها المتقين، وفي سلوكه وشخصه تحقق الكمال الإنساني فكان زهده علامة من علامات نبوَّته، ودليلاً على صدق بعثته، فلم تؤثِّر الدنيا فيه ولم يميل إليها ولا إلى شهواتها برغم مغرياتها ولكن رسول الله ﷺ ظلَّ على عهده بالزهد، مصاحبًا له، ومقترنًا به إلى موته، تقول أمُّ المؤمنين عائشة –رضي الله عنها–:"**مَا شَبِعَ رَسُولُ اللَّهِ**"، وهو الذي آثر الآخرة على الدنيا واطمئن قلبه لكلام خالقه فتفانى في عبادته راجيا رضا الله وقانعا بما هو عنده ، **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [3] ولما جاءته الدنيا بما تشتهي كل نفس زهد فيها غاية الزهد، فها هو ذا يوم حُنين تهون عليه الدنيا كلها ويعطيها دون تردُّدٍ لأصحابه وللمؤلَّفة قلوبهم، فهي عنده لا تعدل جناح بعوضة حتى إنه لم يُبقِ منها ما يعوِّض فقر السنين وانقضاء العمر الذي تجاوز الستِّين، ثم يقول للأعراب بعد أن أخذ بعضهم رداءَهُ: "رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخَافُونَ أَلاَ أَقْسِمَ بَيْنَكُمْ مَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ، فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ كَانَ لَكُمْ عِنْدِي عَدَدَ شَجَرِ تِهَامَةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً.

ورغم زهد رسول الله ﷺ في الدنيا إلاَّ أن نظرته للزهد كانت نظرة رائعة ؛ لأنها علَّمت الأُمَّة أن تَزْهَدَ دون أن تترك إعمار الأرض، فليس عدم التعلُّق بالدنيا داعيًا إلى خرابها،

---

[1] أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مج١، تح: طارق محمد عبد المنعم صفة الصفوة ، ابن خلدون الاسكندرية – مصر ص٦٠

[2] المصدر نفسه ص٦٢.

[3] سورة الضحى الآيات ١-٢-٣.

بل يعمرها المسلم دون أن يتمسك بمتاعها؛ لذلك يقول رسول الله ﷺ: "إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لاَ يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ"، فهذه هي النظرة الإسلاميَّة للدنيا التي نظر بها الرسول صلى الله عليه وسلم فهي نظرة توازن لا تُغْفِل الدنيا لحساب الآخرة ، ولا الآخرة لحساب الدنيا ،مصداقا لقوله تَعَالَى:﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[1] وهذه هي عظمة الإسلام وعظمة نبيِّه التي تُثْبِتُ –بما لا يدع مجالاً للشكِّ– صدق نبوَّته، وربانية وشمولية دعوته .

يقول ابن الجوزي: ولما سميت كتابي صفة الصفوة رأيت أن أفتتحه بذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فإنه صفوة الخلق وقدوة العالم[2]، فهو أفضل الأنبياء عليهم السلام وأكرمهم وأعلمهم وأعقلهم وأعزهم وأحلمهم، وقد خصه الله بفضائل من ابتداء الأمر إلى انتهائه لا يحصيها كتاب ولا يحويها خطاب ولا يعلمها حقيقة إلا الله سبحانه[3].

ولما أراد الله قبض روح محمد صلى الله عليه وسلم، شكت الأرض إلى الله وقالت : يا رب لا يمشي عليا نبيء إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إليها " إني سأجعل في هذه الأمة رجالا مثل الأنبياء قلوبهم على قلوبهم" وهم ثلاثة مائة رجل الأولياء وسبعون النجباء وأربعون الأوتاد وعشرة النقباء وسبعة العرفاء وثلاثة، المختارون، وواحد الغوث، وقد اختير من الثلاثة فجعل في مرتبته، ومن السبعة فجعل في الثلاثة، ومن العشرة واحد فجعل في السبعة، ومن الأربعين واحد فجعل في العشرة، ومن السبعين واحد فجعل في الأربعين، ومن الثلاثمائة واحد فجعل في السبعين، ومن الدنيا واحد فجعل في الثلاثمائة، دائما هكذا حتى تقوم الساعة، فمنهم من قلبه كقلب موسى، ومنهم من قلبه كقلب نوح ، ومنهم من قلبه كقلب إبراهيم ، وكذا في داوود وأيوب وسليمان وعيسى، فما من نبي إلا وعلى طريقته رجل من هذه الأمة إلى يوم القيامة صلوات الله عليهم وسلامه،

[1] سورة القصص الآية ٧٧.

[2] صفة الصفوة مصدر سابق ص ٢٩.

[3] صفة الصفوة مصدر سابق ص١٨٥.

يقول أبو الدرداء : لم تفضل الأبدال بكثرة صلاة ولا صوم ولا قيام ولاخشوع ولكن بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدور والنصيحة للمسلمين ابتغاء مرضات الله وبصبر ثخين ولب حليم، وتواضع في غير مذلة ، اصطفاهم بعلمه قلوبهم على مثل يقين ابراهيم ، لا يلعنون غير مستحق، ولا يأذونه ولا يحقرونه، ولا يحسدون ، أحدا بدنياهم،أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة، وأسخاهم نفسا، علامتهم السخاء وسجيتهم البشاشة ، ووصفهم السلامة، لا تختلف أحوالهم بينهم وبين ربهم، لا تذريهم العواصف وقلوبهم تصعد في السقوف العلا ارتياحا إلى الله واشتياقا إليه قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾:[1]، وقال أبو سعيد : الأبدال، قيل أربعون رجلا، لا تخلوا الأرض منهم إلى يوم القيامة وهم من أفضل أهل زمانهم في دينهم .

وقد كان منهج شيوخ الإباضية هو اتباع المنهج النبوي واقتداء بالرسول ﷺ في الإصلاح سواء للذات أو الغير ((...والاستاذ المربي المسلم الناجح هو الذي يجسد بسلوكه مصداقية الآية الكريمة : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾[2] أي هو الذي يصلح نفسه أولا ثم يصلح غيره وقد دلت تجارب المربين على أن التربية الناجحة هي التربية بالقدوة وذلك هو السر الذي جعل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته الأبرار يؤثرون في الناس ويبنون حضارة أصيلة شعت بأنوارها على بقاع العالم وحرص العلماء على تجسيد الاستقامة بسلوكهم العملي قبل أن يدعون إليها بدروسه ومواعظه[3] وعن جعفر بن محمد الصادق

[1] سورة المجادلة الآية ٢٢ .

[2] سورة الأحزاب الآية ٢١.

[3] محمد صالح ناصر مشايخي كما عرفتهم ، ط٢ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣، الجزائر . –ص ٢٠.

رضي الله تعالى عنه أنه قال : من عاش في ظاهر الرسول فهو سني ومن عاش في باطن الرسول فهو صوفي ، وأراد جعفر بباطن الرسول صلى الله عليه وسلم أخلاقه ، الطاهرة واختياره للآخرة ، فمن تخلق بأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم وتخير ما اختاره ورغب فيما فيه رغب وتنكب عما عنه نكب وأخذ بما إليه ندب فقد صفا من الكدر[1]، وقد جمع له الله تعالى حالي الصبر والشكر وكان سيد الأغنياء الشاكرين وسيد الفقراء الصابرين فحص له من الصبر على الفقر ما لم يحل لأحد سواه ومن الشكر على الغنى ما لم يحصل لغنى سواه فكان ﷺ أصبر الخلق في مواطن الصبر وأشكر الخلق في مواطن الشكر، وربه تعالى كمل له في مراتب الكمال فجعله في أعلى رتب الأغنياء الشاكرين وأعلى مراتب الفقراء الصابرين قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغۡنَىٰ﴾[2] وأجمع المفسرون أن العائل هو الفقير ، فالله سبحانه وتعالى جعل نبيه غنيا شاكرا بعد أن كان فقيرا صابرا[3].

[1] محمد صالح ناصر مشايخي كما عرفتهم ، ط٢ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣، الجزائر ص٢١

[2] سورة الضحى الآية٨

[3] لإمام ابن قيم الجوزية ، ت:إبراهيم سليمان الشيخ عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، دار الصحابة للتراث – ط١-١٤١٠هـ-١٩٩٠م-–طنطا –مصر ص ٨٨.

المطلب الثالث: الصحابة والأولياء الصالحين

عرفنا أن الصحابة الكرام رضوان الله عليهم هم أول الناس الذين حظوا بصحبة ﷺ ومجالسته ومحاكاته وأخذهم الدين الصحيح مباشرة من فيه الطاهر الصادق الذي لا ينطق عن الهوى، وهم أول من تلقى القرآن الكريم وحفظوه في صدورهم، ولا شك أنها كانت حياة حافلة بالإيمان الخالص الخالي من كل ريب أو شك، إيمان العمل والقول معا، كيف لا وهم كانوا يحبونه أكثر من أنفسهم ،قال الله تعالى:" ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [1] ،وهم أتباعه من أصحابه .

يقول الشعراني في مقدمة كتابه الطبقات: إن طريق القوم مشيدة بالكتاب والسنة وأنها مبنية على سلوك أخلاق الأنبياء والأصفياء وبيان أنها لا تكون مذمومة إلا إذا خالفت صريح القرآن والسنة وهي نماذج حية لهدي سلف هذه الأمة من صحابة وتابعين وهم أهل الفضل وأصحاب الهمم العالية ، ممن نظروا إلى الآخرة بأنها دار قرار، وإلى الدنيا بأنها الحياة الدنيئة الفانية، وأن مثل بقاء الدنيا فيها مثل الراكب قال في ظل شجرة ثم تركها ، فعملوا لتلك الدار الباقية وتركوا ما لا نفع فيها وزهدوا في الدنيا وأخرجوها من قلوبهم[2] هي نماذج لزهد الأنبياء والصحابة والتابعين وما ينبغي أن يكون عليه المسلم في حياته والآداب التي يتحلى بها والاخلاق التي كانوا عليها من خوف ورجاء وحرص على

[1] سورة الفتح الآية ٢٩ .

[2] الخطيب البغدادي ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ويليه طرق حديث عبد الله ص ٨.

الحلال والرضا برزق الله والقناعة فيه والحذر من شهوات الدنيا والرغبة إلى ما عند الله وآثروا الدار الآخرة على الحياة الدنيا [1].

وصف أصحاب النبي صلى الله في الكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل على أفضل ما يوصف به المؤمن فجاءت صفتهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم وأنهم ركعا سجدا وأنهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه وأن سيماهم في وجوههم من أثر السجود وأنهم كانوا بأكمل الصفات وأجل الأحوال متحابون متراحمون كالجسد الواحد وغايتهم رضا الله تعالى زاهدين عابدين بهدي الرسول ﷺمهتدين وبأخلاقه مقتدين، ومن صفاتهم المكتوبة فيها أنهم عظموا رسول الله ﷺ وصدقوه ونصروه واتبعوه واتبعوا تعاليمه وسنته وهديه وأحكام[2] كتابه الذي أنزل عليه، فكما أن النبوة اصطفاء واختيار وهذه حقيقة بديهية لا تحتاج إلى برهان أو استدلال وفيما رواه ابن أبي عاصم في السنة والحميدي عن عويم بن ساعده عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ { إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحاب وجعل لي منهم وزراء وأنصار وأصهار فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل } المستدرك[3] إنهم النماذج المحتذاة في صوم الهواجر ومكابدة الليل وجهاد النفس واقتحام الأخطار ومواجهة الشدائد وأنهم فقهاء الأمة ومعلموها الذين استقر في قلوبهم الإيمان واليقين والتوكل فهم نتاج التربية النبوية[4] ، ومنهم أبو بكر الصديق كان أعف الناس في الجاهلية ،و قال العلماء: صحب أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم من حين أسلم إلى أن توفي ،لم يفارقه سفرا ولا حضرا إلا فيما أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه من حج أو غزو ، وشهد معه المشاهد كلها وهاجر معه وترك عياله وأولاده رغبة في الله ورسوله صلى

[1] الخطيب البغدادي ، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ويليه طرق حديث عبد الله ص ٩.

[2] أحمد علي الإمام، الصحبة والصحابة ، رسالة تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم رضي الله عنهم ، ط١، ١٤٦٠هـ-٢٠٠٤م ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، الإمارات .ص ٢

[3] المصدر نفسه ص ٣٠.

[4] المصدر نفسه ص٤٤.

الله عليه وسلم وهو رفيقه في الغار قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴾[1]، قال ابن الجوزي أجمعوا أنها نزلت في أبي بكر[2].

ويقول الشعراني في كتابه الطبقات : فأولهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي كان يقول أكيس الكيس التقوى وأحمق الحمق الفجور وأصدق الصدق الأمانة وأكذب الكذب الخيانة وكان رضي الله عنه إذا أكل طعاما فيه شبهة ثم علم به استقاءه من بطنه ويقول : اللهم لا تؤاخذني بما شربته العروق وخالط الأمعاء وكان يقول : إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله إلا أفضلكم مقدرة وأملككم لنفسه ، كان يقول لمن يعظه : يا أخي إن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك ، ويقول : إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة، يا معشر المسلمين استحيوا من الله فو الذي نفسي بيده إني لأظل حين أذهب إلى الغائط في الفضاء متقنعا استحياء من ربي ومن أقواله : ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل ، وكان يأخذ بطرف لسانه ويقول : هذا الذي أوردني الموارد وكان يقول للصحابة رضي الله عنهم : قد وليت عليكم ولست بأخيركم فأعينوني فإذا رأيتموني استقمت فاتبعوني وإذا رأيتموني زغت فقوموني وغلب عليه الحزن والخوف حتى كان يشم من فمه رائحة الكبد المشوي [3].

قال الشيخ رحمه الله في الحلية: واعلم أن لأولياء الله نعوتا ظاهرة وأعلاما شاهرة ينقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيون[4] (ومنهم) أبو بكر الصديق الملقب بالعتيق المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم في الحضر والأسفار ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة

[1] سورة الليل الآية ١٧-١٨.

[2] تاريخ الخلفاء مصدر سابق ص ١١٣

[3] الشعراني ، الطبقات مصدر سابق ج٢ ، ص ٢٦.

[4] لية الأولياء : مصدر سابق ج١. ص ٦.

بالأنوار توحد الصديق في الأحوال بالتحقيق واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق فتجرد من الأموال والأعراض وزهد فيما عزله جوهرا كان أو عرضا ، تفرد بالحق عن الالتفات إلى الخلق وقد قيل أن التصوف الاعتصام بالحقائق عند اختلاف الطرائق، كان رضي الله عنه يتوصل بعز الوفاء إلى أسنى مواقف الصفا وقد قيل أن التصوف تفرد العبد بالصمد الفرد[1].

ومن خير الصحابة كذلك عمر رضي الله عنه هو أحد السابقين الأولين وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة وأحد الخلفاء الراشدين وأحد أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد كبار علماء الصحابة وزهادهم[2]، وأخرج الطبراني في "الأوسط "عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :من أبغض عمر فقد أبغضني ، ومن أحب عمر فقد أحبني ، وإن الله باهى بالناس عشية عرفة ، وباهى بعمر خاصة ، وإنه لم يبعث الله نبيا إلا كان في أمته محدث ، وإن يكن في أمتي منهم أحد فهو عمر" قالوا يا رسول الله كيف محدث؟ قال" تتكلم الملائكة على لسانه" إسناده حسن[3]، قال ابن مسعود رضي الله عنه : (إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر، إن عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا في دين الله تعالى) الطبراني والحاكم[4]، كان من الأتقياء الأوفياء .

ومن كرامته رضي الله عنه، عن ابن عمر قال: وجّه عمر جيشا ورأّس عليهم رجلا يدعى سارية فبينما عمر يخطب جعل ينادي يا ساريةُ الجبل ثلاثا ثم قدم رسول الجيش فسأله عمر فقال : يا أمير المؤمنين هزمنا فبينا نحن كذلك إذ سمعنا صوتا ينادي يا ساريةُ الجبل ثلاثا فأسندنا ظهرنا إلى الجبل فهزمهم الله [5].

---

[1] حلية الأولياء، مصدر سابق ص٢٨ .

[2] تاريخ الخلفاء مصدر سابق ص ٢٠٨.

[3] المصدر نفسه ص ٢٢١.

[4] المصدر نفسه ص ٢٢٢ .

[5] المصدر نفسه ص ٢٢٩ .

و في ذكر زهد عمر رضي الله عنه ، عن الحسن قال : خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة وعن أنس قال : كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع ، وعن مصعب بن سعد قال: قالت حفصة لعمر: يا أمير المؤمنين لو اكتسيت ثوبا هو ألين من ثوبك وأكلت طعاما هو أطيب من طعامك، فقد وسع الله من الرزق وأكثر من الخير؟ فقال: إني سأخاصمك إلى نفسك : أما تذكرين ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى من شدة العيش ؟ وكذلك أبو بكر ؟ فما زال يذكرها حتى أبكاها فقال لها : أما والله لأشاركنهما في مثل عيشهما الشديد ، لعلي أدرك عيشهما الرخي . رواه أحمد[1].

قال الشيخ : كان عمر رضي الله عنه للدين معلنا ولأعمال البر مبطنا ، وقد قيل إن التصوف الوصول بما علن إلى ظهور ما بطن ويروي عن إسلامه يقول الشيخ : حدثنا محمد بن احمد بن الحسن ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ثنا عن أبو بكر بن أبي شيبة ثنا يحي يعلى الأسلمي عن عبد الله بن المؤمن عن أبي الزبير عن جابر قال:[2] ، قال عمر بن الخطاب : أول إسلامي أن ضرب أختي المخاض فأخرجت من البيت فدخلت في أستار الكعبة في ليلة قارة، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل الحجر وعليه نعلان فصلى ما شاء الله ثم انصرف قال: فسمعت شيئا لم أسمع من قبل، قال فخرجت فاتبعته فقال من هذا ؟ قلت عمر قال: يا عمر ما تركني ليلا ولا نهارا فخشيت أن يدعوا علي فقلت أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله فقال: أيا عمر استره فقلت : والذي بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك[3]، وكان رضي الله تعالى عنه مخصص بالسكينة في الإنطاق ومحرزا من القطيعة والفراق ومشهرا في الأحكام بالإصابة والوفاق وقد قيل: إن التصوف الموافقة للحق والمفارقة للخلق، وكان بالحقائق لهجا عروفا وعن الأباطيل منعرجا عزوفا وقد قيل أن التصوف دفع دواعي الردي بما يرقب من نقع

[1] ابن الجوزي كتاب صفة الصفوة ص ١٠٨.

[2] حلية الأولياء :ج١ ص ٩٣ .

[3] المصدر نفسه ص ٤٠.

للصدى[1]، كان يستنكر بشدة التكسب من الشعر والامتداح فقد قال عنه ﷺ:" هذا عمر وليس من الباطل في شيء"، فالاستدعاء من النبي ﷺ منه رخصة وإباحة لاستماع المحامد والمدائح فقد كان نشيده والثناء على ربه عز وجل والمديح لنبيه صلى الله عليه وسلم واخباره عليه الصلاة والسلام أن عمر رضي الله عنه لا يحب الباطل أي من اتخذ التمدح حرفة واكتسابا فيحمله لطمع في الممدوحين على أن يهيم في الأودية، فيمدح من لا يستحقه ويضع من شأن من لا يستوجبه إذا حرمه قائله فيكون رافعا لمن وضعه الله عز وجل لطمعه وواضعا لمن رفعه الله عز وجل لبغضه فهذا الاكتساب والاحتراف باطل فلهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يحب الباطل، فأما الشعر المحكم الموزون فهو من الحكم[2] الحسن يخص الله تعالى به البارع في العلم ذا الفنون وقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يشعرون[3]، فقمة الورع كان متمثلا عند الصحابة رضوان الله عليهم وزهدهم وإخلاصهم لله فمنحهم الله من رحماته وفضله وخصهم بكرامات، وإنما سلوكهم ومواقفهم خير دليل على علو مقامهم وتقواهم.

ومما ذكر من أمر الكرامات التي خص بها الصحابة رضوان الله عليهم حيث جاءت مع خير الناس وهم الصحابة الكرام فمن ذلك ما حدث لأسيد بن حضير رضي الله عنه أنه كان يقرأ سورة الكهف فنزلت عليه السكينة من السماء مثل الظلة فيها أمثال السرج وهي الملائكة وأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: " لو استمر على تلاوته لاستمرت تلك السكينة واقفة عليه باقية عنده" وكانت الملائكة تسلم على عمران بن حصين ، وكان سلمان الفارسي وأبو الدرداء يأكلان في صحفة فسبحت أو سبح ما فيها، وخرج عباد بن بشر وأسيد بن حضير من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظلمة الليل فأضاء لهما أطراف السوط، فلما افترقا افترق الضوء معهما، وكان الصديق

[1] حلية الأولياء :ج١،مصدر سابق ص٤٥.

[2] المصدر نفسه ص ٤٦.

[3] المصدر نفسه ص ٤٧.

رضي الله عنه يأكل هو وأضيافه من القصعة فلا يأكلون لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها فشبعوا وهي أكثر مما فيها قبل أن يأكلوا، وخبيب بن عدي رضي الله عنه لما أسره المشركون كان يؤتى بقطف من العنب في غير وقته وعامر بن فهيرة التمسوا جسده فحملته الدبور ولم يقدروا على الوصول إليه[1]وعن عن علي بن ربيعة عن علي بن أبي طالب قال : جاء ابن التباع فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال: الله أكبر: قام متوكأ على ابن التباع حتى قام على بيت المال فقال :

هذا إحياء وخياره فيه وكل جاز يده إلى فيه .

وعن عمرو بن قيس أن عليا عليه السلام رؤي عليه إزار مرقوع فعوتب في لبوسه فقال : يقتدي بي المؤمن ويخشع له القلب .

وعن علي بن الأقمر عن أبيه قال : رأيت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق ويقول : من يشتري مني هذا السيف فو الذي فلق الحبة لطال ما كشفت به عن الكرب عن وجه [2] رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن إزار ما بعته ، وذكر زهد علي بن أبي طالب : عن علي بن ربيعة عن علي بن أبي طالب ، قال : جاءه ابن التياح فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال : الله أكبر . ثم قام متوكئا على ابن التياح حتى قام على بيت المال فقال :

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه

[1] زينة النواظر ص ٤٢.

[2] جواهر صفة الصفوة ، أحمد سالم باديلان ، دار طونق ط١، ١٤١٥ ص ٣٧.

يا ابن التياح عليا بأشياخ الكوفة قال : فنودي في الناس ، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول: يا صفراء يا بيضاء غري غيري ، ها وها حتى ما بقي فيه دينار ولا درهم، ثم أمر بنضحه وصلى فيه ركعتين رواه أحمد [1].

الحسن بن أبي الحسن البصري : يكنى أبا سعيد ، كان الحسن يقول : نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال: لا أقبل منكم شيئا، قال محمد بن سعد: قال يزيد بن حوشب : ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأن النار لم تخلق إلا لهما مكث الحسن ثلاثين سنة لم يضحك وأربعين سنة لم يمزح قال : وعن حفص بن عمر قال : بكى الحسن فقيل له ما يبكيك فقال : أخاف أن يطرحني غدا في النار ولا يبالي، وعن حميد قال : بينما الحسن في المسجد تنفس تنفسا شديدا ثم بكى حتى أرعدت منكباه ثم قال : لو أن بالقلوب حياة ، لو أن بالقلوب صلاحا لأبكتكم من ليلة صبيحتها يوم القيامة إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

وعن أبو عبيدة الناجي : أنه سمع الحسن يقول :يا ابن آدم إنك لا تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك ، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب من نفسك فتصلحه ، فإذا فعلت ذلك لم تصلح عيبا إلا وجدت عيبا آخر لم تصلحه ، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب عباد الله تعالى من كان كذلك .

وقال له شاب أعياني قيام الليل، فقال : قيدتك خطاياك ...يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا ولا تبيعن آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا وقال :حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه الأنفس فإنها طلعة وإنها تنازع إلى شر غاية، وإنكم إن لم تقاربوها لم تبق من أعمالكم شيئا فتصبروا وتشددوا فإنما هي ليال تعد،

[1] جواهر صفة الصفوة ، أحمد سالم باديلان ، دار طونق ط١، ١٤١٥ مصدر سابق ص ١١٨

وإنما أنت ركب وقوف يوشك أن يدعي أحدكم فيجيب ولا يلتفت فانقلبوا بصالح ما حضرتكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم وإنما صبر على هذا الحق من عرف فضله ورجا عاقبته[1].

كتب الحسن البصري: إلى "عمر بن عبدالعزيز :"أما بعد: فإن الدنيا دار ظعن ليست بدار إقامة إنما أنزل آدم عليه السلام عقوبة فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من أعزها وتفقر من جمعها هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه فكنفيها كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء فاحذر هذه الدار الغرارة الخداعة الختالة التي تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وختلت بآمالها وتشوفت لخطابها فأصبحت كالعروس المجلوة فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة والنفوس لها عاشقة وهي لأزواجها كله مقاتلة ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي الميعاد ،فشغل بها لبه، حتى زلت عنها قدمه، فعظمت عليها ندامته وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه وحسرات الفوت، وعاشق لم ينل منها بغيته فعاش بغصته وذهب بكمده ولم يدرك منها ما طلب، ولم تسترح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه وصِل الرخاء منها بالبلاء وجُعل البقاء فيها إلى فناء، سرورها مشوب بالحزن، أمانيها كاذبة وآمالها باطلة، وصفوها كدر وعيشها نكد فلوكان ربنا لم يخبر عنها خبرا ولم يضرب لها مثلا، لكانت قد أ يقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء فيها من الله واعظ وعنها زاجر، فما لها عند الله قدر ولا وزن ولا نظر إليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبينا بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصها عند الله جناح بعوضة فأبى أن يقبلها كره أن يحب ما أبغض خالقه، أو يرفع ما وضع مليكه فزواها عن الصالحين

[1] صفة الصفوة مصدر سابق ج٢ ٦١٣.

اختيارا وبسطها لأعدائه اغترار فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل برسوله حين شد الحجر على بطنه[1] .

ومن التابعين جابر بن زيد الأزدي أبو الشعثاء : جاء في الحلية قال الشيخ : ومنهم المتحلي بعلمه عن الشبه والظلماء و المتسلي بذكره في الوعورة والوعثاء ، جابر بن زيد أبو الشعثاء كان للعلم عينا معينا وفي العبادة ركنا مكينا، وكان إلى الحق آبيا ومن الخلق هاربا وهومن قدماء التابعين[2]وقال: ثنا سيار قال ثنا ابن زيد قال ثنا الحجاج بن أبي عيينة قال: كان جابر بن زيد يأتينا في مصلانا ، قال فأتانا ذات يوم عليه نعلان خلقان ، فقال : مضى من عمري ستون سنة نعلاي هاتان أحب إلي مما مضى ، إلا يكن خيرا قدمته [3].

عن صالح الدهان عن جابر بن زيد قال : نظرت في أعمال البر فإذا الصلاة تجهد البدن ولا تجهد المال، والصيام مثل ذلك، والحج يجهد المال والبدن ، فرأيت الحج أفضل من ذلك كله وكان لا يماكس في ثلاث، في الكراء إلى مكة وفي الرقبة يشتريها وفي الأضحية وكان لا يماكس في كل شيء يتقرب به إلى الله عز وجل، وكان أبو الشعثاء مسلما عند الدينار والدرهم[4]، وهذا يتجلى من خلال دعائه حين يقول: سألت ربي ثلاث فأعطانيهن: زوجة صالحة مؤمنة ،وراحلة صالحة ، ورزقا كفافا يوما بيوم ، ومن تواضعه كان لباسه متواضعا حتى أن الناظر إليه يقول: إنه لا يحسن شيئا ولا يظن أنه فقيه وعالم

[1] محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ،ابن قيم الجوزية تح: محمد سيد كيلاني ،مكتبة دار التراث –القاهرة ص٤٩ ج١

[2] حلية الأولياء مصدر سابق ص ٨٠

[3] أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ص٨٧- ج٣،- دار الفكر ١٤١٦هـ-١٩٩٦م- بيروت – لبنان

[4] صفة الصفوة ج٢ ص ٦١٤

مما يعني أنه لم يكن يتزيا بزي خاص يميزه عن بقية الناس، والتقوى في نظر الإمام جابر هي أحسن سلاح يتذرع به الداعية[1].

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى قال : من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلي عبدي بأفضل من أداء ما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن[2]، ويعرف الأولياء والصالحين وكذا الصوفية بأنهم أناس عرفوا الله معرفة يقينية واتخذوا للوصول إلى الحق سبيلا إن لم تكن سبلا وسلكوا طريقا نهايته اليقين ، وأعداد هؤلاء إن حاولنا عدهم كثير ولكل منهجه في سلوك هذا الطريق وإن اختلفت المناهج وتعددت فإن الهدف وهو محبة الله ورسوله ﷺ ولم تخدعهم الدنيا ولم تغرهم الحياة ببهارجها ولم ينساقوا إلى الشهوات، وجمع كبير ممن عاشوا الحياة الروحية فمنهم من كان شاعرا ومنهم من كان يؤلف نثرا ومنهم من كانت له أقوال نابعة من تجربة حقيقية من الفيوضات، ومنهم سفيان بن سعيد الثوري: ولد سنة خمس وتسعين أو سبع وتسعين من الهجرة بالكوفة [3]

يقول صاحب الحلية: ومنهم الإمام المرضي والورع الدري، أبوعبدالله سفيان بن سعيد الثوري كانت له النكت الرائقة والنتف الفائقة، مسلم له في الإمامة ،ومثبت به الرعاية العلم حليفه والزهد أليفه وقيل: إن التصوف براعة في المعارف وبلاغة في المخاوف[4]، نشأ

[1] سامي صقر عيد أبو داود ،الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ،ط١، ٢٠٠٠م-مطابع النهضة –الأردن ص٧٥

[2] صفة الصفوة ،أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي مج١، تح: طارق محمد عبد المنعم ، ابن خلدون – الاسكندرية – مصر ص ١٤.

[3] عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث دار المعارف القاهرة ط٣، ص١٠

[4] الحلية ج٦ص ٣٥٦- مصدر سابق

دون اختيار منه بين كتب الحديث وتفتحت [1]عيناه على جو من العلم يتسم بعبير النبوة، ويسوده جوامع الكلم واتجه آليا في دراسته وجهة أبيه وفي ذلك يقول :"طلبت العلم فلم تكن لي نية ثم رزقني الله النية"[2]أي أنه طلب العلم أولا بحكم العادة ثم وفقه الله تعالى لأن يقصد به وجه الله وقد نشأ في جو علمي فيه النور والإشراق والصفاء وفيه باستمرار ذكر الرسول ﷺ والصلاة عليه أكثر من مرة في اليوم وكانت أمه من الحصيفات التقيات وذات عقل وتقوى كانت تقول له : اطلب العلم وأنا أعولك بمغزلي وإذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في الخير فإن لم تر ذلك فلا تتعبن نفسك[3]، حيث نشأ سفيان في جو اتسم بالتقوى والصلاح بين أب من ثقات المحدثين وأم تعوله بمغزلها ليطلب العلم من أجل زيادة النور في قلبه[4]كان يسير على النسق الإسلامي المستقيم فيما يتعلق بالعلماء خلفاء رسول ﷺ وهذا النسق ألا يسيروا في ركاب الملوك والأمراء من أجل الرزق وإنما يكتسبون رزقهم ويحفظون ماء وجههم ويعتزون بالله وينشرون رسالة رسول الله ﷺكانت شهرته تزداد كل يوم ولكن سفيان لم يغتر بشهرته وإنما زادته هذه الشهرة محاسبة للنفس[5]ويقول إنما يطلب العلم ليُتَقى الله به، ويقول ليس طلب العلم فلان عن فلان وإنما طلب العلم الخشية لله عز وجل[6]قيل عنه عالم الأمة وعابدها، وراقب سفيان ربه في كل ما يصدر عنه من يسير أو كبير، راقبه باطنا وراقبه ظاهرا وما كان سفيان متكلفا في ذلك فإن الله قد منحه فطرة طاهرة صقلها بجهاده في الله وبتقواه [7].

[1] سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث مصدر سابق ص ١٢

[2] المصدر نفس ص١٣.

[3] عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ص ١٤

[4] المصدر نفسه ص ١٥.

[5] عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ص٢٠.

[6] المصدر نفسه ص ٢٢.

[7] عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث مصدر سابق ص ٢٣.

ولقد حاول سفيان ما استطاع طيلة حياته أن يكون كما أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وكان من أوائل ما يصادف أمثاله من المشاهير، إنما هو المنزلق الذي يهوي بالكثيرين والشّرك الذي وقع فيه من لا يحصون عددا، وهو منزلق حب الرياسة أو منزلق الحكم والمنصب والمنزلة وهو شَرَك يملكه الأمراء والملوك يشيرون به إلى هذا وذاك ويلوحون به إلى كل من يحبون أن يسير على هواهم في القضاء، أو في الحكم، وعرف سفيان أن هذا شرك مهلك فحاول دائما أن يتحاشاه وأن يحذر منه ولقد كتب إلى أخ له:" واحذر حب المنزلة، فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا".

ويقول: ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم، والمشرب والمال والثياب، فإذا نوزع في الرياسة حامى عليها وعادى"[1]، ولقد حاول سفيان الثوري وعمل طيلة حياته على أن تستقيم الأمة الإسلامية على الطريق الحق طريق القرآن والسنة والصراط المستقيم[2]ويرى سفيان الثوري أن الإيمان قول وتصديق وعمل[3] قال: لا يستقيم قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية، ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة [4].

كان لا يعلم أحدا العلم حتى يتعلم الأدب ولو عشرين سنة وكان يقول: إذا فسد العلماء فمن بقي في الدنيا يصلحهم ؟ ثم ينشد :

يا معشر العلماء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

وكان قد امتنع من الجلوس للعلم، فقيل له في ذلك، فقال: والله لو علمت أنهم يريدون بالعلم وجه الله لأتيتهم في بيوتهم وعلمتهم ولكن إنما يريدون به المباهاة وقولهم: حدثنا

[1] عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث مصدر سابق ص ٢٩.

[2] المصدر نفسه ص ٣٩.

[3] المصدر نفسه ص ٤٣ .

[4] المصدر نفسه ص ٤٤.

سفيان[1]، الابتعاد عن الفخر والعجب وذلك من أجل إخلاص النفس في حركاتها وأفعالها وأقوالها لله وحده، أما سفيان فإنه حينما كان يجلس للدرس فتتعلق الآذان بمنطقه وتتعلق القلوب بمعانيه النفسية وتمتد إليه الأعين لا تريد أن تفوتها حركة من حركاته ويسكت الناس وكأن على رؤوسهم الطير فيجد نفسه أحيانا لكل ذلك أثرا من الارتياح في نفسه يعتريه مباشرة الخوف من أن يكون ذلك إعجابا أو فخرا أو كبرياء فيستغفر الله ويطوي أوراقه ويقول كلمته:" أُخذنا ونحن لا نشعر[2] " ، و قيل لفضيل بن عياض في بعض ما كان يذهب إليه من الورع : من إمامك في هذا ؟ قال سفيان الثوري ،أقبلت الدنيا عليه فصرف وجهه عنها .

عاش سفيان الثوري في القرن الثاني من الهجرة حيث بلغت منزلته في مكارم الأخلاق والورع والزهد والتقوى أن كان قوة يضيء السبيل للحيارى والسالكين، ولقد ألقى بنفسه في قوة وصدق وإخلاص في الحرب التي تدور على العصور بين الفضيلة والرذيلة آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر و لقد تعرض بالنصيحة الدائمة للشعب وتعرض بالنصيحة الدائمة للحاكم إلى أن ضاق بنصائحه أبو جعفر المنصور فنادى: إذا رأيتم سفيان فاصلبوه[3].

ومنهم ابراهيم بن أدهم : هو أبوا إسحاق البلخي نزيل الشام، الإمام القدوة سيد الزهاد قال عنه الثوري كان إبراهيم يشبه إبراهيم الخليل ولو كان في الصحابة لكان رجلا فاضلا وسئل يوما لما حجبت القلوب عن الله عز وجل ؟ قال: لأنها أحبت ما أبغض الله، أحبت الدنيا ومالت إلى دار الغرور واللهو واللعب، فتركت العمل لدار فيها

[1] أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء دار الفكر ١٤١٦هـ-١٩٩٦م بيروت لبنان .ج٧ص ٥.

[2] المصدر نفسه ص ٦.

[3] عبدالحليم محمود الإمام الزاهد عبدالله بن المبارك ،دار المعارف –النيل ص٧.

حياة الأبد، في نعيم لا يزول ولا ينفذ خالد مخلد، في ملك سرمد لا نهاية له ولا انقطاع[1].

وفي طبقات الصوفية :ومنهم أبو إسحاق إبراهيم بن أدهم من أهل بلخ مدينة خراسان كان من أبناء الملوك والمياسير وخرج للصيد فهتف به هاتف أيقظه من غفلته فترك طريقته في التزين بالدنيا ورجع إلى طريقة أهل الزهد والورع وخرج إلى مكة وصحب بها سفيان الثوري والفضيل بن عياض ودخل الشام وكان يعمل فيه ويأكل من عمل يده ومات بالشام وقد سئل عن بدء أمره في التصوف كيف كان قال :" كان أبي من ملوك خراسان وكنت شابا فركبت إلى الصيد فخرجت يوما على دابة ومعي كلب فأثرت أرنبا أو ثعلبا فبينا أنا أطلبه إذ هتف بي هاتف لا أراه: يا إبراهيم ألهذا خلقت؟ أم بهذا أمرت ففزعت ووقفت ثم عدت فركضت الثانية ففعل بي مثل ذلك ثلاث مرات ثم هتف بي هاتف من قربوس السرج أي مقدمته: والله ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت، قال: فنزلت فصادفت راعيا يرعى الغنم لأبي فأخذت جبته الصوف فلبستها ودفعت إليه الفرس[2] وما كان معي وتوجهت إلى مكة ومن كلامه، كتب إلى سفيان الثوري : من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل ومن أطلق بصره طال أسفه ومن أطلق أمله ساء عمله ومن أطلق لسانه قتل نفسه[3]، وقال له قائل أوصني فقال: اتخذ الله صاحبا وذر الناس جانبا، وقال لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :أولاها أن تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة، والثانية أن تغلق باب العز وتفتح باب الذل، والثالثة أن تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد[4]، والرابعة أن تغلق باب النوم وتفتح باب السهر والخامسة أن تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر والسادسة أن تغلق

[1] الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب تحق د عامر حسن صبري المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ص٥٥.

[2] لطبقات الصوفية للسلمي مصدر سابق ص١٥.

[3] الطبقات الصوفية للسلمي مصدر سابق ص ١٦.

[4] أحمد الشرباصي أبي عبدالرحمن السلمي ،تح : ،الطبقات الصوفية١٤١٩هـ-١٩٩٨م ،ط٢ ص١٧

باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت[1]، وإبراهيم بن أدهم أنموذج فريد من الصوفية وهو الذي ترك حياة الملوك وزهد عن كل ما في الدنيا ، ومن كلامه : من علامة العارف بالله أن يكون أكبر همه الخير والعبادة وأكثر كلامه الثناء والمدحة وكان يتمثل كثيرا بهذا البيت :

للقمة بجريش الملح آكلها ألذ من تمرة تحشى بزنبور

قال ومعنى حشوها بزنبور أن يكون في باطنها علة كأن يعطاها لأجل دينه وصلاحه ولولا ذلك ما أعطاها له فمن أدب هذه أن ترد على صاحبها ولا يقبل إلا ممن يعلم منه أنه يحبه على أي حال كان فهذه هي التي ليس فيها زنبور وكان يقول: أثقل الأعمال في الميزان أثقلها على الأبدان وفي العمل وفي الأجر ومن لم يعمل رحل من الدنيا صفر اليدين وصحب رجلا فلما أراد أن يفارقه قال له الرجل إن كنت رأيت في عيبا فنبهني عليه ، فقال له إبراهيم : لم أر فيك يا أخي عيبا لأني لاحظتك بعين الوداد فاستحسنت كل ما رأيته منك فاسأل غيري ، وكان يقول إني لأتمنى المرض حتى لا تجب علي الصلاة في جماعة ولا أرى الناس ولا يروني وكان يغلق بابه من خارج فيجيء الناس فيجدونه مغلقا فيذهبون، وكان يقول في تفسير قوله تعالى :"تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ"[2] ومن حب العلو أن تستحسن شسع نعلك على شسع نعل أخيك وكان يقول :ثلاثة لا يلامون على ضجر : المريض والصائم والمسافر[3].

[1] الطبقات الصوفية للسلمي مصدر سابق ص ١٧ .

[2] سورة القصص الآية ٨٣.

[3] عبدالوهاب الشعراني ت: أحمد عبدالحليم السايح ، الطبقات الكبرى مكتبة الثقافة الدينية ج١، ط١٤٢٦،١هـ-٢٠٠٥م- ص١٢٨.

وكان يقول: ما صدق الله عبد أحب الشهرة بعلم أو عمل أو كرم وكان يقلل الطعام والأكل ما استطاع ويقول لا يحتمل الحلال للصرف حتى كان يصلي خمس عشرة صلاة بوضوء واحد وكان يقول: اطلبوا العلم للعمل فإن أكثر الناس قد غلطوا حتى صار علمهم كالجبال وعملهم كالذر وقال له بعض العلماء عظني فقال :كن ذنبا ولا تكن رأسا فإن الذنب ينجوا والرأس يذهب، و كتب إليه الأوزاعي إني أريد أن أصحبك يا إبراهيم ، فكتب إليه إبراهيم : إن الطير إذا طار مع غير شكله طار الطير وتركه [1].

أبو بكر بن جحدر بن يونس خراساني الأصل بغدادي المولد والمنشأ تاب في مجلس خير النساج وصحب أبا القاسم الجنيد ومن عاصره من المشايخ وصار واحدا من أهل الوقت علما وحالا وظرفا تفقه على مذهب الإمام مالك وكتب الحديث الكثير عاش سبعا وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمئة ودفن ببغداد في مقبرة الخيزران ، كانت مجاهداته في بدايته فوق الحد وكان يقول :اكتحلت بالملح كذا وكذا ليلة لأعتاد السهر ولا يأخذني النوم فلما زاد على الأمر حميت الميل واكتحلت به ،وكان يقول عن علم القوم ما ظنك بعلم علم العلماء فيه تهمة، وقيل له إن أبا تراب النخشبي جاع يوما في البادية فرأى البادية كلها طعاما فقال هذا عبد رفق به ولو بلغ إلى محل التحقيق لكان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني "وقيل له متى يكون الشخص مريدا قال: إذا استوت حالاته في السفر والحضر والمشهد والمغيب وقيل له مرة كيف الدنيا فقال :قدر يغلي وكيف يملأ[2].

وكان يقول في مناجاته أحبك الخلق لنعمائك وأنا أحبك لبلائك ،وكان يقول رفع الله قدر الوسائط بعلو هممهم فلو أجرى على الأولياء ذرة مما كشف للأنبياء عليهم الصلاة

[1] الطبقات الكبرى ج١مصدر سابق ص ٢٩.

[2] المصدر نفسه ص ١٨٨.

لبطلوا وانقطعوا وأخر يوما العصر حتى دنت الشمس إلى الغروب فقام وصلى وأنشد مداعبا وهو يضحك ويقول أحسن ما قال بعضهم :

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا أدري عشائي من غذائي

وكان يقول ليس للمريد فترة ولا للعارف علاقة ولا للمحب شكوى ولا للصادق دعوى ولا للخائف قرار ولا للخلق من الله فرار[1].

أما الطريق الصوفي عند الشبلي : التوبة أول الخطوات في طريق الصوفية إنما هي التوبة الصادقة والتوبة الصادقة ترتكز على شرطين أساسيين أولهما : الانفصال التام عن المعاصي في الحاضر ثانيها العزم أن لا يأتي الإنسان الذنب في المستقبل[2] ، والشبلي بمجرد توبته جد في العبادة واجتهد فيها اجتهادا كبيرا إذ المؤرخين يقولون عنه " وكانت مجاهداته في بدايته فوق الحد ولكن فكرة التوحيد مسيطرة السيطرة الكاملة في كل خطوات الصوفي وهي التي جعلته يقول "من طلبه به تعالى صح به توحيد ومن طلبه بنفسه لم يصح له توحيد ويقول :" من طلب الحق بالمجاهدات فهو بعيد عن وصوله إلى المطلوب ومن طلبه به تعالى وصل إليه ،وسئل الشبلي هل يبلغ الانسان بجهده إلى شيء من طرق الحقيقة أو الحق فقال: لابد من الاجتهاد والمجاهدة ولكنهما لا يوصلان إلى شيء من الحقيقة لامتناعهما عن أن تدرك بجهد أو اجتهاد وإنما هي مواهب جعل العبد إليها [3]، بإيصال الحق تعالى لا غير ولولا أنه تعالى بدأهم بالمحبة وهداهم لما أحبوه لا بد من الاجتهاد والمجاهدة والشبلي يقول في وضوح : ليس لمريد فترة ، أي أن المريد في مجاهدة دائمة [4].

[1] الطبقات الكبرى مصدر سابق ص ١٨٩

[2] عبد الحليم محمود تاج الصوفيه أبو بكر الشبلي ، ط٢ ص ٥٤

[3] المصدر نفسه ص ٦٠.

[4] المصدر نفسه ص ٦١.

أحب الشبلي بكل أقطار نفسه ولم تتسع نفسه لغير حب الله، وكان هذا الحب يلهيه عن الأكل والشرب وقد صرفه عن الزينة والملبس الأنيق ولم يكن في خياله ولا بين عينيه غير محبوبه، وهذا الحب سار في الصراط المستقيم، لقد كان ثمرة لجهاد في العبادة لا يفتر والجهاد في العبادة من أقسامه الجهاد في المجتمع ليستقيم ليعبد ليحب ، ولقد جاهد الشبلي من أجل المحبة في المجتمع بسلوكه وجاهد بكلامه وكان قدوة وكان واعظا وكان مدرسا من أجل هدف واحد هو المحبة وقد وصفه الجنيد بأنه تاج الصوفية[1]، وقد يسر الله له طريق الوظائف فقد كان حاجبا للموفق وهو ولي العهد وكان أيضا واليا[2]،(والتشابه بين حياة الشبلي وحياة ابراهيم بن أدهم كبير) فقد كان كل منهما صاحب مركز مرموق ،كان ثريا واسع الثراء كان ذا جاه عريض وفي لحظة من اللحظات أنضر ما يكون شبابا وفتوة- زاف الباطل كل الباطل من بين عينيه واتجه في لحظة إلى الباقيات الصالحات ، وإذا كانت توبة إبراهيم بن أدهم لم تسر على النسق العادي المألوف وإنما كانت آية من الآيات الخارقة للعادة فإن توبة الشبلي سارت على النسق المألوف، لقد كانت توبته صادقة وإذا صدقت التوبة أثمرت مباشرة الاستقامة، واستقام الشبلي في قلبه وروحه وشعوره وجوارحه[3]، وتغيرت حالة الشبلي رأسا على عقب لقد تغيرت في الأصدقاء كان أصدقاؤه من حاشية الموفق ومن الأثرياء وأصحاب الجاه ولكنه بعد التوبة[4]، صحب الشيخ أبا القاسم الجنيد ومن في عصره من الصلحاء ومن في صفة الجنيد (كان الجنيد –إذ ذاك –مركز الجاذبية للصوفية كان متزنا كامل الاتزان وكان متعبدا على علم كانت الكتبة يحضرون مجلسه لألفاظه ،والفقهاء لتقريره ، والفلاسفة لدقة نظره ومعانيه والمتكلمون لتحقيقه والصوفية لإشاراته وحقائقه) وارتبط الشبلي

[1] عبد الحليم محمود تاج الصوفيه أبو بكر الشبلي مصدر سابق ص١٣.

[2] المصدر نفسه ص١٤.

[3] مصدر سابق ص ٢٩.

[4] مصدر سابق ص ٣٠.

بالجنيد وما كان يهدأ الشبلي إذا أتاه الوارد حتى يذهب إلى الجنيد ويتحدث إليه ويسمع منه[1].

[1] عبد الحليم محمود تاج الصوفيه أبو بكر الشبلي ص٣١.

المبحث الثاني: نماذج من أصحاب التجربة الروحية في الإسلام ممارسة وتأليفا

المطلب الأول: الشيخ الأكبر ابن عربي

العلماء الربانيين وأصحاب التجربة الصوفية أغلبهم ألفوا كتبهم بعد خوض حرب جسور من مجاهدة النفس والتغلب على الهوى ، أي أنهم عاشوا التجربة وعايشوها من الجانب العملي بالممارسة والمجاهدة ، والنظري بالقراءة و بالتأليف نثرا وشعرا وقد جمع ابن عربي بين أن يكون مريدا ومرادا ويتضح ذلك عندما تفرغ بكليته للطريقة عكف على قراءة كتب الصوفية والاستفادة من كل شيخ يقابله ص ١٧، والذي نقله تماما إلى الطريق الصوفي الجذب الإلهي حيث اعتزل الناس والمشايخ وخلا إلى المقابر متواجدا ولذا يقول : (انقطعت في القبور مدة منفردا بنفسي ومن ثم بدأت الفيوضات والإشراقات الإلهية تأخذ طريقها إلى قلبه [١]

كتاب الوصايا هو أحد أبواب الكتاب الكبير الموسوعة للشيخ الأكبر { الفتوحات المكية } بل هو فصل من فصوله أخذ منه وطبع منفردا عنه لأنه اهتم بالوصية المفهومة والملاحظة الدقيقة التربوية التي تأخذ بيد السالك المريد إلى طريق أهل الله بل إلى صدق العبودية والإخلاص فيها مع الله تعالى ، وكان اعتماد الشيخ الآية من القرآن وهو أصل الوصايا وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الترجمة العملية للقرآن[٢]،وهذا الكتاب في نفس الوقت يعبر عن العالم الروحاني الذي عاشه المؤلف ويصف الحياة الروحية للشيخ الأكبر وما عاشه من مكابدات ومجاهدات .

[١] الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الوصايا ، تقديم لجنة التأليف في دار الإيمان ، ط٢١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،دار الإيمان ، دمشق سوريا ص ١٨.

[٢] لمصدر نفسه ص ٥.

ويعد الشيخ الأكبر من العلماء العاملين الملتزمين بالشريعة السمحة ظاهرا وباطنا والذين قدموا للإسلام أعظم الخدمات ،ولكن كثير من الناس لا يدركون الحق، الحق يحتاج إلى من يبحث عنه في مظانه ومصادره وأكثرهم يأخذون ظنون الناس و فهومهم بدون تحقق وتتبع ودراية وكم من الناس هم أقماع القول، وكان الشيخ حريص كل الحرص على الالتزام بالنص والمفهوم الشرعي كاملا وهو يؤكد هذا دائما ويعلن عقيدته الإسلامية للناس وهي عقيدة أهل السنة والجماعة[1].

وككل العلماء الربانيين الذين تركوا أثرا حسنا لمن جاؤوا بعدهم، فالشيخ الأكبر كان له باع طويل في سلوك الطريق إلى الله وفي مجاهدة النفس والهوى وهذه وصية من وصاياه[2] يخاطب فيها من أراد سلوك الطريق :...وعليك بالجهاد الأكبر ، وهو جهاد هواك فإنه أكبر أعدائك وهو أقرب الأعداء إليك الذين يلونك، فإنه بين جنبيك والله يقول سبحانه و: تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [3]، ولا أكفر عندك من نفسك فإنها في كل نفس تكفر نعمة الله عليها من بعد ما جاءتها، فإنك إذا جاهدت نفسك هذا الجهاد خلص لك الجهاد الآخر في الأعداء، الذي إن قتلت فيه كنت من الشهداء الأحياء الذين عند ربهم يرزقون في قوله تعالى:﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [4] ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم، وقد علمت فضل المجاهد في سبيل الله في حال جهاده حتى يرجع إلى أهله، بما اكتسبه من أجر أو غنيمة أنه كالصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صلاة ولا من صيام حتى يرجع المجاهد وقد علمت

[1] الوصايا للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٨.

[2] المصدر نفسه ص ٣١.

[3] سورة التوبة الآية ١٢٣.

[4] سورة آل عمران الآية١٧٠.

بالحديث الصحيح أن الصوم ، وقد قام الجهاد مقامه ومقام الصلاة وثبت هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا في الجهاد الفرض الذي تعين ويعصي الإنسان بتركه ولا يزال العبد العالم الناصح نفسه المستبرئ لدينه في جهاد أبدا لأنه مجبول على خلاف ما دعاه الحق إليه، فإنه بالأصالة متبع هواه الذي هو بمنزلة الإرادة في حق الحق، فيفعل الحق ما يريده فإننا كلنا عبيد ولا تحجير عليه، ويريد الإنسان أن يفعل ما يهوى وعليه التحجير، فما هو مطلق الإرادة فهذا هو السبب الموجب في كونه لا يزال مجاهدا أبدا، وذلك طلب أصحاب الهمم أن يلحقوا بدرجات العارفين بالله حتى تكون إرادتهم إرادة الحق أي يريدون [1] جميع ما يريده الحق وهو ما هم الخلق عليه، فيريدونه من حيث إن الله أراد إيجاده ويكرهون منه بكراهة الحق ما كرهه الحق ووصف نفسه بأنه لا يرضاه [2] والمتأمل في فلسفة ابن عربي الروحية التي عاشها تتجلى الحقيقة المحمدية وهي أكمل مجلى ظهر فيه الحق بالاسم الأعظم وتعتبر أول موجود في الهباء وهي غير محصورة ولا متحيزة ولا تتصف بالعدم أو الوجود أو كما يقول ابن عربي: الحقيقة المحمدية الأولية الكلية العلية النورانية والتي هي أول موجود وجد عن الذات العلية، ويستعمل ابن عربي للحقيقة المحمدية مترادفات عديدة مثل الكلمة المحمدية والنور ١المحمدي، وحقيقة محمد، والدرة البيضاء، والعقل الأول، والإنسان الكامل و كلها تشير إلى الحقيقة نفسها [3] ولم يكتف الشيخ بتلك المجاهدات بل اجتهد في فلسفته الروحية لأجل وضع سلما روحيا، حيث يتكون من عدة عناصر فهي تبين وتوضح ما مر به ابن عربي في مشواره الروحي من أول الطريق إلى آخره ويكفينا عرضا موجزا لمعرفة المراحل التي عاشها الشيخ ابن عربي وهي :

أولا: الطريق الصوفي: وتعني لفظة طريق عند الصوفية، المعراج الذي يجتازه السالك حتى يصل إلى الرسوخ في المقامات العليا ومن ثم تترادف عليه أنوار المعرفة الإلهية، كثمرة لما كابده من مجاهدات ورياضات في طريقه إلى الله، ولما كان الطريق يشمل تلك التجربة الروحية بكاملها ويعتمد السالك في ترقيه على مدى إخلاصه وصدقه و توفيقه في

[1] الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الوصايا مصدر سابق ص٦٩.

[2] المصدر نفسه ص ٧٠.

[3] كرم أمين أبو كرم حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي ، ، دار الأمين ١٤١٧هـ-١٩٩٧م،القاهرة ط١،.ص ٥٨.

المجاهدة حسب ما يمنحه الله تعالى من الهمة و المقدرة والاستعداد، وما يهبه من الأحوال والمعارف فقد قام الشيخ الأكبر بتقيسم الطريق إلى الله إلى أربع شعب: بواعث ،ودواع وأخلاق، وحقائق ولهذه الشعب أنواع متعددة يسميها أحوال ومقامات[1].

والسعي في الطريق يبدأ بمقام الإسلام وينتهي بالبقاء، حيث يقول الشيخ : فالدرجة الأولى الإسلام وهو الانقياد، وآخر الدرج الفناء في العروج ، والبقاء بعد الخروج ، وما بينهما ما بقي وهو الإيمان والإحسان والعلم والتقديس والتنزيه[2].

ثانيا: المريد وهو من أراد سلوك الطريق الصوفي من بدايته ووسيلته الرياضة والمجاهدة ومن ثم يكتسب المقامات والأحوال ومراده معرفة الحق والوصول إلى الحضرة الإلهية لتشرق عليه أنوار التلقي الإلهي.

ثالثا المراد : فيطلق على السالك وحين يكون منجذبا إلى الحق الذي أراده لنفسه ويكون الحق حق مريدا بهذا المعنى، وللتفرقة بين حالتي المريد والمراد يقول ابن عربي: المريد هو المتجرد عن إرادته، أما المراد عبارة عن المجذوب عن إرادته مع تهيؤ الأمور له فهو يجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة ، وقبلا فرق الجنيد بينهما فقال : المريد تتولاه سياسة العلم والمراد تتولاه رعاية الحق سبحانه لأن المريد يسير والمراد يطير فمتى يلحق السائر الطائر ؟ وعموما فالمريد ينصب عليه المشقة والتعب أما المراد فقد اختصه الله بذلك فالمريد هي المبتدئ والمراد هو المنتهى، ويلزم ابن عربي المريد في بداية الطريق خمسة أشياء هي أعمال باطنة: هي الصدق والتوكل والصبر والعزيمة واليقين[3]، وأربعة أعمال ظاهرة : الجوع ، السهر ، الصمت ، العزلة.

[1] كرم أمين أبو كرم حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٦٥.

[2] المصدر نفسه ص ٦٦.

[3] المصدر نفسه ص ٧٦.

ثالثا السالك : استعار الصوفية هذا المصطلح من القرآن ويعني سلوك الطريق إلى الله وهذا لا يتأتى إلا بالتوبة والبعد عن هوى النفس وشهواتها والاستقامة في طريق الحق بالمجاهدة والطاعة والإخلاص فالشيخ الأكبر يعرف السالك بقوله : السالك هو الذي مشى على المقامات بحاله لا يعلمه فكان العلم له عينا وهذا التعريف يحتمل أن يشير إلى اسقاط التدبير مع الله والتوكل عليه سبحانه فتصفوا سريره السالك ويرتقي في المقامات بنور الله لا بالعلم النظري [1] والسلوك الذي يسلكه السالك في الطريق كما يرى ابن عربي هو انتقال من منزلة عبادة إلى منزلة عبادة وحقيقته هو انتقال بين الأعمال المشروعة الموصلة إلى القربة وبمعنى آخر هو انتقال" بالعلم من مقام إلى مقام ومن اسم إلى اسم ومن نحل إلى نحل مع استمرار أعمال المجاهدة والرياضة النفسية ومن ثم تختلف مراتب السالكين والذي جعلها ابن عربي أربعة مراتب تتفق مع قصد السالك وعلمه الإلهي وهي :

السالك بربه : هو الذي يستعين بربه على عبادته متقربا إليه بالنوافل فيصير الحق سمعه وبصره وكل قواه ويتجلى عليه بالجمال لأنه سبحانه أحبه [2].

السالك بنفسه : وأصحاب هذه المرتبة يأخذون التكليف الإلهي بالجهد والمشقة ويتقربون إليه تعالى بالفرائض والنوافل حسب استطاعتهم وقوتهم وهكذا في كل أوامره سبحانه ونواهيه.

السالك بالمجموع : هو الذي سلك السلوك بربه ثم أيقن أن الرب رب والخلق خلق ، وأن عينه هي الناظرة بالله ، ونفسه هي المتحركة بالله وأنها مخاطبة السلوك فسلك بربه وبنفسه فكان صاحب المرتبتين .

[1] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٦٨.

[2] المصدر نفسه ص ٦٨.

سالك لا سالك : والسالك من أصحاب هذا القسم يرى أن نفسه لا يمكن أن تستقل بالسلوك ما لم تكن النفس مكلفة فيبدوا كأنه سالك بنفسه وبربه .

ومما سبق يتضح أن السالك يجتاز مقامات صوفية لكي يصل إلى أعلى الدرجات التي يجمع السالك فيها كل مراتب السلوك فيجمع بين التجريد والتفريد ولا يرى سوى الحق وتنمحي الأغيار بتوفيق الله وعنايته[1]، ويعتبر الشيخ الأكبر الحياة الروحية، هب جماع بين الزهد والتصوف الذي هو علم عملي وفن لعبادة الله ومنهج في الحياة وأداة تؤهل للتصوف الذي يتألف من مجموعة تجارب نفسية يسطع عليها نور الإيمان وفقا لمقام المريد المعرفي ويهتم ابن عربي في الزهد بالأمور الخاصة بالتطلع إلى الكمال الصوفي أي يهتم بالعزلة والخلوة كأفعال ظاهرة للفضيلة والتي يناظرها دائما كثمرة لها منح إلهية عبارة عن تجارب وجدانية باطنة وحين تصدق التجربة الروحية يظهر في الظاهر فعل للفضيلة أعلى، فهناك دائما ارتباط بين الفضائل والمنح الإلهية ولا يمكن للمريد أن يتنقل بين المقامات إلا بجمعه بين الكسب والوهب وحينئذ بالعناية الإلهية فيمكن من اختيار هذه المراتب والمنازل في طريق الكمال فاللطف الإلهي أو التوفيق الإلهي يعتبره ابن عربي ينبوع وأساس كل تجربة روحية ، والتوفيق هو مفتاح السعادة الأبدية ونور يقذفه الله في قلب من اصطفاه فينشرح قلبه وتتوافق أفعاله مع أوامر الشريعة والتوفيق كما يقول ابن عربي "هو الذي يصلح القلوب ويجلي البصائر ويخلص الضمائر ويفتح أقفال القلوب[2] والنفس من جملة الإنسان وفعلها يختلف عن فعل الروح حيث يرى الشيخ الأكبر أن كل فعل فيه حظ للدنيا سواء كان ذلك الفعل محمودا أو مذموما فهو أمر النفس، وبهذا فلها صفة القبول والافتقار، أما كل فعل لا يتصل بالمطالب الدنيوية فهو من الروح وهكذا فالفروق بين النفس والروح جوهرية ، يعبر عنها ابن عربي في صورة مجازية رائعة فيقول : أن تنظر إلى الشمس والقمر فتجعل الشمس للروح والقمر للنفس ، وذلك لأن النفس ذات كمال ونقص حسب ما يرد في داخل الكتاب فكمالها بالعقل والعلم ونقصها بالجهل والشهوات ، ولهذا فالروح أعلى مرتبة من النفس وموقف النفس بين الفجور

[1] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٦٩.

[2] المصدر نفسه ص ٧٠.

والتقوى إذا خضعت لهواها وشهواتها ، تحقق سلطان إبليس عليها ، أما إذا اتجهت إلى الروح والعقل، فإنها تتطهر من الصفات الذميمة [1] وتصبح صالحة للعروج في مقامات التقوى والورع [2] أما الخلوة والذكر فعندما يقول الشيخ بالخلوة فإنه يستند إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [3] وقول النبي صلى الله عليه وسلم { من أخلص لله أربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه }، ويوصي ابن عربي بالخلوة بعد التوبة أي هي مطلوبة في أوائل الطريق، فالتوبة تضع المريد عند أول درجة وهي تزكية النفس والخلوة الصحيحة والذكر توصل إلى الدرجة الثانية من الرياضة الروحية وهي تصفية القلب ، استعداد للدرجة الثالثة والتجليات الإلهية فالخلوة مرحلة هامة من مراحل الطريق الصوفي إلى الحق تعالى، والخلوة تعني الصلاة والصيام والتحلي بالتقوى والورع والزهد وغيره من المقامات والأحوال، وقبل ذلك التغلب على الوهم إذا كان موجودا بواسطة شيخ عارف ثم الالتزام بآدابها ومنها :تناول الطعام الضروري فقط ،والحياء من الله وعدم كشف العورة وقلة النوم استعدادا للتجلي الإلهي [4].

تشغيل القلب بالذكر دائما ، وملازمة الخلوة وعدم الخروج منها إلا للضرورة، وهناك عشرة شروط يضعها ابن عربي حتى تكون الخلوة صحيحة وهي : الانعزال عن الناس، ومداومة الوضوء، ومداومة الذكر ، عدم الاشتغال إلا بمحبة الله ، المداومة على الصوم والمداومة على قلة الكلام ، والمراقبة لطلب الهمة والمعاونة الإلهية ، وترك الاعتراض على الله تعالى، وانقطاع النظر عن كل ما سوى الله تعالى ومن ثم لا يدخلها الباحث عن العبادة الحسية ، ولكن من يبحث عن الاشراق ، وأخيرا الصبر على الشدائد،كما يرى أن بواعث الذكر عديدة وعليها تختلف أحوال الذاكرين، بين ذاكر تبعثه الرغبة وآخر تبعثه الرهبة، وذاكر يبعثه التعظيم والإجلال، وهكذا فإن للخلوة والذكر فوائد كثيرة حيث أنهما يحثان على الطاعة والإخلاص ومن ثم نوال المعارف الربانية والإلهامات الإلهية بدون

[1] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٧٢.
[2] المصدر نفسه ص ٧٣.
[3] سورة البقرة الآية ٥١.
[4] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ،ص ٨٠.

نظر وتعلم ولكن بالمنة والمحبة الإلهية كل حسب استعداده وحاله [1] أما المكاشفة فيعرفها الشيخ الأكبر : إنها تطلق بإزاء تحقيق الإبانة بالقهر، وتطلق بإزاء تحقيق زيادة الحال ، وتطلق تحقيق بإزاء تحقيق الإشارة والكشف عموما هو إزالة الموانع التي تحجب السالك عن الحضرة الإلهية ، وحينئذ يمكن للسالك إدراك أشياء جديدة وكذلك حقائق كانت مخفية عنه، وذلك بعين البصيرة، لا بعين البصر لقوله تعالى ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [2]، حيث أنه لا يحظى بالكشف ورفع حجاب الظلمة وثمرته إلا الولي والعبد المجاهد ، الذي سوس نفسه[3]،والكشف عند ابن عربي على خمسة أضرب

كشف عقلي : ويخص هذا الضرب بالكشف عن معاني المعقولات ويسمى كشفا نظريا

كشف قلبي : وتكشف فيه للسالك أنوار مختلفة كما في المشاهدة ويسمى كشفا شهوديا .

كشف سري : وينكشف فيه للسالك أسرار المخلوقات ، وحكمة خلق الموجودات ويسمى كشفا إلهاميا ، وكشف روحي وينكشف فيه للسالك عرض الجنات والجحيم والمعارج ورؤية الملائكة وإذا وصل السالك بالرياضة الروحية إلى درجة صفاء عالية ، ترتفع حينئذ حجب الزمان والمكان ، وبذلك يطلع إلى أخبار الماضي والمستقبل، ويطلع كذلك على المخفيات عموما ، وتظهر له كرامات مثل عبور الماء والنار وطي الأرض وهذا الكشف عالي المقام .

كشف خفي: وفيه يكشف الله تعالى بالصفات، بالجلال أو بالجمال، على حسب المقامات و الحالات التي تعتري السالك ، ويتم هذا الضرب من الكشف بواسطة نور روحاني موهبة من الله تعالى على من يشاء من عباده ، ويسمى هذا الكشف كشفا

[1] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص٧١.
[2] سورة ق الآية ٢٢.
[3] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٩٠.

صفاتيا لأن الله تعالى فيه يكشف بصفاته العالمية والسمعية والبصرية و القيومية والوحدانية ، فإذا انكشف بصفة العالمية تظهر العلوم الدينية ، وإذا انكشف بصفة السمعية يظهر سماع الكلام والخطاب، وإذا انكشف بصفة البصرية تظهر الرؤية والمشاهدة[1]، وفي فلسفة ابن عربي الصوفية تتمثل في الإنسان الكامل وإن كان مرادفا للجنس البشري في معظم أقوال ابن عربي لا يصدق في الحقيقة إلا على أعلى مراتب الإنسان وهي مرتبة الأنبياء والأولياء وأكمل هؤلاء على الإطلاق هو النبي ﷺ المبعوث بل الحقيقة المحمدية أو الروح المحمدي ، فإنه هو المظهر الكامل للذات الإلهية والأسماء والصفات[2].

قلب العارف : ينفي ابن عربي قدرة العقل على معرفة الله ، ومن ثم فهو يتجه إلى العلم اللدني والإشراقي وفكرة الذوق ، فالعقل الكلي ، في نظره لا مجال له مطلقا في معرفة الألوهية من حيث هي في ذاتها تجريد التوحيد وإنما تحصل معرفة العقل الكلي بالله على قدر ما يتجلى فيه من صفات الحق وكماله وبذلك تتحقق المعرفة بالقلب والتجليات الإلهية فيه مما يدفع ابن عربي اعتباره المرآة التي تنعكس عليها هذه التجليات فالعلم هو الصفة التي توجب التحصيل من القلب والعالم هو القلب والمعلوم هو ذلك الأمر المحصل وكذلك يقول ابن عربي فاعلموا أن القلب مرآة مصقولة كلها وجه لا تصدأ أبدا، فإن أطلق عليها يوما أنها صدأت فليس المرآة بهذا الصدأ أن طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق القلب واشتغل بعلم الأسباب بدلا عن العلم بالله كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب لأنه المانع من تجلي الحق على هذا القلب وهكذا يربط ابن عربي

[1] حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي مصدر سابق ص ٩١.

[2] أبو العلا عفيفي ، فصوص الحكم ، للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ت ٦٣٨هـ –،، دار الكتاب العربي بيروت ج١ ص ٢٨.

تحقق العلم في القلب بمدى الصقالة الذاتية للقلب التي تتمثل في الانقطاع عن الأسباب وما يرتبط به من فكرة الزهد وتنقية النفس من الشوائب الدنيوية [1].

ويذهب ابن عربي إلى صياغة مفهوم جامع للحقيقة المحمدية [2]يشمل على تفاصيل دقيقة لم يتطرق إليها الحلاج فإذا كان الحلاج قد أجمل الفكرة فإن ابن عربي أتى بها مفصلة وترجمها في مصطلح جديد أطلق عليه" الإنسان الكامل " أو القطب الغوث وللإنسان الكامل عند ابن عربي وجهان ، الوجه الأول يرتد إلى حقيقة معنوية جامعة قديمة كانت قبل العوالم كلها غيبا وشهادة وهي حقيقة روحية لا مادية سارية في الكون بأسره من أعلاه إلى أدناه، هي الحقيقة المحمدية ووجهها الآخر وهو تجليها وظهورها في صورة كونية تنتمي إلى عالمي الغيب والشهادة ففي عالم الغيب تظهر في مسمى القلم المشتمل على ما كان وما سوف يكون وفي مسمى العقل الذي فاضت عنه العقول الجزئية في الأكوان المادية الجمادية والنباتية والحيوانية والإنسانية ويبتدئ أكمل تجسد لها في عالم الشهادة في مسمى النبي صلى الله عليه وسلم وهي أيضا الحقيقة التي تمثل آدم أبو البشر أول صورها العنصرية بالنظر إلى الوجود الإنساني، وأخيرا فهي باطن الإنسان الكامل أو القطب الوارث لها من طريق متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل زمان وبه يحفظ الكون وجوده ونظامه[3].

فالحقيقة المحمدية من حيث ابتدائها ووقوعها في الوجود تنتمي إلى عالمين هما في واقع الأمر وجهان لشيء واحد بشرط النظر إلى هذين الوجهين من جهة علاقتهما مع بعضهما فالوجهان يتمثلان في كلمتي حق وخلق [4].

---

[1] سحر سامي ،شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥.ص ١٣٩.

[2] الحقيقة المحمدية : هي أول موجود أوجده الله تعالى من حضرة الغيب.، أيمن حمدي قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء القاهرة ٢٠٠٠م، ص٥٦.

[3] تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية مصدر سابق ٢٠٤.

[4] المصدر نفسه ص ٢٠٥.

إن القرآن من المصادر الأولى الأساسية التي اعتمدها ابن عربي بسبب دور القرآن المعرفي والوجودي في فلسفته بل إن القرآن نص حاضر في ذهنه لدرجة تأثر أسلوبه بالصياغات القرآنية ولا يمكن عزل فكره عن القرآن وفق أي فهم كان وقد اتسم أسلوبه بتأثره بالقرآن والجانب الأكثر أهمية هو دور القرآن في فكره وهو طرحه لعدة مستويات لفهم الكلام الإلهي عبر مفهومي الرمز والإشارة وبانتظام الموازاة التي أقامها بين القرآن والوجود إذ ليس المهم عند ابن عربي تحقيق فهم للنص من خلال ظاهر اللغة، يؤكد في مواضع كثيرة من كتبه على ضرورة الإيمان بظاهر ما[1]، جاء به القرآن ويذهب إلى صحة كل مستويات المعنى في النص القرآني على أساس أنها تنزيلات مختلفة ، أما عن الرأي الذي طرح بشأن إنكار ابن عربي للتأويل فيمكن القول أنه يقصد التأويل الذي يتجاوز الظاهر ويرفضه لأنه ينفي وقوع المجاز في القرآن بفهم أن الإيمان بوقوع المجاز يعني التسليم بثنائية الظاهر والباطن كعلاقة تضاد وتناقض بينما يسلم ابن عربي بصحة المستويات جميعا ولا يرى العلاقة بين الظاهر والباطن علاقة تضاد تناقض، حيث لا تخلوا صفحة من صفحات كتبه من آية أو جزء من آية دليل على أنه تعامل مع القرآن بفهم نفي المجاز وقد أشار إلى ذلك" فما وقع الإعجاز إلا تقديسه عن المجاز فكله صدف ومدلول كلمة الحق والأمر ما به خفاء، أما اعتماده على الحديث النبوي الشريف فهو كبير وأساسي إذ يعد الحديث من مصادره المهمة التي تدخلت في بناء فلسفته[2]،وعلاقة ابن عربي بالحديث ترجع إلى مراحل تعلمه الأولى حيث تلقى علوم الحديث على يد أكبر علماء زمانه وتأثره به واضح في تصنيفه كتب عديدة في الحديث واختصر صحيح مسلم وصحيح البخاري وغيرهما، فنجد أن بعض الأحاديث تمثل حجر الزاوية في بعض مواقفه الفكرية كما في حديث { كنت كنزا مخفيا فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق فبي عرفوني

[1] قاسم محمد عباس ، حسن محمد عجيل رسائل ابن عربي ، شرح مبدأ الطوفان ورسائل أخرى ، محي الدين بن عربي المجمع الثقافي ١٩٩٨، ط١، الإمارات العربية المتحدة .ص ٥٧.

[2] رسائل ابن عربي ، شرح مبدأ الطوفان ورسائل أخرى ص ٥٨.

} وعلاقته بالحب الإلهي أو حديث { كنت نبيا وآدم بين الماء والطين } وتأثيره في صياغة فكرة النور المحمدي وحديث { إن الله خلق آدم على صورته} الذي اعتمده ابن عربي في بناء نظرية { الإنسان الكامل } بعد أن تعامل مع الحديث دون أن يخرج به إلى افتراضات أخرى بعيدة وأهمية الحديث لديه متأتية من اتساع فهمه لكلام النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، فتعامل مع كلامه شرحا وتحليلا وتضمينا بتصور أن فهم النبي للقرآن يختلف عن فهمنا نحن بمنظور تلقيه للقرآن عن الله[1]،وإذا كان مسمى الإنسان محمولا في طبيعتين مادية وروحية فلا شك أن الجانب الروحي قد مارس حضوره ونشاطه بوسائل مختلفة سواء عن وعي أو غير وعي وإلا فما معنى الغناء والرقص والرسومات البدائية والطقوس السحرية وفضلا عن ذلك في مراحل متأخرة الملاحم الشعرية القديمة ويبدوا أن الإنسان في ماضيه السحيق استشعر في باطنه تلك الروح الخفية وذلك الغيب المجهول ولعل الشعر كان من أقرب الأشكال التعبيرية للنفس الإنسانية خيالا وعاطفة[2].

والشعر بما فيه من أوزان وإيقاعات وصور متخيلة وعاطفة يعد طقسا من الطقوس التي لها صلة قوية بطبيعة المشاعر الإنسانية من جانب ومن جانب آخر بطبيعة المشاعر الديني على أشكالها وليس أدل على ذلك من اقتران لفظة الشاعر بألفاظ ذات طابع ديني في القرآن الكريم فالنبي صلى الله عليه وسلم وصفه الكفار، قَالَ تَعَالَى:﴿بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾[3] قَالَ تَعَالَى:﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾[4] فإطلاق الكاهن والشاعر وأحيان أخرى الساحر على ﷺ يشير إلى حقيقة

[1] رسائل ابن عربي ، شرح مبدأ الطوفان ورسائل أخرى مصدر سابق ص٥٩.

[2] أمين يوسف عودة تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية ، عالم الكتب ، دار الكتب عمان ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ١٣٣.

[3] سورة لأنبياء الآية ٥.

[4] سورة الحاقة الآية ٢٩، ٣٠، ٣١.

العلاقة بين الشعر والدين وإذا ما نظرنا إلى روح التصوف في جوانبه النظرية والسلوكية وما يتحقق عبرهما فإننا ولا شك واجدون نقاطا تتقاطع مع روح الشعر وطبيعته [1].

وتتأكد علاقة الشعر بالتصوف عندما يحدثنا ابن عربي عن الواردات الإلهية التي يتلقاها المريد في أثناء عروجه المعنوي على سلم المجاهدات في وارد إلهي يعبر عن مرتبة من المراتب الوجودية يقول ابن عربي { رفع لك عالم التصوير والتحسين والجمال وما ينبغي أن يكون عليه العقول من الصور المقدسة والنفوس النباتية من حسن الشكل والنظام وسريان الضوء والرحمة في الموصوفين لها ومن هذه الحضرة يكون الإمداد للشعراء [2].

وإذا بحثنا في تجارب الشعراء أنفسهم قديما وحديثا فإننا سنظفر بأحوال خاصة من قبيل التفصيل يتخذ فيها خاصية الصوفي بخاصية الشاعر في الجانب الإلهامي ذلك الظفر بالخاصيتين مجتمعتين في شخص واحد كابن الفارض فهو شاعر وصوفي ولترى كيف اتحد الإلهام الصوفي الشعري ليتولد عنهما شعر تتجسد فيه الروعة الفنية حاملة في ثناياها أعمق الأحاسيس الصوفية الصادرة عن الحب والعشق الإلهي ، هذا المعنى الذي من أجله كان الوجود وكانت معرفتنا بالله من خلاله [3]..

يقول ابن عربي في الفتوحات:" مرضت ،فغشي علي في مرضي ، بحيث أني كنت معدودا من الموتى ، فرأيت قوما كريهي المنظر يريدون إذايتي ، ورأيت شخصا جميلا طيب الرائحة يدافع عني حتى قهرهم ، فقلت له :من أنت؟ فقال :أنا سورة((يس)) أدافع عنك فأفقت من غشيتي [4] تلك فإذا بأبي عند رأسي يبكي وهو يقرأ سورة ((يس)) وهكذا منذ بداية حياته الروحية يتجلى ابن عربي مرادا للإلهامات مكاشفا في رؤاه

---

[1] تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية مصدر سابق ص ١٣٥.

[2] المصدر نفسه ص١٣٨.

[3] تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية مصدر سابق ص ١٣٩.

[4] سعاد الحكيم الإسراء إلى المقام الأسرى-كتاب المعراج-محي الدين بن عربي، تح: ، -بيروت -لبنان —ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م- ص١٠.

ومناماته ويقول ابن عربي عن والده :" وكان قبل أن يموت بخمسة عشر يوما أخبرني بموته وأنه يموت يوم الأربعاء وكذلك كان ، فلما كان مريضا شديد المرض، استوى قاعدا غير مستند، وقال لي :اليوم يكون الرحيل واللقاء ، فقلت :كتب الله سلامتك في سفرك هذا ،وبارك الله في لقائك" ، ذرية بعضها من بعض هكذا تعيش مرادة للقرب ، وهكذا تموت راضية بالرحيل ،مطمئنة للسلامة مشتاقة للقاء (كان والد محي الدين بن عربي من أئمة الحديث والفقه والزهد والعبادة)[1] تعلم ابن عربي معنى العبودية على يد شيخه أبو العباس العريني ،وتعلم من موسى بن عمران الميرتلي كيف يتلقى الإلهامات الإلهية، وتعلم على أبي الحجاج يوسف الشبربلي وكان ممن يمشي على الماء وتعاشره الأرواح ،وتعلم محاسبة النفس على الأفعال والأقوال عن رجلين من الأقطاب هما: أبو عبد الله بن مجاهد وأبو عبد الله بن قيسوم ، وتعلم الصبر على اضطهاد العامة عن أبي يحي الصنهاجي الضرير وعلمه أبو عبدالله أشرف الخلوة في الظلام مع تجنب كل داع إلى تشتيت الخواطر، وتعلم من صالح البربري السياحة ، وخدم سنتين متواصلتين صوفية مسنة [2]هي فاطمة بنت أبي المثنى وكان لها حال مع الله –بحسب تعبير ابن عربي – وكان الله عز وجل قد أعطاها فاتحة الكتاب تخدمها ، وتمرس بالتوكل على يد عبد الله المورووري كانت مرحلة تكوين علمي وعملي في حياته ،علمي بخدمة رجال هذا الطريق للاكتساب ،لأن الخدمة أقرب طريق للمماثلة الصفاتية، وعملي بالخلوة واعتزال الناس ومنازلة الأحوال المقربة لله[3]، وحب الله ينبغي أن يكون ثمرة ممارسة أعلى الفضائل الأخلاقية وأن يكون الغاية القصوى لكل المقامات العالية ولهذا يتوقف ليسرد هذه الفضائل ويحلل مضمون كل واحدة وأولى هذه الفضائل اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه نموذج لكل كمال وبعدها في

[1] سعاد الحكيم الإسراء إلى المقام الأسرى، المعراج–محي الدين بن عربي، ط١–١٤٠٨هـ–١٩٨٨م–دندرة–بيروت لبنان ص ١١ .
[2] المصدر نفسه ص ١٢.
[3] المصدر نفسه ص ١٣.

الترتيب التوبة[1]، ثم تتلوها طهارة القلب، بمعنى سلب كل كبرياء وجبروت روحي، فإن تطهر قلبه هو، قام بعد ذلك بتطهير قلوب الناس، ويعمل على فوزهم بالنجاة، ثم يأتي الصبر في البلاء والشكر على النعم الإلهية فهاتان درجتان في الصعود إلى الحب[2]، وابن عربي شيخ الصوفية الأكبر عاش صوفيا حتى الرميم، جاهد نفسه، وأماتها بأنواع الخلوات وأرهق بدنه وحلل تراكيبه بأصناف الرياضات فاستفاق (سر وجوده)، عند نوم البدن والنفس والحس، وقام متهجدا ومبصرا يرى من آيات ربه ما يرى[3].

تعتبر التجربة التي خاضها الشيخ الأكبر ابن عربي من النماذج الفريدة في عالم المجاهدة والرياضة، وهي تجسيد لتلك الحياة الروحية لذاته الواعية بالواقع المدركة له والمستوعبة لمعاني الحياة المتطلعة للغاية السامية من خلق الإنسان ، وهذه النفس المفطومة على حب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والتنشئة القرآنية جعلت منه إنساننا ربانيا يصبو إلى الاقتداء بهدي النبي صلى الله عليه وسلم واتباع منهجه فكرا سلوكا.

[1] آسين بلاثيون عبدالرحمن بدوي ، ابن عربي حياته ومذهبه -ترجمة ـــالأنجلوا – القاهرة- ١٩٦٥ ص ٢٣٨.

[2] المصدر نفسه ص ٢٣٨.

[3] سعاد الحكيم ، ابن عربي ومولد لغة جديدة،ط١- ١٤١١هـ-١٩٩١م-دندرة- بيروت – لبنان – ص ٨.

المطلب الثاني: ابن الفارض

عاش ابن الفارض في الربع الأخير من القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع الهجري وهو من كبار أقطاب الصوفية ومن أبرز أصحاب التجربة الروحية ومن ألمع شعراء التصوف نشأ ابن الفارض تحت كنف أبيه في عفاف وصيانة وعبادة وديانة بل زهد وقناعة وورع أسدل عليه لباسه وقناعاته فلما شب وترعرع استغل فقه الشافعية وأخذ الحديث عن ابن عساكر وعن الحافظ المنذري وغيره، ثم حبب إليه الخلاء وسلوك طريق الصوفية[1]، فتزهد وتجرد، يعني أنه تأثر في نشأته الأولى بالورع الديني السائد في عصره وبهذه النزعة الصوفية التي كانت من أخص خصائص ذلك العصر من ناحية وبصفات بارزة امتاز بها والده من ناحية أخرى، رحل ابن الفارض عن مصر إلى الحجاز بناء على إشارة أستاذه البقال وكانت رحلته هذه بداية الطور الثالث من أطوار حياته ويعد هذا الطور من أهم الأطوار جميعا لأن الشاعر عاش فيه عيشة خالصة انقطع فيها إلى السياحة بأودية مكة سياحة كانت سبيله إلى الفتح الإلهي الأمر الذي يصح معه أن نطلق على هذا اسم "طور الفتح"[2] ، قضى خمسة عشرة عاما بأودية مكة منقطعا عن الناس .

وحياة ابن الفارض الصوفية كحياة غيره من القوم مزاج من العمل والذوق يكشف لنا تحليلها مما اشتملت عليه من رياضات ومجاهدات وما اختلف على نفس صاحبها من أحوال ومقامات وما عرض لها من أحلام و مكاشفات فقد بدأ ابن الفارض حياته بالسياحة في واد المستضعفين بجبل المقطم ثم رحل إلى الحجاز حيث قضى خمسة عشر

[1] مصطفى حلمي ، ابن الفارض والحب الإلهي – دار المعارف ط٢-١١١٩-القاهرة ص ٤٢ .

[2] المصدر نفسه ص ٤٧.

سنة في أودية مكة والتي توالت عليه الفتح فيها وقد أخذ نفسه بالتصفية وقلبه بالتنقية وكانت له أحوال وأحلام و فراسات و مكاشفات[1].

والمتأمل في حياة ابن الفارض الصوفية من ناحيتها العملية وفيما يصورها به أكثر المترجمين وأبعدهم عن التعصب له نلاحظ أنها كانت حياة خلقية نقية بكل ما في هذا الوصف من معنى وأن صاحبها قد عمد فيها إلى سلوك لا شبهة فيه ولا غبار عليه سواء فيما بينه وبين نفسه وربه أو فيما بينه وبين غيره من الناس[2]، وكغيره من أصحاب التجارب الروحية فإن له مجاهدات ورياضات وفيما يلي بعض منها .

رياضاته العملية: التي كان يذهب فيها إلى أبعد حد من مجاهدة النفس، وكبح جماحها وإخضاعها لفنون مختلفة من الحرمان وألوان شتى من التهذيب فقد كانت له أربعينيات متواصلة لا يأكل ولا يشرب ولا ينام فيها وهو في هذه الأربعينيات إنما كان يأخذ نفسه بالشدة التي لا تعرف لينا أو هوادة وبالزهد في كل شيء والانصراف عن كل شيء ومازال على هذه الحال حتى تهيأ له ما كان يطمح إليه من كمال[3].

ومن مقدمة ابن الفارض رياضاته العملية وطرقه في تهذيب نفسه وما أخذ به هذه النفس من أعمال العبادة وأحوال الإرادة وما تحمله في سبيل هذا كله من المشقة والفناء في قصيدته الكبرى نظم السلوك.

فنفسي كانت قبل لوامة أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتي

فأوريتها ما لموت أيس بعفة وأتعبتهـــــــــا كيما تكون مريحتي

فعادت فمهما حملته تحملته مـــــــــني وإن خففت عنها تأذت

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ٥٧.

[2] المصدر نفسه ص ص ٥٧ .

[3] المصدر نفسه ص ٥٩ .

وكل فتنها لابل كفلت قيامها بتكليفـــــــــــها حتى كلفت بكلفتي

وأذهبت في تهذيبها كل لذة بإبعادها عن عادتها فاطمأنـــــــــــت

ولم يبق هول دونها ما ركبته وأشهد نفسي فيه غير زكيـــــــــــــة

وكل مقام عن سلول قطعته عبودية حققتها بعبوديـــــــــــــــة[1]

من خلال هذه الأبيات تتضح مجاهدات ابن الفارض ورياضاته لأجل تزكية النفس وكبح جماحها وعزوفه عن الملذات ويصف لنا حالها ثم كيف طوعها وتحولت من نفس لوامة وعاصية إلى نفس طائعة ومطمئنة وترقيه في المقامات .

يقول :

رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عدتـــــــــي

وعدت بنسكي بعد هتكي وعدت من خلاعة سيطي لانقباض بعفة

وصمت نهاري رغبة في مثوبة فأحببت ليلي رهبة من عقوبـــــــــة

وعمرت أوقاتي بورد لورد وصمت لسمت واعتكاف لحرمـــــــــة

ونبت عن الأوطان هجران قاطع مواصلة الاخوان واخترن عزلتـــــــــي

ودققت فكري في الحلال تورعا وداعبت في إصلاح قوتي قوتـــــــــي

وأنقصت من يسرا القناعة راضيا من العيش في الدنيا بأيسر بلغـــــــــة

وهذبت نفسي بالرياضة ذاهبا إلى كشف ما حجب العوائد غظـــــــــت

وجردت في التجريد عزمي تزهدا وآثرت في نسكي استجابة دعوتـــــــــي

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٦٠ .

ويذكر جملة من العبادات والتي أصبحت عنده بمثابة عادات وكيف قويت إرادته وصيامه وتنسكه وجعل لنفسه وردا طوال الأوقات، واعتكافه واتجاهه إلى العزلة وفي تحري الحلال تورعا، ويشير كذلك إلى التقشف، فظاهر هذه الأبيات تبين كيف هذب ابن الفارض نفسه اللوامة[1]، وكيف أوردها موارد الهلاك وحملها من المشقة والفناء ما لا يقاس إلى بعضه الموت ومازال بها يعودها تحمل الأذى والصبر على المكروه والانصراف عن اللذة وركوب الهول حتى كلفت بهذا كله، وأصبحت تستشعر في تخفيفه عنها تأذيا وتألما وحتى صارت آخر الأمر نفسا مطمئنة بعد أن كانت لوامة، وظاهر من الأبيات الأخيرة أن النسك، والعفة، وصوم النهار، وإحياء الليل ، وترتيل الأوراد والصمت والاعتكاف والهجرة عن الوطن واعتزال الناس والورع والقناعة وتهذيب النفس بالرياضة وتجريد العزم والزهد كل أولئك كان أعمال العبادة التي أخضع نفسه لها وأحوال الإرادة التي اتخذ عدته منها أو هو بعبارة أخرى هذه العناصر أو المواد التي تألف منها القانون الخلقي الذي طبقه ابن الفارض في حياته الصوفية العملية وكان له من غير شك أثره القوي في تهذيب نفسه وترقيق شعوره وصقل ضميره وتنقية قلبه وكما كانت لابن الفارض رياضات عملية فقد كانت له أذواق ومواجيد روحية ، تصور الأولى حياته الخلقية وتصور الثانية حياته النفسية ولعل أظهر ما كانت تمتاز به هذه الحياة النفسية هي الغيبة والاستغراق فيها إلى حد لم يكن الشاعر الصوفي ليشعر معه بمن حوله من الأشخاص ولا بمحيط به من الأشياء فقد حدثنا سبطه نقلا عن ولده الذي كان ألزم الناس لأبيه وأعرفهم بحاله بأنه كان يقضي أغلب أوقاته دهشا شاخصا ببصره لا يسمع ولا يرى من يكلمه فهو تارة واقف وتارة قاعد وهو حينا مضطجعا على جنبه وحينا آخر مستلق على ظهره مسجى كالميت وإنه ليقضي على هذه الحال أياما قد تبلغ العشرة وقد تزيد عنها أو تنقص عنها وهو فيما بين هذا كله لا يأكل ولا يشرب ولا ينام ولا يتحرك ولا يتكلم وما يزال كذلك

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٦٠ .

حتى يستفيق وينبعث من غيبته فيكون أول ما يتكلم به أن يملي ما فتح الله عليه من قصيدته "نظم السلوك"[1].

ويؤيد هذا ما ذكره جماعة ممن، صحبوا ابن الفارض وباطنوه من أنه لم ينظم هذه القصيدة على حد نظم الشعراء لأشعارهم بل كانت تحصل له جذبات[2] يغيب فيها عن حواسه نحو الأسبوع أو عشرة أيام فإذا أفاق أملى ما فتح الله عليه منها وأنه ليملي ثلاثين أو أربعين أو خمسين بيتا ثم يدع الإملاء حتى يعاوده الحال وإذا تأملنا هذه القصيدة ودققنا فيها اشتملت من إشارات ورموز مغرقة في الألغاز لا سيما ما كان منها صادرا عن الشاعر بلسان الجمع مع الذات الإلهية تارة ، ومع الحقيقة المحمدية تارة أخرى تبين أنها لم تنظم دفعة واحدة وأن نظمها لم يكن عملا من أعمال الرجل وهو في حال عادية، وإنما هي على العكس من هذا قد نظمت على فترات وأمليت على مرات في حالة أو حالات كان الشاعر فيها غائبا عن نفسه وخارجا عن حسه وعقله، ولم يكن ابن الفارض في ذوقه ووجده وغيبته بدعا من الصوفية أو أصحاب الشعور المرهف وإنما هو في غيبته التي كانت من ثمراتها قصيدته" التائية الكبرى "[3] ، فهي أثر من آثار هذه الحالة النفسية الشاذة التي تلبس ما يصدر عن صاحبها من الشعر أو النثر نوبا نفسيا غريبا وتطبعه بطابع خاص من الدقة والعمق والغموض والألغاز في أكثر الأحيان [4].

ولابن الفارض مكاشفات و فراسات يعدها البعض من قبيل الكرامات ويرتبون عليها رأيهم في الرجل من حيث هو صوفي متحقق وولي من أولياء الله والكرامات عند الصوفية

---

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٦١ .

[2] عبارة عن أنوار المنن الواردة في حضرة الحق المشتملة على الأنوار القدسية والأحوال العلية والأخلاق الزكية والطهارة والصفاء والغرق في بحر اليقين ، تأتي بيد الألطاف الإلهية لمن أحبه الله واصطفاه وأهله ، فإذا وردت على الأرواح أو على القلوب أو على الأسرار ، أخذتها وجذبتها إلى الحضرة بحكم القهر والصولة حتى لا تقدر على التخلف عنها ويعبر عنها عند العارفين بالجذب أيمن حمدي قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء القاهرة ٢٠٠٠م، ص ٦٥.

[3] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٦٢ .

[4] المصدر نفسه ص ٦٣.

ضروب متفاوتة في قيمتها وفي مبلغ ما تدل عليه من قدرة أصحابها على التصرف والإتيان بالخوارق فقد تون الكرامة تنبؤ بالمستقبل واطلاعا على ما في القلوب أو إحساسا بما يقع من الأحداث في أماكن نائية أو رؤيته للجنة أو مشاهدة لله أو كشفا لما في ملكوت السموات وقد تكون الكرامة إحضار طعام ليس موجد أو جلب فاكهة في غير أوانها أو قطع آماد بعيدة في أوقات قصيرة وقد يكون أشياء أخرى[1]، أخرى التي هي خرق لكل عادة وخروج عن كل مألوف[2]، من القوانين الطبيعية لابن الفارض مكاشفات و فراسات هي أدنى ما تكون إلى الكرامات ولكنها ليست شيئا إذا قيست بغيره من الصوفية، وقد ذكر سبط ابنه أن الملك الكامل أوفد ذات يوم كاتب سره القاضي شرف الدين إلى ابن الفارض الذي كان يقيم وقتئذ بالجامع الأزهر ومعه ألف دينار برسم الفقراء الواردين عليه فتردد شرف الدين وطلب أن يعفيه الملك من أداء المهمة متحججا بأن ابن الفارض لا يقبل الذهب ولا يأخذ من أحد شيئا ولكن الملك ألح عليه وأصر ولما لم يجد شرف الدين مناط قصد إلى الأزهر وترك الذهب مع شخص كان يصحبه وما كاد يصل حتى وجد ابن الفارض واقفا بالباب ينظره وهنالك ابتدره بقوله: يا شرف الدين مالك ولذكري في مجلس السلطان رد الذهب إليه ولا ترجع تجيئني إلى سنة[3] .

وفي آخر لحظات حياته إلى رؤية الله وهي عند القوم غاية الكرامة فقد قص برهان الدين الجعبيري على ولد ابن الفارض قصة وصف فيها الشاعر وما وقع له عند احتضاره وقد كان الجعبيري أحد الذين حضروا ذلك الاحتضار من الأولياء ومن هذه القصة يتبين أن ابن الفارض عندما حضرته الوفاة تمثلت له الجنة أمام عينه ولكنه ما كان يراها حتى تأوه وصرخ صرخة عظيمة وبكى بكاءا شديدا وتغير لونه وقال :[4]

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٧٢ .

[2] المصدر نفسه ص ٧٣.

[3] المصدر نفسه ص ٧٤.

[4] المصدر نفسه ص ٧٧.

إن كان منزلي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيـام

أمنية طمعت بها روحي زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحـلام

وهنا قال له الجعبيري : إن هذا مقام عظيم ، فرد عليه ابن الفارض قائلا : يا إبراهيم رابعة العدوية تقول وهي امرأة وعزتك ما عبدتك خوفا من نارك ولا رغبة في جنتك بل كرامة لوجهك الكريم ومحبة فيك، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه وقضيت عمري في السلوك إليه، قال الجعبيري : فسمعت قائلا يقول : بين السماء والأرض اسمع صوته ولا أرى شخصه : يا عمر فما تروم ؟ فقال:

أروم وقد طال المدى مثل نظرة وكم من دماء دون مر ماي طلق

قال الجعبيري: بعد ذلك يتهلل وجهه ويبتسم وقضى نحبه فرحا مسرورا فعلمت أنه أعطي مرامه [1].

على أن للتائية الكبرى تسمية أخرى عرفت بها وصارت علما يدل عليها ويلائم طبيعتها الصوفية وهو " نظم السلوك " ولهذه التسمية قصة يرويها سبط ابن الفارض ويذكر فيها أن أول ما سميت به القصيدة من الأسماء هو" أنفاس الجنان ونفائس الجنان" ثم سميت بعد ذلك" لوائح الجنان وروائح الجنان " وأخيرا رأى ابن الفارض النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فأمره عليه الصلاة والسلام أن يسميها " نظم السلوك " ومن هنا كانت هذه التسمية الأخيرة التي اشتهرت بها القصيدة وجاءت موافقة كل الموافقة لما تصفه من أطوار الحب وما تشمل عليه من مقامات السلوك وأحواله [2] ،وإذا كانت هذه القصيدة ثمرة من ثمرات الغيبة التي تعاقبت على نفس ناظمها فطبيعي أن يكون لهذه الغيبة أثرها فيما امتاز به كثير من أبياتها من الغموض والإبهام وفيما فاضت به من رموز

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٧٧ .

[2] المصدر نفسه ص ٩٤.

وإشارات ، والحب الإلهي الذي رأيناه مع ابن الفارض هو حال قديم[1]، منحته روحه وهي في عالم الأمر وقبل أن تهبط إلى هذا العالم السفلي لم يبق في هذه الحياة الدنيا على ما كان عليه في صفاء ونقاء بل أفسدته ظروف الحياة المادية وشابته بشوائب الحس وشهوات النفس، وما إلى ذلك من[2] حظوظ وأغراض هي في حقيقتها حجب تحول بين الروح وبين اتصالها بمصدرها الأول وعالمها الأعلى ولهذا كان لا بد من سبيل إلى تصفية النفس، وتنقية القلب وجلاء عين البصيرة لتستحيل حياة الانسان في هذه الدنيا إلى حياة روحية خالصة تستعيد فيها روحه روحانيتها الأولى وتستشعر حبها القديم الذي منحته قبل أن تهبط من عالمها العلوي وتتصل بربها الذي صدرت عنه اتصالا يفنيها فيه ويوحدها معه ويشعرها بسعادتها القصوى وبهجتها العظمى هذه السبيل المؤدية إلى هذا كله هي التي يصورها ابن الفارض في تائيته الكبرى في هذه الصورة التحليلية النفسية الرائعة التي تبين من خلالها أطوار حبه الإلهي ويصف كل طور منها وما انكشف له فيه من عجائب الحب وحقائق المعرفة ، ولو أردنا أن نطلق على حب ابن الفارض في طوره الأول اسما يميزه عما أصبح عليه هذا الحب في طوريه الآخرين لما رأيناه خير من تسميته بحب الهوى وهو ما ذكرته رابعة العدوية في مقابل حب الله لذاته وذلك في قولها:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لـــــــــذاك

وأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن ســـــواك

وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجـــب حتى أراك

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكـا

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ٩٥.

[2] المصدر نفسه ص ١٨١ .

وقد فسر الغزالي "حب الهوى" بقوله " ولعلها أرادت بحب الهوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة .." فكان حب ابن الفارض أقرب ما يكون إليه في طوره الأول بخلاف ما أصبح عليه في طوره الثالث وهو طور الحب الذي يقصد به إلى مطالعة الذات ومشاهدة جمالها المطلق وعبرت عنه رابعة بقولها : الحب لجلاله وجماله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين و أقواهما ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال :"حاكيا عن ربه تعالى : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد تعجل هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية.

الطور الأول : هو الهوى الذي كان غالبا على الحب الفارضي في طوره الأول فإن الاستعداد الذي بدا في آخره للفناء عن النفس وهواها كان كفيلا أن يسلم هذه النفس إلى الطور الثاني للحب حيث يأخذ الفناء صورة أتم [1].

الطور الثاني : تفنى نفس المحب عن أوصافها فناء تستغرق معه في ذات المحبوبة وينتهي بها هذا الاستغراق إلى أن تنكشف لها من الأسرار ما لم يكن ينكشف من قبل [2].

نلاحظ التكامل بين الجانب النظري والعملي في تجربة ابن الفاض وفي قصة حبه الإلهي والترقي في مدارج السالكين عبر مراحل متسلسلة وأطوار منتظمة وتقلبات أحواله التي عاشه والمقامات التي نالها وصولا إلى الفناء وانكشاف الأسرار وبلوغ المرام .

[1] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ١٨٦.

[2] المصدر نفسه ص ١٨٧.

المطلب الثالث: ابن عطاء الله السكندري

نشأ الإمام الكبير في الإسكندرية وبها تلقى ثقافته الأولى وكان مالكي المذهب وتاريخ ابن عطاء الله يتصل اتصالا وثيقا بتاريخ الحركة الفكرية وتاريخ التصوف في مصر في القرنين السادس والسابع الهجريين ولد سنة(٦٥٨هـ-١٢٦٠م) ، وتوفي سنة (٧٠٩هـ-١٣٠٩م) وابن عطاء نموذج وحده بين المتصوفة فقد جمع علوم الظاهر وعلم الحقيقة وبرز فيها جميعا ولما استكمل علوم الظاهر كان ينكر على المتصوفين طريقتهم وعلومهم وما إن أتيحت له الفرصة وتعرف على القطب الرباني أبي العباس المرسي حتى اهتدى بهديهم وآمن بطريقتهم واعترف بعلومهم بل صار التلميذ المفضل لأبي العباس، أخذ العهد على الإمام الكبير أبي العباس المرسي الذي قال عنه القطب الشاذلي :وإنه أعلم بطرق السماء منه بطرق الأرض.[١]

ويذكر ابن عطاء قصة تعرفه بأبي العباس(وهي كانت البداية التي اصبح بعدها من كبار الصوفية) فيقول : كنت لأمره-أبي العباس – من المنكرين ، وعليه من المعترضين لا لشيء سمعته منه ولا لشيء صح نقله عنه، حتى جرت بيني وبين أصحابه مقاوله وذلك قبل صحبتي إياه وقلت لرجل منهم ليس إلا أهل العلم بالظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أمور عظيمة ظاهر الشرع يأباها، ثم قلت في نفسي دعني أذهب إلى هذا الرجل وأنظر في شأنه فصاحب الحق له أمارات لا تخفى، فأتيت مجلسه فوجدته يتكلم في الأنفاس التي أمر الشارع بها فقال الأول إسلام، والثاني إيمان ،والثالث إحسان، وإن شئت قلت الأول عبادة والثاني عبودية والثالث عبودة [٢] وإن شئت قلت :الأول شريعة والثاني حقيقة والثالث تحقق، فمازال يقول: وإن شئت قلت إلى أنبهر عقلي، وعلمت أن الرجل إنما يغرف من فيض بحر إلهي ومدد رباني فأذهب الله ما كان عندي ويستطرد ابن عطاء الله

[١] عبد الحليم محمود، ابن عطاء الله السكندري: لطائف المنن ط٣، القاهرة- دار المعارف ٢٠٠٦.ص٧.

[٢] أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ت: محمد أحمد حسب الله إيقاظ الهمم في شرح الحكم ، ، دار المعارف – القاهرة ص ٨

في قصته مع الشيخ أبي العباس فيقول: ثم أتيت إلى المنزل فوجدت معنى غريبا لا أدري ما هو فانفردت في مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها وما خلق الله فيها من عجائب قدرته فحملني ذلك إلى العودة إليه مرة أخرى فأتيته فاستؤذن لي عليه، فلما دخلت قام قائما وتلقاني ببشاشة وإقبال حتى دهشت خجلا واستصغرت نفسي أن أكون أهلا لذلك، فكان أول ما قلت له: يا سيدي أنا والله أحبك فقال أحبك الله كما أحببتني ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية ،والطاعة، والمعصية، فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر ، وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ،وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك الاستغفار، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منه عليك فيها فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوبا نزعته، ثم سألني بعد ذلك بمدة ،كيف حالك ؟فقلت: أفتش عن الهم فما أجده ، فقال :الزم فو الله إن لزمت لتكونن فقيها في المذهبين ، يريد مذهب أصحاب الظاهرة ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علم الحقيقة من أصحاب علوم الباطن، وهذا الحديث هو الذي رفع عن عيني ابن عطاء الغشاوة وعلمه أن طريق القوم طويل وذو مراحل يسميها المتصوفون (درجات السلوك) وأول هذه الدرجات – كما كان يشرح أبو العباس – الإسلام وهو الطاعة والانقياد والقيام بفروض الشريعة، ثانيها الإيمان وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية ومقتضيات الربوبية، ثالثها الإحسان، وهو مقام شهود الحق تعالى بالقلب، فأدرك ابن عطاء الله أن لكل سالك درجة وبقدر ما يرقى السالك في هذا، الطريق بقدر ما يحصل له من السعادة التي تنشأ عن معرفة الله سبحانه وتعالى والفناء في حبه، وكان لهذا أثر في حياة ابن عطاء الله وفكره وإنتاجه[1].

[1] إيقاظ الهمم في شرح الحكم مصدر سابق ص١٠.

يشير الدكتور زكي مبارك في كتابه عن التصوف الإسلامي أن لابن عطاء الله كلمات سارت سير الشمس فكانت شاهدا على قوته الروحية هو الإمام الملقب بتاج الدين ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، ابن عطاء الله السكندري المالكي ، المتوفي عام [٧٠٩من الهجرة] فهو من أعيان القرن السباع الهجري ، وقد بدأ فتفقه ودرس التفسير والحديث[١] ، واللغة والأدب على شيوخ له في مصر ثم توج حياته العلمية بالسلوك التربوي والسعي إلى تزكية النفس على يد عالمين جليلين جمع كل منهما بين ضوابط العلوم الشرعية وأصول تزكية النفس من أمراضها التي سماها الله{ باطن الإثم } أما أحدهما فهو الشيخ أبو العباس المرسي أحمد بن عمر الذي اشتهر إلى جانب غزارة العلم بالصلاح والتقوى، وأما الآخر فهو الشيخ أبو الحسن الشاذلي علي بن عبد الله وهو المرجع الأول في الطريقة الشاذلية [٢] ، لمع اسم ابن عطاء الله عالما من أجل علماء الشريعة مصطبغا بحقائقها ولبابها التي تحرر الانسان من حظوظ النفس والهوى وترقى به إلى سدة الصدق مع الله، وتمام الرضا عنه، وكمال الثقة به والتوكل عليه ودرس علوم الشريعة في الأزهر وتخرج على يديه الكثير من العلماء أمثال الإمام تقي الدين السبكي والإمام القرافي .

وقد أجمع كل من ترجم له على أنه : العارف بالله شيخ الطريقين وإمام الفريقين العالم الجامع لعلوم التفسير والحديث والنحو والأصول والفقه الإمام الهمام، مرشد السالكين، وقطب الواصلين، وقدوة العلماء العاملين لازم شيخه أبي العباس المرسي اثني عشر عاما وصار من خواص أصحابه توفي بالقاهرة في جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة للهجرة[٣].

ومؤلفاته كلها تشتمل على أسرار ومعارف وحكم ولطائف، وأما الحكم العطائية فقد عرفها صاحب كشف الظنون فقال: هي حكم منثورة على لسان أهل الطريقة ولما

[١] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية شرح وتحليل الجزء الأول ، دار الفكر المعاصر ، ط١،٢٠٠١. ١٤٢٢هـ.ص٨.

[٢] المصدر نفسه ص ٩.

[٣] المصدر نفسه ص ٧٠

صنعها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له ، لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الإحياء[1]، وزيادة ولذلك تعشقها أرباب الذوق لما رق لهم من معانيها وراق وبسطوا القول فيها وشرحوها، وقد قال الإمام محمد بن إبراهيم المشهور بابن عباد في مقدمة شرحه على الحكم أما بعد : فإنا لما رأينا كتاب الحكم المنسوب إلى الشيخ المحقق العارف ابن عطاء الله السكندري رضي الله عنه ونفعنا ببركاته من أفضل ما صنف في علم التوحيد وأجل ما اعتمده بالتفهم والتحفظ كل سالك ومريد، لكونه صغير الجرم عظيم العلم، ذا عبارات رائعة ومعان حسنة فائقة، قصد فيها إلى إيضاح طريق العارفين والموحدين وإبانة مناهج السالكين والمتجردين ،كان إذا جلس للنصح والوعظ والتوجيه، أخذ حديثه بمجامع القلوب وسرى من كلامه تأثير شديد إلى النفوس .

أما كتاب الحكم ، هو مجموعة مقاطع من الكلام البليغ الجامع لأوسع المعاني بأقل العبارات كلها مستخلص من كتاب الله أو من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[2].

وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام : أما القسم الأول منها فيدور على محور التوحيد وحماية المسلم من أن يتسرب إليه شيء من المعاني الخفية الكثيرة للشرك والثاني فيدور على محور الأخلاق وإلى تزكية النفس والثالث حول محور السلوك وأحكامه المختلفة ، وقد تسابق كثير من العلماء في عصور مختلفة إلى كتابة شروح لهذا الكتيب الصغير في حجمه والكبير في آثاره ونفعه ، ويبدوا أن أكثرهم إنما اندفعوا إلى ذلك ابتغاء التبرك به وأملا في أن ينالهم شيء من نفحاته لا سيما بعد أن تأكد لهم أن كثيرين من طلاب العلم في الأزهر فتح الله عليهم ورفع لهم من حياتهم شأنا بنفحاته وبركاته[3]، ومما تضنه كتاب

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية شرح وتحليل الجزء الأول ، دار الفكر المعاصر ، ط١، ٢٠٠١. ١٤٢٢هـ.ص٨.

[2] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية شرح وتحليل الجزء الأول ،مصدر سابق ص ٩.

[3] المصدر نفسه ص ١٠.

الحكم من زاد روحي للسالك الذي اختار سلوك طريق الاستقامة وبلوغ غاية من أسمى الغايات وهي رضا الله ومحبته ويقول عن

الذكر : إن الإكثار من ذكر الله وتذكره والإكثار من مراقبة الله والتنبه الدائم إلى مراقبة الله للعبد ، وخير سبيل إلى هذا التذكر الدائم والوقوف المستمر تحت مظلة المراقبة الإلهية ، ربط النعم بالمنعم ، بحيث كلما وفدت إليه نعمة تذكر الإله الذي تفضل بها عليه وهيهات لسلسلة النعم الإلهية أن تنقطع في لحظة من اللحظات عن العبد ،إن هذا الإنسان ، محاط من الأرض التي يعيش فوقها بآلاف النعم ومستظل من السماء التي تعلوه بآلاف النعم ومحشوا من فرقه إلى قدمه بآلاف النعم ، هذا كله بالإضافة إلى النعم الوافدة المتجددة التي لا حصر لأنواعها فضلا عن عدها وإحصائها، فإذ عود العبد نفسه وأيقظ ذاكرته لتذكر الإله المنعم المتفضل كلما أقبلت إليه نعمة منها ، أو كلما تعامل مع واحدة منها واستمر على هذا المنوال ، اهتاجت بين جوانحه محبة عارمة لإلهه المنعم المتفضل إذ إن النفوس مجبولة على حب من قد أحسن إليها ، وكلما ازداد هذا العبد المغمور بنعم الله ذكرا لربه ازدادت محبته له رسوخا وازداد تعظيما ومهابة له[1].

ثم إن هذه المحبة الراسخة تلعب دورا كبيرا في طرد محبة الأغيار من القلب أو في تحجيمها وحصرها في زاوية ضيقة من الفؤاد الذي غدا جله ساحة لمحبة الله عز وجل وتجلياته ، فتذوب في ضرام هذا الحب عصبيته للذات والمذهب ويتراجع سلطان أهوائه التي كانت مهيمنة على نفسه وتذبل مشاعره الغريزية التي تتحكم بكيانه ، وتصرفاته[2]، ومن حكمة كذلك :

الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها وهي الحكمة تبين معنى الإخلاص، نابعة من عمق تجربة ابن عطاء الله السكندري منبعها الأساسي هو القرآن

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية مصدر سابق ص ١٤ .

[2] المصدر نفسه ص ١٤.

الكريم، فإخلاص العباد سلامة أعمالهم من الرياء الجلي والخفي وكل ما فيه حظ للنفس فلا يعملون العمل إلا لله تعالى طلبا للثواب وهربا من العقاب، وإخلاص المحسنين هو العمل لله إجلالا وتعظيما وإخلاص المحبين هو العمل لله إجلالا وتعظيما لأنه تعالى أهل لذلك لا لقصد شيء مما ذكر، وأما إخلاص المقربين فهو شهود انفراد الحق بتحريكهم وتسكينهم مع التبرئ من الحول والقوة فلا يعملون إلا بالله ولا يرون لأنفسهم عملا [1].

العزلة :ما نفع القلب مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة : أي ما يقع قلب المريد بشيء من الأشياء المطهرة له من الغفلات مثل عزلة عن الخلق يدخل بها ميدان فكرة أي تفكر في مصنوعات بارئ الأرض والسموات وإضافة ميدان لفكرة من إضافة المشبه به للمشبه أي فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة ولذلك لأنه يوصل إلى معرفة حقائق الأشياء وغرور الدنيا والعزلة التي ينشأ عنها هذا الفكر أحد أركان الطريق الأربعة المجموعة في قول بعضهم :

بيت الولاية قسمت أركانه سادتنا فيه من الأبـــــدال

ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه الغالي[2].

بعد ذكر العزلة كشرط لتحقق المراد بالابتعاد عن الناس والاعتزال ذكر ابن عطاء الله مسألة تصفية القلب في هذه الحكمة وهي :كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته أم كيف يرحل إلى الله وهو مكبل بشهواته أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة عقلاته ، أم كيف يرجوا أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم ينيب من هفواته ، فهذه الحكمة مرتبطة بالحكمة السابقة وذلك لأن العزلة المصحوبة بالفكرة يتخلى القلب بها عن الأغيار وبها يرحل إلى الله ويدخل حضرته ويتحلى بفهم دقائق

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية شرح وتحليل الجزء الأول ، دار الفكر المعاصر ، ط١، ٢٠٠١. ١٤٢٢هـ هـ ص ٢٣.
[2] .المصدر نفس،ص٢٥.

الأسرار وأما القلب الذي طبعت في مرآته صور المكونات فاشتغل بها وصار مكبلا أي مقيدا بالشهوات فإنه لا ينال الإشراق[1]،ولا يدخل في حضرة الكريم الخلاق لأنه لم يتطهر من غفلاته الشبيهة بالجنابة فيمتنع منها كما يمتنع الجنب من المسجد الذي هو محل المناجاة والاستجابة ولا يمكنه الرحيل إلى الله بقطع عقبات النفس مع كونه مكبلا بشهواته للجمع المذكور ولا يدخل حضرة الله أي دائرة ولايته المقتضية للطهارة مع كونه لم يتطهر من جنابة غفلاته لذلك الجمع ولا يرجوا أن يفهم دقائق الأسرار المتوقفة على التحرر من المعاصي مع كونه لم ينب من هفواته لذلك فالمطالب أربعة : إشراق القلب ، والرحيل إلى الحضرة ، ودخولها ،والاطلاع على أسرارها وكل وسيلة لما بعده والموانع أربعة، انطباع صور الأكوان في عين القلب والتكبل بالشهوات وعدم التطهير من جنابة الغفلات وترك التوبة من الهفوات[2].

الهجرة :لا ترحل من كون إلى كون فتكون كحمار الرحى يسير والذي ارتحل إليه هو الذي ارتحل منه ، ولكن ارحل من الأكوان إلى المكون } (وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى قَالَ تَعَالَى:﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[3]،وانظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم :من كانت هجرته لله ورسوله فهجرته لله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه "فافهم قوله صلى الله عليه وسلم وتأمل هذا الأمر إن كنت ذا فهم والسلام، أي لا تطلب بأعمالك الصالحة عوضا ولو في الآخرة فإن الآخرة كون كالدنيا والأكوان متساوية في أنها أغيار وإن وجد في بعضها أنوار بل اطلب وجه الكريم المنان الذي كون الأكوان وفاءا بمقتضى العبودية وقياما بحقوق الربوبية لتحقق لمقام { وان إلى ربك المنتهى } وهذا مقام العارفين الذين رغبوا عن طلب الثواب ومحضوا النظر إلى الكريم الوهاب فتحققوا بمقام الإخلاص الناشئ عن التوحيد الخالص وأما من فر من الرياء في عباداته وطلب بها الثواب فقد فر من كون إلى كون بلا ارتياب فهو كحمار

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية مصدر سابق ص ٢٦.

[2] المصدر نفسه ص ٢.

[3] سورة النجم الآية ٤٢ .

الرحى أي الطاحون يسير ولا ينتقل عما سار منه لرجوعه إليه فقوله " فهجرته إلى الله ورسوله هو معنى الارتحال.[1] ، من الأكوان إلى المكون وهو المطلوب من العبد وقوله : فهجرته إلى ما هاجر إليه هو البقاء مع الأكوان وهو المنهى عنه[2].

زينة النواظر هو عبارة عن كتاب جمع فيه الشيخ رافع بعض ما سمع من كلام الشيخ ابن عطاء الله في مجالس علمه ودروسه التي كان يقوم فيها بالعظة والتوجيه ليتخلص العباد من البعد عن الضلال ويتبعوا الحق طريق الله تعالى وهدي نبيه صلى الله عليه وسلم والكتاب يشمل الكثير من المواعظ والحكم والحكايات عن الصالحين ولا يمنع من ذكره الشطحات ويطلق عليها كرامات لبعض شيوخ الطريق[3].

مؤلفات ابن عطاء الله السكندري ، لطائف المنن ، تاج العروس ، مفتاح الفلاح ، القول المجرد في الاسم المفرد ، التنوير في إسقاط التدبير[4]،تدل كلها على ما تحتويه من ارشاد السالك وتوضيح آداب الطريق إلى الله .

يشرح ابن عطاء مصطلحات القوم : أوقفني الحق بين يديه ، أو حدثني أو قال لي أو رأيته بأنه ليس المراد بذلك كمكالمة الأنبياء عليهم السلام، بل المراد أن قلوبهم مجموعة على الله تعالى[5] وكذلك الرؤية والمشاهدة، أي المشاهدة بالقلب، فالمراد بالرؤية بقلبه بشهود أوصافه إلا أن لكل قوم اصطلاحا ، لأنه روى عن بعضهم أنه قيل له : هل رأيت ربك ؟ فقال : لم أكن أعبد ربا لم أره يعني أراه بقلبي بشهود أوصافه، وعن بعضهم أنه قال: ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله فيه يعني فشهدته فيه بأوصافه ، وأنشد بعض العارفين أبياتا إلى أن قال : وجدتك مشهودا بكل مكان، الرؤية بالعين لا تكون

[1] محمد سعيد رمضان البوطي ، الحكم العطائية مصدر سابق ص ٥٢.

[2] المصدر نفسه ص ٥٣.

[3] الشيخ رافع بن محمد بن محمد بن شافع ت ، السيد يوسف أحمد ، زينة النواظر وتحفة الخواطر من كلام الشيخ الناصح العلامة ابن عطاء الله السكندري ت ٨٠٦هـ ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م، كتاب ، ناشرون لبنان ص ١١.

[4] المصدر نفسه ص ١٢.

[5] المصدر نفسه ص ٣١ .

إلا للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قال: رأيت الجنة والنار فتناولت من الجنة عنقودا } المسند ومسلم.[1]

وأما الصديقون فإن لهم أنوارا تنحت الحجب عن قلوبهم، فيشاهدون الآخرة من وراء حجاب رقيق حتى لا يدخلوا في دائرة النبوة ، ثم يعرف الكرامة بأنها تختلف عن المعجزة إذ الكرامة يوجب إخفاؤها أما المعجزة يجب إظهارها ومن كذب بالمعجزة كفر ومن كذب بالكرامة لم يكفر والمعجزة يتحدى بها والكرامة لا يتحدى بها، فالمكالمة للنبي والمحادثة للولي لأن الكلام يسمع بالأذن والحديث يكون عن البصيرة[2].

[1] الشيخ رافع بن محمد بن محمد بن شافع ت ، السيد يوسف أحمد ، زينة النواظر وتحفة الخواطر ص ٣٢.

[2] المصدر نفسه ص٣٣.

المبحث الثالث: أركان التجربة الإسلامية

المطلب الأول: معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به

يقول صاحب الإحياء : فأما الركن الأول من أركان الإيمان يتمثل في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى واحد ومداره على عشرة أصول : الأصل الأول :معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الأنوار ويسلك من طريق الاعتبار[1]، ما أرشد إليه القرآن فليس بعد بيان الله بيان والأصل الثاني : العلم بأن الله قدير لم يزل أزلي ليس لوجوده أول كل شيء وقبل كل شيء ميت وحي ، والأصل الثالث :العلم مع أنه تعالى مع كونه أزليا أمديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لأن ما ثبت قدمه استحال عدمه، أما الأصل الرابع العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز، والأصل الخامس : العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر ، الأصل السادس : العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أوحال في حل، الأصل السابع العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن اختصاص بالجهات لأن الجهة إما فوق و إما تحت وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها[2]، الأصل الثامن :العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء إلى السماء حيث قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴾[3]،وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء، الأصل التاسع :العلم بأن الله تعالى منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار، الأصل العاشر :العلم بأن الله عز وجل واحدا لا شريك له فرد لاند له انفرد بالخلق والإبداع واستبد بالإيجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه[4] ويناويه

---

[1] بدوي طبانة إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ،ج١-دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ص ١٠٤.

[2] المصدر نفسه ص ١٠٦.

[3] سورة فصلت الآية ١١ .

[4] إحياء علوم الدين مصدر سابق ١٠٧.

وبرهانه قوله تعالى ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1].

فأما المعرفة فهي أول فرض افترضه الله على عباده ، بدليل قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2] قال ابن عباس: أي ليعرفون، سئل النبي ﷺ بماذا عرفت الله عز وجل ؟ فقال "[ما شاء الله ،إني لا أعرف ربي بشيء بل عرفت الأشياء به] وقال أبو بكر الصديق : سبحان من لم يجعل لخلقه طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته، وقال أبو الدرداء سألت رسول الله ﷺ عن المعرفة فقال: سألت جبريل عليه السلام عن المعرفة فقال: سألت الله عز وجل عن المعرفة فقال الله عز وجل: سر من أسراري، لا أودعه إلا في سر يصلح لمعرفتي ،سئل يوسف بن الحسين عن أصل المعرفة فقال : أصل المعرفة رحمة الله على العبد ، ونظره إليه وتوفيقه له أن يدرك الآية قال عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[3] ثم سئل بماذا يعرف العبد ربه ؟فقال : العبد عاجز عن[4]، معرفة نفسه ، فكيف معرفة ربه فمن عرف الله بالله فقد عرفه به ، واهتدى إليه وبه واستدل عليه وسئل الجنيد : بما عرفت ربك ؟ عرفت ربي بربي فلو لا ربي ما عرفت ربي ، وقال أبو الحسين النوري : المعرفة معرفتان معرفة حق ومعرفة حقيقة ، أما معرفة الحق فهي إثبات الوحدانية على ما أبرز من الصفات ، وأما معرفة الحقيقة فلا سبيل إليها لامتناع الصمدانية وتحقيق الربوبية وقال أبو يزيد : حسبك من المعرفة أن تعرف أنه يراك ومن العلم أنه مستغن عن عملك، وقال بعضهم: الطريق إلى الله هو الله، لأنه لا يعرف الله إلا بالله، لقوله ﷻ ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[5]، وقال الشبلي : علامة المعرفة المحبة، لأن من عرفه أحبه وقال الجنيد: المعرفة طلوع الحق على الأسرار ، بمواصلة

---

[1] سورة الأنبياء الآية ٢٢.

[2] سورة الذاريات الآية ٥٦ .

[3] سورة البقرة الآية ١٠٥ .

[4] أبي عبد الرحمن السلمي ت،.يوسف زيدان المقدمة في التصوف،١٩٩٩مدار الجيل بيروت ط١، ١٤١٩هـ- ص٣٠.

[5] سورة النحل الآية ٩.

لطائف الأنوار وقيل المعرفة تحقيق القلب بوحدانية الله وقال بعضهم عرفت الله به وعرفت ما دون الله بنور الله .

والمعرفة ثلاثة : معرفة اللسان ، وهو الإقرار ، ومعرفة القلب: وهو التصديق، ومعرفة الروح وهو اليقين ، وقال ذو النون : أول المعرفة التحيير ، ثم الاختيار ، ثم الاتصال [1] . وقيل معرفة الله أن تلزم قلبك على قيام الله عليك وقيل : معرفة الله ترك التدبير والاختيار ، وقيل : من عرف الله هابه كل شيء وسقط عنه خوف كل شيء ومن عرف الله خرس لسانه وقيل : صحة المعرفة بالعلم ، وصحة العلم بالمعرفة لا يستغني أحدهما عن صاحبه المعرفة علم القلب بوجود الرب ، المعرفة مطالعة القلب بأفراده على لطائف تعريفه ، وقيل المعرفة العلم بصفاته والخبرة بذاته[2].

وقال سهل بن عبد الله : كنت أسير في البر إذ رأيت غلاما أسود وبين يديه أغنام وعلى وجهه من المعرفة أعلام ، فقال لي : أنت حضري ؟فقلت نعم فقال: بما عرفت مولاك ؟ فقلت : بالشواهد فقال : هيهات ،من عرف ربه بالشواهد غرق في بحار الشدائد ، وفاته من الله كريم العوائد ثم أنشد وجعل يقول :

إني لأعرف مولاي بمولاي ولست آمله إلا لبلـــــواي

هو الجواد فلم يدرك من أحد هويته بدليل العقل والرأي[3].

لأن معرفة الله هي أول عبادة الله عز وجل معرفته وأصل معرفة الله توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين فيه استدل عليه وكان سبب استدلاله به عليه توفيقه وقع التوحيد له ومن توحيده وضع التصديق به ومن التصديق به وقع التحقيق عليه ومن التحقيق جرت المعرفة به ومن المعرفة وقعت الاستجابة له فيما دعا إليه ومن

[1] أبي عبد الرحمن السلمي المقدمة في التصوف ،مصدر سابق ص٣١.

[2] المصدر نفسه ص ٣٢.

[3] المصدر نفسه ص٣٣.

الاستجابة له وقع الترقي إليه ومن الترقي إليه وقع الاتصال به ومن الاتصال به وقع البيان له ومن البيان له انقطع عن الوصول له وقع عليه الحيرة ومن الحيرة ذهب عن البيان ، ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده وبتفقد وجوده صفا وجوده وبصفائه عين عن صفائه ومن غيبته حضر بكليته فكان موجودا مفقودا ومفقودا موجودا فكان حيث لم يكن ولم يكن حيث كان ن ثم كان بعدما لم يكن حيث كان فهو هو بعدما لم يكن هو ، فهو موجود موجود بعدما كان موجودا مفقودا لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته ببقاء آثاره والاقتداء بفعله بعد بلوغه غاية ماله منه[1]، وقال المحاسبي في معرفة الله عن بداية العودة إلى الله : ابتداء من أقبل على ربه وعمل لطلب مرضاته معرفة الله عز وجل وما أوعد مما وعد وتوعد ومعرفته بنفسه كيف سوى رغبتها وضعفها في طلب نجاتها في آخرتها فأدبها بأدب الله فاستقامت إلى محبة الله عز وجل، ومعرفة الله تعالى باب من بداية العودة إلى الله: قال أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي لما سئل عن ما بدء من أناب إلى الله عز وجل فقال: ابتداء من أقبل على ربه وعمل الطلب، معرفة الله عز وجل وما أوعد مما وعد وتوعد ومعرفته بنفسه كيف تكون رغبتها وضعفها في طلب نجاتها في آخرتها فأدبها بأدب الله فاستقامت إلى محبة الله عز وجل .

معرفة الله وكيف أدبها بأدب مولاه : إن أول ذلك أن الله سبحانه وتعالى أخطر بقلب عبده العارف ذكره وذكر آخرته وحركة للفكر والتذكر لعظيم قدر مولاه وقدر رضاه وسخطه وما وعد وتوعد واستنار بذلك قلبه[2].

[1] علي حسن عبد القادر الإمام أبو القاسم الجنيد ق٣هـ، رسائل الجنيد ، القاهرة ، ص٥ .

[2] عبد القادر أحمد عطا الوصايا للمحاسبي بيروت لبنان ط١، ١٤٦٦هـ-١٩٨٦م لبنان – ص ٣٣١ .

العزم على تأديب النفس : فلما تبين له ذلك وعرف أن في طاعتها عطبة في يوم معاده وأن في عصيانها نجاته في آخرته وأنها اعتادت سلوك طريق هلكته وألفت طول النفور والاشمئزاز مما يرضى عنه سيده وأنه إن هجم عليه الموت ولا أمان له من سرعة هجومه لقي الله تعالى على ما يسخطه وإن بعثه الموت على حالته هذه كان فيها عطبه وهلاكه لا أن يعفوا عنه ربه وأنه لا محيص له عن الموت ولا مبدل له عن لقاء ربه وأنه لا رجعة له إلى الدنيا بعد ندمه وبعد لقاء خالقه وأن تغرير النفس إياه بضعف بدنه خطأ كبير وحمق بين وهلاك وعطب.

الوعظ والتذكير: فألزم قلبه على تأديبها والمواظبة على توقيفها والإلحاح على معاتبتها والدوام على موعظتها وتذكيرها ربها وتزداد ذكر عظيم خطرها وأنها لا بد لها من المصير إلى مولاها[1].

عزل النفس عن مواطن المعصية : إلزامها الصمت وحال بينها وبين من يشغلها بحديثه، ثم إدمان معاتبتها وتخويفها ثم ابتدأ في معاتبتها وتقريرها بالسوء الذي صنعت وبما هي إليه صائرة عن قليل ، ومذهب المحاسبي أن العكوف على تطهير النفس من الذنوب أفضل من عمل النوافل وهي مغنمة على عمل الشر وأن عمل الخير إذا خالطه الشر انقلب إلى شر وإنما ترفض النفس ذلك لثقل التطهير عليها [2] ، فالنفس تأبى مفارقة الشهوات وعلاجها بالصوم والجوع والتذكير فكسرها بإدمان الصيام فانكسرت قوى طبعها التي نالتها من الاغتذاء بالطعام الذي كانت تألفه بالدسم فانكسرت عن نشاطها وهي مع ذلك مولية عنه فلما رأى أن ذلك لم يبالغ في تأديبها ، أمسها الجوع فلما ألح عليها[3] ، الجوع ذلت وخشعت فأمكنت من المعاتبة فحمل عليها فلم تقبل فذكرها

[1] الوصايا للمحاسبي مصدر سابق ص ٣٣٤ .

[2] المصدر نفسه ص ٣٣٥ .

[3] المصدر نفسه ص٣٣٦ .

عذاب الله وسوء المصير لمن أعرض عنه وتعرض لمقته ، فلانت له قليلا وسوفته ووعدته الترك لذلك عن قليل لتقضي بعض حوائجها وتداري بعض من تحبه فحمل عليها بالوعيد كما يحمل البطل على قرنه وألح بالزجر والتذكير وعظم عندها الرب عز وجل وكرر عليها شده نقمته وعظيم عقوبته[1].

ثم يعرج إلى معرفة الله بأسمائه : أسماء الرب وصفاته هي طريق إلى معرفة الله والثناء عليه : من عرف أسماء الله وصفاته وتبصر في معانيها الصحيحة عرف ربه تبارك وتعالى وعرف الطريق إلى الثناء عليه والتمجيد له وتعظيمه وقد ابدا ابن القيم وأعاد في تقرير هذين الأمرين فمن ذلك قوله :القرآن كلام الله وقد تجلى الله فيه لعباده بصفاته فتارة يتجلى في جلباب الهيبة والعظمة والجلال فخضع الأعناق وتنكسر النفوس وتخشع الأصوات ويذوب الكبر كما الملح في الماء وتارة يتجلى في صفاة الجمال والكمال وهو كمال الأسماء وجمال الصفات وجمال الأفعال الدال على كمال الذات فتستنفذ حبه من قلب العبد قوة الحب كلها بحسب ما عرفه من صفات جماله ونعوت كماله فيصبح فؤاد عبده فارغا إلا من محبته فتبقى المحبة طبعا لا تكلفا وإذا تجلى بصفات الرحمة والبر واللطف والإحسان انبعثت قوة الرجاء من العبد وانبسط أمله وقوي طعمه ، وكلما قوي الرجاء جد في العمل كما أن الباذر كلما قوي طعمه في المغل غلق أرضا بالبذر وإذا أضعف رجاؤه قصر في البذر ، وإذا تجلى بصفات العدل والانتقام والغضب والسخط والعقوبة انقمعت النفس الأمارة وبطلت أو ضعفت قواها من الشهوة والغضب واللهو واللعب[2] ، والحرص على المحرمات وانقبضت عنه رعوناتها فأحضرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر ، وإذا تجلى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل

[1] الوصايا للمحاسبي مصدر سابق ص٣٣٧ .

[2] عمر سليمان الأشقر شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى، دار النفائس ط١، ١٣٢٨هـ-٢٠٠٧م-عمان –ص ٢٢ .

وإنزال الكتب وشرع الشرائع انبعثت منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره والتبليغ لها والتواصي بها وذكرها وتذكرها والتصديق بالخير والامتثال للطلب والاجتناب للنهي[1].

فأصل التوحيد الذي عليه الاعتماد ، هو أن تعرف الله أنه واحد قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2]، فإذا عرفت الله بهذه الصفة فقد عرفته وهذا بيان رأس التوحيد.

ومعرفة الله تعالى فرض لا يترك، وبحر لا يدرك ، ولا تحوم الأنبياء والعلماء والعباد والزهاد إلا على سواحل المعرفة، ولا تظن أنك تدرك معرفة الله عز وجل بالحقيقة ، ولو بذلت في ذلك عمرك أجمع ، فلا تأمل أن تدرك المعرفة [3].

وإنما الدلالة عليه بمخلوقاته، وانظر بعين عقلك إلى آيات القرآن الكريم، أنظر في جواب إبراهيم عليه السلام حيث قال فيما حكى الله عنه﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾[4]، لم يصفه إلا بأفعاله من إحياء الموتى ، وإماته الأحياء ، ولم يصفه بطول ولا بعرض ولا صغر ولا كبر ولا في جهة فوقية ولا تحتية ، وكذلك ما حكى الله تعالى عن قول الرسل حين قالوا لقومهم :﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ﴾[5] فلم يصفوه بتحديد بل وصفوه بأفعاله ومخلوقاته ولا دلالة على بيان معرفته إلا بذلك، وكذلك ما حكى الله تعالى عن قول موسى عليه السلام لفرعون: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾[6]، وكذلك

---

[1] الشيخ العلامة درويش بن جمعة بن عمر المحروقي ، ت الحاج سليمان بن ابراهيم بابزيز الوارجلاني ، سلطان بن عبد الله بن سلطان الشهيمي الدلائل على اللوازم والوسائل ط١٤٣٦،٤هـ- ٢٠١٥م ، مكتبة الضامري السيب، سلطنة عمان ،ص٢٣ .

[2] سورة الشورى الآية ١١.

[3] الدلائل على اللوازم والوسائل مصدر سابق ص٢٥.

[4] سورة البقرة الآية ٢٥٨.

[5] سورة ابراهيم الآية ١٠.

[6] سورة الشعراء الآية – ٢٣-٢٤.

أصحاب الكهف حين قالوا : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ﴾[1]،ومثل هذا كثير فلم يصفوه بمكان ولا زمان ، بل بأفعاله تعالى فلا سبيل إلى معرفة الله تعالى إلا بقدرته الباهرة ومخلوقاته الشاهرة[2].

في ذكر ما لا يسع جهله : والذي لا يسع جهله على كل عالم عاقل بالغ الحلم معرفة الله تعالى أنه واحد ليس كمثله شيء وأنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا ﷺ عبده ورسوله وأن ما جاء به محمد ص من عند الله هو الحق المبين وأنه صادق فيما قاله مما أمر به أو نهى عنه فمن قرأ بهذه الجملة وصدق بها فقد أقر بدين محمد ص وقد آمن بما جاء به من علم الله في الجملة التي أقر بها وصدق بها في الجملة من دين محمد ص وإن هو رد شيئا منها أو أنكر شيئا من هذه الجملة كان مشركا وإن شك في شيء من هذه الجملة لم يسعه ذلك وقد قامت عليه الحجة وأتته الرسالة، وعلى العبد معرفة خالقه وأنه الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لم يلد ولم يولد عالم سميع قادر لطيف خبير الرؤوف الرحمن الرحيم[3]العزيز الحكيم العدل الذي لا يجور الغني العلي الملك الجبار المتكبر الرزاق الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيئا عددا خلق الخلق على مشيئته وإرادته فهم لما علم منهم منقادون وعلى ما شاء وأراد يعملون ولا يشبه في ذلك شيء من خلقه محيط بخلقه ولا يحيط به خلقه ولا تدركه الاوهام ولا يشبه بالأجسام ولا بالصور ولا الأولوان ولا الحركات ولا السكون ولا تأخذه سنة ولا نوم حي قيوم له ما في السموات والأرض ويعلم ما في

[1] سورة الكهف الآية ١٤.

[2] الدلائل على اللوازم والوسائل مصدر سابق ص٢٦.

[3] أبو الحسن الشيخ علي بن محمد البياني، عبد القادر عطا مراجعة عبد الله بن علي الخليلي ت أحمد بن حمد الخليلي كتاب مختصر البسيوي،ص٨ .

الأرحام وما في ظلمات البر والبحر ويعرف بقدرته ويستدل عليه بآياته وما خلق الله في ملكوت السموات وما في الارض ويعلم ما في الأرحام وما في ظلمات البر والبحر ويعرف بقدرته ويستدل عليه بآياته وما خلق الله في ملكوت السموات والأرض وما في خلق الله من شيء وإن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون[1] .

وقد خصص الإمام أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ٧٥هـ في كتابه قواعد الإسلام في الجزء الأول في كتاب التوحيد والركن الأول في معرفة الله عز وجل ووظائفها وما يتعلق بها من قواعد التوحيد وأركانه وهذا الركن يحتوي على مقدمة وأبواب .

أولا في فرز ما بين كبائر الشرك والنفاق ، وذلك واجب لمكلف قال أصحابنا من لم يفرق بين كبائر الشرك وكبائر النفاق فهو مشرك ، والشاك في شركه مشرك ، قالوا لأن كثيرا من الناس ضلوا من قبل فرز ما بينهما فزعمت الأزارقة أن المعاصي كلها كبائر وشرك وكفر واستدلوا بقوله تعالى ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[2] مبينا في أمثال من القرآن ، وقالت النجدية منهم ، الكبائر كلها شرك وأما الصغائر فلا وزعمت المعتزلة أن كبائر النفاق فسق وضلال وليست كفرا ولا شرك ، وقالت المرجئة في وعيد مرتكب كبائر النفاق ، وقال أصحابنا رحمهم الله ، أن الكبائر كلها كفر والعقاب عليها واجب ،فمن الكبائر شرك وغير شرك وهو النفاق فمن رد على الله عز وجل في كتابه مواجهة بلا تأويل فهو مكذب لله مشرك به ويدخل في ذلك جميع أقسام الشرك ووجوهها [3].

المراقبة والمشاهدة { الإحسان }: ميزان السير إلى الله هو الوصول إلى مقام الإحسان الذي ورد في الحديث الصحيح " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو

---

[1] كتاب مختصر البسيوي ص ١٠ .

[2] سورة الأحزاب الآية ٣٦.

[3] الإمام أبي طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي ت ٢٧هـ بكلي عبد الرحمن بن عمر معرفة الله كتاب.قواعد الاسلام مكتبة الاستقامة ط ٤ _ ١٤٢٢_٢٠٠١م ص٣٢٥.

يراك " وهو الذي يعبر عنه بمقامي المشاهدة والمراقبة ، فالمراقبة : أن تستشعر أن الله يراك ، والمشاهدة أن تعبده كأنك تراه[1]، وإنه لعلامة على حياة القلب أن يستشعر صفات الله فيحس أن الله يراه ويسمعه وذلك مقام المراقبة ، وإنه لعلامة على شفافية القلب أن يخرق نور البصيرة هذه الأكوان ثم إذا هي تحس وكأنها تشاهد الله عز وجل ،ولا وصول لهذين المقامين والقلب مريض فأمراض القلب تحجب الأنوار وما لم يستنر القلب لا يستشعر ، كما أنه لا وصول إلا بكثرة ذكر وتأمل فالذكر والفكر هما طريقا الوصول إلى المراقبة والمشاهدة[2]، أما الإيمان بالله تعالى ، فإن الإنسان الذي لا يؤمن بوجود الله لا بد من أن تنحط معاييره وقيمه ونظرته إلى كل شيء في هذه الحياة ذلك أن الإيمان هو الذي يقوي الجانب الروحي من الإنسان ويربطه بالمثل العليا ،إذ يربط القلب البشري بالله[3]، وجاء في صحيح البخاري في باب قول النبي صلى الله عليه وسلم "بني الإسلام على خمس":وهو قول وفعل يزيد وينقص.

وقوله تعال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدّٗا﴾[4] والحب في الله والبغض في من الإيمان ، وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن عدي: إنّ للإيمان فرائض وشرائع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت فما على صحبتكم بحريص، وقال معاذ اجلس بنا نؤمن ساعة وقال ابن مسعود اليقين: الإيمان كله وقال ابن عمر: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر، والإيمان الإسلامي : تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما جاء به عن ربه فكل ما ورد من الأوامر والنواهي في كتاب الله وفي الصحيح من السنة

[1] قواعد الاسلام مصدر سابق ص٣٢٥

[2] المصدر نفسه ص ٣٥٢.

[3] محمد قطب ، ركائن الإيمان،ط١-١٤٣٢هـ-٢٠٠١م-دار الشروق –القاهرة –ص ١٥٦.

[4] سورة مريم الآية ٧٦.

يجب على المسلم الإيمان به والعمل به، أي تصديق بالقلب وإقران باللسان وعمل بالجوارح كما أن التقوى وقاية النفس عن الشرك والأعمال السيئة و المواظبة على كل عمل صالح [1].

إن الله عندما خلق الإنسان خلق فيه بذرة الإيمان بالخالق الفرد الصمد ، وأن كل تنكر من الإنسان لذلك يعد خروجا عن الفطرة السوية ، ثم إن الله أكمل هذا الإيمان بالشرائع المنزلة على لسان رسله وجعل شريعة الإسلام خاتمة الرسالات كلها وجعل القرآن مهيمنا على الكتب السابقة جميعا ولقد عبر القرآن عن هذا الكمال في شريعة الإسلام[2] بقوله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3]، فالإيمان يتضمن معنى زائدا عن مجرد التصديق وهو[4]، الإقرار والاعتراف المستلزم للقبول للأخبار والإذعان للأحكام ، هذا الإيمان أما مجرد أن تؤمن بأن الله موجود، فهذا ليس بإيمان ،حتى يكون مستلزما للقبول في الأخبار والإذعان في الأحكام ،وإلا فليس إيمانا والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور، الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى، والإيمان بربوبيته أي انفراده بالربوبية، والإيمان بانفراده بالألوهية، والإيمان بأسمائه وصفاته ،ولا يمكن أن يتحقق الإيمان إلا بذلك[5].

معنى الإيمان: عند الشيخ أحمد الخليلي .الإيمان هو في الأصل آمن يؤمن هو بمعنى صدق كما قال تعالى { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ }[6] أي: وما أنت بمصدق لنا، واستعمل في الاصطلاح الشرعي :على تصديق بحقائق خاصة، هذه الحقائق عندما

---

[1] أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه ،شرح محب الدين الخطيب ،ط١٤٠٠،١هـ ،ج١،المطبعة السلفية القاهرة ص ١٧.

[2] محمد صالح ناصر،مع كلام رب العالمين ج١،جمعيةالتراث ،القرارة ،ط١١٤٦هـ-٢٠١٤م،ص ٨.

[3] سورة الأنعام الآية ١٥٣.

[4] الشيخ محمد الصالح العثيمين شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية م١، ط٦-جمادى الأولى ١٤٢١هـ،دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية ص ٥٤.

[5] الشيخ محمد الصالح العثيمين شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية م١، ط٦-جمادى الأولى ١٤٢١هـ،دار ابن الجوزي – المملكة العربية السعودية ص ٥٥

[6] سورة يوسف الآية ١٧.

يصدق بها الإنسان وتنغرس مفاهيمها في شخصيته تؤدي إلى أن يتفاعل معها تفاعلا تاما هذه الحقائق هي التي جمعها حديث جبريل عليه السلام عندما قال { أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره }فإن كل ركن من هذه الأركان عندما يتغلغل به في نفس الإنسان لا ريب أنه يؤدي به إلى أن يتفاعل مع هذا الإيمان أو مع هذا التصديق حتى يتأثر وجدانيا وعمليا وانفعاليا بهذا الإيمان [1].

أما عن أثر العقيدة ودورها التربوي :فإن التربية الصحيحة التي تنشأ من خلالها الأخلاق : هي تلك التربية التي تكون أولا على العقيدة السليمة الصحيحة بحيث يكون الإنسان موصولا بقيم الإيمان التي جاء بها ديننا الحنيف ويكون كثير الخشية من الله وكثير الرجاء له وكثير التعلق به وكثير الغيرة على حرمات الله مع التعلق بالدار الآخرة ، هذه هي التربية التي نشأ عليها الإسلام أتباعه وبهذه التربية تغلبوا على كل الصعاب فإنهم كانوا أمة عقيدة أمة تدرك الحقيقة وتوازن ما بين الدنيا والآخرة وما بين إرضاء الناس ، فلذلك آثرت الدار الآخرة على هذه الدنيا التي لا تساوي شيئا بجانب الآخرة ، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

وفي بيان مقامات الإيمان ، يقول المؤلف :أحدها انطواء القلب وضمير النفوس على اعتقاد التوحيد لغة وشرعا فأما لغة فأصل الإيمان هو التصديق ، وأما الشرع فكقوله تعالى:﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[2] في أمثالها وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان فقال : إن الإيمان هاهنا : وأشار إلى صدره ، وقال صلى الله عليه وسلم : الإيمان أثبت في قلوب أهلها من الجبال الرواسي على قرارها " وعن ضمام رحمه الله أن النبي صلى الله

[1] ومضات فكرية لسماحة الشيخ الخليلي ، اقتباسات من روائع أقواله ، منشورات موقع بصيرة الإلكتروني سلطنة عمان ، مسقط ، ط١،١٤٣٥هـ/٢٠١٤م، ص٧.

[2] سورة النحل الآية ١٠٦.

عليه وسلم قال لعمار بن ياسر : " الإيمان أحلى من العسل لا يدخل قلب مؤمن ثم يخرج منه في أمثالها من الأحاديث وجميع ما حكى الله تعالى في كتابه من ذم المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم دليل على أن الإيمان لابد فيه من اعتقاد القلوب حين ذمهم إذ لم يعتقدوه في قلوبهم[1]، أما المقامة الثانية وهي الإقرار باللسان نطقا والإعراب عن الضمير وفقا وقبله صدقا ، وهذا دون الأول لأن الأول يجزي عن هذه العلل ولا يجزي هذا عن ذلك على حال لغة أيضا وشرعا ، أما اللغة فلأن نطق اللسان وإقراره عبارة عن التصديق الذي حصل في القلب[2] ، قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [3] وقوله ﷺ:"ما آمن من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه"و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [4]، وجميع ما قدمنا من ذم الله تعالى المنافقين الذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم دليل على أن الإيمان فيهما جميعا بإثبات الله إياه في الأفواه وذمهم إذ لم يكتسبوه بالقلوب ، قال تعالى :" قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ "[5]،أما المقامة الثالثة

---

[1] أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قناطر الخيرات ، ج١،ط١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، دار النهضة ،سلطنة عمان ص ٢٧٨.

[2] المصدر نفسه ص ٢٧٨.

[3] سورة البقرة الآية ١٠٤.

[4] سورة المائدة الآية ٤١.

[5] سورة الحجرات الآية ١٤.

من الإيمان : هو العمل بالأركان وتحقيقه بالأفعال شرعا وسمعا وأما الشرع فقوله تعالى :" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ "[1]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس في قول أهل التفسير[2]، وفي السنة قول النبي ﷺ: الإيمان مائة جزء أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وقوله كذلك : والحياء شعبة من شعب الإيمان ، لأن الحياء وإماطة الأذى عن الطريق ، هي من الأعمال الظاهرة وإن كانت أقل درجة فهي اقترنت مع الأعمال الباطنة أي الايمان الجازم والتصديق بوحدانية الله والإقرار بذلك ، وأما عن حكم من انعرى من هذه المقامات : فإن قال قائل ما حكم من انعرى من هذه المقامات قلنا : قوله تعالى فيهم :﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، وقوله تعالى ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾[4]،وإن كان في قلبه وانعرى منه لسانه فهو من الذين قال فيهم من قوم آل فرعون **قَالَ تَعَالَى:**﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[5] وإن كان في القلب واللسان وانعرى منه العمل فهم من الذين قال الله عز وجل فيهم :﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[6]، ويذكر الجيطالي درجات الإيمان فيقول : اعلم أن الإيمان في اللغة التصديق منا سبق ولنه يتفاضل المؤمنون في الإيمان على قدر

---

[1] سورة البقرة الآية ١٤٣.

[2] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٢٧٩

[3] سورة النحل الآية١٠٧.

[4] سورة النحل الآية١٠٨ .

[5] سورة النمل الآية ١٤.

[6] سورة العنكبوت الآية٢-٣.

ترقيهم وينحصر ذلك في درجات [1]، أما الدرجة الأولى : هي درجة الإيمان وهو المعنى الذي كلف الله تعالى عباده المؤمنين ثم رضيه منهم وذلك قوله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [2]،وبهذا الإيمان رضي الله عز وجل عن خليله إبراهيم عليه السلام حين سأله فقال تعالى:﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا ثُمَّ ٱدۡعُهُنَّ يَأۡتِينَكَ سَعۡيٗاۚ وَٱعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [3] وذلك حين أراد عليه السلام الترقي في درجات الإيمان إلى أعلاه ولم يقتصر في الشرع على مبدئه فطلب مشاهدة إحياء الموتى معاينة ، والذي رضي الله عز وجل به أولا الظاهر من قوله بلى ، وهو الإيمان الذي أشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " عليكم بإيمان العجائز ، وإيمان الأعرابي" وهذا الإيمان هو تصديق عامة المسلمين واعتقادهم وذلك بمنزلة العقدة على القلب من غير كشف ولا انشراح يشتد ويقوى تارة ويضعف ويسترخي تارة كالعقدة على الخيط مثلا ، وهذا موجود في اعتقاد المؤمنين والعمل يؤثر في نماء هذا الاعتقاد وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار علوا وفي رسوخ أصولها سفلا لذلك قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [4]،وفي قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [5].

---

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٢٨٠ .

[2] سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

[3] سورة البقرة الآية ٢٦٠ .

[4] سورة آل عمران الآية ١٧٣.

[5] سورة الفتح الآية ٤.

والإيمان يزداد بالطاعة وينقص بالمعاصي[1] لأن الإيمان مائة خصلة أعلاها التوحيد وأدناها إماطة الأذى عن الطريق[2] أما الدرجة الثانية وهي درجة الظن فإذا تحقق العبد الإيمان ورسا في قلبه انتقل إلى درجة هي أقوى مما هو فيه وهي الظن الذي مدح الله به المؤمنين حيث : قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾[3]،وهذا الظن درجة في الإيمان أعلى من أوائله ولذلك مدح الله تعالى به المؤمنين ،وذلك أن الظن في لغة العرب على وجهين أحدهما بمعنى الشك تَعَالَىٰ:﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[4]، والثاني معنى يقرب من اليقين وهو ما قدمناه أولا ظنوا أي تيقنوا وهذا هو الظن الممدوح به المؤمنون ، قال ، وذلك أن من سكنت نفسه إلى وجود الباري سبحانه ووقع في قلبه الإيمان به انتفى عنه الجهل[5]، والثالثة هي درجة العلم : وذلك أن الظن يؤول إلى العلم لأن جل أحكام الشريعة إنما بنيت على غلبيات الظنون فإذا قوي الظن صار علما وهو أن يلوح المعنى الذي اعتقده القلب فتطمئن إليه النفس ، وربما يعضده الدليل فيتضح به السبيل،وهذا العلم نور يقذف في قلب المؤمن فيتسع القلب به وينشرح، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[6]، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾[7]،فقال : إن النور إذا قذف في القلب انشرح له القلب، قيل : فهل لذلك

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٢٨١.

[2] المصدر نفسه ص ٢٨٢ .

[3] سورة البقرة الآية ٤٦ .

[4] سورة الجاثية الآية ٣٢ .

[5] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٢٨٢ .

[6] سورة الشورى الآية ٥٢ .

[7] سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

من علامة يعرف بها قيل نزوله : فالعلم درجة في القلب أعلى من درجة الإيمان ، ولذلك فرق الله تعالى بين درجة الإيمان ودرجة العلم[1]، قَالَ تَعَالَى:﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١ ﴾[2]: فلحن الخطاب يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة والذين أوتوا العلم درجات .. وفي هذه الآية فضيلة العلم وأن زينته وثمرته التأدب بآدابه والعمل بمقتضاه، الدرجة الرابعة وهي درجة اليقين ، قال تعالى في صفة المؤمنين :قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾[3]،الإيمان باليوم الآخر هو من أركان الإيمان وهو أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل ، أما اليقين فهو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك الموجب ومعنى اليقين إزاحة الشك، وهو علم راسخ في القلب زايلته الشكوك وفارقه الاضطراب واستحكم في النفس حتى كاد أن يكون عن مشاهدة[4] ، وقال بعض العلماء : إن أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ قلبه نورا وينفي عنه كل ريب ويملأ القلب شكرا ومن الله خوفا "وقال بعض السلف: التوحيد نور والشرك نار، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين، وقد أشار القرآن إلى ذكر الموقنين في مواضع دل به على أن اليقين هو الرابط للخيرات والسعادة وأنه أعظم ما يعطى للعبد من الهبات وقال بعض العلماء: أول المقامات المعرفة ثم اليقين ثم التصديق ، ثم الإخلاص ، ثم المشاهدة ثم ، الطاعة والإيمان اسم لجميع هذا كله ، أشار هذا القائل في أن أول الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه وتعالى يتبعه الإيمان به ثم العمل بمقتضى هذا الإيمان[5].

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ج١ص ٢٨٣.

[2] سورة لمجادلة الآية١١.

[3] سورة البقرة الآية ٤.

[4] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٢٨٤.

[5] المصدر نفسه ص ٢٨٥.

المطلب الثاني : القدوة والإخلاص

يقول المحاسبي عن الإخلاص : هو الخروج عن معاملة الرب عز وجل، والنظر إلى ثواب الله الله تعالى، لا يريد بذلك حب محمدة ولا كراهية مذمة، وسمي الإخلاص إخلاصا لأنه زايل العمل من الانتقاص أي لأنه خلص العمل من الآفات، حيث لا يمازج عمله رياء ولا سمعة ولا إعجاب، ولا حب محمدة، ولا كراهية ذم، لأنه خلصه من الأدناس، والإخلاص لله واجب لازم في جميع الأعمال[1]، لأن الله عز وجل يقول :﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾[2].

ومخرج الإخلاص من الرغبة والرهبة في أصل العقود قبل العمل، فإذا هيجته للعمل رغبة أو رهبة واعترضت عليه الآفة فدفعها بقلبه، وكرهها بعمله، فقد أخلص لله عز وجل في عمله ومثل ذلك: إن الشجرة إذا تبين عروقها انقطعت عن شربها، ولم تحسن فروعها، وجف ورقها ولم تثمر، ولم ينتفع بها الناس، وذهب قدر قيمتها، فإذا غاصت عروقها، وغابت عن الناظرين إليها، كثر شربها، وجرى ماؤها، وتزايدت عروقها، واخضر ورقها، وطاب ثمرها، وجناها صاحبها، وكثر قدر قيمتها، وهكذا فإن العمل الصالح له أصول في القلب مغطاة عن الخلق زكا في نفسه ، وطهر من الأدناس ، وكثر الثواب لصاحبه[3]، وإذا بدا شيء من اعتقاد قلبه ومن أصول عمله، لم يأمن إليه من أبصار الناظرين إليه ومازجت حب الدنيا المحمدة ، وكلما أخفى العامل لله عمله ، زاد في قدر الصدق والإخلاص له عنده وأعطى أكثر الثواب[4].

---

[1] الوصايا للمحاسبي مصدر سابق ص ٢٥٩ .

[2] سورة البينة الآية ٥ .

[3] الوصايا للمحاسبي مصدر سابق ص ٢٦١ .

[4] المصدر نفسه ص٢٦٢ .

وقد اقترن الإخلاص بالصدق ذلك لأن معنى الصدق القيام على النفس بالحراسة والرعاية لها بعد الوفاء منك بما عليك مما دلل العلم عليه في إقامة حدود الأحوال في الظاهر مع حسن القصد إلى الله عز وجل في أول الفعل فالصدق موجود في حقيقة صفات الإرادة عند بداية الإرادة بالقيام بما دعيت إليه في حقيقة إرادتك مما طرق الحق إليه والمبادرة فيه بالخروج عن موافقة النفس لطلب الراحة مع استصحاب العلم لله وموافقتك له بخروجك عن التأويل فالصدق موجود قبل وجود حقيقة الإخلاص وقد قال الله عز وجل ﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾[1] ليسأل الصادقين ثم نبا لهم بعدما أوتوا بالصدق ما أرادوا بصدقهم وقد سمى الله الصادقين في موضع آخر غير هذا المعنى فقال عز وجل :" قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ "[2] وكان الصدق في الأول علما للحق وفضلا بينهم وبين الإخلاص موجود في صفة الخلق عند حالين : حال الاعتقاد والبينة وحال الفعل والعمل فالإخلاص في صفة الصادق موجود في العقد[3]، غير منسوب إلى الصدق إلا بوجود أوائل الإخلاص في باطنه وباق عليه علم موارد الأشياء عند ممارسة الفعل بالجوارح والتخلص لفعله عن عوارض اضداد الإخلاص حتى سمي مخلصا، وأول الإخلاص أن يفرد الله تعالى بالإرادة والثاني أن يخلص الفعل من الآفة، فالصدق الذي هو عند الخلق صدق، فرق بينه وبين الإخلاص والصدق الذي عند الله تعالى هو الصدق مع الإخلاص وقد يقال فلان صادق لما يرى عليه من صفات العلم وبذل المجهود منه ولا يقال فلان مخلص فالصدق مشهود في صفة الصادق والإخلاص معدوم من مشهده فالصادق موصوف بحسن صفات شاهده منسوب إلى الصدق بدلائل ظاهرة مع وجود أوائل الإخلاص في باطنه باق عليه علم موارد الأشياء عند وروده فالإخلاص يعلوا الصدق لوجود زيادة العلم مع

[1] سورة الأحزاب الآية ٨.

[2] سورة المائدة الآية ١١٩.

[3] علي حسن عبد القادر الإمام أبو القاسم الجنيد رسائل الجنيد ، مصدر سابق ، ص٥٢ .

وجود قوة الرد لما عارض من وسواس العدو والوجود صفاء القلب ولا يعلوا الاخلاص شيء لأنه لا غاية في العبودية من حيث العبد فوق الإخلاص [1]،كما أن الإخلاص هو إفراد النية لله عز وجل وحسن القصد إليه بحضور العقل عند موارد الأشياء وبيان تلوين الامور بما وافق الاول في معنى صحة قصده ورد ما خالف ذلك من موارد النفس، والعدو مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنة مع وجود حسن العزاء عند المذمة من الخلق لوجود حسن المعرفة بالفضل ووجود الكراهة عند المحمدة لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادقة الأحوال فهذا علم مشهود عند شاهد المخلص معدوم عند شاهد الخلق[2]، أما القدوة : ولقد دعانا إلى ذلك بأحاديثه وتوجيهاته وقبل الأحاديث والتوجيهات دعانا بالقدوة الحسنة التي تجلى فيها ولاؤه المطلق لله والتي أعطى بها من المثل الأعلى ما لا نظير له ولا مزيد بعده، لقد أسلم وجهه لله، كما، ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه وجعل له سبحانه صلاته، وسكنه ومحياه ومماته وأنزع كل لحظات وجوده وحياته بذكره وحمده وتمجيده ينام ويصحوا يتحرك أو يسكن لم يكن في ليله ونهاره وفي سره وعلانيته في جهاده ونسكه إلا قانتا أو أدبا يحيا بالله ومعه لا يرنوا لغير جلاله ولا تقع عينه إلا على آياته وآلائه ولا يتألق في خاطره إلا أنسا ببهائه ونور جلاله ، في أي سماء عالية كانت علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه تخلق وبأي هيام كانت تغرد وتمجد هو ذا إمام المحبين وإمام العارفين يتأنق في ابتهالاته وضراعاته تأنق المحبوب المشتاق ألم يكن يكفيه أن يقول ": اللهم ربنا لك الحمد ، كل الحمد ، ثم يكررها كما يشاء بلى كان يكفي ولكنه حبه الدافق والزاخر والفياض يأبى إلا التعبير عن فيوضه بأقصى ما يملك المنطق الإنساني من إيضاح وتفضيل وبأقصى ما يملك الحساب من عدد ومدد[3] ،

[1] رسائل الجنيد مصدر سابق ص٥٣.

[2] المصدر نفسه ص ٥٤ .

[3] خالد محمد خالد ، موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ،إنسانيات محمد ص عشرة أيام في حياة الرسول ص كما تحدث الرسول ، ط١٤٢٩،١٠هـ- ٢٠٠٨م ص ٣٩٣ .

ونحن نبحث في كلمات الرسول ص وأحاديثه عما يزكي علاقتنا بالله ويصححها ويهبها العافية والنور والتقى تدرك في يسر جوهر توحيد الله وحقيقة وأنه ماثل في كلمات الرسول ص هذه أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وألجأت ظهري إليك تجرد كامل لملاقاته والاتجاه إليه فليس ثمة ما يشغل عنه أبدا لا اختيار لأنه أسلم نفسه إليه[1] ولا مطمع لأنه وجه وجهه إليه ولا مخافة لأنه ألجأ ظهره إليه وإذا فالأعمال كلها والطاعات كلها إنما تتجه في استحياء وخشوع وتقوى إليه وحده ولا يلتفت ذات اليمين ولا ذات الشمال بحثا عن غيره يرغب لأنه ليس هناك في بهائه وجلاله سواه ، ومن لم يملأ الله عينه ونفسه وروعه فقد خسر نفسه، فالإخلاص فيما تقوله لله وفيما تعمل من طاعة لله وفي مشاعرك تجاه الله هو روح علاقتك بالله ، إن علاقتك بالله يجب أن تكون محررة لله رب العالمين وكل الطاعات والعبادات التي تنبع منها يجب ان تكون خاصة لوجه الله وجلاله وتجرده إليه، إن هذا التجرد من كل الشوائب والتطلعات يجعل علاقتك بالله في مستوى القبول والرعاية التي يمنحها سبحانه عباده المخلصين الأخيار ويجعل منك عبدا ربانيا ونورا يمشي بين الناس[2] وعلاقة العبد بربه تتطلب مراجعة مستمرة للتبعات التي تفرضها وللسلوك الذي نحمل به هذه التبعات في حياتنا الدنيا ومع الذين نحبهم أو نخافهم نراجع باستمرار مع أنفسنا سلوكنا تجاههم ولا نكاد ننتهي من لقاءنا معهم حتى نستعيد الحديث الذي دار بيننا وبينهم باحثين عما، عسانا نكون قد فارقناه من لحن أو خطأ فحديثك إلى الله وسلوكك مع الله وأفكارك عن الله ومشاعرك تجاه الله ، كل هذه التي تشكل علاقتك بالله سبحانه لا بد من أن تكون موضع تساؤل ومراجعة حتى لا ترين عليها اخطاء مقصودة وتشوبها أخطاء طارئة ، من أجل ذلك أوصى الرسول ص بالتوبة وهي المراجعة التي تكشف عوائق تقدمنا الروحي وأخطاء سلوكنا فتدرك ذلك كله

[1] موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سابق ص ٣٩٤ .

[2] المصدر نفسه ص ٣٩٥.

بالإنابة والتصحيح والرجوع إلى الحق الذي يريده الله والخير الذي يرضاه[1]، إن حاجتنا إلى التوبة نابعة من طبيعتنا البشرية فطبيعتنا قابلة للخطأ بل صانعة له ، وإن الأخطاء لتفصد منها كما يتفصد العرق من مسام الجسد ويبدأ الرسول ص ترويض النفس بإنقاذها من الانسحاق تحت وطأة الذنب وفي نفس الوقت إنقاذها من الإصرار عليه.

يقول الرسول ﷺ فيما يحكيه عن ربه عز وجل :" ما تقرب إليا عبدي بشيء أحب إليا مما افترضته عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إليا بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به" فهذا الذي لا يتقرب المتقربون إلى الله بمثله والذي يفيء على صاحبه كل هذا الحب المفيض من الله لا يمكن أن يكون عمل آليا خاليا من الروح وإذا كانت الصلاة روح الدين فالخشوع والحضور والإخبات روح الصلاة، إن الصلاة بمثابة خط هاتفي بين المؤمن وربه فأينا لو كان يملك هذا الخط مع ملك أو رئيس دولة لا يتمنى استثماره في كل حين وأينا لا يتمنى أن تطول المحادثة وتطول ، إن المؤمن القانت في صلاته قائما يقرأ الفاتحة أو راكعا يقول سبحان ربي العظيم أو ساجدا يقول سبحان ربي الأعلى أو جالسا يحيي ربه بالتحيات المباركات الطيبات ليس في كل صلاته هذه إلا من حيا ربه ، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسجد فلا يريد أن يقوم كانت حلاوة الإيمان كلها وغبطة الروح لحظات سجوده وتنساب في الحروف التي يصوغ منها ابتهالاته ونجواه وكل التسابيح والتمجيد لله الكبير كانت عن روح النبي ص المتصلة بالله دوما تجد أسعد أوقات اتصالها في الصلاة ، وإن الفارق الكبير بين من يحرك أعضاء جسمه حركات تلقائية تائهة لا تعني شيئا ومن يحركها حركة مدروسة منسقة ليحصل بها على تفوق رياضي وسلامة بدنية وكذلك الفارق كبير بين من يصلي والذي يصلي ليصل بصلاته هذه إلى تفوق روحي مأمول وليدخل بصلاته دائرة الضوء والرحمة والرضوان[2] والعلاقة الروحية التي تصنعها الصلاة للعبد وتدنيه من م رحاب ربنا ورضوانه تبدوا في بعض كلمات رسول الله وكأنها محسوسة ومباشرة يقول

[1] موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم مصدر سابق ص ٣٩٥.

[2] المصدر نفسه ص ٤٢٣.

ﷺ:" غن أحدكم إذا قام يصلي فإن الله تعالى قبل وجهه"[1] ، وحين نأخذ مشهد من مشاهد الرسول ص وهو واقف في الصلاة بين يدي ربه الأعلى ندرك جلال الموقف الذي تمثله الصلاة ونلمح المغانم الجزيلة الهائلة التي تظفر بها علاقة المؤمنين بربهم حين يحسنون الصلاة يصف أحد هذه المشاهد واحد من أصحاب النبي ص " رأيت رسول الله وبصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء "[2] ، ألم يقل ص " وجعلت قرة عيني الصلاة فهو إذن حري بأن يفيض فيها دمعه ويأز كالمرجل صدره لأن استشعار جلال الله إن بالخوف أو بالرجاء أثمن وأبهى ما تتطلع إليه أرواح الأوابين فكيف بمن لا يشعر هذا الجلال وحسب بل وبحياة ويفنى فيه ويتشمخ به وأين في أقرب قرب وأعلى مقام[3] ، ثم إن دنيانا كما قلنا تعج بالشواغل والشهوات وبحوافز الطمع والطموح وبهواتف اليأس والجزع وترعات الحقد والبغضاء والحسد ، والصلاة التي شرعها الله لنا خمس مرات على طول النهار وامتداده إنما هي فرار بالنفس خمس مرات كل يوم من ذلك المستنقع الوخيم إلى روح وريحان ولحظات متنوعة بمناعم الرضا والسكينة والقناعة والمحبة والسلام فمن ظفر بها سلم به دينه[4] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [5]،وقوله تَعَالَىٰ: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾ [6] وقوله تَعَالَىٰ: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾[7]،لقد كان المصطفى خير المخلصين وقدوة للعالمين وسراجا منيرا لقد سارع إلى أمر ربه وأخلص في عبادته فصلى آناء الليل وأطراف النهار ووجد من حلاوة الإيمان والقرب والشهود في الصلاة ما جعلها قرة عينه ونور روحه فجاء في إلحاح نبيل

[1] موسوعة هذا رسول الله مصدر سابق ص ٤٢٧.

[2] المصدر نفسه ص ٤٢٩.

[3] المصدر نفسه ص ٤٣٠ .

[4] المصدر نفسه ص ٤٣٧ .

[5] سورة طه الآية ١٣٠.

[6] سورة المزمل الآية٢-٣-٤ .

[7] سورة الاسراء الآية ٧٨ .

تدعونا إليها وتحثنا عليها لننال من حلاوتها ونورها وبركاتها ما أنت حريص على أن يفوز به الناس جميع الناس ، [1] وكل هذا لا يتأتى إلا بالإخلاص لله تعالى ولا يكتمل إلا باتباع النبي صلى الله عليه وسلم والاقتداء به.

والإخلاص في العبادة لله بدينه ، عبارة تطلق على السعي في العمل لله بالحق الصادر عن تمحض الإرادة به عن غيره له بالصدق وتجرده من جميع الشوائب المكدرة لجوهره وتخلصه من أمزجة الشرك المفسدة لصوره خلوص اللبن السائغ للشاربين من بين بين شوبي فرث ودم وكل عمل خالطه مزاج دخل فليس لكون شوبه المقتضى لوجود عيبه ، والله عن الشركة أغنى الأغنياء ، فلا يقبل من العمل إلا ما كان لوجهه خالصا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يقول الله تعالى: (الإخلاص سر من أسراري ،استودعه قلب من أحببت من عبادي) .

وبهذا يستدل على عسر الاطلاع على معرفة وجوده في أعيان الأشخاص من الناس لكونه في غاية الغموض فلا يوصل إليه حتى يطلع عليه ، والمخلص لله من عمل له بلوازمه وانتهى عن محارمه ووفا له على صدقه بجميع حقه ، وكان له لا لغيره على محض إرادته في سكونه وحركته فإن هو ضيع في عباداته حرفا من واجباته ، فليس بمخلص وما أصدق الجنيد في قوله { إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا وشيء لك مما دونه مسترق وإنك لن تصل إلى صريح الحرية وعليك من حقوق عبوديته بقية[2] .

ومن استودع هذا السر الإلهي في باله ظهر لا محالة رشح أضره في أعماله وقول ابن عطاء الله في حكمه على التصريح : أن الأعمال صور وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها ، وهي على تجردها منه كأنها أشباح في المعنى بلا ارواح ، وعلى الجملة فكل عمل من الإخلاص خلي لشرك جلي أو خفي فهباء ويكون مآله على فاعله وباله ، والناس

[1] موسوعة هذا رسول الله مصدر سابق ص٤٣٧ .

[2] جاعد بن خميس الخروصي شرح حياة المهج ت ،زهران بن زهران الريامي ،مبارك بن راشد الحجري ،١٤١٨هـ-١٩٩٧م ص ١٠٣

في مناص مقام الإخلاص على درج :أحدها : إخلاص عامة المؤمنين في العمل لله على إخراج الخلق عن معاملة الحق ، بأداء اللوازم واجتناب المحارم مع توارد الوسائل بمحض النوافل رغبة في ثوابه ورهبة من عقابه ن مع الانغماس في الملاذ المباحة والسعي في طلب المزيد على قدر الحاجة من الحلال الصرف ، ميلا بالطبع إلى دواعي النفس صرفا وربما كان ممزوجا بإرادة وجه الله به مزجا قد دنى إلى الضعف على ما هم فيه من اختلا ف أحوالهم وربما كان قويا وقد قال الجنيد : الخلاص تصفية الأعمال من الكدورات وقال المحاسبي : هو إخراج الخلق عن معاملة الرب " وقال الفضيل : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل من أجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله عنها "[1].

وقال بعض : الإخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ الثانية: إخلاص أهل الزهادة المجتهدين في العبادة على ما هم عليه من ترك الدنيا ونعيمها ولذاتها عن رغبة في أرفع الدرجات ونيل الخلع والكرامات في الآجل لحظ عاجل ،وهذه أرفع من الأولى لكنها بالإضافة إلى ما وراها نازلة لأنها بعد مشوبة لغرض ، وطلب عوض ، وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم : لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن خاف عمل ولا كالأجير إن لم يعط الجرة لم يعمل .

الثالثة : إخلاص أهل العلم من المريدين في العمل له على وجه الاستحقاق ، مجردا من الشرك والنفاق لا على قصد البلوغ إلى حظ نفسي ، دنيوي ولا أخروي وهذه من الأربع كأنها مما قبلها أرفع لكنها كالأولتين في موطن ، إياك نعبد بلا مين لبقاء من بقي[2]{المين هو الكذب} فيها في دائرة شهود سره في أعماله وإخلاص سره في أحواله وما ذلك إلا لقصور نظره إليه عن مشاهدة ربه في محل { وإياك نستعين " على الفرق في مقام الجمع }

[1] الإخلاص تحقيق شرح حياة المهج ،مصدر سابق ص ١٠٤ .

[2] شرح حياة المهج ، مصدر سابق ، ص ١٠٥ .

الرابعة : إخلاص العارفين في العمل لله على المحبة بالتبري من الحول والقوة والطول لا لحظ في هذه الدار ولا لجنة ولا نار ، لكن ليعطي الربوبية حقها من العبودية على المحبة ، إرادة في قبلة " مصلى كعبة وإياك نستعين على الفرق في مقام الجمع ، والفناء به عن الركون إلى رؤية الأعمال والمقامات والأحوال والدرجات العلى في المآل وعن كل شيء دون المولى ن في الآخرة والأولى .

وإلى هذا أشار النبي ﷺ لما سئل: عن الإخلاص فقال : أن تقول ربي الله ثم تستقم كما أمرك وهذه هي الأرفع من الدرجات الأربع وجميع ما وراها دونها لأنها في مناص الخلاص هي محض سر الإخلاص وهي التي في حق هذا العبد المخلص أشار الناظم إليها بدليل قوله :" وفي ذروة الإخلاص لأن ذروة كل شيء بالضم أعلاه ن وأفرى الشيء وفراه شقه صالحا أو فاسدا لكن قرينة لفظة الإخلاص تنفي الفاسد وتبقي الصالح، و أفراه أصلحه وأمر بإصلاحه .

وعلى الجملة فالإخلاص شيء غامض عزيز نادر جدا لأن غوائل من الشرك الجلي والشرك الخفي وأعز شيء منه كان منه أيضا هذه الدرجة الأخرى ، فالبالغ إليها لغموضها وغيرها كاد على بسيط الأرض أن لا يوجد اللهم إلا أن يكون من الأبدال والأوتاد الذين هم ملح الأرض ونور البلاد لأن مبنى أمرها على الفناء وترك الحظوظ وقد قل في الناس من يخلو منها ويتجرد عنها فلا ينالها لشدتها على النفس إلا نبي أوصديق أو ولي، قد تخلص بواسطة التقى من سجن الهوى وتجرد من لباس ظلمة الطبائع وتطهر في أنهار القدس من وسخ آثار حظ النفس وغدا من الأحرار عن برق الآثار ، وصار مستغرق القلب في بحار الحب، ليس له مراد إلا ما أراده لا يزال لربه في غنا وعن رؤية حظه وأعماله في فنا[1]، لأنه يرى به له عليه كون إقباله، ومنه لربه صالح أحواله فكيف على هذا يتصور في باله أن يرى له وجوب أجر على وجود عمل شكر دل عليه وحبب

[1] الإخلاص تحقيق شرح حياة المهج مصدر سابق ص ١٠٧.

إليه ولم يكن له منه غير الكسب له بواسطة ما ركب فيه مولاه الذي خلقه فسواه من الآلات المودعة في جبلته التي ليس له منها شيء فأنى بالمكافأة جزاء على عمل هو عليه، مع شهود انفراد الحق بتحريكه وتسكينه من غير أن يرى له فيه حولا ولا قوة إلا به كل ما كان الأمر للإنسان من الله إلا إحسان ومحض كرم وامتنان ثم كيف لا يفنى به عن غيره من شهد جماله وعاين جلاله ، وسقى بالكأس الأوفى من شراب محبته صرفا نعم لكن الناظم دل بقوله" نقبا "على أن هذا في العلى وأنه وعر المسلك صعب المرتقى لأن النقب بالفتح عبارة عن الطريق في الجبل وهو على التشبيه في المعنى كذلك فلا يصل إليه غير الأفراد من الناس وحق له أن يمثل كذلك لشدته على النفس وعسر البلوغ إليه لعزته وكثرة آفاته ولأنه طريق الوصول إلى جوار الله في دار ثوابه وفي الحديث : إن الجنة حرث بربوة " ولما سئل سهل بن عبد الله أي شيء أشد على النفس ؟ قال :

الإخلاص لأنه ليس لها فيه نصيب " وهو كما قال : ظن لكن في الدنيا لا في الآخرة فإن لها هناك من النصيب على ذلك ، ما هو أجل وأكبر من أن يحيط به وصف بشر ثم قال :

وأجرى ينابيع العلوم بقلبه وأهدى إليه الكشف في سره وهبا [1].

الكشف : أجعله إلى سره الباطن الخفي المسمى بالروح والقلب والنفس هديه والكشف عبارة عن إظهار الشيء برفع ما يواريه من الأستار بواسطة الأنوار وهذا النوع من العلم كأنه لمزيد الكشف أعلى من العلم واليقين درجة [2] ، ولكنه على الخصوص للعارفين من الناس ، المكاشفين بالأسرار ودل بقوله وهبا على أنه محض نوال وأنه بالاكتساب لا ينال لكن التعرض له بتجريد مرآة القلب ، وجلاها حتى تخلص من جميع الأكدار ، فتصير في نهاية الإشراق بالأنوار ممكن وحينئذ تطلع فيه شمس الإيمان بأنوار العرفان

[1] الإخلاص تحقيق شرح حياة المهج ، مصدر سابق ص ١٠٨.

[2] المصدر نفسه ص ١١٢.

وتتجلى له الحقائق من أفق سماء الغيب عن تصور كشفي يعود به نفس الخفي في حقه مثل الجلي لأن مرآته التي أشار الناظم إليها في حق موصوفه بقوله" في سره " اللوحي الخفي الباطن هنالك يقبل الصور وتحكي كلما فيها يتصور ويكون لزوال الموانع وانحرافها عن عالم الملك في مقابلة عالم الملكوت الفسيح الميدان لأفراس الجنان ، فتنطبع فيها الحقائق الإلهية ، وتتجلى له الأسرار الملكوتية فيراها بعين البصيرة ، لصفاء السريرة ، رؤية هي أجلى من رؤية العين ، وتنكشف له في ذاته غوامض جواهر أسمائه تعالى وصفاته ، فيلج في بحارها ويلتبس بأنوارها ويحظى بأسرارها وعند ذلك تندفع الظلم من الباطن فتفيض بالأنوار وتتفجر ينابيع العلوم من داخله بالأسرار فتفيض بالأنوار وتتفجر ينابيع العلوم من داخله بالأسرار فتفيض على لسانه كالبحار وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم " من أخلص لله أربعين يوما ..[1]. ، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، وهذا أمر عزيز لا يناله إلا جاد من الناس ، إلا بعد المجاهدة في تخليص القلب من الأدناس ، والله من فضله وجوده ، يرجى أن يمن به على مريديه لقوله تعالى {والذين جاهدو فينا.. } ولما كان السعي من بعد على هذا من موجبات الرحمة من الله تعالى له والرضى عنه قال :

ألا وارتضاه وانتضاه لما مضى عني الكائنات الكل منها له هذيا

في هذا الموضع للتنبيه وارتضاه تعالى فانتضاه من الكائنات التي هي الحادثة أي سله منها فجرده عنها لما مضى ذكره من العبد لربه في ظاهر المعنى على قياد حكم الظاهر الفقهي فإن من اتقاه تعالى وقاه ومن اتبع صراطه هداه فإن رامه قربه فأدناه ، فإن أخلص له في الطاعة اصطفاه وأحبه فرضي عنه وارتضاه ، وأقبل عليه فانتضاه من كل ما سواه ...وهذا حال السالكين[2]

[1] الإخلاص تحقيق شرح حياة المهج ، مصدر سابق ص ١١٣.

[2] المصدر نفسه ص ١١٤.

المطلب الثالث : الهجرة إلى الله

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾﴾ [1]،في فتح القدير : أن هجرة إبراهيم عليه السلام عن دار قومه إلى حيث يعبد ربه [2]، وعمدة الطريق إلى الله أمران : الملازمة والمخالفة ، والملازمة تكون لذكر الله تعالى والمخالفة لما يشغل عن الله وهذا هو السفر ، حركة لا من جانب المسافر ولا من جانب المسافر إليه فإنهما معا [3]

الروح طلقة من طاقات الإنسان وهو المحرك لهذا الجهاز الأدمي ، وهو المطية التي تنقل الإنسان من الواقع المحس إلى الغيب المحجوب عن الحواس ، وهو وسيلة الهجرة ، هجرة العبد إلى ربه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [4]، والطريق المعبد للفرار إليه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [5]، فالروح إذا مطية الهجرة لمن يريد أن يهاجر ن هجرة من الخلق إلى الخالق ، ومن ظلام البصر إلى نور البصيرة ، هجرة من الكون إلى خالق الكون هجرة من ترابية الأرض إلى شفافية السماء ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن قتامة الأفكار إلى صفاء الإيمان [6].

الهجرة إلى الله : إن الإسلام بني على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان ، ويقول عليه الصلاة والسلام : المهاجر من هجر ما نهى الله عنه ويسأل سائل يا رسول الله : أي الهجرة أفضل : فيجيبه عليه الصلاة والسلام : أن تهجر ما يكره ربك ، فالهجرة إلى الله بالروح

---

[1] سورة العنكبوت الآية٢٦.

[2] محمد بن علي بن محمد الشوكاني فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في فن التفسير ،

[3] أبو حامد ، جواهر التفسير مصدر سابق ص٢٨.

[4] سورة النساء الآية ١٠٠.

[5] سورة الذاريات الآية٥٠ .

[6] عبد الرحمن راتب عميرة منهج القرآن في تربية الرجال ، مكتبة الاستقامة ، عمان ط٢،ص ٧٨

وبالإرادة وبالعمل الصالح والقلب السليم وهي أولى ثمار الإيمان وفي نفس الوقت لأول ضمانات بقائه ونمائه ذلك أن فتن الحياة الدنيا لا تفتأ تغري وتضل وإنها دائما لفي مزيد يقول عليه الصلاة والسلام : إن من ورائكم أياما الصبر فيها أي طاعة الله كالقابض على الجمر أجر العامل فيهن مثل أجر خمسين فهذا الواقع الذي يتراءى للرسول صلى الله عليه وسلم مصورا تفقم السوء وزحف المغريات وتطاول أعناق الفتن ينادي المؤمنين الراغبين في أن يظلوا في رحمة الله إلى الهجرة الدائمة إلى الله [1] ، وكلما تكاثرت الفتن وانتشرت ضراوة الشهوات كانت الدعوة إلى الهجرة أكثر إلحاحا فالهجرة هنا ليست هجرة من مكان إلى مكان بل هجرة إلى الله بعمل صالح وقلب سليم فحاجة الناس إلى هجرة الروح أدعى وألزم وذلك يكون بإسلام الوجه والقلب إلى الله في عبادة خالقه فالهجرة إلى الله بالمعنى الذي أبانه الرسول صلى الله عليه وسلم متوسلة بالإحسان في عبادته هو السبيل الذي يدعونا إليه .

والهجرة عند الصوفية هي هجران للمألوف من العادات ومخالفة للتطلعات ، وترك للذنوب والآثام ، وبعد عن الأسباب التي تؤدي إلى الوقوف في طريق الحق ، وهي مقام إبراهيم عليه السلام ، حيث هتف من أعماقه قائلا ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ ،ولا يشترط في الهجرة أن تكون بالجسد والانتقال من مكان إلى مكان فقد تكون الهجرة بالاعتزال عن الناس وعدم المخالطة لفاسدي الأخلاق ومرتكبي المعاصي والمعرضين عن الله والابتعاد عن الضجيج والشحناء وقد تكون الهجرة بنبذ الأخلاق السيئة والعادات المرذولة وقد تكون بترك ما يركن إليه الإنسان من مألوف حتى يستطيع أن يقهر دواعي النفس وشهواتها وما نتطلع إليه من شهوة وبعد حديث ورغبة في التمتع والرفاهية

[1] خالد محمد خالد موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ،إنسانيات محمد ص عشرة أيام في حياة الرسول ص كما تحدث الرسول ص ، ط١٤٢٩،١٠هـ- ٢٠٠٨م ص٣٩١.

والاستعلاء ، قد تكون الهجرة بكل ذلك وهذه هي الهجرة الصوفية التي يعولون عليها ويعتبرونها مرحلة من مراحل الطريق الصوفي [1]..

حيث يبين ابن القيم ، معنى الهجرة إلى الله ورسوله بأن { الهجرة المعنوية } هي الهجرة بالقلب إلى الله ورسوله وهذه هي المقصودة وهي الهجرة الحقيقية وهي الأصل وهجرة الجسد تابعة لها وهي هجرة تتضمن {من }،{إلى}،فيهاجر بقلبه من محبة غير الله إلى محبته ، ومن عبودية [2] ، غيره إلى عبوديته ومن خوف غيره ورجاءه والتوكل عليه إلى خوف الله ورجائه والتوكل عليه ومن دعاء غيره وسؤاله والخضوع له والذل والاستكانة له إلى دعائه وسؤاله والخضوع له والذل له والاستكانة له وهذا بعينه معنى الفرار إليه قال تعالى { ففروا إلى الله } والتوحيد المطلوب من العبد هو الفرار إلى الله [3].

وتحت {من} و{إلى } في هذا سر عظيم من أسرار التوحيد فإن الفرار إليه سبحانه يتضمن إفراده بالطلب والعبودية ولوازمها من المحبة والخشية والإنابة والتوكل وسائر منازل العبودية فهو متضمن لتوحيد الألوهية التي اتفق عليها دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وأما الفرار منه إليه فهو م تضمن لتوحيد الربوبية وإثبات القدر وإن كل ما في الكون من المكروه والمحذور الذي يفر منه العبد فإنما أوجبته مشيئة الله وحده فإنه ما شاء كان ووجب بمشيئته وما لم يشأ لم يكن وامتنع وجوده لعدم مشيئته فإذا فر العبد إلى الله فإنما يفر من شيء إلى شيء وجد بمشيئة الله وقدره فهي في الحقيقة فار من الله إليه ومن تصور فهم معنى قوله صلى الله عليه وسلم { أعوذ بك منك } وقوله { لا ملجأ ولا منجي منك إلا إليك } فإنه ليس في الوجود شيء يفر منه ويستعاذ منه ويلتجأ منه إلا هو من الله إليه ومستعيذا بالله منه ، وتصور هذين

[1] أجزمي سامعون جزولي الهجرة في القرآن الكريم ،مكتبة الرشد ، شركة الرياض ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م السعودية ص ٣١.
[2] الهجرة في القرآن الكريم ، مصدر سابق ص ٤٨٨.
[3] المصدر نفسه ص ٤٨٩.

الأمرين يوجب للعبد انقطاع تعلق قلبه عن غيره بالكلية خوفا ورجاء ومحبة فإنه إذا علم أن الذي يفر منه ويستعيذ منه إنما هو بمشيئة الله وقدره وخلقه لم يبق خوف من غير خالقه وموجوده ن فتضمن ذلك إفراد الله وحده بالخوف والحب والرجاء ولو كان فراره مما لم يكن بمشيئة الله وقدرته لكان ذلك موجبا لخوفه منه مثل من يفر من مخلوق إلى مخلوق آخر أقدر منه فإنه في حال فراره من الأول خائف منه حذرا أن لا يكون الثاني يفيده منه بخلاف ما إذا كان الذي يفر منه إليه هو الذي قضى وقدر وشاء ما يفر منه فإنه لا يبقى في القلب التفات إلى غيره[1].

فتأمل كيف عاد الأمر كله إلى الفرار من الله إليه ، وهو معنى الهجرة إلى الله تعالى ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم { والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه } ولهذا يقر الله سبحانه بين الإيمان والهجرة في غير موضع لتلازمهما والمقصود أن الهجرة إلى الله تتضمن الحب والبغض فإن المهاجر من شيء إلى شيء لابد أن يكون ما يهاجر إليه أحب مما هاجر منه فيؤثر أحب الأمرين إليه على الآخر وإذا كانت نفس العبد وهواه وشيطانه إنما يدعونه إلى غير مرضاة ربه وداعي الإيمان يدعوا إلى مرضاة ربه في كل وقت أن يهاجر إلى الله ولا ينفك في هجرته إلى الممات[2]..

الهجرة إلى الله في التربية الروحية تكون بهجرة المعاصي والذنوب ومجالس السوء والسخط والسكون إلى طاعة الله عز وجل وملازمة مجالس الذكر ، وليس بالضرورة الانتقال من مكان إلى مكان أومن بلد إلى بلد وإن كان ذلك مستحب في بعض الأحوال إن كان يخشى على دينه ، ولهذا فالهجرة إلى الله تحتاج إلى ثلاثة عناصر :

[1] الهجرة في القرآن الكريم ، مصدر سابق ص٤٨٩.

[2] المصدر نفسه ص ٤٩٠.

هجرة مكانية : "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ ﴿٩٧﴾﴾ [1] الهجرة من مكان الظلم والضعف والكفر ،خشية على النفس من الهلاك والارتداد عن دين الحق

هجرة عملية : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾﴾ [2] وتكون بهجران أحوال النفس السيئة إلى الحسنة بتزكية والتصفية والله لا يغير ما به من حال حتى يهجر المعاصي ، هجرة فكرية: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾﴾ [3]،وهي هجرة العقل للخواطر والوساوس وما والإعراض عما يقوله الآخرون من كلام وما يحملونه من أفكار تجعله في ريب وضعف التي تحول دون أدائه للعبادات وذلك بالتفكر والتدبر والاعتبار .

وأهمها هجرة العمل وهذه لا تستقيم إلا بالفكر السليم والقلب النقي والنفس الزكية والبلد الآمن، قال علي رضي الله عنه :

من سره الغنى بلا مال ، والعز بلا سلطان والكثرة بلا عشيرة فليخرج من معصية الله إلى طاعة الله فإنه واجد ذلك كله[4] حيث أن النفس البشرية في سلوك للمقامات وسفرها من مقام إلى آخر، أشبه بالمسافر يقطع الفيافي والصحاري والقفار متحملا المشاق التي يلاقيها المسافر في طريقه وهو في سفره لا بد أن يكون مزودا بالزاد الذي يبلغه ويعينه على وعورة الطريق ومفهوم السفر في منظور اهل السلوك هو: "توجه القلب نحو الحق" وهؤلاء السالكون يكون فيهم السائر إلى الله ،المتوسط بين المريد والمنتهي مادام في السير .

المهاجرون معنويا هم من يبتغون نيل رضوان الله تعالى ثم هم مسافرون في الآفاق عبر العالم بفكرهم وجهدهم وأثرهم حتى وإن بدت أجسامهم مستقرة في مكانها

[1] سورة النساء الآية ٩٧.

[2] الرعد الآية ١١.

[3] سورة المزمل الآية ١٠.

[4] مبارك بن سعيد بن بدر بن محمد الشكيلي الغافري مجموع البيان لحسن مكارم الأخلاق على مر الزمان، ط١١٤٣٤هـ-٢٠١٣م- وزارةالتراث والثقافة- سلطنة عمان ص ٥٧٦ .

...ثلاثية الإيمان والهجرة والجهاد باعتبار ها أركان مختلفة لحقيقة واحدة وبالخصوص في القرآن الكريم [1] في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [2].

يقول الأستاذ فتح الله كولن في بيان معنى الهجرة ضمن مقال بعنوان الطرق يقول : الذين يخوضون هذا الطريق بعشق وشوق ، والذين يسيرون وراء دليلهم ، تصبح الجبال لهم قيعان ويصير الحزن لهم سهلا إلى أن يقول عنهم : ولا يمكن الحديث عن تعثرهم في الطريق ولهفهم عن السير والنكوص على الأعقاب والتقهقر إلى الوراء ، أما الخلاصة في بيان صفة هؤلاء المهاجرين الأفذاذ أنهم يسيرون من الخلق إلى الحق ولا يحيدون مصداقا لمقولة بديع الزمان النورسي في الكلمة الرابعة والعشرون الثمرة الخامسة من الكلمات ، العبادة التي هي حبل الوصال أو نقطة اتصال بين المبدأ والمنتهى تصرف وجه الإنسان من الفناء إلى البقاء ومن الخلق إلى الحق ومن الكثرة إلى الوحدانية ومن المنتهى إلى المبدأ

ولهذا اعتبرت الهجرة من صميم الدين ، ومن أهم العرى التي يجب على المؤمن أن يتمسك بها، إذ لم تكن أمرا جانبيا طافيا على سطح حياة الأمة ،وإنما كانت قاعدة أساسية من قواعدها، ولذلك تولى التأكيد عليها في القرآن كما في قوله عز وجل :﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ﴾[3] فاعتبرت الهجرة متممة للإيمان ولم يكن وحده مجزيا للربط بين المؤمنين دونها ،بل لا يستكمل معناه إلا بها[4] بدليل قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى:﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ

[1] محمد بابا عمي ارباب المستوى حضور معرفي في فكر الأستاذ فتح الله كولن ،ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م – الجزائر ص٢٠٩

[2] سورة الأنفال الآية ٧٤.

[3] سورة الأنفال الآية ٧٢.

[4] الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ،جواهر التفسير من أنوار بيان التنزيل ،ج٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م،ص ١٧.

وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ [1] .

[1] سورة الأنفال الآية ٧٤.

الفصل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني التعريف بالمذهب الإباضي

المبحث الأول: النشأة والتطور

المطلب الأول: نشأة المذهب الإباضي وأعلامه

المطلب الثاني: :مكانة المذهب الإباضي بين الفرق

المطلب الثالث: أثر المذهب الإباضي في التاريخ الإسلامي

المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإباضي

المطلب الأول :مرحلة الإعداد ودورها في انتشار المذهب الإباضي

المطلب الثاني :مرحلة القوة والظهور

المطلب الثالث : مرحلة الدفاع والشراء

المبحث الثالث :أماكن وجود المذهب الإباضي

المطلب الأول : الإباضية في عمان

المطلب الثاني :الإباضية في ليبيا

المطلب الثالث :الإباضية في الجزائر و تونس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني التعريف بالمذهب الإباضي

المبحث الأول: النشأة والتطور

المطلب الأول: نشأة المذهب الإباضي وأعلامه

ظهر المذهب الإباضي في القرن الأوّل من الهجرة فهو أقدم المذاهب الإسلامية، وإمامه المنسوب إليه عبد الله بن إباض التميمي[1]هو من التابعين المعاصرين لعبد الملك بن مروان وكانت له مراسلات لعبد الملك[2] يحتم عليه أن يعمل بأوامر الشرع فيعدل في الحكم بين الناس يستوجب الطاعة التي يدعوهم إليها[3]، وعرف شخصه بالإيمان الراسخ والوثوق الشديد بالله عز وجل والزهد الكامل في هذه الدنيا ونعمها والصراحة في الحق والإخلاص التام لديننا والمذهب الإباضي هو أحد المذاهب الإسلامية السبعة السائدة في عالمنا الإسلامي اليوم وهي: الإباضية، الحنفية، المالكية، الشافعية، الحنابلة، الزيدية، الإمامية، بل المذهب الإباضي هو أول هذه المذاهب ظهورا وأسبقها نشأة وأقدمها تاريخا، وأقربها إلى عهد النبي محمدﷺ .

---

[1] الامام عبد الله بن اباض (٨٦هـ) هو عبد الله بن اباض بن تيم بن ثعلبه (ت ٨٦هـ ٧٠٥م) من بني مره بن عبيد رهط الاحنف بن قيس آل مقاعس التميمي فهو من قبيله تميم التي كان لها دور هام في الاحداث السياسية في صدر الدولة الاموية نشا في مدينه البصرة وعاصر فتنه افتراق المسلمين بعد صفين وكانت له مواقف حاسمه من تلك الاحداث فقد شب في زمان معاوية وادرك عبد الملك بن مروان يعد من التابعين ادرك كثيرا من الصحابة مصطفى شريفي تراجم أئمة المذاهب ج١ص٢٨ .

[2] عبد الملك بن مروان:قال عبد الله بن مسلم : وأما عبد الملك بن مروان ص٢٠٠، فكان يكنى أبا الوليد ويلقب رشح الحجر لبخله وكان معاوية جعله مكان زيد بن ثابت على ديوان المدينة وهو ابن ستة عشرة سنة وولاه أبوه مروان هجر ثم جعله الخليفة من بعده وكانت خلافته بعد أبيه سنة خمس وستين ص٢٠٠١ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المعارف ، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الكتب العلمية بيروت .

[3] أبي سليمان الباروني من مختصر تاريخ الإباضية مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان ط٣ ، ١٤٢٣،٢٠٠٣. ص ٢٤

تعود نشأته إلى تلك[1]، الثلة المؤمنة من صحابة رسول الله ﷺ من أهل النهروان [2]التي أصرت أيما إصرار على معارضة اللجوء إلى التحكيم للفصل بين قوات علي بن أبي طالب الإمام الشرعي المنتخب حتى قبوله التحكيم، وبين قوات معاوية بن أبي سفيان والي الشام الذي أعلن خروجه على الإمام المنتخب، وقد كانت هذه المعارضة للتحكيم منذ أن بدأت بوادر الميل إليه تلوح في الأفق، ثم اشتدت هذه المعارضة إثر الموافقة العملية العلنية عليه[3]، أما مصادر التشريع عند الإباضية فهي: القرآن والسنة والإجماع ثم القياس وليس غريبا من الإباضية أخذهم واستدلالهم بالثابت الصحيح من أحاديث الإمامين البخاري ومسلم وكتب الحديث والفقه من المذاهب الأخرى، ويعتبرون الجامع الصحيح مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي أول كتاب صحيح في الأحاديث والسنة النبوية وهو المعتمد الأول لديهم بعد القرآن الكريم ويتميز بسلسلة ذهبية وأنه أصح الكتب الحديثية وأقدمها وأكثر روايته من طريق الإمام أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلي صحيح الربيع في الصحة صحيح الإمام البخاري وقد أثنى العلامة الدارقطني عليه" وأما الإمام الربيع بن حبيب البصري فلا يترك"[4].

---

[1] إسماعيل بن صالح الأغبري الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا ، ،ط١، ١٤٣٤هـ،٢٠١٣م، وزارة الاوقاف ص٢٨ .

[2] يذكر الإمام السالمي مجموعة من التواريخ دالة على أسبقية المذهب الإباضي عن غيره من المذاهب الأخرى فيذكر أن الإمام جابر بن زيد ولد في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فتوفي عمر رضي الله عنه في السنة الثالثة والعشرون من الهجرة وولادة جابر في السنة الواحدة والعشرون وتوفي في سنة ستة وتسعون للهجرة ، أما عن أئمة المذاهب فيذكر الإمام السالمي أن الإمام مالك رضي الله عنه كان عمره سنة واحدة لأنه ولد في السنة الخامسة والتسعون من الهجرة أي قبل وفاة الإمام جابر بسنة وتوفي الإمام مالك سنة ١٧٩هـ ، أما الإمام أبي حنيفة فكان أكبرهم حيث كان عمره آنذاك خمسة عشر سنة إذ ولد في السنة الثمانين من الهجرة وتوفي ١٥٠هـ، أما الإمام الشافعي فولد في القرن الثاني سنة ١٥٠هـ وتوفي سنة ٢٠٤، والإمام أحمد بن حنبل ولد سنة ١٦٤هـ وتوفي ٢٤١هـ أي بزمن بعيد عن عهد الإمام جابر حيث أن المذهب الإباضي آنذاك كان قائما بأصوله وأئمته فيستدل السالمي من هذا البيان أن مذهب الإباضية نسبة إلى الإمام عبد الله بن إباض ، هو أقدم المذاهب تاريخيا، – نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، ت سلطان بن مبارك بن أحمد الشيباني اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ذاكرة عمان ، سلطنة عمان ص٥٣

[3] د.إ سماعيل بن صالح الأغبري الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا مصدر سابق ص٢٩

[4] مذهب الإسلام ، ط٥،مصدر سابق ص٢١.

أما النشأة فتعود أسبابها إلى الظروف السياسية بالدرجة الأولى حينما اشتدت أزمتها في الثلثين الأخيرين من القرن الأول للهجرة بالإضافة إلى الوضع الاجتماعي المتناقض مما تولد عن ذلك اختلاف أمة محمد ﷺ حول بعض القضايا في الفقه والسياسة... وكان ذلك سببا لاجتهاد العلماء من الصحابة والتابعين ومن ثم تعددت الآراء وتباينت الأفكار فكثر الجدل والمناظرات بين العلماء وبالتالي ظهور علم الكلام عند المسلمين ولما صار لكل عالم أتباعه وشيعته، تفرقت الأمة الإسلامية، وصارت فرقا ومذاهب، تدّعي كل فرقة أن الحق إلى جانبها وأن غيرها على ضلال، وأنها الوحيدة الناجية من بين الفرق التي أشار إليها الرسول ﷺ في حديث الافتراق، فبادر الخوارج بتسمية أنفسهم أهل الحق، وكانوا أول فرقة زعمت أنها على حق وما سواها على ضلال في حين الذي بالغت الشيعة[1] وكذا الأمويون في تكفير الخوارج [2]واتهامهم بالزيغ والضلال، ونعتوهم بالمارقة وأهل الأهواء [3]، لم يتورعوا من وضع الأحاديث في ذم الخوارج، كما وضعت أحاديث في ذم القدرية[4] والمرجئة[5] وفي هذه الظروف المتوترة، لم يكن الصراع الفكري وحيدا في إذكاء

[1]الشيعة :هم الذين شايعوا عليا عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته نصا ووصفه إما جليا أو خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده والإمامة قضية أصولية عندهم وهو ركن الدين ص ١٤٥.الإمام أبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ،ت أحمد فهمي محمد الملل والنحل .ج ١، ٢، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان

[2]عبد العزيز بن سعود المعولي ابراهيم بن ناصر الصوافي، الخوارج :الخوارج طوائف من الناس من زمن التابعين رؤوسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر ، وعبد الله بن الصفار ، ومن شايعهم وسموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق وعن الأمة بالحكم على مرتكب الذنب بالشرك ، علي يحي معمر ، م: الشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج ، الإباضية بين الفرق ط٢،مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ص٤٢٥.

[3]الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا مصدر سابق ص٣٤.

[4]القدرية :القدرية المعتزلة عن الحق فقد افترقت عشرين فرقة كل فرقة تكفر سائرها ولها أسماء كثيرة منها الواصلية ، العمروية الهذلية النظامية والمردارية والمعمرية والتمامية والجاحظية ...الخ ، عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، أبي منصور ،ت: محمد عثمان الخشب ، الفرق بين الفرق ، وبيان الفرقة الناجية منهم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ص٢٥.

[5]المرجئة : منهم ثلاث أصناف منهم من قال بالأرجاء في الإيمان وبالقدر على مذهب القدرية فهم معدودون في القدرية والمرجئة ص ٢٥.

نار الفتنة بل تفاقم الوضع وتحول الخلاف من حرب كلامية إلى صراع مسلح، وكان الخليفة الثالث عثمان بن عفان(رضي الله عنه) أول ضحية في هذا الصراع، ثم تطورت الأحداث بعد ذلك، واشتد الخلاف، وتقاتل المسلمون في معركة الجمل(سنة ٣٦هـ /٦٥٧م) وفي وقعة صفين سنة(٣٧هـ/ ٦٥٧م) وما حدث بعدهما من فتن وانقسامات.

أما الإباضية باعتبارها فرقة مستقلة و مميزة بمبادئها وفكرها ومذهب قائم بذاته فإنها لم تظهر جليا في تلك الظروف ولم تكن آراؤها قد تبلورت نظرا للتغير السريع في مجريات الأحداث، فلم يستقر الوضع آنذاك جيدا لتنضج الأفكار وبالتالي تتميز الفرق عن بعضها، ولذلك اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ معين لظهور الإباضية كفرقة إسلامية ذات استقلال فكري وأصول واضحة ومبادئ محددة ورجال معينين.

وفي سبيل تحديد الأصول التاريخية لنشأة المدرسة الإباضية الإباضية نورد بعض ما قيل في هذا الموضوع الذي يشكل حدا فاصل لتحديد تاريخ نشأة المذهب ، من أجل الخلوص إلى رأي واضح في ذلك: يقول أمحمد الشيخ بالحاج(معاصر)، (إن الأصول السياسية للإباضية ظهرت في اجتماع السقيفة وإن لم يسموا بذلك الاسم كما تسمى بقية الفرق آنذاك بأسمائها، ويشاطره الرأي د عمار طالبي (معاصر) فيرى إن (أصلا من أصول الخوارج ورأيا من آرائهم كان موجودا إبان اجتماع السقيفة والمقصود بالأصول السياسة مبدأ الشورى، والديموقراطية المتمثلة في حرية اختيار الخليفة، ومبدأ أحقية كل مسلم في الوصول إلى هذا المنصب بقطع النظر عن جنسه ولونه وانتمائه الطائفي، وهذا ما صرح به ابن عبادة الخزرجي(ت١٦ هـ/٦٣٧م) مع جماعة من الأنصار[1]، قالوا: في

[1] عدون جهلان الفكر السياسي عند الإباضية ، من خلال أراء الشيخ أمحمد بن يوسف اطفيش١٢٣٦ ١٣٣٢،،، ١٨٠٨ ١٩١٤ ، الضامري ، سلطنة عمان ، ط٣ ص ٣٦ .

اجتماع السقيفة بجواز الإمامة[1] في غير قريش، ولعل هذه أول مسألة يختلف حولها المسلمون بعد وفاة الرسولﷺ وبقيت الإمامة منشأ اختلاف[2]، إذن فالخلاف السياسي نتج عنه ظهور جماعة تطالب بتطبيق القيم الإسلامية المطلقة، كالعدل والمساومة وحرية إبداء الرأي، وطالبت بتطبيقها، كما تبنتها الإباضية والتزمت بها عمليا، ويمكن القول بأن هذه جذور نشأة الفكر السياسي عند الإباضية، وبالتالي نشأة الإباضية تعود إلى ظهور المطالبين بتطبيق هذه المبادئ؟ الواقع أنه لا يمكن الفصل بسهولة في هذا الشأن، خاصة والأمر يتعلق بظهور فرقة لا يمكن عزلها بظهور الخوارج ، وترتبط نشأتها بنشأة الخوارج، حسبما تؤكده المصادر التاريخية-إباضية كانت أم غيرها- فإن د عمار طالبي يرى (إن النزعة الخارجية، وأن أصل الخوارج نبت في عهد النبي نفسه، ومن ثم فهو سابق للثورة على الخليفة عثمان(ت٣٥ هـ/٦٥٦م) رضي الله عنه، وعلى معركتي الجمل(٣٦هـ/ ٦٥٧م) وصفين(٣٧هـ/٦٥٧م) وما لحقها من فتن، و مهما كان الأمر فالمسألة تتعلق بظهور الإباضية أما علاقتها بالخوارج، فذاك موضوع مستقل بذاته، وإذا عدنا إلى ظهور الإباضية وتحديد تاريخ نشأتها فإننا نجد المستشرق (تادوز لويسكي) يذكر في دائرة المعارف- اعتمادا على المؤرخين المعاصرين (إن ظهور الإباضية كان سنة ٦٥هـ ٦٨٤م

---

[1] الإمامة هي القيادة الكبرى للأمة ، وهي ضرورية من أجل جمع شمل الأمة وتأليف قلوبها والنهوض بمسؤولياتها ومن بينها الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقامة الحدود الشرعية ، وإغاثة الملهوفين ونصرة المظلومين والجهاد في سبيل الله ، ولا يمكن أن يقوم بذلك أفراد مشتتون وإنما يتم ذلك في حين قيام النظام الشرعي ووجود قائد للأمة تفوض إليه أمرها وتسلس له قيادها وتحوطه بنصحها وتوجيهاتها ، وهو منصب لا يختار له إلا من كان ذا أهلية تامة له .ولما كانت الإمامة ضرورة لرعاية شؤون الأمة والحفاظ على أمنها واستقرارها ، والسهر على تسيير مصالحها ، وكل هذا لا يتأتى إلا بتنصيب إمام عادل تتوفر فيه شروط معينة ويتم اختياره بطريقة معينة في جو من الوفاق والاتفاق والشورى، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة ص ١٢.

[2] إن الإمامة فرض حينما وجبت شروطها ، لا تكن عن شرطها غفلا ، أما بالنسبة للدور الذي لعبته الإمامة الإباضية على المستويين السياسي والعقائدي في أماكن ظهور المذهب ونشأته في البصرة وعمان واليمن وشمال إفريقيا إبان الخلافة الأموية والعباسية يمكن القول منذ عودة الإمام جابر بن زيد إلى البصرة قادما من عمان بدأت مرحلة جديدة في تكوين وإعداد الأصول العقائدية للإمامة الإباضية والإعداد لمرحلة ظهور الإمامة الإباضية على الساحة السياسية ، دعبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة ، ص ١٢.

عندما انفصل عبد الله بن إباض عن المتطرفين الخوارج بمناسبة الموقف الذي يجب اتخاذه تجاه أهل التوحيد الآخرين لكنه يستبعد هذا التحديد ليؤكد أن جذور الإباضية أقدم من ذلك فهو يلحق تاريخ نشأة هذه الفرقة بظهور جماعة القعدة[1].

أما الإمام عبد الوهاب فيعتبر إن وقعة صفين هي الحدث الأول الذي نتج عنه ظهور فرقة الإباضية إلا أن الإمام لم يسم هذه الفرقة بالإباضية باعتبار أن التسمية حادثة يقول في رسالة له لأهل طرابلس:" لما اشتدت الحرب وارتاب المبطلون وحكموا الحكمين... اختلفت الأمة... وصار الناس شيعتين... فاختلف المسلمون بالحق الذي تمسكوا به فاختلفت عليهم كلمة المختلفين يقاتلونهم على دين الله الحنيف والملة الصادقة "ويعني الإمام بالمسلمين المختفين بالحق، جماعة المحكمة كما سميت هذه الجماعة بالخوارج لخروجهم عن علي (رضي الله عنه) وهذه تسمية أطلقها عليهم مخالفوهم في الفكرة ومعارضوهم في الرأي سواء من أصحاب علي(رضي الله عنه) أو من أتباع معاوية، وحين نزلوا حروراء سموا بالحرورية [2]وكان عددهم آنذاك حوالي، اثنا عشر ألفا ثم نعتوا بأهل النهروان لما خرجوا من الكوفة إلى النهروان وفي أثناء ذلك لم تتميز عن غيرها في شكل فرقة مستقلة بآرائها إلا بعد الانفصال الذي حدث بين أهل النهروان ، بعد الهزيمة التي حلت بهم على يد أصحاب علي(رضي الله عنه) وحينئذ ثار البعض ممن بقوا فعزموا على الانتقام بالعنف بينما فضلت جماعة منهم الالتزام بالهدوء والروية والجنوح إلى المسألة خاصة وأنهم[3]يشكلون أقلية ضعيفة لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم فضلا عن تغيير الوضع لذلك قررت هذه الجماعة السفر إلى البصرة، وبانتقال هذه الجماعة وتمركزها في

[1] الفكر السياسي عند الإباضية مصدر سابق ص ٣٦.

[2] الحروريون هم الذين كانوا مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معركة صفين عام ٣٧هـ / ٦٥٧م ، ثم اعتزلوه لما قبل التحكيم ، واشتهروا في بداية أمرهم بالحروريين نسبة إلى قرية حروراء التي نزلوها لما غادروا معسكر علي رضي الله عنه في الكوفة والتي تبعد عنها بنصف فرسخ اي حوالي ٣ كلم ، والحروريون هم المحكمة الأولى ، معجم مصطلحات الإباضية ج١ ص ٢٦٦.

[3] الفكر السياسي عند الإباضية مصدر سابق ص٣٧ ص ٣٨ .

البصرة أصبحت تشكل فريقا تحول "من حزب علني معارض إلى حزب سري يتطلع إلى الوصول إلى السلطة وإقامة دولة إسلامية جمهورية وبعد وفاة أبي بلال انتقلت زعامة الفرقة إلى عبد الله بن إباض [1] الذي انفصل عن الخوارج سنة (٦٥هـ) ومكث بالبصرة مع أصحابه بعد خروج المتطرفين منها، يذكر هذه الحادثة عبد الله بن إباض نفسه وهكذا بدأت الفترة الأولى من الإباضية التي يمكن تسميتها بمرحلة الكتمان فيكون- إذن- مكوث غيرها من المتطرفين الخوارج، ومن ثم يمكن اعتبار هذه الحادثة من الناحية التاريخية سببا مباشرا لظهور فرقة الإباضية، إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن التأسيس الحقيقي للفرقة كان على يد الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني الذي انضم إلى جماعة أبي بلال مرداس بن أدية التميمي بعد مجيئه إلى البصرة، فكان لانضمام جابر إلى هذه الجماعة أثر بالغ في نشأة الإباضية وتحديد معالم أفكارها وآرائها، ولعل أهم شيء يجعل الإمام جابر يميل نحو جماعة بلال موقف هؤلاء من الأوضاع السائدة آنذاك حيث يرون أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية أمر لا يقبله العقل ولا الدين [2]، ولذلك آثرت هذه الجماعة الدخول في الكتمان على هذا الاختيار اجتهد الإمام جابر في نشر دعوته سرا حتى لا يتعرض لكل ما يؤذيه ويبيد أتباعه، وهذا ما شجع المعتدلين من بقية المحكمة على الالتفاف حوله والاستزادة من علمه، ولم يلبث أن أصبح رئيس الجماعة والمؤسس الحقيقي للحركة(٣٣) وحظي الإمام بمكانة عالية وثقة واسعة في مجتمع البصرة بفضل ثقله العلمي وموقفه الاعتدالي؛ كما كانت له علاقة طيبة بالحجاج بن يوسف الثقفي(٧٦- ٩٥هـ /٦٩٥- ٧١٤م) حيث دامت العلاقة بين جابر والحجاج في غاية

[1] الامام عبد الله بن إباض (٨٦هـ) هو عبد الله بن اباض بن تيم بن ثعلبه (ت ٨٦هـ ٧٠٥م) من بني مره بن عبيد رهط الاحنف بن قيس آل مقاعس التميمي فهو من قبيله تميم التي كان لها دور هام في الاحداث السياسية في صدر الدولة الأموية نشا في مدينه البصرة وعاصر فتنه افتراق المسلمين بعد صفين وكانت له مواقف حاسمه من تلك الاحداث فقد شب في زمان معاوية وادرك عبد الملك بن مروان يعد من التابعين ادرك كثيرا من الصحابة تراجم أئمة المذاهب مصطفى شريفي ج١ص٢٨.

[2] تراجم أئمة المذاهب مصطفى شريفي ج ١مصدر سابق ص٤٠.

من الثقة والود مدة طويلة"، وفي الحقيقة إن هذه السياسة التي كان الإمام جابر ينتهجها والتي تقوم على مبدأ الاعتدال والابتعاد ما أمكن عن بؤر التوتر وعدم الجهر بالرأي في وجه المخالفين، وهي ما تسمى (بالتقية الدينية) حيث لم ينفرد الإمام جابر بن زيد بالقول بمبدأ التقية والعمل به فقد قال بها صديقه الحسن البصري الذي يقول : التقية جائزة للمؤمنين إلى يوم القيامة ، ولقد طبقت الحركة الإباضية من بعد الإمام جابر هذا المبدأ وقام علماؤها بتأصيله وتبيين أحكامه وشروطه بحيث كانت عندهم جائزة في القول غير جائزة بالفعل وبشرط ألا تجر ضررا بإنسان أو تلق نفس في ذلك يقول السالمي :

أجز تقية يقول إن خلص من نيل خير من به القول يخص

وامنعها في إتلاف نفس أن جنى والخلف في إتلاف ما ضمنا[1]

فضلا عن استعراض الناس، والالتجاء إلى العنف لإثبات رأي أو دفاع عنه، كانت هذه السياسة هي الوسيلة الناجحة للمحافظة على الوجود الإباضي في وسط مفعم بالخلاف كثير الفتن، لا يرحم فيه أصحاب السلطة كل من شذ عن الرأي العام الذي تسيطر عليه الأسرة الأموية- آنذاك- وكان هذا النوع من التعامل السياسي يفرض على الإباضية- ومنظريها بالخصوص- الاحتكاك المباشر مع المخالفين وإظهار الرضى والود لكن ليس على حساب المبادئ الأساسية للمذهب، وتذكر المصادر أن جابر كان" يشترك مع الخوارج المتطرفين في مناقشات سياسية" وكان عبد الله بن إباض- من قبله- ينتهج الأسلوب نفسه في سياسة اللين مع الخليفة الأموي عبد الملك عن طريق المراسلات... وقد سجل التاريخ رسالتين لعبد الله بن إباض تدل على العلاقة الودية

[1] معجم مصطلحات الإباضية مصدر سابق ، ص ١٣١.

بينهما" كما كان عبد الله بن إباض صاحب مناظرات كلامية مع الخوارج [1]، ولا يكن يخفي شيء من أفكاره.

وجملة القول إن ظهور الإباضية ونشأتها تعود جذورها إلى التجمع العام لطائفة المحكمة [2] في النهروان (سنة ٣٧هـ/ ٦٨٥م) بعد الذي وقع في وقعة صفين، من تحكيم الحكمين، وقد رفعت هذه الطائفة شعارها" قبلت الدنية ولا حكم إلا الله".

أما ظهور الإباضية كفرقة مستقلة بآرائها معينة باتباعها وأعلامها، فكان ذلك تدريجا وفي مراحل استلزمت عقدا من الزمن انتهى بإعلان عبد الله بن إباض صراحة رفضه الخروج من البصرة مع المتطرفين من الخوارج وذلك سنة (٦٥هـ)فكانت هذه الحادثة الإعلان الرسمي لظهور الإباضية وتميزها عن بقية المذاهب[3].

وبالنسبة لمسمى الإباضية ،لم يرى الإباضية من ضرورة في هذه الانتماءات والتسميات وإنما الانتساب والتفاخر بالإسلام أولى وأجدى ، وقد ظلوا يسمون أنفسهم بمسمى المسلمين حتى القرن الثالث الهجري ، ولكنهم بعد ذلك التاريخ بدأوا يتسمون بذلك فمن مسمياتهم : المحكمة، لتحكيم أسلافهم شرع الله في وجوب مواصلة قتال الخارجين على خليفة المسلمين ، وهم الشراة لبيعهم الدنيا ، وحرصهم على الأخرى وأهل الدعوة وأهل والاستقامة[4] والربط بين المسميين الأخيرين ، وهو أن الدعوة منهجهم وطريقهم لتحقيق الغاية منها وهي الاستقامة ومن مسمياتهم أيضا جماعة المسلمين وليس معنى ذلك حصر الإسلام فيهم دون غيرهم، وإنما رفضوا التسمي بغيرها لأمور منها: التمسك

[1] الفكر السياسي عند الإباضية مصدر سابق ص٤١.

[2] هم سلف الإباضية الذين أنكروا التحكيم بين علي بني أبي طالب من جهة ومعاوية بن أبي سفيان ورفضوا نتائجه جملة وتفصيلا ولقولهم :" لا حكم إلا لله " معجم مصطلحات الإباضية ج١ص ٢٩٣.

[3] الفكر السياسي عند الإباضية مصدر سابق ص٤٢ .

[4] اسم أطلقه الإباضية على أنفسهم وظلوا يتداولونه في مصادرهم إلى يومنا هذا وكان استعماله أوسع في القرون الأولى ، وأهل الحق كانت تسمية للمحكمة الأوائل ، معجم مصطلحات الإباضية ج١ص ٧٩.

بالأصل والتفاخر بالجذر وهو الإسلام[1]، والرغبة في عدم الانتساب لأشخاص يصيبون ويخطئون فالأئمة وإن علوا إلا أنهم بشر، ثم الخوف على تعظيم الأشخاص على حساب النص[2]،لا تقليد إلا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وقد زار العلامة الأصولي أبو يعقوب الوارجلاني قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: لا تقليد إلا لصاحب هذا القبر ولكن يحسن الاقتداء بالصالحين والتشبه[3].

وظهور المذهب الإباضي في البصرة ،تزامنا مع عهد الدولة الأموية ،وما كانت تحمله من أفكار عن المذهب وما لاقاه علماؤه من اضطهاد بعد ذلك ، لهذا فأصل التسمية كما هو مشهور عند المذهب ، جاءت من طرف الأمويين ونسبوه إلى عبد الله بن إباض وهو تابعي عاصر معاوية وتوفي في أواخر أيام عبد الملك بن مروان ، وعلة التسمية تعود إلى المواقف الكلامية والجدلية والسياسية والعقدية والأخلاقية ، التي اشتهر بها عبد الله بن إباض في تلك الفترة [4].

أما بالنسبة لأعلام المذهب الإباضي فالمطلع على تاريخ المذهب الإباضي وسير أئمته عبر العصور منذ عهد الإمام جابر بن زيد تتجلى له حقيقة أن هؤلاء الرجال الذين أسسوا هذه الحركة إنما بنيت على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فقد كانوا فقهاء في الدين وتحلوا بالأخلاق الحسنة وعملوا على تربية المجتمع وفق للشريعة الإسلامية غلبوا جانب التربية الروحية وتهذيب النفس واستعدادها لتلقي العلم، والذي يكون بمقتضاه العمل وتجليه في سلوكهم ولا أدل على ذلك من إمام المذهب الذي كان همه تنمية هذا الجانب، الذي باستقامته تستقيم باقي الجوانب، والإمام هو جابر بن زيد الأزدي

[1] الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا مصدر سابق ص٤٥.

[2] المصدر نفسه ص٥٥ .

[3] المصدر نفسه ص٥٨.

[4] بكير بن سعيد أعوشت ، دراسات إسلامية في أصول الإباضية ،ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار التضامن القاهرة ص ١٤.

الإباضي مؤسس الحركة الإباضية بالبصرة في القرن الأول الهجري[1]، والذي أسس حركته الإسلامية على فضيلة التقوى التي هي أصل مكارم الأخلاق الإسلامية، وهذا ما تهدف إليه التربية الإسلامية فقد ضحى بزهرة حياته لتحقيق المجتمع الإسلامي القائم على أرضيته الصلبة "شهادة أن لا إله إلا الله " وأن محمدا رسول الله، بهذه الشهادة يتقرر نظام حياة البشرية كلها مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وجنسياتهم وأوطانهم،{ ولد ١٨-٢٢هـ}و{ت ٩٣هـ}بالبصرة[2]، حيث تمكن جابر بن زيد من أن يأخذ العلوم الشرعية عن الصحابة رضي الله عنهم كعبد الله بن عباس ،وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن مسعود، وأنس بن مالك ، وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها التي كان يسألها عن الرسول ﷺ قولا وعملا وكل ما يتعلق بحياته الخاصة والعامة ويروى عن جابر بن زيد أنه كان يقول: {أدركت سبعين بدريا فحويت ما عندهم إلا البحر} ويعني عبد الله بن عباس[3].

والإمام جابر بن زيد من أوائل التابعين الذين عنوا بتدوين الأحاديث والسنن فقد احتل مكانة مرموقة بين أقرانه فيكون بذلك جابر قد سبق أئمة المذاهب الأربعة {الحنفي، المالكي ،الحنبلي، الشافعي} فكل هؤلاء جاءوا بعد الإمام جابر، فأخذ حظه قبلهم فروى عنه أكثر أهل المذاهب ووثقه جميع نقاد الحديث وأجمعوا على عدالته وضبطه وأمانته واعتبره أهل الحديث من المحدثين[4]، الثقات ومن الفقهاء البارزين بل اعتبره من رجال أصح الأسانيد لكونه أقدم الأئمة إذ أخذ علمة من مصادره الصافية ، فمصدره الكتاب والسنة الصحيحة التي رواها الثقات[5]، عاش الإمام جابر بن زيد بالبصرة فترة من

---

[1] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون في دائرة الإسلام مصدر سابق ص ٢١٤ .

[2] المصدر نفسه ص ٩.

[3] بكير بن سعيد أعوشت ، دراسات إسلامية في أصول الإباضية مصدر سابق ص ١١ .

[4] زيانة بنت خلفان الحارثية ،الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي ، ص١١٢.

[5] المصدر نفسه ص ١١٣ .

أهم فتراتها السياسية فاتبع التنظيم السري الدقيق خشية سقوط دعوته في بداياتها فأخذ هو وأصحابه يبثون فكرهم ويقنعون الناس بهذا الفكر وإن كان تقبل الناس لهذا الفكر عسيرا في ذلك الوقت مع إغراق بن أمية البلاد بالفساد ولكن مع ذلك اقتنع من اقتنع بهذا الفكر فإذا رأى الإمام جابر أن فئة من الناس اقتنعت بفكره دعاهم إلى مذهبه في سرية تامة حتى لا تبطش به السلطة الأموية الجائرة لأن الإمام جابر كان يرى رأيا مخالفا لرأي الدولة الأموية فكان لابد للذي يريد إحداث التغيير وإعادة الأمر إلى نصابه على طراز عهد النبوة والخلافة الراشدة الأولى أن يتحلى بالصبر مع العمل الحثيث من وراء الستار وهكذا كان الإمام جابر بن زيد، حيث سعى جاهدا على أن تبقى الحركة سرية [1]، لأنه يؤيد الثورة ضد الظلم إلا أنه لم يؤثر عنه أنه اشترك في ثورة علنية [2]، وكذلك من سياسته في إنجاح دعوته بسرية تامة يأمر أصحابه إذا ترك أحدهم مذهبه وتخلى عن مبادئه دون أن يطعن في أصحابه القدامى أو يفشي أسرارهم كانوا يتبرأون[3] منه ولا يتعرضون له ويعتبرونه واحدا من المخالفين الذين لا تحل دماؤهم إلا إذا بدأ بالعدوان ولكن إذا ترك منهم المذهب وعاب عليهم وطعن في معتقداتهم وأفشى أسرارهم وتسبب ذلك في قتل أحد من أهل الدعوة أحل دمه[4]، إن سياسة جابر الناجحة في طور الكتمان ميزت دعوته عن جميع الفرق في تلك الفترة الزمنية بالحذر والحيطة والصبر وتحمل المشاق والبعد عن الثورات وبث العيون في المجالس ساهم كل ذلك في نشر

[1] زيانة بنت خلفان الحارثية ،الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي مصدر سابق ص١٣٢ .

[2] المصدر نفسه ص ١٣٤ .

[3] البراءة: هي البغض في الله بالقلب لمن ثبت ارتكابه للكبيرة وعدم الاستغفار له وعدم الدعاء له بخير الآخرة وهي من الأصول المنصوص عليها في الكتاب والسنة وقد عني بها الإباضية في مؤلفاتهم العقدية كما أسهب إباضية المشرق في تفريعاتها نتيجة لأحداث تاريخية حاسمة مرو بها معجم مصطلحات الإباضية ص ١٠٠، في الذهب الخالص : البراءة لغة البعد عن الشيء والتخلص عنه وعلى ذلك تبنى البراءة الشرعية ص٤٤، وشرعا البغض والشتم واللعن للكافر لكفره الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ت: أبو إسحاق ابراهيم اطفيش دار البعث ، قسنطينة ، ص٤٥.

[4] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون في دائرة الإسلام مصدر سابق ص ١٣٥ .

مذهبهم بسرعة فائقة دون انكشاف أمرهم{ومن أشد الولاة الذين عرفوا بالقسوة في البصرة : هم زياد بن أبية ثم ابنه عبيد الله ثم تولاها الحجاج بن يوسف الثقفي الذي استمر واليا عليها حتى وفاة جابر[1]، وكان هؤلاء الولاة الثلاثة قد رسخوا في أذهان الناس بأن ينقادوا لهم سواء بروا أو فجروا، عدلوا أو جاروا وأن على الناس أن يخضعوا خضوعا تاما بحيث يطاع هذا المتسلط ولو أخذ مال الإنسان وضرب ظهره وهذا خلاف ما جرى عليه العمل في عهود الخلافة الراشدة فقد استعبدوا الناس واتخذوا أموال الله دولا وعباده خولا وهذا المنهج رضيه من رضيه من الناس وقد رفضة الإباضية رفضا، رغم ذلك استطاع الإمام جابر بن زيد بدهائه السياسي التعامل مع الدول الأموية بالود والمرونة مفضلا اتباع السرية والكتمان في دعوته التي ترمي في النهاية إلى تأسيس خلافة علية يعين فيها خليفة المسلمين من بين أتباعه[2]، واستطاع الإمام جابر رغم الظروف الحالكة والسرية التامة أن يخرج رجالا يعول عليهم في القيام بمهام شؤون الدعوة في حياته وبعدها، وكذلك تمكن من توسيع نطاق دعوته على امتداد واسع ولزيادة أتباعه ومناصريه داخل وخارج البصرة، وأيضا بناء قيادة داخل البصرة بتكوين مجموعة من تلاميذه النجباء الذين تميزوا بالمنزلة والعلم[3]، ومنهم ،مسلم بن أبي كريمة –أبي نوح صالح الدهان – ضمام بن السائب –أبي مودود حاجب الطائي –وجعفر بن السماك – أبي هارون العماني ، اهتم بتثقيفهم علميا و أخلاقيا وإداريا وسياسيا حتى يكونوا زعماء ،خلالها أيضا قام الإمام بتشكيل مجلس شورى يضم هذه النخبة من أتباعه فكان يستشيرهم في مختلف المسائل التي تطرح عليه في أمور الدعوة فلو حدثت مشكلة كان يرسل أحدا ليحلها فقد كان يدرك أهمية وجود نخبة من أتباعه قادرة على الافتاء في المسائل الفقهية وذات كفاءة على الإدارة التنظيمية تعينه على نشر الدعوة وتحافظ على التنظيم في البصرة

[1] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون في دائرة الإسلام ص ١٣٦ .

[2] المصدر نفسه ص ١٣٧ .

[3] المصدر نفسه ص١٤١.

والأمصار المختلفة إذ كان يهيئهم للمراحل القادمة، ويبدوا أن الإمام جابر كان يهيئ الخليفة من بعده بأن تكون من أهل العلم، فتفوق أحد أتباعه وأصبح زعيم الحركة بعد وفاة الإمام جابر وهو أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة[1].

وكان أكثر تركيز الإمام جابر في تخريج قادة فقهاء وعلماء عاملين وعباد زهاد من بعده على الجانب الأخلاقي، من تربية النفس والتزامها بأوامر الله وانتهائها عن نواهيه، ويظهر ذلك الاهتمام من خلال رسائله لدعاته أنهم أصحاب ورع[2] وتقوى وقد تنزهوا عن شهوات الدنيا حيث يقول لأحد الدعاة : وأما ما ذكرت أنه يهدي إليك أقواما يرجون نفعك ولا تستطيع لهم نفعا فلا تقبل منهم هدية ، وفي كل رسائل جابر يذكر أتباعه بالتقوى وما هو عاقبته، فيقول لأحدهم : أوصيك بتقوى الله الرب العظيم، وقال لآخر: أوصيك بتقوى الله الذي أذعنت له الملائكة[3]، وبه قويت للذي قصد لها إليها منه فاتق الله واعلم أن التقوى عليها تعرض الأعمال، ويحذر الإمام الدعاة من الغرور والافتتان بالدنيا ويطلب منهم معاملة الناس باللطف والمساواة بينهم والعدل وعدم الظلم حيث يقول : فإذا جاءك كتابي فبع دنياك واشتري بها دينك فهلاك دنياك ليس بخطر لدينك[4]، كان مهتم بالحج فلا ينقطع عنه سنة ويقال أن جابر بن زيد تنقل بين البصرة

---

[1] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون في دائرة الإسلام ص ١٤٣ .

[2] الورع : هو تجنب ما لا بأس به ، مخافة الوقوع فيما فيه بأس ، ويعني ذلك ترك محارم الله سبحانه وتعالى وترك ما يمكن تركه من مكروهات الدين في اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع في المحرمات ومحاسبة النفس في كل لحظة ويشمل اجتناب كل مستقبح شرعا صغيرا أو كبيرا واجتنابه يتصور بتركه وبذاته ويتصور بترك ما يوصل إليه ، والورع يحصل بالابتعاد عن مظان عدم التورع لا بالقرب منها مع كف النفس عنها ، أي لا يحصل الورع لمن يقرب من مظان المعاصي ويتكلف كف النفس عنها إذ يعسر عليه الكف عنها مع القرب منها وقد جعل الإباضية الورع قاعدة أساسية من قواعد الإسلام والورع أربعة أقسام : ورع العدول : وهو اجتناب الحرام المنصوص عليه ، وورع الصالحين : وهو الوقوف عند الشبهات ، وورع المتقين : وهو أن يترك الرجل مالا بأس به مخافة أن يؤديه إلى ما لا بأس فيه ، وورع الصديقين : وهو أن يترك الرجل ما لا بأس به ولا يخاف أن يؤديه إلى ما فيه بأس فيه ومن نتائج الورع في التعامل مع أحكام الدين قاعدة الأخذ بالأحوط التي يجنح الإباضية إليها في كثير من الأحكام ، معجم مصطلحات الإباضية ج٢، مصدر سابق ص ١٠٦٢.

[3] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون في دائرة الإسلام مصدر سابق ص ١٤٦

[4] المصدر نفسه ص ١٤٧.

ومكة حاجا ما لا يقل عن أربعين مرة[1]، ويذكر عنه في مسألة الكبيرة وأثرها على القلوب أنه قال : كل كبيرة يختم بها على قلب صاحبها [2]، وأنه لا تقوى إلا بتعظيم الله تعالى وحسن الظن به مهما كانت المحن والإخلاص له في السر والعلانية بمثل هذه المعاني يوصي الإمام جابر أتباعه : وأوصيك بتقوى الله الرب العظيم الذي يعلم منك ما تجهل من نفسك والذي اطلع على ما يضمر قلبك وما تختان عينك وما تبدي أو تخفي في نفسك وهو أقرب إليك من حبل الوريد فانظر إلى هذا الرب الذي نزل منك هذه المنزلة فكم منه أشد مخافة وله أشد اتقاء من غيره ، ومن هذه الوصايا أيضا : وأوصيك بتقوى الله والتوكل عليه والتفويض إليه وحسن الظن به فإن الله نازل من الناس على ظنهم به فالظانون به ظن السوء عليهم دائرة، فاحذر أن يرديك ظنك بالله، واعلم أن العباد من ذلك أمور شتى ونيات مختلفة فإن استطعت ألا تقيم ساعة من نهار وليل على أمر تعرف أنه لله سخط فافعل[3]، ويتضح فكره من خلال تعريفه للإيمان فيقول: الإيمان عقيدة في الجنان وقول باللسان، وعمل بالأركان، ومبدأ ثبت عليه الإباضية عبر الزمان والمكان نابع من رسول الله ﷺ ومن إما مهم جابر بن زيد[4].

ومن رسائل الإمام جابر: في التقوى يقول تَعَالَى:﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ﴾[5] وحسب الإمام جابر هذا اللباس يرفع درجة صاحبه إلى أعلى الدرجات عند الله فيقول : فإن أهل التقوى نزلوا من الله منزلة لم ينزلها أحد من خلقه حتى ألطفهم المودة وصافاهم في النصيحة واصطفاهم بالكرامة فما ينتهي بهم المنزل حتى أعطاهم الحب منه فبلغ حبه لهم

[1] بكير سعيد أعوشت ، رجال خالدون مصدر سابق ص ١٥٠.

[2] المصدر نفسه ص١٦٩.

[3] فرحات بن علي الجعبيري ، الإمام جابر بن زيد ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، الضامري ، عمان ص ١٠٤.

[4] المصدر نفسه ص ١٠٥ .

[5] سورة الأعراف الآية ٢٦ .

أن لهم أن أبغض من أبغضهم واعلم أنه يبلغ من كرامة المتقين على الله أن أحب من أحبهم ووالى من والاهم وأكرم من أكرمهم حتى صنع بهم في الأمور كلها خيرية لهم في بلاء ابتلاهم به من قوت رزق، أو ضرر في قسم أو كرب كريم وإنما يصنع ذلك لخير يريده بهم والتقوى حسب الإمام لا تستحق بمجرد القول بل لابد من أن تردف بالعمل " فإن استطعت أن تستحق التقوى بقولك وعملك فافعل[1].

وقد نسب الإباضية إلى الإمام عبد الله بن إباض المري التميمي البصري، لما عرف عن الإمام من غيرة في الله شديدة وقوة في الحجة وقدرة على المناظرة وسرعة في البديهة واستحضار للدليل من الكتاب والسنة ومواقفه السياسية الظاهرة ورسالته القيمة التي تعتبر وثيقة أخلاقية والتي كانت موجهة إلى الملك الأموي عبد الملك بن مروان تنبئ عن علم غزير ورسوخ قدم في الفقه وتبين أنه ليس ممن يتقرب بعلمه أو يتاجر بدينه مقابل دراهم معدودة أو منصب أو جاه فلا تعرض لي بالدنيا فإنه لا رغبة لي في الدنيا وليست من حاجتي ولكن لتكن نصيحتك لي[2]، في الدين، ولما بعد الموت، فإن ذلك أفضل النصيحة ، فإن الله قادر أن يجمع بيننا وبينك على الطاعة ، ومع ذلك لا يؤثر عن الإمام إلا هذه السيرة العطرة، قال الإمام نور الدين السالمي في كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة :

ونحن الأولين لم يشرع لـنـــــا نحل إباض مذهبا يحملنـــا

من ذاك لا تلقى له في المذهب مسألة نرسمها في الكتـــب

ومن أسباب عدم تمكن الإمام من تدوين علمه فقهه :اشتغاله بالمناظرة والمحاورة ورد الشبهات ودفع الخصوم واشتغاله بالسياسة فهو بمثابة الناطق الرسمي باسم الإباضية.

[1] فرحات بن علي الجعبيري ، الإمام جابر بن زيد مصدر سابق ص ص١٠٤.

[2] الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا مصدر سابق ص ٥٧ .

عبد الله بن إباض ابن تميم بن ثعلبة بني مرة بني عبيد رهط الأحنف بن قيس آل مقاعس التميمي ومن احدى قبائل مضر الرئيسية ، ولا يعرف شيء عن تاريخ ولادته وعن حياته الأولى ويذكر آمحمد اطفيش أن عبد الله بن إباض انتقل من نجد موطن قبيلته إلى البصرة وتقول بعض الروايات أنه كان صحابيا لفترة قصيرة وكل المصادر الإباضية وغير الإباضية تجمع على أنه من طبقة التابعين الذين عاشوا في النصف الثاني القرن الأول الهجري ، وتجمع المصادر الإباضية وغير الإباضية باستثناء الملطي على أنه تنسب إليه الإباضية مع اختلاف بين في تمثل في أن المصادر غير الإباضية تعتبر الإباضية فرقة من أهم فرق الخوارج[1]، بينما تجمع المصادر الإباضية على أنهم من الخارجية براء مع العلم أن هذه التسمية لم ترد في المصادر الإباضية الأولى وإنما كانوا يتسمون بجماعة المسلمين، أو أهل الدعوة أو أهل الاستقامة ويؤكد النامي على أن هذه التسمية بالإباضية ظهرت لأول مرة عند عمروس بن فتح[2] ٦٨٠-٧٩٣ وقد استمرت التسمية بالإباضية بعد ذلك وقبلها أهل العلم وعامة أتباع المذهب لأنهم يعتبرون أن عبد الله بن إباض علم من أعلامهم وإمام من أئمتهم الأول الذي كان ينافح عن مبادئهم إلى جانب الإمام المربي الأس للمذهب عندهم بدون منازع الإمام جابر بن زيد الأزدي(٩٣-٧١١)[3]، والإمام جابر عند إمام الجرح والتعديل "يحي بن معين[4] " بصري ثقة، مع

[1] فرحات بن علي الجعبيري ، شخصيات إباضية . مكتبة الضامري ط١ ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م سلطنة عمان ص ٩.

[2] هو الشيخ عمروس بن فتح المساكني النفوسي ويكنى بأبي حفص ١٧٧، لقد تبوأ الشيخ عمروس مكانة علمية سامقة حتى عد أعلم أهل زمانه ، وأصبح مقصد الوارد...أنظر كتاب مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقائدي ، بحث مفصل عن حياة الشيخ عمروس ص٢٣٣.

[3] فرحات بن علي الجعبيري ، شخصيات إباضية مصدر سابق ص ١٠

[4] الإمام يحي بن معين : هو يحي بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبد الرحمن وقيل في نسبه غير ذلك المري الغطفاني ، مولاهم أبو زكريا البغدادي إمام الجرح والتعديل ص ١٦٨، وقال أبي بكر بن أبي خيثمة : ولد يحي بن معين سنة ثلاث وخمسين ومئة ومات بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة إلا نحوا من عشرة أيام ، وقال الخطيب : كان إماما ربانيا عالما حافظا ثبتا متقنا. تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩١م، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ج٦ ص١٨٢.

معرفته بعقيدته السياسية إذ قال فيه : كان جابرا إباضيا ،وبذلك يكون الإمام جابر قد نال ثقة علماء عصره ، ومن قبلهم من صحابة رسول الله ﷺ[1] ويذكر نفس الرواية الشيخ التواتي في كتابه الفقه المقارن بين الإباضية والمالكية ،إثبات كون الإمام جابر إباضيا يقول : [لا يختلف الإباضية أبدا في أن الذي أرسى قواعد المذهب الإباضي هو الإمام جابر بن ريد ، فهو المؤسس الحقيقي للمذهب الإباضي وهو الذي حدد معالمه السياسية والدعوية والفقهية وقد لقي بسبب ذلك ضروبا من المحن كالسجن في زمن عبيد الله بن زياد]، ونسبة الإمام جابر اكدها الإمام يحي بن معين يقول: صالح الدهان قدري وكان يرضى بقول الخوارج ،وذلك للزومه جابر بن زيد ، وكان جابر بن زيد [2] إباضيا وعكرمة صفريا وكان عمرو بن دينار يقول ببعض قول جابر وبعض قول عكرمة [3]،الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد من أعظم رجال المذهب الإباضي وأئمته، وهو أبوا الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني المولود عام ١٨هـ _ ٦٨م بالبصرة بقرية قريبة من ولاية نزوى عاصمة المملكة العمانية ت ٩٣هـ _٧١١م، نشأ أولا بعمان ثم ارتحل إلى البصرة لأجل طلب العلم فأقام بها إلى أن مات، فنسب إليها وكان أعلم أهل زمانه وأحفظهم للحديث النبوي وأتقاهم لله عز وجل، أخذ العلم عن كثير من الصحابة ومما قاله في نفسه في هذا المعنى تحدثا بنعمة الله عليه :[أدركت سبعين رجلا من أهل بدر فحويتما عندهم من العلم إلا البحر الزاخر] يعني سيدنا عبد الله بن عباس جد العباسيين وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما أخذ جابر عن ابن عم الرسول ص فكذلك أخذ عن أشهر أزواجه السيدة عائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما وفي التنويه بغزارة علمه قال ابن عباس، اسألوا جابر بن زيد فلو سأله من المشرق والمغرب لوسعهم علمه ،

[1] حلية الأولياء ج١.مصدر سابق ص ٧٢.

[2] التواتي بن التواتي ،كتاب الفقه المقارن –الفقه المالكي والفقه الإباضي– دراسة تقابلية بين المذهبين من حيث الأصول والفروع –ج١– ط١٢٠٠٩م–رويغي – الأغواط–الجزائر –ص٣٦ .

[3] المصدر نفسه ص ٣٧ .

ولما مات جابر ، قال أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مات اليوم أعلم من في الأرض) وقال إياس بن معاوية: (رأيت البصرة وما فيها مفت غير جابر بن زيد) .

ومن المأثور أنه لما قربت وفاته تمنى رؤية الحسن البصري فجاءه الحسن مسرعا هو وثابت فسأله جابر ، أخبرني يا أبا سعيد عن حديث ترويه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المؤمن إذا حضرته الوفاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إن المؤمن إذا حضرته الوفاة وجد على كبده بردا، فقال جابر الله أكبر إني أجد على كبدي بردا ثم قبض عليه رحمه الله ورضوانه ، وكان هذا الإمام أكثر المناظرين للخوارج المارقين[1].

وعن أول داع لمذهب الإباضية بالمغرب ورد في كتاب طبقات المشايخ :قول الشيخ الدرجيني في الطبقات :حدث غير واحد من أصحابنا عن الإمام أفلح عن ابنه عبد الوهاب عن جده عن عبد الرحمن بن رستم أنه قال: أول من جاء يطلب مذهب الإباضية ونحن بقيروان افريقية سلمة بن سعيد قال قدم علينا من أرض البصرة ومعه عكرمة مولى ابن عباس متعقبين على بعير فسلامة يدعوا إلى مذهب الإباضية وعكرمة يدعوا إلى مذهب الصفرية[2] ، فسمعت سلامة يقول وددت لو ظهر هذا الأمر يعني مذهب[3] الإباضية يوما واحدا من أول النهار إلى آخره فلا آسف على الحياة بعده، فقام عبد الرحمن مجتهدا في ذلك الأمر فقال له رجل من أهل الدعوة إن كنت تريد العلم بما كلفت به وعلقت مطلبه بخاطرك فدونك أرض البصرة فإن بها رجلا عالما يكنى أبا عبيدة

[1] الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا مصدر سابق ص٣١ .

[2] الصفرية : قوم من الحرورية نسبوا إلى عبد الله بن صفار ويكون من النسب النادر أو إلى رئيسهم زياد بن الأصفر الملل والنحل مصدر سابق ص ١٣٤.

[3] المصدر نفسه ص ١١.

مسلم بن أبي كريمة التميمي فإنك تجد عنده ما تطلب فلذلك توجه عبد الرحمن بن رستم إلى البصرة رحمه الله [1].

ولم يكن أسلاف الإباضية يطلقون على أنفسهم الإباضية وإنما أطلق هذه التسمية عليهم غيرهم وقبلوا بها بعد قرن من التاريخ وإنما كانوا يطلقون على أنفسهم أهل الدعوة أو أهل الاستقامة، والسبب بتسميتهم أهل الدعوة لأنهم قاموا بهذه الدعوة ، وانتشر الفكر الإباضي الجابري في الآفاق شرقا وغربا وجنوبا وشمالا الإمام جابر بن زيد وهو ثقة مطلقة عند الأمة هذا الإمام هو الذي أسس الدعوة عند الإباضية وورع الدعاة في الأمصار ، وجاء الطلاب من جميع الأصقاع فدرسوا على يديه وانتشر طلابه شرقا وغربا[2]، حيث أجمعت الأمة على توثيقه كان في البصرة، فتكون الاطار العلمي الأكاديمي للبحث الإباضي في ذلك المكان البصرة وهو الإمام الأول ثم يرسل هذا المركز الإشعاعي خيوطه إلى شرق الأرض ومغاربها وإلى جنوبها وإلى شمالها وتنتهي حياة ذلكم الرجل العظيم وإذ يخلفه أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي يقود زمام الأمر ليكون خليفة صدقا وحقيقة لذلكم التابعي العظيم ، رغم أنه ضريرا وكان مطاردا من قبل الدولة الأموية وولاتها إلى أن اختفى في سرداب شكل فيه معهدا عالميا قصده طلبة العلم من الجنوب والشمال والشرق والغرب فالتقى ذلك الجمع الكريم الذي كان له الفضل في انتشار الفكر الإباضي إلى كل هذه الأقطار وذلك بفضل شيخهم وإمامهم أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الذي حمل مشعل الإمامة والدعوة ونشر العلم بعد الإمام جابر بن زيد ، وحرص على تكوين قادة سياسيين علماء وفقهاء ثم أطلق عليه تاريخيا اسم حملة

[1] فرحات بن علي الجعبيري شخصيات إباضية ،. مصدر سابق ص١٢.

[2] أحمد بن سعود السيابي تح زاهر بن سعود بن سيف السيابي لدعوة عند الإباضية الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م الضامري عمان ص ٦٥.

العلم[1] إلى المشرق وإلى المغرب في ذلك المعهد السردابي[2]، القفاف أو السرداب[3]، ما الذي حملهم على هذا في حين الآخرون ينعمون بالراحة وينعمون بالماء البارد وبالحياة الطيبة ، بالتزلف الوظيفي إلى الولاة الظلمة الأمويين هذا يريد أن يكون قاضيا وهذا يريد أن يكون واليا ...إلخ ولكن هؤلاء يعيشون في ذلك السرداب يحذرون البطش الأموي ، والظلم والجبروت والطغيان فالمؤمن يجب أن يكون حذورا لا أن يكون خائفا وهم يحذرون من هؤلاء الظلمة تكبدوا مشاق الحياة ليعيشوا في ذلك السرداب على حذر من أن تصطادهم عيون الولاة هم آثروا تلك الحياة، ما لذي حملهم على ذلك ؟ إنه الإخلاص لله حملهم الإخلاص[4]، لإقامة دولة الحق، حملهم الإخلاص لتصحيح صورة الإسلام التي شوهت تشويها كبيرا من قبل الدولة الأموية وولاتها في العالم ذلكم العملاق العظيم أبو عبيدة ومن معهده السردابي العالمي كان ينابع ما آلت إليه أحوال المسلمين فيرى أنه لابد من تصحيح صورة الإسلام التي شوهت مع هذه الشعوب حتى لا يرجعوا إلى كفرهم وحتى لا يتركوا الإسلام وحتى لا يعلموا أن الإسلام ليس هو الإسلام الأموي،

---

[1] حملة العلم: وهم التلاميذ الذين تخرجوا في مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة في النصف الأول من القرن الثاني من الهجرة الثامن للميلاد حيث أخذو عنه أصول الدين والفقه الإسلامي ومبادئ السياسة الشرعية وانتقلوا إلى بلدانهم علماء دعاة إلى الحق والاستقامة يشكلون النواة الأولى للفكر الإباضي والعمل السياسي في مناطقهم بالمشرق والمغرب ، أما حملة العلم من عمان: أبو المنذر بشير بن المنذر النزوي ، والمنير بن النير الجعلاني ، وموسى بن أبي جابر الأزكوي ص ٣٠٧، ومحمد بن المعلى الكندي ، ومحبوب بن الرحيل الصحاري ، وحملة العلم من أهل المغرب : عبد الرحمن بن رستم من القيروان ، تونس، و أبو المنيب إسماعيل بن درار الغدامسي من غدامس ، ليبيا ، وأبو داود القبلي النفزاوي من نفزاوة تونس ، وعاصم السدراتي من الأوراس الجزائر وأما من اليمن : فأبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، ومصطلح حملة العلم له أكثر من دلالة في نشأة الحركة الإباضية إذ يمثل ثلة من علماء الإباضية وبواكير الدعوة عندها كما أنه يحمل الإجلال والتقدير لهؤلاء التلاميذ الأوائل الذين هاجروا في سبيل طلب العلم من منابعه الأصلية في المشرق الإسلامي ثم نشروه في الآفاق ، معجم مصطلحات الإباضية ج١، ص ٣٠٨.

[2] الدعوة عند الإباضية الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص١٣.

[3] السرداب: مدرسة أبي عبيدة عبارة عن سرداب في الأرض ، يحلق التلاميذ حول شيخهم متظاهرين بصنع القفاف حتى سمي الإمام أبو عبيدة مسلم بالقفاف وذلك احتياطا من عيون بني أمية وبني العباس ، معجم مصطلحات الإباضية مصدر سابق ج١ص ٣٠٧.

[4] الدعوة عند الإباضية الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص١٤.

إنما هو الإسلام[1]، المحمدي الذي سار عليه محمد صلى الله عليه وسلم خلفاؤه الكرام في الخلافة الراشدة مع ما نالها من بعض التصحيف والتحريف في أواخرها وسار عليه أصحابه الكرام رضي الله عنهم ثم قرر الإمام الكبير أن يرسل من يصحح صورة الإسلام هناك فوقع اختياره الموفق على طالب من طلابه إنه سلمة ابن سعد الحضرمي ذلكم الجندي المجهول في تاريخ الدعوة الإسلامية يعتبر أهم رجل ربط المشرق بالمغرب إباضيا فلولا فضل الله أولا ثم جهود سلمة بن سعد الدعوية لم يكن هذا التواصل الحضاري الثقافي بين إباضية المشرق وإباضية المغرب فبفضله بعد فضل الله انتشر الكتاب المشرقي في المغرب وانتشر الكتاب المغربي في المشرق [2]، ذهب إلى المغرب الأوسط وبدأ بالدعوة وتصحيح صورة الإسلام قائلا للمسلمين هنالك، هذا هو الإسلام المحمدي غير الإسلام الذي يمارسه هؤلاء الظلمة فأخذوا يقتنعون بدعوته وإذا بهم يقتنعون بدعوته وإذا بهم يقبلون على هذا المذهب[3]، كان رضي الله عنه يقول ...وددت لو أن ظهر هذا الأمر من أول النهار إلى آخره فلا أبالي أن تضرب عنقي[4].

هل المقصود بهذا الأمر، المذهب الإباضي أم الفكر الإباضي أم إقامة دولة إسلامية ؟ كلا الأمرين قد تحقق وانتشر المذهب الإباضي، وانتشر الفكر في تلك الأصقاع ، وتحقق قيام الدولة الإسلامية الإباضية التي بدأت في طرابلس على تلك البدايات البسيطة على يد الحارث بن تليد وقاضيه عبد الجبار أو تلك الدولة الكبرى الناجحة دولة أبي الخطاب المعافري[5]، فالداعية الكبير سلمة بن سعد كان يتمنى إقامة نظام إسلامي بديلا عن ذلك النظام الحكمي الذي هو تحت مسمى الدولة الأموية وقد تحقق له ما أراد ولله الحمد

[1] الدعوة عند الإباضية الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص١٥.

[2] المصدر نفسه ص ١٧ .

[3] المصدر نفسه ص ١٩.

[4] المصدر نفسه ص٢٠.

[5] المصدر نفسه ص ٢٢.

نتيجة ذلك الإخلاص فإذا بالمذهب ينتشر في تلك الأماكن انتشارا كبيرا وإذا بالدولة الإسلامية تقوم بدءا من عهد أبي الخطاب المعافري ١٤٠هـ- ١٤٤هـ وإلى نهاية الدولة الرستمية المباركة ١٦٠هـ -٢٩٦هـ وبعد ذلك خلفتها بصورة أقل الإمارة الإسلامية الإباضية في وارجلان، الإباضية يستمدون أصول ومبادئ الدعوة من النبي صلى الله عليه وسلم وهو قدوتهم .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: :مكانة المذهب الإباضي بين الفرق

استمر خلف الإباضية على منهاج سلفهم في الذود عن الخلافة، وإن تحفظوا عليها خاصة في عصورها الأخيرة، فها هو العلامة المؤرخ سلميان باشا الباروني يذود عن الخلافة العثمانية ويستفرغ جهده دحرا لأعدائها المستعمرين ، لا يمنعه مانع فكري من نصرتها ، ولا يستنكف من أن يكون جنديا من جنودها وإن كانت حنفية المذهب وهو إباضي المذهب فالمسلمون إخوة ، سنة وشيعة وإباضية ومعتزلة[1]، والحكم في ذلك قوله تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [2]كما ساهم الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي الإباضي في تثبيت دعائم الخلافة العثمانية السنية الحنفية [3].

وقيل أن الإباضية أقدم وأعتق مذهب إسلامي وفي هذا يقول الدكتور عمر با عمر بن الحاج صالح با، صاحب كتاب دراسة في الفكر الإباضي: الإباضية في الصحيح أحد المذاهب الإسلامية ولعله أقدم واعتق مذهب إسلامي فله جذور ضاربة في عمق التاريخ الإسلامي ويمكن فهم ذلك بسهولة خلال مقارنة تاريخية زمنية بين مؤسسي المذهب الإباضي أمثال عبد الله بن أباض وجابر بن زيد الأزدي التابعين ومؤسسي المذاهب الأخرى [4].

وقال السيد مصطفى بن اسماعيل المصري :إن المذهب الإباضي نسبة إلى عبد الله بن إباض هو أقدم المذاهب تاريخيا وأوثقها مصدرا وأصحها تأويلا وأحفظها لطهارة الدين الحنيف ونقاوته وسماحته و زكاوته وعلى ذلك فليس ثمة مراء في أنه هو الطريق الحق الذي

---

[1] المعتزلة :ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ، وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال لما اعتزل مجلس الحسن البصري يقرر أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر وبين المنزلة بين المنزلتين. الملل والنحل مصدر سابق ، ص٣٨

[2] سورة الأنبياء الآية ٩٢.

[3] الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا ، د. إسماعيل بن صالح الأغبري ،ط١، ١٤٣٤هـ،٢٠١٣م، وزارة الاوقاف ص٣٥.

[4] بكير بن سعيد أعوشت، الإباضية في مرآة علماء الإسلام قديما وحديثا ط١، ١٤٣٤هـ، الضامري ،سلطنة عمان ص ٥٩.

كان مضى عليه رسول الله ﷺ والصحابة فالإباضية هم جزء من المجتمع الاسلامي العام فيهم الورع النقي والأمين الكريم وفيهم كذلك[1]،العاصي الكاذب الأناني إلا أن الإسلام العملي لا يزال هو المهيمن العام على حياتهم الاجتماعية حيث قال الاستاذ السوري خالد أحمد الشلتوت عن مشكلة سفور المرأة المسلمة واختلاطها بالرجال حين لاحظ أن هذه الظاهرة تنعدم عند المرأة المسلمة الإباضية فقال : وممن تقر نساؤهم في البيوت في زماننا هذا إلا الإباضيون في الجزائر حيث يمنعون بناتهم من دخول المدارس العامة لأنها مختلطة ويفتحون مدارس أهلية تعلمهن أحكام الدين والقراءة والكتابة ثم يعلموهن الصناعات المنزلية كالسجاد والتفصيل والخياطة[2].

ومن هذا المنظور الإسلامي نجد أن كثيرا من إخواننا المسلمين يصفون الإباضية بالغلو والتشدد في السلوك لأنهم يأخذون بالأحوط أي يقدمون شيئا قليلا ليربحوا أشياء كثيرة وإذا افتقد الشيء القليل فلأن الإنسان لا يتأسف " وحينما نعود إلى سلوكهم التعبدي في الصلاة فهم يرونها أنها تقوم أساسا على الطهارة القلبية والطهارة المادية بحيث أوجبوا الجمع بين الاستبراء والغسل اعتمادا على الأدلة الشرعية الواضحة لقوله تعالى ﴿ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾[3]، وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :"من تضأ فليستتر ومن استجمر فليوتر"[4]، ومن الثابت تاريخيا أن المذهب الإباضي في عمان أقدم من اسمه كما أن الإباضية في عمان قديمة قدم الاسلام فيها كذلك تعتبر عمان الوطن الأم للإباضية في العالم الإسلامي[5].

أما الفرقة الناجية فتتمثل في كل مسلم طبق الاسلام في سلوكه العملي الصالح سواء كان إباضيا أو مالكيا أو حنفيا أو حنبليا أو شافعيا ، و غيرها من الفرق، هذا هو الفهم

---

[1] بكير بن سعيد أعوشت، الإباضية في مرآة علماء الإسلام مصدر سابق ص٦٣ .

[2] المصدر نفسه ص٦٤ .

[3] سورة التوبة الآية ١٠٨.

[4] بكير بن سعيد أعوشت، الإباضية في مرآة علماء الإسلام مصدر سابق ص٦٥.

[5] المصدر نفسه ص٨٤.

الأصلح والأسلم، ومن خلال الدراسات المستوعبة أن الإباضية هي أول الفرق الاسلامية التي تعتمد على القرآن الكريم والسنة المطهرة والاجتهاد وأن الإيمان في منظورها تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان ومن يستوعب التاريخ الإباضي ويتتبع دراسته يرى أن المسلمون في عهد الرسول آمنوا بما أنزل على الرسول ﷺ لم يكن لهم حاجة إلى تأويل القرآن الكريم أو بحث المتشابه فيه وبعد وفاته ﷺ ، بعد انتشار الاسلام أخذت الجماعة الاسلامية تحاول فهم العقيدة وتحاول شرحها وطبيعيا جدا أن يختلف المسلمون في الشرح والفهم وحين ظهرت الفتنة الأولى في الإسلام بعد السنين الست الأولى من خلافة عثمان وأدت إلى ما أدت إليه من اختلال في الفكر الاسلامي عامة وبدأ أهل الدعوة يستلهمون الحلول من القرآن الكريم ومن الأحاديث النبوية الشريفة وبدأوا يتساءلون فيما بينهم عن المسلم الحقيقي وعن الايمان وعن جوهر العقيدة وعن مسؤولية الانسان وعن إرادة الله وصفاته وأسمائه[1] مع ملاحظة أن المذهب يعتمد كثيرا في معقوله ومنقوله وبحوثه ودروسه على عبد الله بن عباس حبر الأمة وفقيه السنة لاسيما في تفسير الأحاديث فهو بحق كما يعتبره الإباضيون وكما يعتبره معاصروه الحلقة الأولى لسلسلة المذهب الإباضي .

حقيقة الفكر الإباضي نظرة عالمية إسلامية تقوم على مساحة واسعة وتعبر عن فكرة وحدة الأمة العربية الإسلامية وهذا المذهب أقدم المذاهب تأسيسا وعلماؤه أكثر العلماء تأليفا فأول من دون تفسير القرآن وأول من دون الحديث وأول من دون الفقه والأصول وكثير من العلوم والفنون[2].

إن وضع الإباضية بالنسبة إلى إخوتهم من المذاهب الأخرى وضع غريب ، فبرغم أنهم يعيشون في بعض البلاد مندمجين مختلطين بإخوانهم من المذاهب الأخرى يتعاملون معهم في جميع شؤون الحياة كما يتعامل بعضهم مع بعض ، وتربط الكثير منهم علاقات

[1] بكير بن سعيد أعوشت، الإباضية في مرآة علماء الإسلام مصدر سابق ص٨٥ .

[2] المصدر نفسه ص٨٦ .

مودة وصداقة أوثق كثيراً مما تربطه أهل المذهب الواحد ويتصرف أولئك الإباضيون في المجتمع تصرف المسلم الطبيعي لا يخفى ولا يشذ بشيء من سلوكهم الديني أو المدني ولا ينقم عليهم إخوتهم أولئك الذين يعيشون معهم في السراء والضراء بدعة يعرفونها أو انحرافا يرونه أو خلافا يدعو إلى سوء الظن رغم كل هذا فإن تلك الكلمة التي أطلقتها عليهم فئة مغرضة مجهولة في فترة كانت السياسة تلعب فيها أهم الأدوار في توجيه الفهم لمن ينتقد انحرافها عن نهج العدول من أصحاب الرسول ﷺ منذ ذلك التاريخ في العصر الأموي فيما يبدو والإباضية يقفون في قفص الاتهام يقاسون ألم الجفاء من إخوانهم لأنهم فيما تزعم تلك التهمة الظالمة ((خوارج)) ومن المؤسف أن أكثر الكتب يتبعون مجاري الأحداث السياسية وقفوا بالنسبة إلى الإباضية موقف المدعي العام الذي يعتقد أن نجاح مرافعته يتوقف على إثبات التهمة أو قاضي التحقيق الذي يهمه أن يضع أوزار الجريمة على من ساقته الظروف إليه ووضعته التحريات بين يديه ،فهم يضعون هذا المذهب وأتباعه في قفص الاتهام أولا. ويحكمون عليهم بأنهم مخطئون لأنهم خوارج وبعد ذلك قد يبحثون عن الأدلة ولكن لإثبات هذه التهمة لا لمعرفة الحقيقة وعندما يتقدم الإباضية بعرض آرائهم والأدلة الشرعية التي استندوا إليها ويبينون سيرتهم وسلوكهم يعتبر كل ذلك منهم كلاما في موقف الدفاع لا يجوز على القاضي الذكي فهو لا يسمعه ولا ينظر فيه وإذا استمع إليه فلكي يلتقط منه جملا تعزز التهمة وقد يحرفها قليلا حتى تكون صالحة كدليل للإثبات[1].

فمن هم الخوارج إذا كان الاباضية ليسوا منهم: الخوارج في الأصل جمع خارجة وهي طوائف تخرج في الإسلام ضالة ومحقة ومن عرف الفقهاء فرق من فرق الإسلام رأسهم نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وعبدالله الصفار وأتباعهم خرجوا على أهل الحق في زمن التابعين وتابعيهم وحكموا على مرتكب الكبير من الذنوب بالشرك وفرّعوا عليه حلية

[1] مريم بنت سعيد القتبية مراجعة : الشيخ مبارك بن عبد الله الراشدي نظرات حول المذهب الإباضي : ص٥ .

ماله فيغنم ودمه فيسفك ورأوا أن ذلك هو الحق واشتدوا على الناس وثقلت وطأتهم على من تسلطوا عليه واشتدت شوكتهم وعظمت محنتهم على الأمة الإسلامية ابتلاء من الله لا يمثل هؤلاء وتعلقوا بتأويلات خالفوا فيها غيرهم من سائر الأمم الإسلامية ولم يصفوا على قول غيرهم من أهل الحق فاستعرضوا الناس بالسيف وقتلوا من لم يحل قتله ونهبوا الأموال واستعبدوا النساء والرجال لأنهم في نظرهم مشركون فكان لهم خطب جسيم في الإسلام واستحلوا ما حرم الله بالمعصية متأولين قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[1]، كان معنى الآية وإن أطعتم المشركين في القول بتحليل الميتة فأنتم مشركون مثلهم، ولكن هؤلاء تأولوها على غير وجهها فإن معناه معهم وإن أطعتموهم في أكل الميتة فأخطأوا بذلك في تأويل الآية وجه الحق ولا يخفى أن استحلال ما حرم الله رد على الله عزّ وجل وهو شرك محض لا يرتاب فيه من له تمييز بين الحق والباطل[2].

ولما عظم خطب الخوارج [3] وتكاثف فلهم أثار الله لهم القائد الكبير المهلب بن أبي صفرة سارف بن ظالم بن صبح بن كندة بن عمرو بن عدي بن الوائل بن الحارث بن العتيك بن الأسد بن عمران بن عامر ماء السماء الأزدي العماني المشهور فاضرم بينهم نيران الحرب والدهاء حتى دقهم دق العصف وأبادهم حتى عرفت البصرة به فقيل (بصرة المهلب) وكان هؤلاء الخوارج من جملة منكري التحكيم وكان الاباضية أيضاً كذلك أدمجوهم في إعداد الخوارج ليشوهوا بذلك سمعة الاباضية ظلماً وعدواناً وحسداً منهم للإباضية أرادوا أن يلطخوا بذلك طهارتهم من الأسواء حتى لا يرتفع لهم صوت في عالم الأمم الإسلامية ولا يقوم لهم بناء دين مهما كان يقوم على منهاج الخلفاء الراشدين ويعرف بين الأمم بالعدالة المحضة فتؤيده رجال الحق رغم العراقيل[4].

---

[1] سورة الأنعام الآية ١٢١.

[2] نظرات حول المذهب الإباضي مصدر سابق ص٩

[3] يتفق عدد وافر من الباحثين على أن الخوارج هم الذين خرجوا عن علي في حروراء والنهراوان ، ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ط١١٤٣٤هـ-٢٠١٢م

[4] المصدر نفسه ص١٠.

فلو رجعنا إلى عهد الدولة الرستمية وكيف كان العيش بين المذاهب لوجدنا أن الإباضية والسنة والشيعة والمعتزلة والخوارج عاشوا تحت كنف الدولة الرستمية التي أسسها عبد الرحمن بن رستم الفارسي عام (١٦٠هـ) في تيهرت بالجزائر ، وقد أثنى عليها المؤرخ المالكي المذهب في كتابه أخبار الأئمة الرستميين عاصر الدولة وعاش بين أكناف أئمتها ورعاياها الإباضية في معظمهم شهد لهم وسجل مآثرهم حيث أكد أن السنة والشيعة والمعتزلة والصفرية قد عاشوا أحرارا في عقائدهم ومذاهبهم وأنه إذا ما رغب أحد من أتباع تلك المذاهب مناظرة الإباضية قربوه وناظروه بألطف عبارة ، ولم يكن منهم إكراه لأحد على اعتناق مذهبهم ولا إكراه لأحد على مغادرة أرضهم[١].

وقد وضح الشيخ التواتي[٢] في كتابه براءة الإباضية من تسميتهم "خوارج " بقوله : هل الإباضية يعدون من جملة الخوارج ؟ بالرجوع إلى ما كتبه بعض العلماء الإباضية مثل أبي إسحاق اطفيش وعلي يحي معمر ، نجد أنهم يتبرءون من تسمية الإباضية بالخوارج براءة الذئب من دم يوسف ، ولقد خاض الشيخ علي يحي معمر رحمه الله في كتابه " الإباضية بين الفرق الإسلامية " و"الإباضية في موكب التاريخ " وغيرها غمار هذه القضية وتفانى في رد كل قول يجعل الإباضية من الخوارج ...لأن تاريخ الخوارج عندهم يبدأ من سنة ٦٤هـ بقيام نافع بن الأزرق فمن بعده ، وسمى ما قام به المحكمة الأولى فتنا داخلية ونفى وجود أي صلة ما بين المحكمة الأولى والخوارج بقيادة نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر وغيرهما من الخوارج .

[١] الاباضية بين حراسة الدين وسياسة الدولة ص١٢٦ .

[٢] الشيخ الدكتور التواتي بن التواتي الأغواطي أصلا والمالكي مذهبا والملقب بفقيه المذهبين {المالكي والإباضي } صاحب كتاب الفقه المقارن ، الفقه المالكي والفقه الإباضي، دراسة تقابلية بين المذهبين من حيث الأصول والفروع من جزئين ، ويعتبر هذا الكتاب بجزئيه دراسة معمقة عن المذهبين حيث أبرز الشيخ مسائل الخلاف بين المذهبين الفقهية منها والعقدية وأنصف الإباضية في نفي نسبتهم إلى فرق الخوارج .

فيخلص الشيخ التواتي إلى القول : ومما ذكرنا يمكن أن نذهب إلى أن الإباضية ليسوا من الخوارج ولا يصح لدى الباحث المدقق ان ينسب هؤلاء إليهم ، لأن أقطابهم يصرحون بانهم ليسوا خوارج بل هم يكفرون الخوارج ، قال أبو إسحاق إبراهيم اطفيش : الخوارج طوائف من الناس من زمن التابعين رؤوسهم نافع ونجدة بن عامر وعبد الله بن الصفار ومن شايعهم وسُموا خوارج لأنهم خرجوا عن الحق واستحلوا ما حرم الله من الدماء والأموال بالمعصية [1].

[1] التواتي بن التواتي ، الفقه المقارن ، الفقه المالكي والفقه الإباضي دراسة تقابلية بين المذهبين من حيث الأصول والفروع ج٢، ط١، ٢٠٠٩م ، ص ٣٢.

المطلب الثالث: أثر المذهب الإباضي في التاريخ الإسلامي

دخل الإسلام إلى مملكة غانا من غرب القارة الإفريقية عن طريق الشيخ أبي يحي الفرسطائي[1] من نفوسة حيث استطاع أن يقنع ملكها أو سلطانها بالدخول في الإسلام وأسلم الناس معه، ثم بدأ الإسلام ينتشر وفي القرن السادس من الهجرة ذهب الشيخ علي بن يخلف الر حتي في تجارة إلى ممن تونس إلى مالي وهناك استطاع أن يقنع ملك مالي بالدخول في الإسلام وذلك بعد أن أصاب مالي جفاف فقيل لملكها أن هناك شيخا من المسلمين لعله يدعوا لنا فقد كانوا على الوثنية فطلب من الشيخ علي بن يخلف أن يقوم بهذا الأمر فقال كيف أدعوا الله لكم وأنتم تشركون به فطلب منه أن يوضح لهم الإسلام فدخل في الإسلام وذهبوا لكي يصلي بهم الشيخ ويدعوا لهم فإذا بالسماء تنهمر وإذا بالملك والشيخ علي بن يخلف ومن معهم يرجعون بالقوارب إلى مساكنهم فأخصب البلاد والعباد و دخلوا في الإسلام وجلس الشيخ يعلمهم أمور دينهم وأخذ الإسلام ينتشر في الغرب الإفريقي وكان أحد أعلام المذهب الإباضي في غانا في القرن السادس الهجري هو الإمام عبد الوهاب بن غالب بن نمير الأنصاري قد وجه أسئلة في توضيح أمور المذهب إلى أبي عمار عبد الكافي فأجاب عنها الإمام أبي يعقوب الوارجلاني الأمر الذي يدل على انتشار المذهب هنالك .[2].في جنوب شرق آسيا حتى الصين سجل التاريخ رحلة الداعية أبو عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم وسمي بأبي عبيدة الصغير تفرقة بينه وبين الإمام أبي عبيدة الكبير وهو من تلاميذه هو إحدى

[1] أبي يحي الفرسطائي النفوسي : أبو يحي زكريا بن أبي قاسم يونس الفرسطائي ، نشأ على ما نشأ عليه زملاؤه من أهل فرسطاء ، محبا للعلم مجتهدا فيه كان قويا في دينه قويا في علمه قويا في خلقه. الاباضية في موكب التاريخ ، علي يحي معمر ص ٣٣٦.

[2] أحمد بن سعود السيابي تح زاهر بن سعود بن سيف السيابي الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م الضامري عمان ص ٧٧ .

علماء عمان – وصل الامتداد الإباضي إلى خراسان وإلى أصفهان في فارس وظل الوجود الإباضي في اصفهان حتى القرن العاشر الهجري[1].

كان لرجال الإباضية في القرن الأول للهجرة من صيت ذائع وحياة روحية رائعة في مختلف نواحي المغرب الأوسط وما جاوره كان مجتمعهم في المغرب مجتمعا إسلاميا في عقيدته وأخلاقه وسمته غنيا برجاله وعلمائه وجيوش طلبته[2].

كانوا يعيشون عيشة الروح لا عيشة الجسد لا يحفلون بالقشور ولا يميلون إلى الترف والنعيم بل صرفوا كامل عنايتهم إلى طريق الصلاح والتمسك بدين الله وإلى تصحيح العقيدة بنشر تعاليم الإسلام بين الجماهير الساذجة وحملهم عليها قوة وعملا فانساقوا في هذا السبيل سبيل الآخرة إيثارا للآجلة على العاجلة وساعدهم على ذلك تحررهم من مهام الملك التي تستنزف الجهود والأوقات وتحملهم على الانغماس في الحياة المادية طوعا وكرها وإذا قدر لبعض الأشياخ مثلا أن كان ذا ثروة فإنه يفنيها في كفالة الطلبة الذين ينقطعون لخدمة العلم وإقامة الشرع اي شعائر الدين والوعظ والإرشاد احتسابا وامتثالا لما يأمر به الدين ويدعوا إليه القرآن الكريم الأمر الذي حفظ للدين تعاليمه وللعلم حقائقه ولحسن السلوك منهاجه فكثرت جيوش العلماء وكثر تنقلهم من ناحية إلى أخرى تثبيتا للأقدام وإصلاحا لذات البين وتصحيحا للأخطاء وقياما بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كانوا يسافرون في قوافل من العلماء بتلاميذهم ومعهم مدرستهم المتنقلة وهي عبارة عن حمولة [3] بعير من الحصر ينصبونها كلما نزلوا مكانا فسيحا وتتألف هذه المدرسة من أقسام ، قسم الصلاة ، وقسم للشيخ ، وقسم للنساء ، وبيوت للتلاميذ وكل ما يخص ، والحق أنهم أوتوا صبرا عجيبا على مجابهة

[1] أحمد بن سعود السيابي، الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص ٧٨ .

[2] مقدمة كتاب طبقات المشايخ للدرجيني .

[3] الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني مصدر سابق ص ١٢ .

خشونة العيش وترك حظوظ النفس إرضاء لربهم، واستعدادا لحمل الأمانة التي عرضها الله عز وجل على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان يقصرون كل حياتهم على التعلم حتى إذا ما نبغوا تصدوا للتعليم وعقد الرحلات للدعوة إلى الله وتفقد أحوال المسلمين ورأب صدعهم وجمع كلمتهم وتصنيف الكتب في مختلف العلوم وقل ما يخلوا موطن من مواطنهم من علماء عاملين وزهاد مخبتين وصالحين ذوي كرامات ساطعة الأنوار[1].

لقد جاء سلمة بن سعد[2] في أوائل القرن الثاني يدعوا الناس إلى التمسك بدين الله وعدم الانصياع لعبدة الأهواء وطلاب الدنيا والانخداع لأصحاب البدع التي ضل بها الناس عن صراط الله السوي وأضلوا بها وفي هذا الوقت الذي كان فيه هذا المؤمن الداعية يكافح من أجل المحافظة على صفاء دين الله وسلامته من الأهواء والانحرافات والبدع في هذا الوقت الذي كان فيه هذا المؤمن الداعية يكافح من أجل المحافظة على صفاء دين الله وسلامته من الأهواء والانحرافات والبدع وفي هذا الوقت كان بطل آخر من أولئك الذين يملكون إرادة أقوى من الزمن وعزما أشد من مصائب الحياة كان هذا البطل قد قطع المسافة الطويلة.[3].بين جبل نفوسة والبصرة في العراق ليغترف العلم من منبعه الصافي أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وزملائه في البصرة في ذلك المعمل الذي أسس في ظاهره لإنتاج القفاف وفي حقيقته لإنتاج الدعاة من جملة دين الله المخلصين فأنتج رجالا كانوا مثلا على الأسرة المسلمة في صحة العقيدة والتمسك بالدين والفهم الحق لرسالة الإسلام والتخلق بأخلاق سيد المرسلين ومن اهتدى بهديه من المؤمنين المتقين هذا البطل الذي

[1] الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني _ت ابراهيم طلاي طبقات المشايخ بالمغرب ج١، ص ٣ .

[2] سلمة بن سعد الحضرمي اليمني عالم وداعية أخذ العلم عن الإمام جابر ، وهو أول من جاء من البصرة بمذهب الإباضية ليدعوا إليه في بلاد المغرب الإسلامي ، وهو صاحب المقولة الشهيرة:" وددت أن لو ظهر هذا الأمر من أول النهار إلى آخره فلا أبالي إن مت بعد ذلك ، حرصا على الدعوة وإيمانا بصواب نهجه.

[3] المصدر نفسه ص٢٧ .

هو العلامة محمد بن عبد الحميد بن معيطر الجناوني فعندما كان الداعية سلمة بن سعد يكافح لتكوين بعثة علمية من أنجب الطلاب كان ان معيطر يغترف العلم من منهله العذب ورجع إلى وطنه قبل أن تسافر البعثة العلمية التي كونها سلمة بن سعد والتي كان لها شأن هام في ليبيا[1] ، يقول الشيخ علي يحي معمر : إني لم أضع هذا الكتاب لسرد وقائع التاريخ إلا بمقدار الضرورة التي أراها واجبة لتوضيح الصورة التي أضعها بين عيني القارئ الكريم فإن الوقائع التاريخية توجد في الكتب المعنية بذلك مفصلة وإني أريد في هذا الكتاب أن أجلوا سيرة أهل المذهب وأثر الدين والعقيدة على سلوكهم الفردي والجماعي وتوجيهه لهم في حالتي الحرب والسلم والظهور والكتمان[2].

وسجل التاريخ رحلة الداعية أبو عبيدة الصغير عبد الله بن القاسم وسمي بأبي عبيدة الصغير تفرقة بينه وبين الإمام أبي عبيدة الكبير وهو من تلاميذه وهو أحد علماء عمان ، وصل الامتداد الإباضي إلى خراسان وإلى أصفهان في فارس وظل الوجود الإباضي في أصفهان حتى القرن العاشر الهجري٣.

حيث خلف أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي جابر بن زيد في إمامة المذهب ، فكان العامل على نشر المذهب الإباضي في المشرق والمغرب انطلاقا من البصرة في العراق إلى عمان بحدودها السياسية القديمة ووجدت الإباضية في اليمن وفي خراسان وأسهمت التجارة العمانية في إيصال الإسلام إلى بلاد الهند وماليزيا والصين وإلى بعض الجمهوريات الإسلامية المحاذية لروسيا الاتحادية حاليا وبفضل هؤلاء العلماء ونضج الفكر الإباضي استطاع المذهب الوصول إلى مناطق واسعة من إفريقيا الشرقية بخاصة كينيا

[1] الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني مصدر سابق ص٢٨ .

[2] المصدر نفسه ص٥٣ .

[3] الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص ٧٨.

وتنزانيا ومدغشقر ، وجزيرة زنجبار[1] ثم انتقل المذهب الإباضي مع حملة العلم إلى بلاد المغرب واعتنقه البربر [2]في شمال إفريقيا ، ليبيا وتونس والجزائر ثم انتقل إلى مصر والأندلس وبلاد السودان الغربي كالسينغال ومالي والنيجر وغانا٣.وعرفت الإباضية بيئات عديدة ومجتمعات متباينة واعتنقتها أجناس مختلفة كان ذلك عاملا أسهم في ثراء فقهها وبروزها الحضاري٤.

وزنجبار التي كان أغلب سكانها من الإباضية وكانت لهم هناك دولة ملكية كان لها نشاط جيد في نشر الثقافة الإسلامية وتولى بعض سلاطينها نشر بعض الكتب في الفقه والتفسير والحديث والتاريخ وكان لأهل زنجبار أياد طويلة في نشر الإسلام في شرق ووسط وجنوب إفريقيا بسبب العلاقات الاقتصادية الطيبة التي كانت تربطهم بتلك الجهات وكانت سلطنة زنجبار تكون مع عمان قوة رادعة لحماية الثغور الواقعة على ساحل المحيط الهندي ٥.

---

[1] زنجبار: زنجبار هي كلمة فارسية بمعنى : زنج ، بار ، أي ساحل الزنج محرفة عن اسمها بر الزنج ، واقعة في المحيط الهندي وتبعد عن البر الإفريقي مسافة خمسة وعشرين ميلا ، وكانت تسمى في القرن الأول للمسيح (منشونيا) ولا يعرف معنى هذا الاسم وأكثر مساحة أرضها حجرية المغيري سعيد بن علي ت: الصليبي محمد علي ، ط٤، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م .ص ٧٣.

[2] البربر: هم في الحقيقة من الحميريين رغم اختلاف المؤرخين في أصلهم والذي يبدوا للباحث المدقق أنهم من الموجات المهاجرة من اليمن بعد سيل العرم ، وإنما سمو بربرا لأن قائد المهاجرين قال لهم ، بربر يعني هذا طريق البر والبربر هم أدرى بتاريخهم وقد كانوا يقولون عن أنفسهم من أنهم من الحميريين كما ذكره من المؤرخين ابن خلدون ص ٣٠.
كتاب الوضع ، الامام أبي يحي بن أبي الخير الجناوني ت: أحمد بن صالح الشيخ أحمد ، بكير بن محمد بن عيسى فخار ، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، مكتبة الضامري للنشر ، السيب ، سلطنة عمان .

[3] معجم مصطلحات الإباضية ، سلطنة عمان وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العقيدة الفقه ، الحضارة ، أ- ش، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،ط١ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.ص ٤.

[4] لمصدر نفسه ص ٥ .

[5] المصدر نفسه ص ١٣.

وعندما قامت الثورة الشيوعية في تانجانيقا استطاعت أن تطيح بدولة زنجبار وتضمها إلى تانجانيقا تحت اسم تانزانيا ، وشرد المسلمون والعرب وأتلفت مصادر الثقافة الإسلامية فأحرقت الكتب وقضي على العلماء[1].

[1] معجم مصطلحات الإباضية ، سلطنة عمان وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العقيدة الفقه ، الحضارة ، أ- ش، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث ،١٤٢٨ه-٢٠٠٧م،ط١ ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م مصدر سابق ص ١٤.

المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإباضي

المطلب الأول :مرحلة الإعداد ودورها في انتشار المذهب الإباضي

وهي تمثل مرحلة الكتمان أو السرية ، ومن الواضح أن جهود العلماء العاملين وإسهاماتهم لا تقف عند حد معين، لأن وجهتهم إلى الله ورغبتهم في نشر الإسلام طلبا لثواب الله في الآخرة، ورفعا لراية العلم ليقضي على الجهل من غير انتظار ثواب عاجل من الدولة بل قد تكون الدولة لا تسعفهم في تنفيذ ما يصبون إليه من نشر العلم واستقطاب المتعلمين وهذا ما حدث بالفعل للإمام أبي عبيدة وغيره في زمن الحجاج ومما اضطر الإمام أبا عبيدة إلى أن يختفي عن أعين الحجاج[1]، ومما شهده ذاك العصر من تسلط الحكام وطغيانهم وقمعهم للعلماء وخاصة الإباضية، فكان الإمام أبو عبيدة من بين الفقهاء الذين اضطروا إلى الاختفاء فأبقوا في طي الكتمان لا يستطيعون الخروج مثل بقية الناس، فكان يعلم تلاميذه في المسجد تارة، كما هي عادة الفقهاء ويظهر أنه مسجد الحزيبة بالبصرة فهناك يجتمع عنده طلبة العلم من كل حدب وصوب، وتارة يضطره الحال عندما يقع التطرف من الولاة عليه فيختفي في غار في الأرض، أو كهف جبل فيختفي فيه هو وطلاب العلم الذين ينهلون من معينه ويغترفون من يمه، وقد اتفقت المصادر على أن أبا عبيدة كان يدرس في سرداب وجعل على بابه سلسلة أو ما يشبه السلسلة، وقد يكون شيئا مثل الجرس المنذر بوجود قادم إليهم وهم يعملون القفاف داخل الغار وكان أحد التلاميذ ممن لهم خبرة بالمراقبة قاعدا أمام الغار فإذا أحس بشخص قادم حرك السلسة ليسمع الشيخ وتلاميذه صوتها فيكفون عن التعليم ويشتغلون بصنع القفاف وهي صنعة الإمام الأساسية التي يكتسب منها قوته اليومي

[1] مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي ، الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه ٤٥-١٤٥هـ، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، سلطنة عمان ص ١٨٤ .

وإذا لم يشاهدوا أحدا فإنهم يعودون إلى الدراسة والتحصيل، وكانت هذه الحال التي استمروا عليها حقبة من الزمن[1].

وتجيء هذه المرحلة في المرتبة الدنيا من المراحل السابقة لأنها هي الملاذ الأخير الذي يلجأ الإباضية في حال الضعف والانهزام ومع ذلك تعتبر عندهم أدنى درجات الجهاد حيث يرصون صفوفهم في تنظيم داخلي سري محكم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويحفظ للجماعة وحدتها وتماسكها داخلا وخارجا وهي حال إباضية وادي ميزاب تحت حكم الاستعمار الفرنسي للجزائر وتمتاز مرحلة الكتمان بتنظيم جيد يقوم على مبادئ وتعاليم دقيقة تدل على قدرة الإباضية على التنظيم المتسم بالعقلانية والواقعية والاعتدال في التفكير وإصدار الأحكام[2]، ووضع المبادئ كما تدل مرحلة الكتمان على النضج السياسي لدى الإباضية فالكتمان لا يعني السكون وعدم الحركة وإنما هو مرحلة إعداد لاستلام السلطة وقد دلت الوقائع التاريخية على أن هذه المرحلة التي أوى فيها الإمامان جابر وأبي عبيدة إلى الكتمان والعمل السري المحكم الذي أثمر حملة العلم وهم بالتالي أثمروا دولة طالب الحق في حضرموت واليمن ودولة أبي الخطاب عبد الأعلى وعبد الرحمن بن رستم في المغرب .

ومما لا شك فيه أن ظهور أي مذهب من المذاهب له أسباب وأهداف وأصول يقوم عليها ومبادئ ينبني عليها ، ومعلوم أنه في مراحل النشأة قد يعتري المذهب نجاحا وقوة كما لا يخلو من ضعف وتشتت ، والمذهب الإباضي مر في فترات من الزمن بمراحل تعبر

[1] مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي ، الإمام أبو عبيدة مصدر سابق ، ص١٨٥.

[2] أبي سليمان الباروني إباضية اليوم وأين يوجدون من مختصر تاريخ الإباضية مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان ط٣ ، ١٤٢٣...ص ٨٧ .

كل مرحلة على منهج للحفاظ على بقاء المذهب ، وأولى المراحل كما رتبها المؤرخون هي مرحلة الكتمان [1].

وللإباضية في التعامل مع السلطة الحاكمة الكافرة الظالمة تنظيم دقيق وأسلوب محكم من ذلك أنهم يبتعدون عن تسلم الوظائف ويرفضون التعاون مع السلطات الجائرة الكافرة ويعكفون على الدعوة والإرشاد والتعليم والتربية [2] في إطار جمعيات خيرية ومؤسسات خاصة وهم يهدفون من خلال ذلك إلى إعداد النشء الصالح وتربيته والحفاظ على المقومات الدينية حتى لا يؤثر فيهم ما تأتيهم به الدولة الاستعمارية الكافرة وغالبا ما يكون هذا النظام المتجه إلى إصلاح المجتمع في جميع مجالاته تحت رعاية علماء الدين الذين يطلق عليهم في المغرب العزابة، وهم أعضاء الهيئة الدينية التي تتولى شؤون التوجيه الديني والاجتماعي والتربوي والاقتصادي وهؤلاء الأعضاء يختارون بعناية وتشترط فيهم شروط مفصلة في المصادر التي تتحدث عن هذا التنظيم المحكم والذي ما يزال قائما لدى المجتمع الإباضي بقوة في وادي ميزاب حتى يومنا هذا وقد مر على تأسيسه أكثر من ألف عام[3].

كما تعتبر مرحلة الكتمان عند الإباضية من أهم الأنواع والمراحل لتحقيق الإمامة الإباضية ففيها يكون الإعداد والتخطيط والسرية والتقية ، وفيها تنظيم الدعاة وإعداد العلماء ، ووضع الأهداف ، وتعميق جذور المذهب في قلوب الأتباع لأن النجاح في هذه المرحلة يؤدي إلى النجاح في المراحل الأخرى، ومرحلة إمامة الكتمان يمكن أن تكون البداية كما يمكن أن تكون النهاية أي أنها أول أنواع الإمامة وأول مراحل الوصول إلى

---

[1] عبد الرحمن بن رستم : ١٦٠هـ-١٧١هـ، مؤسس الدولة الرستمية تكاد المصادر تتفق على أن أصله فارسي .أحد تلامذة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة من حملة العلم إلى المغرب ،ولما قتل أبو الخطاب خرج عبد الرحمن مع رجال الإباضية إلى الجزائر وبويع له بالإمامة ظل إماما في تاهرت أأحد عشر عاما .ص٤٢- الازهار الرياضية ٤٣ .

[2] محمد ناصر، الأصول العقدية للناشئة المحمدية مصدر سابق ص ٨٨ .

[3] المصدر نفسه ص ٨٩ .

الإمامة الكبرى ، كما أن الإباضية يلجؤون إليها بعد الضعف أو الفشل في أي مرحلة من مراحل الإمامة ولذا فإن النجاح في إمامة الكتمان يعني النجاح في باقي المراحل والأنواع ويلجأ الإباضية إلى هذه المرحلة عندما يشعرون بالضعف أمام أعدائهم، فيختارون شخصا من بينهم تتوافر فيه شروط العلم والورع والتقوى ويكون هو المسؤول الأول عن سير الدعوة والتخطيط وتنظيمها والإشراف على شؤون أتباعها ويسمى بإمام الكتمان .

ومن أشهر أئمة الكتمان في التاريخ الإباضي الإمام جابر بن زيد الأزدي العماني وأبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ولقد كان لهذين الإمامين الدور البارز في انتشار المذهب الإباضي منذ القرن الأول والثاني الهجري وحتى اليوم[1].

وهذه بعض مظاهر التطبيق العملي الدقيق للكتمان عند الإباضية :

*التنظيم الدقيق والطاعة التامة لتعليمات الإمام .

*التوسع في نشر المذهب وتصديق أهدافه ومبادئه في قلوب الأتباع .

*السرية التامة مع جواز استعمال التقية الدينية حتى يستطيعوا الحفاظ على مذهبهم وأرواحهم وتحاشي بطش الأعداء بهم .

*الرغبة في تحصيل العلوم والإجابة على كل ما يهم الجماعة .

*إعلان البراءة من كل مخالف لتوجيهات الإمام .

*جواز البقاء تحت حكم الطغاة رغم مخالفتهم لهم استنادا بموقف النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل إعلان الدعوة جهرا إذ كان يدعو إليها سرا.

[1] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة ص ٤٣

*جواز تعطيل بعض الأحكام لعدم قدرة الإمام على تطبيقها في مرحلة الكتمان .

يتبين مما سبق أن مرحلة الكتمان من منظور الإباضية تمثل أدنى درجات الجهاد في سبيل الله لأنهم يشعرون بعدم القدرة على تطبيق الأحكام والحدود، أو رد المظالم لأصحابها أو تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويكتفي الإباضية عندئذ بكتمان معتقدهم وإخفاء أمرهم وانعزالهم عن مفاسد مجتمعهم ويتوجهون في مرحلة الكتمان إلي تنظيم شؤونهم الداخلية وبناء فكرهم ومعتقدهم، وتوصف إمامة الكتمان بالضعف عند الإباضية وأنها أضعف أنواع الإمامة لأنها تمثل حالة العجز عن مقاومة الظلم أو تحقيق العدل أو إعلان إمامة الظهور مع ملاحظة أن الكتمان في صورة السرية والتقية هو مرحلة لازمة لإتمام الإعداد وبناء أركان المذهب وانتشاره والإعداد لباقي الأنواع[1]،ولمرحلة الكتمان كغيره من المراحل شروط :

– أن ينحصر دور الإمامة في مرحلة الكتمان على جانبين مهمين هما التنظيم الداخلي للمجتمع الإباضي { اقتصادياً واجتماعياً ودينياً } ثم محاولة تنظيم العلاقات الخارجية للمجتمع الإباضي بغيره من المجتمعات والمذاهب الإسلامية وضرورة المحافظة على الدين وفيه قال الإباضية: من ضيع دينه فليس جاريا على حكم الكتمان مع ملاحظة أن المحافظة على الدين يعني المحافظة على الأسرة والمجتمع والقيم والعادات والأخلاق وكل ما يدعوا إليه الدين من أعمال صالحة لها دورها في بناء النفس والمجتمع وشحذ العزائم وتربية النشء، مع ضرورة المحافظة على أصول المذهب علمًا وعملاً مع الحرص على نشرها لضمان استمرار البقاء الفكري وهو ما نلاحظه اليوم من محاولاتهم لاستعادة تراثهم ونشره الآن .

[1] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٤٣.

[2] المصدر نفسه ص ٤٣ .

– ضرورة الاهتمام بالمؤسسات الدينية والتعليمية في إطار حلقة العزابة كنظام محكم يقوم مقام السلطة في مرحلة الكتمان[1]، وضرورة الاعتماد على النفس في إطار مبدأ عام هو الانعزال والانزواء مع إبقاء العلاقات الأخوية بالمخالفين ، دون إثارة الفتن ، والحرص على إبقاء العلاقة الطيبة مع المخالفين ويقولون في ذلك أن موقف الإباضية من المخالفين يتغير بتغير الظروف في مرحلة الكتمان فإن العلاقة بين الإباضية وغيرهم قد تطورت نحو الأفضل والأحسن بعد صفاء الجو من التطاحن والصراع فحل الوفاق محل الخلاف مع الاحترام المتبادل للآراء والأفكار٢،و لقد استمر وهج هذا النشاط الدعوي حتى القرن الرابع الهجري[3].

ثم بدأ الإباضية في الانكماش بدأوا في التراجع بدأوا في التقلص فقد قل نشاطهم الدعوي وقل نشاطهم العلمي فأخذ المذهب الإباضي إما أن يختفي من بعض المناطق وإما أن يتقلص في غيرها وفي بعض المناطق اختفى تماما إن تخلف اتباع المذهب الإباضي عن مهمة الدعوة جعل هذا المذهب يتراجع شيئا فشيئا إلى أن صار المذهب الإباضي أقلية بالنسبة إلى المذاهب الأربعة[4].

إن الذي جعل المذهب الإباضي ينتشر هو وجود أشخاص قاموا بالدعوة إليه بل استعملوا الرحلات الدعوية إلى ما وراء البحار ن دعوا إلى هذا المذهب وانتشر فلو أن إنسانا عمل تقييما لانتشار المذهب في القرون الأربعة الأول لوجد أن المذهب الإباضي أكثر المذاهب انتشارا لأنهم كانوا موجودين في خراسان وكانوا موجودين في فارس في أصفهان وكانوا موجودين في اليمن ولا سيما اليمن الجنوبي وكذا في عمان وفي الشمال

[1] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٤٤.

[2] المصدر نفسه ص ٤٥.

[3] المصدر نفسه ص ٨٨ .

[4] أحمد بن سعود السيابي تح زاهر بن سعود بن سيف السيابي الإباضية بين الماضي والحاضر ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م الضامري عمان.ص٨٠ .

الإفريقي تونس كانت أغلبها على المذهب الإباضي والآن في جزيرة جربة فقط ، في الجزائر كانوا موجودين كثيرا في ليبيا كانوا بكثرة[1]. لذلك فإنه عندما أهملت الدعوة تقلص المذهب واختفى من بعض الأماكن ومن ذلك أن الإباضية في حضرموت استنجدوا بإباضية عمان وكان العالم في عمان يكتفي أن يرسل إليهم رسالة توضح معالم المذهب وهذه الرسالة قد تصل أو لا تصل وإن وصلت فسوف تبقى عند شخص واحد ولم تكن هناك زيارات انقاذ ولم تكن هناك رحلات انقاذ ولا مبادرات ولقد انتشرت المذاهب الأخرى بأمرين أولا الأطر العلمية وثانيا باهتمامهم بالدعوة لمذهبهم فلو حسبينا الأطر العلمية لأهل السنة لوجدنا الأزهر في مصر والزيتونة في تونس والقرويين في فاس[2]، ومدارس في الحجاز ومدارس في العراق إن المذهب الإباضي فقد هذين الأمرين إما يأتي عالم ويجتهد ويتعلم ويدرس ويكون مكتبة وعندما يتوفى يموت بموته كل شيء[3].

وشهد الفكر الإباضي مرحلة أخرى من الاضطهاد والظلم وعاد أصحابه مرة أخرى إلى مرحلة الكتمان مستترين بالشعاب والمسالك الصحراوية لائذين بعقيدتهم إلى واد غير ذي زرع وكان ذلك حالهم إلى حين استقرارهم بوادي ميزاب في بداية القرن الخامس الهجري فبالرغم من قساوة هذه المرحلة، فإنها لم تعرف نضوبا فكريا إذ أن المصادر الخاصة بدراسة سير العلماء والمشايخ والأئمة تدل على أن الإباضية مثل غيرهم من المذاهب الأخرى أصحاب عناية بالتأليف والتحقيق والتدوين ولا سيما في الشريعة والتاريخ [4]، فهناك الكثير من المؤلفات تدل على أن الإباضية ألفوا في مختلف العلوم ،

---

[1] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٩ .

[2] المصدر نفسه ص٤٥ .

[3] المصدر نفسه ص ٤٧.

[4] عمرو خليفة النامي ت ميخائيل خوري ، مراد ماهر جراد تع محمد صالح ناصر ، د مصطفى صالح باجوا دراسات عن الإباضية دار الغرب الاسلامي ط١، ٢٠٠١، ص٤ .

سير الشماخي ، جواهر البرادي وملحق السير لأبي اليقظان، وأنهم كتبوا في شتى ضروب العلوم[1].

الإباضية أو الأباضية هي إحدى أقدم الفرق الإسلامية التي تعود نشأتها إلى النصف الاول من القرن الهجري الأول وقد أخذت اسمها من عبد الله بن إباض أحد فقهائها الأولين ويشمل اسم الإباضية مجموعة اسلامية اعثرت من قبل معظم الكتاب فرعا معتدلا من حركة الخوارج ويشكل أنصار هذا المذهب عددا من الأوساط المستقلة التي لا تزال تتمسك بتعاليمها [2] ، واعتبر الإباضية حركتهم استمرارا للمعارضة التي اسقطت الخليفة الثالث عثمان بن عفان وسبب وفاته ونظروا إلى تلك المعارضة باعتبارها رفضا اسلاميا صرفا للأحداث التي أدخلها عثمان وحاشيته الأموية ، ثم ، والإباضية رأوا في ذلك الانتفاضة واجبا اسلاميا يقوم به صحابة النبي الذين رادوا أن يتقيدوا بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم ومثال خليفته الأولين لا نتيجة أي نفوذ خارجي أو غريب وقد وافق الإباضية على خلافة على بن أبي طالب ونظروا إلى طلحة بن الزبير وعائشة وانصارهما باعتبارهما الفئة الباغية وهناك من يذكر أن جابر بن زيد وأبا بلال مرداس بن حدير ناقشا عائشة في موقفها من معركة الجمل ووجها إليها اللوم على مقاومتها لعلي[3]، الذي كان الخليفة الشرعي آنذاك وتابت مما كانت دخلت فيه كذلك وافقوا عليا في حروبه مع معاوية ونظروا إلى معاوية وعمرو بن العاص معا ومناصر بها باعتبارهم الفئة الباغية التي يجب محاربتها حتى تخضع لأمر الله[4].

مسألة الخروج إن العقيدة التي أدخلها نافع بن الأزرق هي أن الخروج أو الهجرة إلى معسكرهم أمر إلزامي وقد اعتبر بلاد خصومهم من المسلمين المخالفين دار حرب ونظر

[1] دراسات عن الإباضية مصدر سابق ، ص٤ .

[2] المصدر نفسه ص ٣٣ .

[3] المصدر نفسه ص ٥٢ .

[4] المصدر نفسه ص٥٣ .

إلى أولئك الذين لا يقومون بأي عمل القعدة باعتبارهم مشركين ، على أساس الآية القرآنية وإن أطعتموهم إنكم مشركون، وهذه العقيدة مناقضة للعقيدة التي قال بها المحكمة وهي أن معارضيهم من المسلمين هم محض كفار نعمة لا مشركون وإن إخوانهم المسلمين قادرون على الحياة بين خصومهم وسمحوا بالقعود إذ أن الخروج أو الهجرة ليسا إلزاميين والواقع أن المحكمة الأولين كانوا واضحين كثيرا بشأن مسألة القعود باعتباره شرعيا بالنسبة لإخوانهم المسلمين حتى أنهم انتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي إماما[1].

لقد تمسك الإباضية بعقيدة المحكمة الأوائل ورفضوا موقف نافع وقالوا إن كلا من المجاهدين والقعدة هم مسلمون يخرج من يخرج ويتخلف من يتخلف فيتولى الخارج القاعد والقاعد الخارج وقد جرى التعبير عن هذه العقيدة في وقت لاحق بالقول التالي : لا هجرة بعد الفتح وهو في الواقع جزء من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وقد ورد في جميع المعتقدات الإباضية للتعبير عن رأيهم بمسألة الهجرة أو الخروج، والمسألة الثانية هي موقعهم بالنسبة لخصومهم المسلمين المخالفين لقد اعتقد الأزارقة أن خصومهم المسلمين كفارا ونظروا بالتالي إلى بلادهم باعتبارها دار حرب وآمنوا بشرعية قتل نسائهم وأو لادهم والاستلاء على ممتلكاتهم ومن ناحية أخرى فإنهم منعوا اتباعهم من أن يرثوا منهم ومن ان يتزوجوا من نسائهم ، كذلك رأوا شرعية الاحتفاظ بما أمنهم عليه من خالفهم من المسلمين وأن ينكروا عليهم حقهم فيه [2] .

[1] عبد الله وهب الراسبي هو عبد الله بن وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر من الأزد ، وهي قبيلة نزلت البصرة أدرك النبي ﷺ وشارك في فتوح العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص كان من أنصار علي رضي الله عنه في حروبه ، ثم أنكر التحكيم ، بايعته المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين ، د فرحات الجعبيري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مكتبة الاستقامة ط٢، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص٤٧.

[2] دراسات عن الاباضية عمرو خليفة النامي مصدر سابق ص٦٠.

المطلب الثاني :مرحلة القوة والظهور

تأتي مرحلة الظهور في القمة من بين المراحل الأخرى لأنها هي الأصل والنهاية التي يتطلع لها المسلمون في الحكم وهي تعتبر عادة تتويجا للمساعي والجهود للحالات الثلاثة الأخرى الكتمان والدفاع والشراء، وهي الهدف الذي يجاهد من أجله أهل الدعوة ويستشهدون في سبيله وتعني هذه الحالة قيام حكومة أو دولة أو خلافة إباضية على أسس الشريعة الإسلامية تطبق أحكام الله وتسير على النهج الإسلامي الذي سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون فيكون مهمتها تنفيذ حكم الله، وإقامة الحدود، وصون الحقوق، ورد المظالم وحفظ الثغور وحمل الدعوة الإسلامية إلى بلاد الكفر وهذه المرحلة لا تتحقق إلا بالإمامة الكبرى كما وقع ذلك مع الإمامات المتعاقبة في عمان أو في المغرب الأوسط إبان حكم الدولة الرستمية وقد اعتمد الإباضية على وجوب الوصول إلى هذه الحالة من قوله تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾[1] ومن قوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[2] حيث يقول الشيخ اطفيش في شرح النيل حول شروط إمامة الظهور: وهو يضع شروط إمامة الظهور " إذا كان المسلمون ذوي عدة وقوة في المال والعلم لما يأتي عليهم من حوادث الأمور أو يغشاهم من متشابه النوازل كان الواجب أن يختاروا من أفاضلهم، إمامهم ليقيم شأن دينهم الذي افترضه الله عليهم " فالمقومات إذا أربعة : المال ، العلم ، السلاح ، الكراع ٣.

وتمثل إمامة الظهور عند الإباضية قمة المراحل والأنواع التي تمر بها الإمامة والتي تبدأ بالكتمان { السرية والتقية } ثم الشراء والدفاع فبعدها تأتي مرحلة تحقيق الإمامة الحقيقية المعلنة وهي إمامة الظهور والتي يطلق عليها البعض اسم إمامة البيعة أو الإمامة الكبرى

---

[1] سورة المنافقون الآية ٨ .

[2] سورة التوبة الآية ٣٣ .

[3] محمد ناصر ، الأصول العقدية للناشئة المحمدية ، ط١، ١٩٩٣ مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ص٨٣.

لأنها عندهم الغاية والهدف التي تبذل فيها النفوس والأرواح من أجل تحقيقها لأنها تتحقق عند الانتصار والغلبة وإقامة الدولة الإباضية وفقا لتعاليم المذهب الإباضي القائم على مبادئ الشرع الحنيف فتنفذ الأحكام وتقام الحدود، وتصان الحقوق وترد المظالم وتحفظ الثغور ويحمل أحكامه حملة العلم والدعوة إلى خارج البلاد، ولذلك تجب إمامة الظهور عندما يكونوا ظاهرين وقادرين على مواجهة أعدائهم أو عند استشعارهم القوة أو القدرة على مواجهتهم ومغالبتهم من أجل هذا أصبحت إمامة الظهور الهدف العام للإباضية وأهم مرحلة مر بها المذهب، منذ نشأة المذهب حتى اليوم[1].

ومرحلة الظهور عند الإباضية تعني أن الدولة الإباضية قد ظهرت على غيرها واكتملت أركانها وأنهم في مرحلة الظهور يكونوا قادرين على قهر عدوهم والظهور عليه وعندئذ تكون إمامة الظهور وإعلانها واجب شرعا لأنها إن حجبت ولم تعلن في هذه الحالة يكون بمثابة من أمات الدين ولم يقم أركانه وذلك لأن إمامة الظهور تعني إقامة الدولة المسلمة العادلة التي يعيش فيها الجميع أحرار آمنين لا يخضعون لأجنبي ظالم ولا يستبد بهم حاكم مستبد بل يعيشون في كنف إمام عادل٢ مختار من قبل عامة المسلمين وعلمائهم ، من أجل هذا يطلق الإباضية على مرحلة الظهور اسم الإمامة الكبرى التي تنفذ فيها حدود الله وحقوق العباد ولا يزول إمامها إلا بإحداث في الإسلام أي خروج على قواعد أو شروط البيعة أو زوال عقل أو عدم نفع أو خروج عن العدل وأحكام الشرع ويستدل بظهور الإباضية على صواب حجتهم في إمامة الظهور بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد الهجرة وظهور أبي بكر وعمر يصليان الجمعة ويجمعان الزكاة والغنائم وكذلك ظهور الإمامة الإباضية الأولى والثانية في عمان واليمن وحضرموت، ثم

[1] عبد الحميد درويش، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، عالم الكتب القاهرة ط١، ١٤٢٨ه-٢٠٠٧م، ص ٣٢

[2] المصدر نفسه ص ٣٢ .

ظهور الإمامة الإباضية بالمغرب العربي سواء قيام الدولة الخطابية في طرابلس والمغرب { ١٤١هـ} أو قيام الدولة الرستمية بالجزائر { ١٦٠-٢٦٩هـ}[١].

وإمامة الظهور الإباضية تمر بمرحلتين أحدهما : الظهور الكامل حيث تتحقق الإمامة العادلة كما ينبغي أن تكون وفق المبادئ العامة للفكر السياسي الإباضي كالحرية والعدل والسماحة والمساواة وفي إطار الحدود الشرعية وتطبيق مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويمثل هذا النوع حالة الدولة الرستمية في عز أوجها التي تولى إمامتها الإمام عبد الرحمن بن رستم واستمرت من ١٦٠هـ إلى ٢٦٩هـ ، أما النوع الثاني وهو الظهور الناقص أو الظهور الضعيف وفيه تكون الأمة ظاهرة ومستقلة وذات سيادة ولكنها لا تحقق كل الأهداف المرجوة ولا تبلغ كمال الظهور ولا الإمامة العظمى فتضعف عن تطبيق بعض المبادئ السياسية كالانتخاب والبيعة الشرعية أو تعجز عن تنفيذ بعض الأحكام الشرعية كإقامة الحدود وإعلان الجهاد ويمثل هذا النوع حال الأمة العمانية في نهاية القرن العشرين ٢.

و في هذه المرحلة تقوم الإمامة على أهداف كثيرة أهمها :

السماحة والعدل وتطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي هذا الإطار يحرص الإباضية على تطبيق مبدأ التعايش السلمي واحترام مبادئ الشرع وأحكامه الداعية إلى العدل والمساواة والحرية مع الحرص على تطبيق مبدأ التسامح الديني بحيث يسمح للسكان بالانتماء إلى فرق أو مذاهب غير إباضية كما يحرصون على نشر الإسلام من خلال الأصول السياسية والاعتقادية للإمامة الإباضية .

[١] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٤

[٢] المصدر نفسه ص ٣٤ .

وإمامة الظهور عند الإباضية تسمى بإمامة المذهب أو إمامة العلم ويتزعمها حملة العلم الذين تشبعوا بالعلم الصحيح ومبادئ المذهب الإباضي على يد الإمام جابر بن زيد وأبي عبيدة وهؤلاء انقسموا إلى حملة العلم إلى المشرق والمغرب وهم الأئمة الذين تمكنوا من إعلان إمامة الظهور[١].

نشأة المذهب الإباضي في منتصف القرن الثاني من الهجرة وأول دولة قوية للإباضية هي الدولة الرستمية مرحلة الازدهار، والدولة الرستمية وفرت الحماية لحرية الفكر والتعبير لمذهبها الذي اعتنقته لغيرها من المذاهب والطوائف الأخرى وبفضل العدالة الإسلامية التي انتهجتها الدولة الرستمية كطريق حكم ازدهر التأليف وكثرت حلق المذاكرة وشاعت اسواق الجدال والمناظرة وانتجت هذه السياسة الرشيدة مكتبة المعصومة التي أشاد بميراثها المؤرخون ولكنها وللأسف ملء الجوانح واحرقت أثناء هجوم عبد الله الشيعي على تاهرت وكانت شاهده على لأزمة الدولة الرستمية بالنزاهة والعدل بقدر ما ستبقى شاهدة على أعدائهم الفاطميين على التعصب المقيت ومعاداة أنوار العلم والمعرفة [٢].

[١] عبد الحميد درويش، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٤ .

[٢] عمرو خليفة النامي ت ميخائيل خوري ، مراد ماهر جراد تع محمد صالح ناصر ، د مصطفى صالح باجوا ،دراسات عن الإباضية ، دار الغرب الاسلامي ط١، ٢٠٠١ ص٣ .

المطلب الثالث : مرحلة الدفاع والشراء

تأتي مرحلة الدفاع في درجة أقل من درجة الظهور لأن الأمة لا تلجأ إليها إلا مضطرة بعد أن تكون قد خذلتها الامكانات المادية والمعنوية ويكون المسلمون عندها أقل شأنا من أن يستطيعوا إقامة دولة قوية لهم تجعلهم ظاهرين، ومع ذلك فإنه يجب عليهم أن ينظموا صفوفهم ويلموا شعثهم ويرأبوا صدعهم للدفاع عن أنفسهم حماية لهم من أعدائهم فلا يستكينوا للطغيان ولا يتخاذلوا ولا يسمحوا له بأن يقضي على وجودهم وكيانهم بل يصبح أمر الدفاع واجبا لا يقل فرضا عن إمامة الظهور وذلك بأن يختاروا إماما يبايعونه يقود جماعتهم ويترأس صفوفهم لاسترداد حق ضائع أو وطن استبيح أو أرش اغتصبت أو تهديد داهم، يشكل خطرا على وجودهم ، ومن موجبات الدفاع ورفع رايته:

١-مداهمة العدو وسيطرته على الوضع وقد يكون هذا العدو من خارج الدولة يستهدف الأرض والبلاد والإطاحة بالإمامة ، وقد يكون من داخلها كظهور حزب منشق أو جماعة مفتنة تثور ضد الإمام لهدف أو لآخر ، كتفشي الفساد وإشاعة الفاحشة وكثرة الظلم بسبب انحراف الإمام عن الجادة وتخليه عن الإمامة وخيانته لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين[١]، ويمكن أن نضرب مثالا للدفاع بإمامة أبي حاتم الملزوزي[٢] الذي بويع على الدفاع عن البلاد في المغرب بعد مقتل الإمام ، إمام الظهور أبي الخطاب[١] المغافري بطرابلس حيث كان جيش بني العباس يباغت بلاد المسلمين ويظهر في الأرض

[١] محمد ناصر ، الأصول العقدية للناشئة المحمدية ، ط١، ١٩٩٣ممكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان . ص٨٤

[٢] أبي حاتم الملزوزي : هو أبو حاتم يعقوب بن لبيب الملزوزي الهواري ، مولى كندة: تولى الإمامة بعد وفاة أبي الخطاب بمدينة طرابلس في رجب ١٤٥هـ/٧٦٢م،وحاصر القيروان سنة كاملة عام ١٥٤هـ/٧٧١م، توفي أثناء حملة يزيد بن حاتم الأزدي على الإباضية سنة ١٥٥هـ/٧٧٢م، ص ٩٠٥. كتاب السير ،أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي ت: د محمد حسن ج٣، ط١٢٠٠٩م،دار المدار الإسلامي .

الفساد وهكذا قاتل الإمام دفاعا عن إمامة أهل الدعوة حتى قتل[1]،وهذه المرحلة تكون بين مرحلتي الظهور والكتمان ويعتبر البعض النوع الثالث من الإمامة ويقولون :إنه[2]، إذا كان الإباضية في طور الكتمان وداهمهم العدو فإنهم يعلنون حالة الدفاع ويختارون واحد من الأئمة العلماء بصيرا يغذون الحرب معروف بشجاعته ليقودهم في القتال ضد أعدائهم ويسمونه إمام الدفاع ، ويؤكد هذا المعنى الجيطالي في شرح قواعد الإسلام فيقول الدفاع من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقيمونه عند مقاتلتهم للعدو الذي أدهمهم ، فإذا زال القتال زالت إمامته ويتمتع إمام الدفاع بصلاحيات مشابهة لصلاحيات إمام الظهور طبق للشروط والقواعد التي يجب توافرها في إمام الظهور أما إذا انتهت الحرب بهزيمة الإباضية فإن إمام الدفاع يتخلى أيضا عن إمامته ويلجأ الإباضية إلى السرية والتقية ويدخلون في مرحلة الكتمان وينتخبون إماما جديدا يسمى إمام الكتمان ، ويرفع الإباضية في مرحلة الدفاع شعار: لا مهادنة مع الظلم والعدوان ،ومن يتعدى الحدود ويهتك الحرمات ويمنع الشعائر فعند ذلك يصبح أمر الدفاع واجب، ويلجأ الإباضية إلى اختيار إمام يقود الجماعة لاسترداد الحقوق، ويذهب بعض مفكري الإباضية إلى أن إمامة الدفاع تعقد بعد موت الإمام الشاري وذلك استنادا لواقعة تعيين عبدالله بن سعيد الحضرمي[3] إماما للدفاع بعد موت الإمام الشاري عبد الله

[1] محمد ناصر ، الأصول العقدية للناشئة المحمدية مصدر سابق ص٨٥ .

[2] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة مصدر سابق . ص ٣٥ .

[3] عبدالله بن سعيد الحضرمي: (١١٧٨هـ-١٧٦٥م)هو فقيه وناظم للشعر عاش في القرن الثاني عشر الهجري ، من ولاية صحار كان ذا خط جميل للغاية وقد نسخ بيده المصحف الشريف سنة ١١٥٧هـ-١٧٤٤مفي ربيع الأول وقد تم تصويره ونشره حديثا بأمر من السلطان قابوس بن سعيد ص ٢٤٢. السعدي فهد بن علي بن هاشل ، معجم شعراء الإباضية قسم المشرق ، ج١-ج٢، الطبقة الأولى ، مكتبة الجيل الواعد ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

بن يحي الكندي المعروف بطالب الحق [1]والذي عين باليمن إماما واستولى على صنعاء ومكة وقتل عام ١٣٠هـ والرأي الراجح عند الإباضية أن إمامة الدفاع تعقد بعد زوال إمامة الظهور وضعف الدولة الإباضية [2] .

وقد وضع الإباضية لهذه المرحلة (مرحلة الدفاع) شروطا هي :

*في حال انتشار المفاسد الخلقية وكثرة المظالم بسبب انحراف الإمام عن الجادة وتخليه عن الإمامة وخيانته لله ورسوله وللمؤمنين .

*الحاجة الظاهرة للدفاع عن الدين والأمة وحمايتها .

*ضرورة الابتداء بتحذير العدو الظالم ونهيه عن ظلمه وتقديم النصح له وإرشاده إلى طريق الحق والعدل فإن امتنع ولم يرتدع حينئذ يحق للجماعة الثورة عليه والاتفاق على إمام ينصبونه وتجري عليه الأحكام والشروط التي لإمام الظهور وتجب عليهم حينئذ طاعته.

*أن تنتهي إمامة الدفاع وتزول بزوال الموقف أو الثورة سواء عند النجاح أو الفشل لأن إمام الدفاع هو قائد هذه الثورة ، وعلى الأمة طاعته مادامت في حالة الثورة والدفاع فإذا هدأت الثورة أو استقرت الأحوال تنازل عن إمامة الدفاع وأصبح الإمام واحد من أفراد الأمة لأن إمامته تزول بزوال الثورة وخاصة إذا اشترط أهل الحل والعقد ذلك عند عقد مبايعته، والثورة في إمامة الدفاع لا تهدأ ولا تنتهي إلا بأحد أمرين :الانتصار أو الهزيمة فإذا حدث النصر واستقرت الأحوال أعلنت إمامة الظهور، وأما إذا فشلت الثورة ولم تحقق أهدافها فلابد أن يستشهد كافة الثوار أداءً لواجبهم وإما أن يبقى قلة من الثوار في

[1] لقب يقصد به عبد الله بن يحي بن عمر الكندي أبو يحي ، الذي بويع إماما وقام محاربا في سبيل الله لما رأى ظلم بني أمية فاشيا وكانت ثورته في عام : ١٢٩هـ/٧٤٦م، واستشهد في صنعاء في مواجهة مع جيش الخليفة الأموي مروان بن محمد بقيادة عبد الملك بن محمد بن عطية السعدى عام ١٣٠هـ/ ٧٤٧م، معجم مصطلحات الإباضية ج١ص ٦٤١.

[2] المصدر نفسه ص ٣٦ .

حالة من الضعف والوهن فيخلفون إمامة الكتمان ومرحلة التقية والسرية وإما تقوى عزائم هؤلاء وتجدد عزائمهم ويدخلون في إمامة الشراء [1]،حيث يستند الإباضية على هذه الأحوال بمواقف الأئمة الأوائل مثل الإمام عبد الله بن وهب الراسبي الذي استشهد في معركة النهروان[2] ومن معه إلا عدد يسير ظل على قيد الحياة وكذلك موقف أبو حاتم بن حبيب بن يعقوب فقد ظل على صلابة وإصرار في مواجهة أعدائه حتى النهاية [3].

و قد جمعت المرحلتين مع بعضهما وذلك لتقاربها وتشابهما في المضمون (مرحلة الشراء)

والشراء كلمة مستمدة من قوله تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾ [4]، وفي اصطلاح أهل الدعوة مرحلة من مراحل الإمامة والحكم وهي تكون عند ما لا يتمكن أهل الدعوة من الظهور لضعفهم ولا يتمكنون من الدفاع بحيث تكون السلطة الحاكمة مهيمنة قوية في مثل هذه الحالة يشري جماعة تتركب من أربعين رجلا فما فوق[5]، يشرون آخرتهم بدنياهم ويعاهدون الله على الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدون مبالاة أو خوف ويضحون بأنفسهم في سبيل إحقاق الحق ودفع الباطل ولو أدى ذلك بهم إلى الاستشهاد وهو إنما سموا شراة لتحقق هذا المعنى فيهم فهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة والبيع لا يتم بتسليم الشيء المبيع للشاري وبذلك يحكم على الشاري أن يقيم حتى يموت أو يظهر دين الله، ويزول الكفر والجور والشراة وهم الفدائيون الذين يتطوعون لمقاتلة البغي والظلم وقد حدث مثل هذا في مراحل تاريخية كثيرة ولعل أبرزها على الإطلاق تلك المرحلة التي عقدت فيها الإمامة لأبي بلال مرداس بن حدير الذي ثار

[1] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٧

[2] أهل النهروان : أسلاف الإباضية الأول سموا كذلك نسبة إلى كورة النهروان الواقعة بين بغداد وواسط قصدها المحكمة بعد خروجهم من الكوفة وحوراء إثر معارضتهم ورفضهم تحكيم الحكمين في عهد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه معجم مصطلحات الاباضية ص ١٠٢٩ج٢

[3] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٨

[4] سورة البقرة الآية ٢٠٧

[5] محمد ناصر ، الأصول العقدية للناشئة المحمدية ، ممكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ط١، ١٩٩٣. ص٨٥

على ظلم الطاغية عبد الله بن زياد فاجتمع مع أربعين من أصحابه وقاتلوا دولة الجور حتى استشهدوا عن آخرهم واختيار عدد الأربعين له دلالة دينية وتاريخية هامة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت عبادته وعبادة أصحابه رضي الله عنهم خفية في مكة المكرمة حتى أسلم عمر رضي الله عنه فأصبح العدد بإسلامه أربعين، هنالك خرجوا من دار الأرقم وأعلنوا الصلاة خارج الدار فكان في ذلك دليل على أن للأربعين شأنا ، ومواطن الشراة سيوفهم وليس لهم أن يرجعوا عن فدائيتهم حتى لا يبقى منهم سوى ثلاثة في بعض الأقوال وقيل حتى الفناء الكلي في أقوال أخرى[1].

يرى البعض أن إمامة الشراة تمثل المرحلة من مسالك الدين[2] عند الإباضية وحيث تعيش الأمة حالة الدفاع والثورة ضد مظاهر الفساد والظلم حتى تقيم حدود الله وتطبيق أحكام الشريعة ويتم إزالة المفاسد والمنكرات وهذه مهمة الشراة وإمامهم هو إمام الشراة وهذا الإمام يتم مبايعته واختياره بأن يتقدم أحد جماعة الشراة من الشخص الذي وقع عليه الاختيار ليكون إماما للشراة فيصافحه بيده اليمنى ثم يخاطبه قائلا : إن قدمناك إماما على أنفسنا والمسلمين على أن تحكم بكتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتظهر دين الله الذي تعبد به عباده وتدعوا إليه ما وجدت وعلى الجهاد في سبيل الله فإذا قال: نعم قبلت، تصبح بيعته واجبة، ويتقدم أصحابه واحدا واحدا فيبايعونه ويخطب الخطيب بعد ذلك معلنا صحة البيعة وانعقادها ثم ينادي: "لا إله إلا الله"، لا حكم إلا لله خلعا وفراقا لأعداء الله، ويضع الإباضية العديد من الشروط والمتطلبات لتحقيق إمامة الشراة منها :

---

[1] الأصول العقدية للناشئة المحمدية مصدر سابق ص٨٧.

[2] مسالك الدين : المسالك وهو لغة الطريق ويراد به الطرق التي يتوصل بها إلى إنفاذ الأحكام الشرعية حسب أوضاع جماعة المسلمين قوة وضعفا وهي تجسد أشكال الإمامة عندهم وقد سماها بعض المحدثين : مسالك الإمامة ص ٤٨٨.ج١.

*يجب انتخاب الإمام من الشراة وأن تكون سلطته نافذة على جميع الشراة ما داموا في حالة الثورة والجهاد .

*لا يجوز للشراة أن يستعملوا التقية الدينية مهما كانت الظروف ولأي سبب كان .

*يجب أن يكون عدد الشراة الثائرين أكثر من أربعين رجلا مستدلين على ذلك بما كانت عليه أحوال النبي صلى الله عليه وسلم عند ابتداء دعوته إذ عندما اكتمل عدد من آمنوا به١، أربعون رجلا نزل قول الحق سبحانه وتعالى :" فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ "[٢] فكان الأمر بإظهار الدعوة والجهر بها ولذا يجب ألا يقل عدد الشراة عن أربعين رجلا[٣].

*ألا يتراجع الشراة عن الثورة والجهاد فإما الموت أو النصر ولا يستسلموا إلا إذا بلغ عددهم ثلاثة فأقل ولهذا قرر الإباضية أن إمام الشراة إذا نزل عن ثلاثة فليس عليه شيء وقال البعض الآخر يجب أن يستمر إمام الشراة في الجهاد حتى النهاية، أي حتى يظهر أمر الله أو يقتل شهيدا ولذلك يقرر الإباضية عدم جواز الرجوع عن أمر الجهاد في مرحلة الشراة إلا إذا نجحوا وهزموا عدوهم، وأن يكون الشراء[٤] طواعية[٥]وابتغاء مرضاة الله

[١] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة . ص٣٩

[٢] سورة الحجر الآية ٩٤.

[٣] الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٣٩.

[٤] الشراء: مسلك من مسالك الدين ونوع من أنواع الإمامة عند الإباضية قديما وهو أن يبيع إنسان نفسه ابتغاء مرضاة الله ويعني كذلك أن يشتري الإنسان نفسه من النار أو يشتري الجنة بنفسه والشراء عمل تطوعي بقصد مواجهة الظلم لا على سبيل الوجوب والفرض ولكن على سبيل الاستحباب ص٥٥١ معجم المصطلحات ج١ معجم مصطلحات الإباضية ، سلطنة عمان وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العقيدة الفقه ، الحضارة ، أ- ش، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،ط١ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

[٥] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص٤٠ .

فلا يجر أحد على الالتحاق بهم لما جاء بنص الآية الكريمة " وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ[1].

*يجب ألا يعود الشراة إلى ديارهم بعد الخروج للجهاد إلا في حالات التزود بالمعلومات والسلاح والاستعداد إذ لا يجوز لمن اختار الشراء أن يعود إلى بيته ويجب عليه القصر في الصلاة كالمسافر.

*يجب ألا يستقر الشراة في مكان واحد ولا يركنوا للراحة لأن مهمتهم تتطلب التنقل الدائم واليقظة المستمرة وعليهم الاستعداد للقاء العدو في أي لحظة، وعلى الشراة أن لا يروعوا الآمنين ولا يعترضوا سبيل المسالمين ولا يمسوا النساء والشيوخ والأطفال بسوء ولا يقاتلون أحدا إلا إذا بدأ هو بعدوان، وأن يحافظوا على الزرع والحرث والغلال ولا يهدموا الأسوار أو المباني إلا لضرورة تقتضيها مصلحة القتال والانتصار على الأعداء[2].

*يجب على الشراة الاستمرار في القتال حتى يتم القضاء على الفساد والظلم وتغيير نظام الحكم لأن الشراة[3] قد عاهدوا الله على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل وتطبيق أحكام الشرع ويصف الشيخ علي يحي معمر[4] أحواله الشراة في هذه المرحلة والإمامة فيقول:(إنه تنظيم رائد للفدائية في الإسلام عندما يتحكم الظلم وتعطل أحكام الله بأحكام السلطان وأن التاريخ سجل صفحات خالدة لثورة الشراة مثل ثورة أبو بلال

---

[1] سورة البقرة الية ٢٠٧ .

[2] عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٤٠

[3] الشراة :قالوا لقوله تعالى : " ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ي يبيعها ويبذلها في الجهاد ، وثمنها الجنة وقيل لقولهم إنا شرينا أنفسنا في طاعة الله أي بعناها بالجنة حين فارقنا الأئمة الجائرة والواحد شار ص ٩١.الملل والنحل

[4] علي يحي معمر:(١٣٣٧-١٤٠٠هـ-١٩١٩-١٩٨٠م) من علماء ليبيا وفقهاء الإباضية ولد في إحدى ضواحي مدينة نالوت في ليبيا لأسرة متدينة متوسطة الحال تعمل في الزراعة ظهر تفوقه منذ المرحلة الابتدائية سافر إلى جزيرة جربة لمتابعة العلوم الشرعية ودراسة الفقه الإباضي ثم انتقل إلى جامع الزيتونة ثم حط رحاله في معهد الحياة بالقرارة في الجزائر حيث اقام سبع سنوات ص ٢٩٣. د يزار أباظة _محمد رياض المالح ، إتمام الأعلام ، ذيل لكتاب الأعلام لخيرالدين الزركلي ، ط٢ ١٤٣٤هـ-٢٠٠٣م، دار الفكر دمشق .

مرداس التميمي وأخيه عروة أول من قال : لا حكم إلا لله وكذلك إمامة قريب بن مرة الأزدي وزحاف الطائي فهؤلاء كانوا يخرجون بأمر إمامهم جابر بن زيد العماني)، وأما عن مهمة الشراة في وقت السلم أي قبل إعلان الإمامة هي انتخاب الأئمة والعمال ومراقبة أعمالهم وأخلاقهم ومعاملاتهم ولا يخفي الشراة نتائج تحرياتهم ولا يمارسون التقية بل يعلنون عن كل شيء للرعية فإن كان خيرا يحمدون ويثنون وإن كان غير ذلك يذمون وينتقدون ويطالبون بالإصلاح والتغيير حتى يحرص الحكام على السير السوي ويجعلون نصب أعينهم علم الجميع بإخلاصهم العمل لله في إصلاح الأمة وإقامة الدين[1].

[1].عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية مصدر سابق ص ٤١.

المبحث الثالث :أماكن وجود المذهب الإباضي

المطلب الأول : الإباضية في عمان

يعتبر انتشار المذهب الإباضي بعمان[1] والأقطار الشرقية في بلاد الشرق عمان وخرسان والعراق ومصر وغيرها أقدم عهدا من انتشاره بالمغرب[2].

ومما يعضد هذا التاريخ الذي يحتفظ بتاريخ المذهب الإباضي وأصوله هو إسلام مازن بن غضوبة[3]وهو صحابي صاحب النبيﷺ وأخذ منه أحكام الصلاة وتعاليم الدين الإسلامي وهو من أوائل من أسلموا من عمان وأول من أدخل الدين الإسلامي إلى عمانوبقيت على نفس النهج الذي علمها إياه مازن ، وما يقوي هذه الحجة بعثة النبي ﷺ لعمر بن العاص إلى ملكي عمان عبد وجيفر وخاطبهما في رسالته بدخولهما في الإسلام فقبلا دعوة النبي ﷺ ، وبها عم الإسلام وانتشر في عمان ، وأصبحت عمان دولة مسلمة تحت حكم الملكين عبد وجيفر وصارا ولائهما للنبي ﷺ ولدولة الإسلام، عبد وجيفر أسلما

---

[1] عمان بضم أوله وتخفيف ثانيه وآخره نون اسم كورة عربية على ساحل بحر اليمن والهند وعمان في الإقليم الأول طولها أربع وثلاثون درجة وثلاثون دقيقة وعرضها تسع عشرة درجة وخمس وأربعون دقيقة في شرقي هجر تشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزروع إلا أن حرها يضرب به المثل ص ١٥٠ .

كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان عباد وجيفر ابنا الجلندى.

وبلاد عُمان (١) متصلة بأرض مهرة، وهي مجاورة لها من جهة الشمال، وبلاد عمان مستقلة في ذاتها عامرة بأهلها وهي كثيرة النخل والفواكه والموز والرمان والتين والعنب، وهي بلاد حارة ، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله معجم البلدان دار الفكر بيروت ، ص ١٥٠

[2] أبي سليمان الباروني إباضية اليوم وأين يوجدون من مختصر تاريخ الإباضية مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان ط٣ ، ١٤٢٣،٢٠٠٣ ص٦٧ .

[3] هو مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن مر بن حيان الطائي النهاني السعدي من بني سعد بن نبهان بن الغوث بن طي وهو من أهل سمائل إحدى المدن المشهورة بعمان هو أول من أسلم من أهل عمان سنة ستة للهجرة . ، اتحاف الأعيان ص٢١، ج١ .

[3] نور الدين عبد الله بن حميد السالمي اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، العدد الثامن عشر ، وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان ، ص ٥٩.

.

طوعا استجابة للنبي صلى الله عليه وسلم ، حينما دعاهم للإسلام ولم يضف تعليم عمر بن العاص [1]للعمانيين وخاصة في سمائل التي سبق مازن بدعوة أهلها إلى الإسلام قبل مجيئ عمرو بن العاص فوافق ما جاء به عمر من تعاليم الإسلام لما جاء به مازن وكلاهما أتى من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يظهر أي منهج مختلف عن ما كان عليه أهل عمان من قبل٢، وما يقوي هذه الحجة بعثة النبي ﷺ لعمرو بن العاص [3]إلى ملكي عمان عبد وجيفر وخاطبهما في رسالته بدخولهما في الإسلام فقبلا دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبها عم الإسلام وانتشر في عمان ، وأصبحت عمان دولة مسلمة تحت حكم الملكين عبد وجيفر وصار ولائهما للنبي صلى الله عليه وسلم ولدولة الإسلام ، ولم يضف تعليم عمرو بن العاص للعمانيين وخاصة في سمائل التي سبق مازن بدعوة أهلها إلى الإسلام قبل مجيئ عمرو بن العاص فوافق ما جاء به عمرو من تعاليم الإسلام لما جاء به مازن وكلاهما أتى من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يظهر أي منهج مختلف عن ما كان عليه أهل عمان من قبل٤، وهذا نص رسالة النبي صلى الله عليه وسلم .

[1]عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو عبد الله ، فاتح مصر وأحد كبار الساسة الدهاة في الدولة الإسلامية كان من أمراء الجيش في الشام في زمن عمر الذي ولاه فلسطين ثم مصر ولد في سنة خمسين قبل الهجرة وتوفي سنة ثلاث وأربيعين من الهجرة أبي زكريا يحي بن أبي بكر ت:اسماعيل العربي ،كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، المعروف بتاريخ أبي زكريا ، ط ٢، ١٣٩٩هـ ، ص ٥١ .

[2]أبي زكريا يحي بن أبي بكر ت:اسماعيل العربي ،كتاب سير الأئمة وأخبارهم ص ٥٩ .

[3]عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبو عبد الله ، فاتح مصر وأحد كبار الساسة الدهاة في الدولة الإسلامية كان من أمراء الجيش في الشام في زمن عمر الذي ولاه فلسطين ثم مصر ولد في سنة خمسين قبل الهجرة وتوفي سنة ثلاث وأربيعين من الهجرة ، أبي زكريا يحي بن أبي بكر ت:اسماعيل العربي ،كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، المعروف بتاريخ أبي زكريا ، ط ٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩مدار الغرب الإسلامي ، ص ٥١.

[4]اللمعة المرضية من أشعة الإباضية مصدر سابق ص ٥٩.

(بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد بن عبد الله إلى جيفر وعبد ابني الجلندى [1]: سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوكما بدعاية الإسلام ، أسلما تسلما فإني رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ، وإنكما إن أقررتما بالإسلام وليتكما ، وإن أبيتما أن تقرا بالإسلام فإن ملككما زائل عنكما ، وخيلي تحل ساحتكما وتظهر نبوتي على ملككما)٢.

رغم ضعف الإباضية بعد انقراض تلك الدولة في المغرب(الدولة الرستمية)[3] فإنهم كان لهم دور كبير في نشر الإسلام في أرض إفريقيا فقد كان تجار الإباضية يترددون إلى غرب إفريقيا ويؤثرون على الناس بسلوكهم المستقيم وكثير من الناس انطلقوا دعاة لله سبحانه وتعالى إلى عمق إفريقيا وكان لهم أثر كبير في انتشار الإسلام هناك ومن بين العلماء العاملين في نشر الإسلام الإمام علي بن يحي الذي كان سببا في دخول الإسلام في غانا ، ومالي وكثير من أهل هذين البلدين كانوا من قبل على المذهب الإباضي لما يثبت التاريخ ذلك .[4]

---

[1] عبد وجيفر إبني الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن المستكبر بن الجرار بن عبد العزى بن معولة بن شمس بن عثمان بن عمروا بن غنم بن غالب بن عثمان بن نصر بن زهران الأزدي العماني ص ٧٨. قصص وأخبار جرت في عمان ، العلامة أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي الأفوي ، ت: سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي ، ط٢، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م،وزارة التراث والثقافة سلطنة عمان.

[2] قاسم بن محمد بن سالم الصالحي ، تقد : أحمد بن سعود السيابي فكر الحوار المفتوح ،د ، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ص١١ .

[3] الدولة الرستمية بفضل الدور الإيجابي للمدرسة الإباضية وحملة العلم استطاع عبد الرحمن بن رستم عام ١٦٠هـ من تأسيس أول دولة جزائرية إسلامية على المذهب الأباضي واتخذت تاهرت عاصمة لها وكان الإمام عبد الرحمن بن رستم من أبرز تلاميذ الإمام أبي عبيدة وأحد حملة العلم عنه وقد استمرت الإمامة الإباضية الرستمية أكثر من مائتي عام ١٦٠ هـ إل ٢٩٦هـ تقريبا ، عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية عالم الكتب ، القاهرة ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، ص ١٢٢.

[4] أحمد بن حمد بن سلمان الخليلي المفتي العام للسلطنة عمان أماكن انتشار المذهب الإباضي ط٢، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣سلطنة عمان . ص ٤٦

المذهب الإباضي مذهب اسلامي كان له تأثير روحي وثقافي على الناس ، (علي يحي معمر) المذهب الإباضي أول المذاهب المعتدلة نشوء وأقربها إلى عصر النبوة وخير القرون وأفهمها لروح الإسلام وأسرار التشريع وهدي محمد وأصحابه ولهذا الأسباب نفسها ، ولعل الصفات التي يمتاز بها الإباضية أنهم لا يميلون إلى كثرة الجدل ولا يرتاحون للمناقشة الفارغة والخصام المتعنت ولا يشغلون أو قاتهم بترديد الأقاويل وإطالة الأحاديث وذلك أن قواعد الدين جعلتهم يؤمنون بقيمة الفكرة لا الكلمة ويجدون قوة الدليل في العمل لافي القول ويعرفون أن إقامة الحجة بالسلوك أقوى منها بالدعوى[1].

درجت الإباضية خاصة إباضية المشرق[2] عند الحديث عن مذهبهم على استخدام مصطلح : الشراة أو جماعة المسلمين أو أهل الدعوة والاستقامة ،هذا في القرن الثالث عشر الهجري ، وبشيء من التحفظ الشديد يمكن القول بأن غالبية الإباضية هم عمانيون ، والإمام جابر بن زيد عماني، لذا وجد العمانيون أنهم أولى به من غيرهم [3] ، وإن معظم الإباضية كانوا من بني تميم والأزد ، وكانت تربطهم روابط أسرية وقبلية ولعل تميم البصرة تقاعست عن نشر هذا المذهب في مواطنها الأصلية في وسط الجزيرة العربية بينما استطاعت الأزد أن تنشر المذهب الإباضي في موطنها الأصلي عمان وامتدت دعوتها إلى اليمن وحضرموت ، ولعل أزد عمان هي التي شددت بأن جابر بن زيد هو المؤسس الحقيقي لمذهب الإباضية قبل أن يظهر عبد الله بن إباض إنما كان بتوجيه من

[1] أماكن انتشار المذهب الإباضي مصدر سابق ص٥٨ .

[2] إباضية المشرق :ابتداء من مصر فاليمن وعمان والعراق وحضرموت وزنجبار وخراسان وما والاها ويطلق عليهم كذلك أهل المشرق وتطلق هذه المصطلحات في مقابلة مصطلح المغاربة أو أهل المغرب الذي يعني إباضية ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الأقصى والأندلس .معجم مصطلحات الإباضية ، سلطنة عمان وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، العقيدة الفقه ، الحضارة أ- ش، لجنة البحث العلمي لجمعية التراث ،١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م،ط١ ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م ، ص٥٤١ .

[3] عبد الرحمن جعفر بن عقيل ، صفحات من تاريخ الإباضية في عمان وحضرموت دار حضرموت للدراسات والنشر ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م،.ص١٢٧ .

الإمام جابر بن زيد الذي سبق له وجود في البصرة مع الشراة الأوائل من أمثال أبي بلال مرداس بن حدير وأخيه عروة[1].

عمان إقليم سلطاني على خليج فارس وهي كمفتاح للخليج العربي بالإضافة إلى الموانئ التي تقع على شواطئها وإلى ثروتها الزراعية وكنوزها الطبيعية وجنوبيها البحر الهندي والبحر العربي وشماليها الخليج الفارسي وهي جزء من جزيرة العرب تمتد من حدود قطر إلى حدود حضرموت [2]وغير مضبوط عدد سكانها ولا يوجد بهاء إحصاء رسمي ولا اهتمام لأهلها بذلك وما يذكره المؤرخون إنما هو على التخمين أو النقل غير المعتبر. ولا يعرف أول من سكنها على الصحيح، ذكر بعض المؤرخين أن قبائل العرب البائدة طسم وجديس كانوا بها والأخص العمالقة ولا يفهم أنهم انقرضوا أو أخرجهم الفرس منها وكتب أهل التاريخ القديم والحديث كثيراً عن أوصاف عمان وسكانها ولابن خلدون وابن الأثير قدم السبق وذكرها غيرهم كالطبري واليعقوبي والمسالك والممالك.

((قال فلبي إن الأقسام الجنوبيَّة من شبه جزيرة العرب هي الوطن الأصليَّ للسَّاميين)).

ذكر العوتبي المؤرخ العماني أنَّ حدود جزيرة العرب في الطول ما بين العذيب إلى عدن وسُئل الشعبي عن جزيرة العرب فقال ما بين العذيب إلى حضرموت قال أبو حاتم حدَّثنا أبو عبيدة معمر بن المثَّنى قال جزيرة العرب خمسة أقسَام: تَهامة، الحجاز، نجد، العروض، اليمن، وذلك أن جبل السَّراة هو أعظم جبال العرب يمتد من ثغرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام فسمَّته العرب حجازًا لأنه حجز بين الغور وهو منخفض وبين نجد وهو مرتفع ثم صار ما خلف هذا الجبل من غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك

[1] المصدر نفسه ص ١٢٨ .

[2] حضرموت: سميت بهذا الاسم على اسم ملك حكم هذا الإقليم ، وقد وردت هذه التسمية في التوراة في سفر التكوين بلفظ (حضرميت)، واسمها الأصلي وادي الأحقاف ، وهي التسمية القديمة التي أطلقها عليها القرآن الكريم في قوله تعالى :" واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف "الاحقاف ٤٦، ص ٩.سقاف علي الكاف ، حضرموت عبر أربعة عضر قرنا ، مكتبة أسامة ، بيروت

وفرسان كنانة وما حولها إلى ذات عرق والجحفة وما صاقبَها وما غار من أهلها غور تهامة، وتَهامة تجمع ذلك كلَّه وما صار شرقي هذا الجبل من الصَّحاري والنخل إلى أطراف العراق والسَّماوة وما يليها ونجد تجمع ذلك كلُّه وصار الجبل نفسه سراة وسمي جبل السراة لارتفاعه وهو الحجاز والحرار وما احتجز به من الجبال مرد.[1]

والحوراء إلى ناحية قبل وجَبل طي إلى المدينة من بلاد مذحج وهي متاخمة اليمن وما يليها وما دونَها إلى قيد حجاز والعرب تسمَّيه نجداً وجلساً وحجازًا والحجاز يجمع ذلك كله وصارت اليمامة وما والاها عروضاً وفيها تهائم ونجود لقربها من البحار وانخفاض مسائل الأودية وصار ما خلف التثليث إلى صنعاء إلى حضرموت والشحر وعمان يمناً وفيها التهائم والنجد، واليمن يجمع ذلك كله فإذا وصلت ذلك فقد انتهيت إلى البحر وإذا عرضا لك الجزار وأنت بنجد فتلك الحجاز وإذا تصوبت فالحجاز مكة والمدينة.

قال أبو منذر هشام بن محمد إنما سميت بلاد العرب الجزيرة لإحاطة البحور والأنهار بها من أقطارها وأطرافها وصار الأمر منها في مثل جزيرة من جزائر البحور وذلك أنّ الفران أقبل من بلاد الرُّوم فظهر بناحية قنسرين، ثم انحدر إلى أطراف الجزيرة وسواد العراق حتى دفع البحر من ناحية البصرة والأبُلَّه واتجه إلى عبَّادان وأخذ من ذلك الموضع مطيفاً ببلاد العرب منعطفاً عليها، فأتى منها إلى صفوان وكاظمه ونفد إلى القطيف والهجر وأسياف وقطر وعمان والشحر ومال منه عنق إلى حضرموت وأبيل وعدن ودهلك واستطال ذلك العنق فطعن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحكم والأشعريين وعك ومضى إلى جدة ساحل مكة المكرمة وجاز ساحل المدينة وساحل الطور وخليج أيله وساحل راية حتى بلغ قُلزم مصر وخالط بلادها وأقبل النيل من غربي هذا العنق من أعلا

[1] محمد شيبة بن نور الدين عبد الله بن حُمَيْد السالمي أبو بشير نهضة الأعيان بِجُرِّيَّة عُمان ،مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، محمد حلمي المنياوي ج١ ص٤ .

بلاد السودان مستطيلا معارضاً للبحر حتى دفع مصر والشام ثم أقبل ذلك البحر من مصر حتى بلغ بلاد فلسطين فمر بعسقلان وسواحلها حتى أتى صور ساحل الأردن وعلى بيروت وسواحل دمشق ثم نفد إلى سواحل حمص وسواحل قنسرين حتى خالط الناحية التي أقبل منها الفرات منحدرا على أطراف قنسرين والجزيرة إلى سواد العراق، وذكرت العرب هذه الأقسام الخمسة في أشعارها فصارت بلادهم هذه الجزيرة التي نزلوا بها على خمسة أقسام: تهامة، والحجاز، ونجد، والعروض، واليمن[1].

[1] نهضة الأعيان بِجُرَّبَة عُمان مصدر سابق ص ٧ .

المطلب الثاني :الإباضية في ليبيا

يعيش إباضية اليوم بالجبل وزوارة وجربة ليس كأسلافهم في قليل ولا كثير من التطبيق العملي لتعاليم الدين فهي الآن كسائر أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى سواء بسواء لا يمتازون عنهم بشيء إلا في النادر القليل أما أهل ميزاب وعمان فإنهم مازالوا في القيام بشؤون الدين على ما يرض الله ورسوله وقد سبق بأن اليد السياسية قضت على وجودهم في أغلب الأقطار فلزم حينئذ فمن مكان تواجدهم ، فوجدوا أغلبهم في القطر العماني الواقع على بحر العرب وخليج فارس من شرق الجزيرة العربية حيث لا يقل عددهم هناك عن ثلاثة ملايين فهم بعمان أغلبية ساحقة ولهم إمام عادل يعين بالشورى ويحكم بينهم بالكتاب والسنة وأكثر نواحي القصر تحت حكمه إلا مسقطا وبعض الجهات الساحلية فإنها خاضعة لأمير يلقب بالسلطان وهو إباضي أيضا إلا أنه مشمول بالحماية البريطانية وبينه وبين الإمام اتفاقيات وهو كالتابع له من الوجهة الدينية ويوجد نحو ربع مليون من الاباضية بجزائر إفريقيا الشرقية البريطانية التي كانت ولا تزال إلى وقت غير بعيد مستعمرات عمان ولا يزال سلطان زنجبار لقاعدة هذه الجزر إباضيا يتولاها هو وآباؤه بالوراثة السياسية وهم وسلاطين مسقط من أسرة واحدة ويوجد من شرق افريقيا البريطاني الألماني سابقا.[1] عدد قليل ويوجد منهم في إفريقيا الشمالية بجبل نفوسة وزوارة من طرابلس وجزيرة جربة من تونس ووادي ميزاب بالجزائر انتشار مذهب الإباضية وتاريخ ظهوره بالمغرب

في عهد مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية كان مذهب الإباضية بطرابلس قويا منتشرا ومما يدل على ذلك أن الحارث وعبد الجبار زعيمي الإباضية كان قد حدث بينهما وبين عامل طرابلس من قبل بني أمية خلاف أدى إلى نشوب الحرب بين الفريقين

[1] أبي سليمان الباروني إباضية اليوم وأين يوجدون من مختصر تاريخ الإباضية مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان ط٣ ، ١٤٢٣...٢٠٠٣ ص ٣٤ .

كانت الدائرة على العمل فانتزع منه طرابلس وملكاها حينا من الدهر وحكماها بعدل ، وهناك جمهورية صغيرة ببلاد القوقاز أصلها إباضية [1].

الإسلام نظام شامل لأمور الدين والدنيا معا ، والأحداث التاريخية تثبت مدى التنسيق التام بين الروحانيات والماديات وبين العقيدة والتشريع ، والعبادات والمعاملات ،حيث يعتبر سلمة بن سعد الحضرمي أول شخصية تذكرها المصادر الإباضية مقرونة بالدعوة الإباضية في شمال إفريقية ، وقد ارتحل إلى شمال إفريقية بعد عام ٩٥هـ/ ٧١٣م، وقد استقر سلمة في جبل نفوسة في منطقة طرابلس ، وكان سلمة شديد الحماس حريصا على نشر العوة بين قبائل المغرب ، ويروي عنه أنه قال: وددت أن يظهر هذا الأمر بأرض المغرب يوما واحدا من غدوة إلى الزوال فما أبالي أن ضربت عنقي ،وقد أرسل سلمة بن سعد بعض الأشخاص بالذهاب إلى المشرق ليأخذوا العلم ويتفقهوا على يد زعيم الحركة في البصرة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي ، وكان أشهر هؤلاء الأشخاص أبا عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغيطر الجناوني ، وقد أصبح ابن مغيطر مقدم الإباضية في منطقة طرابلس بعد اختفاء سلمة عن مسرح الأحداث ، وقد سنحت الأحوال بإعلان الإمامة الإباضية في طرابلس سنة ١٤٠هـ/٧٥٧م، حيث اتفق الإباضية أن يبايعوا الحارث بن تليد إماما عليهم فقام الحارث باحتلال طرابلس وبقية ليبيا ولكنه قتل غيلة على أيدي أعوان عبد الرحمن بن حبيب ، والي طرابلس العباسي ، وبويع بعده أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري إماما للإباضية وتمكن الإباضية بقيادة أبي الخطاب من الاستيلاء على طرابلس واتخاذها مركزا كما استولوا في العام نفسه على جزيرة جربة وجبل دمر وقابس ودانت لأبي الخطاب معظم بلاد الأدنى واستطاع الاستيلاء على القيروان قصبة إفريقية في العام التالي ، وقد استمر الإباضية في صراعهم مع الولاة العباسيين طيلة خمس سنوات وانتهى النزاع بمقتل الإمام المنتخب أبي الخطاب

[1] إباضية اليوم وأين يوجدون مصدر سابق ص ٣٥ .

المعافري[1] من معركة[2]، تاورغا ١٤٤هـ/٧٦١م، على يد الوالي العباسي محمد بن الأشعث الخزاي ، وبعد هذه الأحداث بويع أبو حاتم يعقوب بن حبيب المعروف بالملزوزي الذي قتل هو الآخر في معركة حامية مع والي الحبة جعفر المنصور ، وكان قد حارب الاغالبة وتغلب عليهم وبعد مقتل أبي حاتم انتقل مركز الإباضية من طرابلس إلى تاهرت بالجزائر حيث تكونت دولة الرستميين[3].

عبد الرحمن بن رستم بعد وفاة الإمام أبي الخطاب خرج عبد الرحمن بن رستم مع رجال الإباضية إلى الجزائر وبويع له بالإمامة وطار صيته في أطراف الأرض شرقا وغربا وظل إماما في تاهرت أحد عشر عاما ، وكان عبد الرحمن قد هرب إلى تاهرت وترك القيروان بعد انتهاء إمامة طرابلس ن وبدأ في بناء مدينة تاهرت القديمة .[4].

دخول المذهب الإباضي إلى ليبيا :إن سريان الأفكار والآراء والعقائد من بلد إلى بلد أو من قطر إلى قطر لا يمكن أن يؤرخ بالتحديد الزمني فهي تتسرب تدريجيا وقد يبطئ وقد يسرع من فرد إلى فرد حتى تتغلب وتنتشر وعلى هذه الطريقة نفسها دخل المذهب الإباضي إلى ليبيا ، بدأ المذهب الإباضي يحرر آراءه وعقائده في أواخر النصف الأول من القرن الأول الهجري ولم يتم النصف الثاني من هذا القرن حتى كانت الأصول التي تميزت عن غيره من الفرق والمذاهب قد تقررت ففي البصرة التي كانت مراكز الإشعاع الإسلامي عاش ما المذهب التابعي الكبير جابر بن زيد ما بين ٢٢هـ و٩٦هـ ومن هذا المركز الإشعاعي ومن البؤرة التي كان يستضيء بها هذا الإمام امتد النور مختلف البلاد

[1] أبي الخطاب عبد الأعلى :أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني أحد حملة العلم من الإباضية إلى المغرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة إمام الكتمان في البصرة بعد جابر بن زيد الأزدي .ص ٢٦، ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين ت: د محمد ناصر –ابراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي .

[2] سليمان باشا الباروني ،م محمد علي الصليبي الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ط١، ٢٠٠٥، دار الحكمة لندن ص ٤١ .

[3] لأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ص ٤٢ .

[4] المصدر نفسه ص ٤٣.

الإسلامية بصورة تدريجية بطيئة على طريقة العقائد التي تحارب الباطل بالحجة لا بالقوة وتسلح بالحق لا بالسيف ويعتنقها الناس بالإقناع لا بالخوف، ولعل التسامح في معاملة في معاملة المعتدين من المسلمين والبساطة في مظهر السلطة والحكم، والوضوح في الرأي والعقيدة والصراحة في قول الحق والعمل به والاستمساك بالواضح من دين الله ، كانت من الأسباب التي ساعدت على انتشار المذهب الإباضي في أكثر البلاد الإسلامية[1]،وفي ذلك الحين الذي كان فيه المعتزلة يشغلون أوقات الناس بالجدل وكان الأزارقة ومن ذهب مذهبهم ينطلقون في الأوساط الإسلامية المسالمة يبتزون الأموال ويقتلون الرجال ويستحلون سبي النساء والاطفال وكان الشيعة عاكفين على وضع الأحاديث في فضائل بني هاشم وتحبير الخطب البليغة على لسان علي بن أبي طالب والتغني بعصمة أهل البيت وكان أهل السنة والجماعة من أتباع معاوية منهمكين في مكافحة ثورات الخوارج وابن الزبير وغيرها وفي التقاط العيوب وتلفيق الاكاذيب لتكون مادة السب واللعن لعلي بن أبي طالب في خطب الجمعة ، وفي هذه الأحوال كان الإباضية ومن جرى هذا المجرى من التابعين وتابعي التابعين يدعون إلى دين الله في هدوء واتزان لا يصخبون صخب المعتزلة حبا في الظهور ولا يحاربون حرب الأزارقة بالخطأ في تأويل كتاب الله ، ولا يفرطون إفراط الشيعة استغلالا للعاطفة الدينية ولا يكذبون كذب بني أمية ليقيموا الدولة ويحفظوا الملك، وبهذه الروح المؤمنة التي تضع كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بين عينيها تدعوا إليها متجردة عن عواطف الحب والبغض في غير الله عازفة عن زخرف الدنيا وبهرجها متأكدة من معنى آيات كتاب الله في التفريق بين المسلمين والمشركين معرضة عن حب الظهور الذي يسعى إليه المعتزلة جاهدين ، حينها كان الإباضية يعملون وذهبت هذه الدعوة التي لا تحيد عن منهج الإسلام في البلاد[2].

[1] علي يحي معمر ، الإباضية في موكب التاريخ :مصدر سابق ص٢١ .

[2] المصدر نفسه ص٢٢ .

سلمة بن سعد رجل امتلأ قلبه إيمانا بالله ووعي عقله ما دعا إليه الكتاب الكريم واتسع فهمه الذكي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث :الإباضية في الجزائر و تونس

وقد انتشر في المغرب انتشارا تاما حتى كانت الدولة في زمن الأئمة الرستميين تحكم على مسيرة ثلاثة أشهر لا ترى فيها إلا زاهدا أو عابدا وقائما بأمر الله ، حيث كثرت العلماء ، حتى أنه قتل منهم في وقعة مانوا [1] التي كانت بين الرستميين والأغالبة أربعمئة عالم ، وفي وقعة أخرى ثمانون ،في ذلك الوقت لم يكن مذهب الشافعية قد انتشر كل الانتشار إلا بعد ذلك ٢، وارتبط دخول المذهب الإباضي إلى المغرب ارتباط وثيق بالظروف التي مر بها المذهب وانتقاله من مرحلة إلى أخرى و بحملة العلم إلى المغرب الذين اسهموا في نقل هذا الفكر ونشره في المغرب ...وتمخضت عنه جماعة من الإباضية اختارت مكان في صحراء جنوب الجزائر ليكون مستقرها وموطن لها ،وسميت "ميزاب ":واد جدب ناء عن أماكن العمران وعن الحياة ، وبين جبال جرداء صخرية ، تكونت من صبر وأناة قرى ، ومداشر، ونشأت حولها في صمت مدهش وإرادة محيرة ، واحات ضئيلة ، تضمن البقاء لتلك الديار بما تدر من ثمرات وما تضفيه عليها من ظل يخفف عنها الحرارة المحرقة والجفاف ،كان ذلك منذ ردح من الزمن لا يعلم مبدأه بالضبط إلا الله تعالى ، وبذلك الصبر وبتلك الإرادة الدؤوب استطعنا الآن أن نرى هذه القرى وهذه الواحات وقد بورك فيها، فتمددت الواحات أميالا تضم آلافا من شجر النخيل الثابت الصابر ثبات وصبر تلك المنطقة، تتخللها أنوار أخرى من الشجر ، وكأنها تشير إلى رفاهية الحياة ، ونعيمها الذي بدأت المنطقة تأخذ بقسط منه واستمرار الإباضية بالوادي المتتبع لتاريخ منطقة مزاب لا يلمس الوضوح في تلك الحقب المشار إليها ، ولا يستطيع أن يضع الحجرة الأولى في بناء تاريخها إلا ابتداء من القرن الخامس الهجري أي العاشر

[1] مانوا :معركة تنسب إل قصر قديم بين طرابلس وقابس وفيه وقعت معركة بين الأغالبة والإباضية سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م على يد أبي العباس ابراهيم الأغلبي واستشهد منهم اثنا عشر ألفا من بينهم أربعمائة عالم ، فكان الحدث سببا مباشرا لانهيار الإمامة الرستمية بعد ذلك ، معجم مصطلحات الإباضية ، ج١،ط١مصدر سابق ص٩٤٥.

[2] للمعة المرضية من أشعة الإباضية مصدر سابق ص٥٨.

الميلادي ، عندما انتقلت فلول الإباضية من الشمال بعد زوال الدولة الرستمية واشتداد العبيديين، الشيعة المناهضين للإباضية ، وينموا العمران تدريجيا عندما تململوا من سكنى ورقلة ، وسدراتة الناحية التي نزحوا إليها ، قبل استقرارهم ، بمزاب وأسباب انتقالهم منها الى مزاب مجهولة ولعل في وخامه المنطقة أيضا ما زهدهم فيها[1].

كلمة بني ميزاب ..أصلها بنوا مصعب وإن كان العلامة ابن خلدون سماه مصاب أو مضاب وتعود تسميتهم بهذا الاسم لأنهم استوطنوا بادية بني مصعب التي كان يسكنها قبلهم المعتزلة وبدخول المذهب الإباضي هذه المنطقة واعتناق سكانها له على يد الإمام أبو عبد الله محمد بن بكر النفوسي الفرسطائي سمي سكان تلك البادية بني مصعب ولان غالبية سكان تلك البلاد من الإباضية فقد أصبح على مر الأيام اسم ميزابي ، مصعبي مرادفا لكلمة إباضي وذلك ما ذهب إليه الأستاذ علي يحي معمر فلفظ ميزابي دلالة على كلمة إباضي كقولنا مغربي دلالة على المذهب المالكي ولقد نزح الاباضية إلى بادية وجبال بني مصعب بعد سلسلة من التنقلات ابتدأت بالدولة الرستمية التي كانت أول دولة للمذهب الإباضي بالمغرب الأوسط، انشأت على يد عبد الرحمن بن رستم ١٦٠هـ –٧٧٧واستمرت إلى ٢٩٦هـ –٩٠٩، وبعد سقوط الدولة الرستمية نزح الإباضية إلى منطقة وارجلان[2] وسدراتة [3].

---

[1] محمد ابراهيم طلاي من تاريخ الجزائر ، ميزاب بلد كفاح ، دراسة تاريخية اجتماعية ، تلقي أضواء على نشأة هذا البلد وحياة ساكنة ، ص٢١ .

[2] وارجلان: قع في الجنوب الشرقي للجزائر،وهي مدينة صحراوية عرف هذا البلد قديما باسم فجوهة وأطلقت عليه تسميات متقاربة من حيث النطق مثل واركلان واركلا و ارقلا و وارجلان إلا أن الاسمين اللذين اشتهرت بهما الآن هي وارجلان وورقلة وهي موطن من مواطن الإباضية على عهد الرستميين وما يليه إلى اليوم .معجم مصطلحات الإباضية ص ١٠٤٥ ج٢

[3] الإباضية في موكب التاريخ مصدر سابق ص٢٣.

دخل المذهب الإباضي الجزائر مع الفاتحين لأن الإباضية ليس فيها شيء غير ما في الإسلام[1] ص وقد استمر الإباضية إلى النزر اليسير على المنهاج الإسلامي النظيف يحافظون عليه في أنفسهم ويأملون من غيرهم أن يحافظوا عليه ويدعون أولياء الأمر ممن في أيديهم شؤون الأمة أن يراعوا حق الله فيها وأن يؤدوا الأمانة التي جعلها الله في أعناقهم كما أرادها الله ومسلك الإباضية في الجزائر سائر على منهجين :الأول :استمساكهم بالواضح من دين الله والعمل به والحرص عليه والتزام سيره وآدابه في تشدد يبلغ الجمود أحيانا ودعوة المسلمين إلى تلك المحافظة ومطالبة الفاتحين على الحكم منهم ومن غيرهم بمراعاة شريعة الله فيما يفعلون وفيما يذرون ،والثاني .. الحرص على الجهاد المقدس والكفاح في سبيل الله سواء كان ذلك الجهاد لتأمين الدعوة في البلاد التي يفتحها المسلمون أو في الدفاع عن البلاد الإسلامية التي يحاربها المشركون .

فإذا كان الإباضية يستمسكون بدين الله كما عرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا يسيرون خير القرون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر داخل أمة الإجابة ويجاهدون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله لتبليغ رسالة الله فإن تاريخ دخولهم إلى الجزائر يكون هو تاريخ دخول الإسلام إليها وعلى هذا فيكون دخول المذهب الإباضي إلى الجزائر ما بين الخمسين والستين للهجرة وهو التاريخ الذي بدأت فيه الفتوحات الإسلامية لدخول الجزائر ، هذا بناءً على ما قاله الشيخ يوسف العطفاوي (... أما بالنظر إلى ما يراه أكثر المؤرخين وكتاب مقالات العقائد وباعتبار أن الإباضية مذهب إسلامي كغيره من المذاهب له قواعده وأصوله وفروعه المختصة به فإن دخوله الجزائر يمكون في أواخر القرن الأول الهجري وأوائل القرن الثاني، وأظهر الشخصيات التي ظهرت

[1] علي يحي معمر الحلقة الرابعة . الإباضية في الجزائر ص الإباضية في موكب التاريخ ص١٠ .

على سرح الدعوة له ذلك الحين هو سلمان بن سعد[1]، كان من أنشط الدعاة إلى الاستمساك بدين الله كما أخذه من كبار التابعين[2].

أما عن دخول المذهب الإباضي إلى تونس كان في مطلع القرن الثاني الهجري بدأ المذهب الإباضي ينتشر بسرعة في تونس، كما انتشر في مصر وليبيا وبقية المغرب، وأهم سبب لانتشاره بسرعة، إن أتباعه والدعاة إليه، حافظوا على صفاء الرسالة الإسلامية، فلم ينحرف عن النهج القويم الذي عرفه الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولخلفائه الراشدين. لم تلتصق به البدع الدخيلة، ولم يشنه ظلم الطغاة من الولادة، فكانت المبادئ التي يدعو إليها هي المبادئ السمحة الكريمة الصافية التي يدعو إليها الإسلام منذ كان محمد ﷺ، وكانت السيرة التي يسير عليها ولادته هي السيرة التي حافظ عليها المهتدون من خلفائه عليه السلام،[3]ولقد كان للداعية المسلم الكبير – سلمة بن سعد – أثر كبير في نشر هذه الدعوة– طريقا وسطا في بلدان المغرب الشاسعة، فلم يكن طريقه في صحراء، كما لم يكن في الشريط الساحلي وأعتقد إنه تجنب الطريق الساحلية، في رحلته الطويلة، لنشر دعوته القويمة، حتى لا يصطدم بأعوان الدول الظالمة التي كانت تسيطر على تلك الجهات فيتعرض لمصائب قد تعوقه عن القيام بمهمته، كما إنه يتجنب الطريق الصحراوية، لما يتعرض له من مشاق قطع الصحارى الواسعة واجتياز أخطارها، دون أن يكون له يكون له ما يساعده على ذلك من رفقة، ثم إن معظم السكان كانوا على المناطق الجبلية التي تخترق كلا من ليبيا وتونس والجزائر، ومروره بهذه المنطقة المتوسطة

[1] الحلقة الرابعة . الإباضية في الجزائر ص الإباضية في موكب التاريخ مصدر سابق ص١٢ .

[2] المصدر نفسه ص١٤ .

[3] علي يحي معمر الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس، المجلد الثاني ، مكتبة الضامري ، سلطنة عمان السيب ،ط٢ – ١٩٩٣ ص٢١ .

الآهلة بالسكان، ييسر له الاتصال بالناس – ويساعده على إيضاح الرسالة الإسلامية لهم، وتنظيمها لحياتهم – أكثر من أية جهة أخرى.[1]

ولقد كانت المهمة الأولى التي يريد أن يعطيها للناس، هي أن يقرر في أذهانهم، الصورة الصحيحة للإسلام، الصورة الصحيحة في الإيمان والعبادة والمعاملة. ذلك أن الناس، تلقوا الرسالة الإسلامية من كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سيرة أصحابه رضوان الله عليهم فآمنوا بها واطمأنوا إليها ووثقوا بها، فلما رأى الناس الصورة العملية، عند كثير ممن يحكم باسم الإسلام، بعيدة عما عرفوا من الإسلام كون ذلك عند بعضهم رد فعل جعلهم ينحرفون أو لا يبالون، وقد استطاع سعد بن سلمه أن يقنع الناس أن نظام الإسلام، ليس هو هذا النظام الذي يقوم عليه الولاة الظالمون ومن يسير في ركابهم من قادة وجنود وأتباع، وليس هو هذا التنطع الذي يدعو إليه المبتدعة ممن يفرق كلمة المسلمين ويبث الشقاق بينهم ويحكم على مخالفيهم بأحكام المشركين، فيستبيح منهم ما يستباح من أعداء الله ولا هو في التبجح والدعوى وكثرة الجدل وحب الظهور وإنما هو في الإيمان الذي يمتلئ به قلب المؤمن، فتستبيح من أعداء الله، ولا هو في التبجح والدعوى وكثرة الجدل وحبة الظهور، وإنما هو في الإيمان الذي يمتلئ به قلب المؤمن، فتستجيب له جوارحه، فيكون عبدا لله، لا يغره مظهر، ولا يخدعه منصب، ولا تغلبه نفس أمارة بالسوء، ولا يخضع لشهوة غالبة، مهما كان الدافع إليها[2].

واستجاب الناس لهذه الدعوة الصافية الخالصة، وكان سلمة ينتقل بين المدن والقرى يوضح للناس تشريع الإسلام في أعداد فرص الحياة، ونظامه في الحكم، ومساواته بين الناس من جميع الأجناس[3].

---

[1] المصدر نفسه ص٢٢ .

[2] لإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص ٢٢.

[3] المصدر نفسه ص ٢٢ .

ولعل السكان في القطر التونسي كانوا أكثر فهما لهذه الدعوة، وتعلقا بها، واستجابة لها في ذلك الحين، ولذلك فقد كونوا البعثة العلمية إلى البصرة، لتتم دراستها في ذلك المركز من مراكز الإشعاع الإسلامي، وسافر الطالبان النجيبان عبد الرحمن بن رستم من القيروان وأبو داود من قبلي، ليغترفا بحر العلوم من شيخ الاباضية آنذاك ومرجع للإباضية خليفة الإمام جابر في الإمامة ، العالم الجليل في العراق أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة[1]، ولقد درس الطالبان على الإمام الكبير خمس سنوات كاملة ثم رجعا مع زملاء لهم فقام عبد الرحمن بكفاح سياسي بدأه في ليبيا ثم انتقل به إلى تونس ثم انتقل به إلى الجزائر، حيث أسس الدولة الرستمية الشهيرة، أما أبو داود فقد انقطع عن الكفاح السياسي والعسكري إلى الكفاح العلمي والإصلاح الديني، وكان لكفاحه هذا أكبر الأثر في تكوين جيل مثقف ثقافة إسلامية صحيحة، حريص على المحافظة على دين الله كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.[2]ص١٣

لقد كان أغلب سكان المملكة التونسية على المذهب الإباضي يقول الاستاذ محمد المرزوقي نقلا عن الاستاذ لوفيسكى:» إن هذا المذهب قد جاء إلى تونس من طرابلس وانتشر انتشار واسعا في الشعوب البربرية بجهات جربة وجرجيس وورغمة ومطماطة ونفزاوة والجريد. ويقول في مكان أخر من الكتاب:» وكان سكان نفزاوة على المذهب الصفري وتحولوا إلى الاباضية في عهد الإمام عبد الوهاب وبقي هذا المذهب هناك إلى القرن الحادي عشر م. حيث كان في بلدة فطناسة من نفزاوة وحدها أحد عشر مسجدا إباضيا. وأما في الجريد فقد انتشرت الاباضية في زمن مبكر وكان لها قوة عتيدة خصوصا

[1] أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة يعتبر ابو عبيده مسلم ابن ابي كريمة الامام الثاني للإباضية وقد اصبح مرجع الإباضية دون خلاف بعد جابر بن ولد في حوالي ٤٥ هجريه مبارك الراشدي ، ولي إدارة أمر الإباضية بعد وفاة الإمام جابر بن زيد عام ٩٣هـ، وإذا كان الإمام جابر من كبار التابعين فإن أبا عبيدة يعتبر أيضا من تابعي التابعين عند كثير من العلماء لأنه عاصر عددا من الصحابة الكرام ، إسماعيل بن صالح الأغبري ، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،مكتب الإفتاء ، سلطنة عمان ص٦٦.

[2] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص ٤٧ .

في أيام ازدهار مدينة (درجين) قرب (نفطة) وكان سكان درجين يعدون وحدهم نحو ثمانية عشر ألف فارس، وانتشرت الوهبية بين توزر والحامة. «ويقول بعد كلام» فكان الاباضية يؤمون نفس المساجد التي يؤمها أهل السنة، ويملون تعاليمهم، ويناقشون تلاميذهم، ويحدثنا مؤرخ مغربي أن مفتيين على رأي المذهب الإباضي كانا بالقيروان في النصف الثاني من القرن التاسع ميلادي ودامت مدينة القيروان إلى القرن الحادي عشر ميلادي ، مثابة الإباضيين الواردين من مختلف بقاع المغرب لتعليم العربية وآدابها، وكانت فروع من مزاته وهوارة تسكن حصن القيروان وهي على المذهب الإباضي من الوهبية في أيام بني زيرى الصنهاجيين « ويقول بعد الكلام» ودخلت الاباضية إلى جبل وسلات حيث كانت معروفة إلى القرن الحادي عشر كما كان هذا المذهب موجودا بين سكان زغوان من نفوسة أثناء هذه المدة [1]

لقد كانت هذه البلاد وغيرها من البلاد التي يسكنها الاباضية في تونس تابعة للإمامات في طرابلس تبعية فعلية كما هو الشأن في القيروان وقابس، أو تبعية محبة وعطف وتأييد، فلما قتل أبو حاتم الملزوزي أخر الأئمة في طرابلس انتقلت الإمامة إلى الجزائر وبعد أن كانت طرابلس هي مركز الإمامة أصبحت تاهرت هي المركز وهكذا انتقلت تبعية أغلب سكان تونس لا سيما سكان الوسط والجنوب إلى تبعية الإمامة في تاهرت[2]، حين كان عبد الرحمن بن رستم واليا على القيروان، وكانت الجيوش العباسية توالي هجوماتها على إمامات طرابلس، كان يفكر في اطلح مكان لإقامة الإمامة، وكان فيما يبدو قد استعرض الأماكن المناسبة لذلك مكانا، فتحقق أن طرابلس لا تصلح لإقامة هذا البناء، فإنها ممر من الشرق إلى الغرب ومن الغرب إلى الشرق، والممر لا يمكن أن يستقر على حال، أما القيروان التي أخرج منها عندما قتل الإمام أبو الخطاب فهي

[1] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص٤٨ .

[2] المصدر نفسه ص٤٨ .

الأخرى لا تصلح أن تكون مركزا للإمامة، لأنها هدف العباسيين من جهة، ومطمح طلاب الحكم من جهة أخرى، بقي عليه أن يجتاز مكانا آخر في الجنوب التونسي أو في جبل نفوسة[1] أو في الجزائر واستقر عزمه أن يضار الجزائر فهي أصلح مكان، لأنها تتوسط المغرب الإسلامي ولا، ه يجد فيها أنصارا وأعوانا على مكافحة الظلم، والدعوة إلى القيام بأمر الله[2].

وسار عبد الرحمن من القيروان إلى الجزائر بين القرى والأحياء من الاباضية لا يتعرض له أحد بسوء حتى وصل جبل سوفجج واجتمع عليه الناس يطالبونه بإقامة الإمامة في الجزائر بعدما قتل آخر الأئمة في طرابلس. وهكذا اختيرت تاهرت لتكون مركز الإمامة ومنذ قامت تاهرت كانت أغلبية المملكة التونسية في الجنوب والوسط تابعة لهذه الإمامة وكان عمال الدولة الرستمية يقيمون أحكام الله في تلك البلاد نيابة عن الدولة الرستمية ولعل مركز الولاة كان في قابس ونفزاوه وقفصة وغيرها من البلاد التونسية. وقد استمر الجنوب والوسط التونسي تحت حكم الدولة الرستمية إلى أن تغلبت عليها الدولة الشيعية فخربت تاهرت وانقرضت الإمامة من هنالك فأصبحت هذه البلاد في بادئ أمرها شبه مستقلة يدير شؤونها مشائخ العلم من أهلها ثم خضعت للدولة المتغلبة على أفريقيا، أعنى أن هذه البلاد التي يسكنها الاباضية في ذلك الحين، أصبحت بعد انقراض الدولة الرستمية غير تابعة لدولة ماو لكنها في نفس الوقت لم تؤسس دولة أو دول أو إنما كان أمرها يرجع أول الأمر إلى كبار مشائخ العلم ثم فيما بعد إلى مشائخ العزابة إلى أن أنقرض الاباضية في بعض تلك البلاد أو انحل مجلس العزابة – من بعض الأجزاء والحقيقة أن الدول التي قامت في القيروان أو في المهدية أو في غيرها سرعان ما وجهت حملاتها الشديدة على الاباضية على الاباضية، وحاربتهم محاربة لا هوادة فيها

[1] جبل نفوسة :هي القبيلة البربرية الضاربة بجذورها في الجبل المعروف بها ، فيقال جبل نفوسة ويقع في ليبيا شرق مدينة قابس التونسية سكانه من البربر وأغلبهم من الإباضية ومن أهم مدن وقرى جبل نفوسة مدينة شروس التي تعتبر أم قرى الجبل ومدن أخرى عديدة مثل جادوا وإيدركل ، وفرسطاء ونالوت ص ١٠١٨، معجم مصطلحات الاباضية .

[2] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص.٤٩

وحاول بعض الملوك أن يحملوا الناس على أتباع مذهب الحاكم، وقد ارتكبت من أجل ذلك فظائع ومآسي[1] كان لها أسوأ الأثر في تلك الجهات وقد اتخذ بعض الملوك قضية المذهبية وسيلة لابتزاز الموال، والانتقام من الخصوم وعندما لا تتوفر لهم قضية المذهبية يتخذون وسيلة لذلك قضية عنصرية أو أي سبب كما وقع في درجين وقصطالية بمختلف مدنها وجربة وقابس وغيرها من البلاد التي لا تنفك توجه إليها الضربات لسبب مختلف في كثير من الأحيان[2].

لا شك أن البلاد التونسية في العهد الإسلامي، قد تغيرت عليها أنظمة الحكم بين عدد الدول والإمارات ، ولا شك أنها كانت مقرا لعدد من الطوائف الإسلامية المختلفة المذاهب من صفرية ونكار ومعتزلة وشيعة وأشعرية وإباضية ،يقول الشيخ علي يحي معمر :

[وأنا في هذا الكتاب انما اتحدث عن طائفة واحدة من تلك الطوائف الكثيرة التي عاشت في هذا الوطن ولست في حديثي هذا مؤرخا اتقصى الأحداث واتنطس الأخبار واتتبع سير الفرق لأسجل ما يقع فيه من حوادث وأرافق الملوك والجيوش ،أصف معاركها وأفصل انتصاراتها وانهزاماتها ، وإنما كل ما أرمي إليه في هذا الكتاب أن أجعل القارئ الكريم ، يعيش وسط الشعب ويحي بين أفراد الأمة العاديين، الذين لا علاقة لهم بالحكم والحاكمين إلا حين يتفرجون على مواكبهم الفخمة وهي تسير في الشوارع تياهة مختالة أو حين تسوقهم الأقدار مرغمين في بعض الأحداث ،وأن أضع بين يديه صورا من الحياة][3].

[1] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص ٤٩.

[2] المصدر نفسه ص٥٠ .

[3] المصدر نفسه ص ٣٢١ .

والإباضية طائفة من المؤمنين عاشوا في جزء من البلاد الإسلامية الفسيحة قرونا من الزمن ولا يزالون يعيشون ويدينون الله دين الحق ويحملون رسالة الله في ثبات وصبر ويجاهدون في سبيل الله بقوة وعزيمة وجلد مثلما أتاحت للإباضية في البلاد التونسية، وبما ان الإباضية قد تقلصوا تحت عوامل متعددة من كثير كم الجهات التي كانوا يعمرونها وانحصروا في جزيرة جربة فإن في إمكاننا أن نجعل هذه الجزيرة أو هذه الطافة من الإباضية في هذه البقعة من البلاد التونسية العامرة ومثلا نوضح به الصور التي نريد استجلاءها لنستخرج منها العظة والعبرة ولنرى ما تستطيع الأمة الإسلامية أن تقدمه للبشرية إذا هي التجأت للإسلام واحتمت بدين الله ، جزيرة جربة هذه الجزيرة الصغيرة التي كانت تلين عندما يهاجمها المسلمون حتى تصاب بأفدح الأضرار وتتصلب حينما يهجمها الإفرنج حتى تصبح صخرة عاتية تتحطم عليها أقوى الأساطيل فإنما نقدم للأمة الإسلامية في مختلف ديارها وبمختلف مذاهبها مثالا واقعيا يثبت لها تاريخيا أن الأمة المسلمة عندما تحتفظ بالإسلام لا تقهر بالقوة المادية وحدها أبدا وأن الأمة المسلمة حينما تتخلى عن الإسلام لا يمكن أن تنتصر لا في ميدان المادة ولا في ميدان الروح ن وجربه هذه الجزيرة الصغيرة المنزوية في ركن خفي من خليج قابس ذات التاريخ المجيد لم تتوقف عن الكفاح في سبيل الله في يوم من الأيام منذ دخلها الإسلام واستنارت ربوعها الله ورنت في بقاعها آيات الكتاب العزيز ، وأن كفاحها المجيد في هذا التاريخ الطويل يتواصل في عدة واجهات يمكن أن نعطي عنه صورا مختصرة فيما يلي :

كفاح الإباضية لإقامة دين الله ، وكفاح الرذيلة في مختلف أشكالها وألوانها

كفاح الجهل بدين الله ، وكفاح البدعة الزاحفة التي تتخذ الدين ذريعة لغايات خفية

كفاح السلطة الظالمة التي تتخذ الحكم وسيلة لظلم الناس وابتزاز أموالهم

كفاح التعصب المذهبي الذي يستغله الجمود تارة والسلطة تارة أخرى [1]

كفاح الصليبية الحانقة ، التي ما فتئت تحارب الإسلام وتكيد له ولا تزال إلى اليوم وإلى ما شاء الله مهما اختلفت الأسماء والبلاد[2].

على حسب ما عرضه الكاتب فإننا نفح أن كفاح الإباضية في جربة هو كفاح روحي أصيل .

الكفاح لإقامة دين الله :لما جاء الفاتحون الأولون يدعون الإسلام ، كانوا يحملون هذه الرسالة السماوية السامية التي جاءت بنظام شامل للحياة الإنسانية كما يريدها خالق الإنسان نظام يشمل علاقة هذا لإنسان بالله الذي خلقه وعلاقة الإنسان بالإنسان فردا ومجتمعا وعلاقة الإنسان بالكون وما أودع الخالق فيه من قوي وأوضح أولئك الفاتحون للشعوب التي حملوا إليها الرسالة الإسلامية، الطريقة التي يجب أن تتعامل بها البشرية ودلك بما في كتاب الله عز وجل وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم جميعا وسيرة من تبعهم بإحسان[3].

حرص الإباضية في مختلف أدوار التاريخ على أن يقيموا دين الله فيما بينهم فإن أتيح للأمة الإسلامية دولة ترعى حدود الله وتقيم أحكامه تعاونوا معها وأعانوها أما إذا كانت الدولة القائمة جائرة غير سائرة على أحكام الله ،حرصوا على أن يكونوا أقل الناس شغبا ، واتبعوا النظام الذي سموه نظام العزابة وهو يكفل لهم رعاية المساجد وإقامة الصلاة فيها وتيسير السبل لها والمحافظة على دروس الوعظ والإرشاد وتثقيف العامة تثقيفا دينيا ودراسة كتاب الله والعلوم الشرعية واللغوية والإشراف على تعليم الصبيان وتربيتهم تربية إسلامية نظيفة والمحافظة على الأسواق ان تدخل إليها الأموال المحرمة أو المستراة

[1] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص ٣٢٣ .

[2] المصدر نفسه ص ٣٢٣ .

[3] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص٣٢٦.

والتشديد على التجار أن تدخل بعض الصور الممنوعة في معاملاتهم وقد كان كبار العزابة يتفقدون بأنفسهم الأسواق والمتاجر ويشرحون للناس صور الربا وأنواع المعاملات التي لا تجوز شرعا حتى كان الناس يتندرون بذلك فيقول بعضهم :إن العلماء علموا التجار طرق الغش لأنهم يشرحون لهم الصور الممنوعة التي قد يكونوا غير عارفين بها ولتشديد العلماء في مراقبة الأسواق وما يدخل إليها أصبح الناس يتحرزون كثيرا ويترددون في أن يشتروا شيئا من سكان البوادي الذين كانوا في ذلك الحين لا يتورعون عن الإغارة واقتناء الماشية من طريق النهب[1].

لقد انقرض الإباضية من البلاد التونسية ما عدا جربة ولعل من أهم الأسباب التي أدت إلى انقراضهم هو تحللهم من نظام العزابة[2]، ولقد حافظ علماء الإباضية في البلاد التونسية وفي جربة بالذات على التمسك بدين الله فلم يسمحوا لأي فرد أن يتهاون بواجباته الدينية عملا وتركا ومن خالف نفذ فيه حكم البراءة فرجع إلى حظيرة الإسلام بالتوبة والاستغفار والتكفير إن كانت المسألة مما يتخلص منه بالتكفير ولكن عندما انحل مجلس العزابة في العهد التركي لأسباب عديدة بقيت المجامع العلمية تتولى ما كان تتولاه مجالس العزابة ...وكان شيخ تلك المجامع يقوم بما يقوم شيخ العزابة[3].

[1] الإباضية في موكب التاريخ. الحلقة الثالثة، الإباضية في تونس مصدر سابق ص٣٢٧ .

[2] المصدر نفسه ص ٣٢٩.

[3] المصدر نفسه ص ٣٣١.

الفصل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثالث :حقيقة التصوف عند الإباضية

المبحث الأول :ظهور التصوف عند الإباضية

المطلب الأول :مدلول التصوف والسلوك عند الإباضية ومضامينهما

المطلب الثاني : : المصطلحات الصوفية عند شيوخ الإباضية

المطلب الثالث : المجاهدة و الرياضة

المبحث الثاني : مقومات التصوف

المطلب الأول : الولاية والكرامة

المطلب الثاني :الأربعينية و الأذكار

المطلب الثالث :الحضرة الإلهية والمشاهدة

المبحث الثالث :نماذج لبعض من الشخصيات الروحية في الماضي والحاضر

المطلب الأول : الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي شاعر المحبة الإلهية

المطلب الثاني :المدرسة الروحية للشيخ حمود الصوافي

المطلب الثالث : الشيخ أحمد بن حمد الخليلي العالم الروحاني

الفصل الثالث :حقيقة التصوف عند الإباضية

المبحث الأول :ظهور التصوف عند الإباضية

المطلب الأول :مدلول الزهد والتصوف عند الإباضية ومضامينهما

لم يعتني علماء الإباضية بالجانب النظري للتجربة الصوفية مثل اهتمامهم بمضمونها وعموما

فقضية التصوف في الفكر الإباضي لم تلقى الاهتمام كعلم قائم بذاته على عكس ما لقيه في المدارس الأخرى ، واكتفوا بالأخذ بما جاء به الأسلاف .

يقول محقق كتاب العقيدة الوهبية : أما التصوف عند أصحبنا : فهو الاستقامة الحقة التي لا لبس فيها ولا عوج ، يسمونه بعلم السلوك ، أي سلوك طريق الآخرة ، ويعتني بتهذيب النفس وضبط غرائزها وتطهيرها من أدرانها والرقي بها إلى درجات الكمال البشري ، حتى تلتحق بصف ملائكة الله المطهرة ، ومن ضرب بسهمه في هذا المجال وكان له القِدح المعلى : الإمام الرباني السيد الجليل أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي وابنه الشيخ ناصر ، فقد كانا قطبي زمانهما علما وعملا في سلوك طريق الاستقامة المؤدي إلى سعادة الآخرة ، لقد كانا عارفين بالله تعالى كثيري الانقطاع إليه ، يظهر ذلك في توسلاتهما بالمولى عز وجل مع الزهد في التقشف يقول الشيخ ناصر :

معيشتنا خبز لغالب قوتنـــــــــــــا وماء وليمون وملح وقاشع

فإن حصلت مع صحة الجسم والتقى فيا حبذا هذا بما هو قانـــع

ومنهم الشيخ سعيد بن خلفان المحقق البحر المدقق الذي كان ثمرة من ثمرات الشيخين المتقدمين ، حيث كان عالما جليلا كثير الاطلاع على فنون العلم كثير قيام الليل وهو الأمير والسيد المطلق في وادي سمائل[1].

عرف كيف تتأتى تزكية النفس بالأخلاق الحميدة والتحلي بالفضائل ، فهذا هو لب التصوف ومضمونه ، وقد أدرك أن صفاء الباطن لا يمكن أن يسيطر على النفس إلا مع استقامة الظاهر ، فهو يتخذ من أخلاق الأنبياء نبراسا وقدوة له ، كصبر أيوب في البلاء ، وشدة موسى في الحق ، ومتاب داود ، واستغاثة يونس وكان كثير الخلوة والتبتل إلى الله والتلاوة للأسماء الحسنى حتى صارت له اليد الطولى في علم الأسرار ومن الله عليه بالإلهام وبلغ أن يعرف منطق الطير، ذلك فضل الله قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾[2] هذا هو التصوف عند علماء الإباضية و هذا مدلوله في مدرستهم السلوكية .

والتصوف بمعناه الاصطلاحي والذي مضمونه يفيد المعاناة الروحية النفسية التي تشتمل تشتمل بدورها على مصطلحات تمثل عمق التجربة :[خلوة ، أذكار ، فناء ، قبض ، بسط] معرفة حادثة في الفكر الإباضي ، وقد بدأت في أواخر عهد ملوك النباهة حيث إن ما بين القرن التاسع إلى أواخر القرن العاشر الهجريين تقريبا فترة عرفت بكثير من العلماء والشعراء ، وظهر في أثنائها بيوتات كان أهلها معادن العلم والفضل والشرف [3].

وبقي الباعث لاتباع نهج التصوف هو تطبيق مضمونه وهو إيجاد الوازع الذاتي للاستقامة على طريق الله ، والترقي في سبيل مرضاته ومجانبة عصيانه وذلك لا يتأتى إلا عن طريق التزام أنواع المجاهدات والأوراد والأذكار ، والفكر الإباضي لم يلتفت إلى

---

[1] ناصر بن سالم بن عديم البهلاني ، العقيدة الوهبية، ت صالح بن سعيد القنوبي ، عبد الله بن سعيد القنوبي ، مكتبة مسقط ، سلطنة عمان ط١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م ص ٢٠٠٢.

[2] سورة المائدة الآية ٥٤.

[3] الفكر الصوفي مصدر سابق ص ١٥٧ .

الصوفية وطرقها لأنهم أقاموا صروحا عتيدة مشيدة تحول بينهم وبين الارتكاس في أوحال المعاصي وتدفعهم دفعا إلى طاعة الله ومرضاته ،يقول الشيخ أحمد بن حمد الخليلي : نحن الإباضية لا ننكر التصوف ولا الصوفية التي هي بمعنى صفاء النفس وطهارة القلب وتجريد النفس من العجب والرياء والكبر وأمراض النفس كما يستدل الشيخ على تصوف رابعة العدوية بأنه نقي لم تشوبه الفلسفات مثلما حدث عند الحلاج وغيره كما قيل [1]، حيث أخذ الإباضية من التصوف الإسلامي ومن أسلاف الصوفية ما يوافق الشريعة والعقيدة ، وما لا يتناقض مع مبادئ مذهبهم باعتبار أن التصوف كعلم مر بمراحل ففي أوله كان نقي ثم بدأ اختلاطه بالفلسفات الغربية وبالتصوف الأعجمي .

ويرجع سبب انحراف التصوف عندما جعلت الوسائل غايات هي في ذاتها شعائر وطقوس مقصودة بالذات وترك الهدف الأسمى فصارت الضوابط والشروط للمريد وللذكر وطريقة الجلوس ، وآداب الطريق وكأنها هي الغاية ، وانتشرت في فترة زمنية وجاءت على خلاف مقصود الشرع فتعطلت بعض الاحكام الشرعية،[2]{الواضح أن سبب هروب الإباضية من استعمال مصطلح التصوف هو انحراف بعض من أصحاب الطرق الصوفية وممن عرفوا بأهل الطريق عن الطريق الشرعي وأنهم أهملوا مضمون ولب التصوف وانشغلوا بظاهره وغرتهم الولاية وسنهم بدعة سقوط التكاليف}، وانطلاقا من مفهوم الإيمان عند الإباضية بنو منظومتهم الصوفية أو السلوكية ، فقبلوا ما وجدوه موافق لمنظومتهم العقدية والفكرية ، حيث نجد تعريفا لعلم التصوف مذكور في بعض مؤلفات البعض من كبار علماء الإباضية ،ونذكر منهم كتاب شرح النيل وشفاء العليل والذي يعتمده الإباضية مصدر من أهم المصادر في علو الشريعة خاصة الفقه وصاحبه هو

[1] لقاء مع الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ٢٠١٥ بسلطنة عمان .

[2] لقاء مع الشيخ كهلان الخروصي ، نائب المفتي بوزارة الأوقاف ، سلطنة عمان .

قطب الأئمة لإباضية المشرق والمغرب محمد بن يوسف اطفيش[1] تعريف للتصوف تحت عنوان : (خَاتِمَةٌ) فِي مَبَادِئِ التَّصَوُّفِ ، وَشَيْءٍ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، حيث قال :

وَالتَّصَوُّفُ: هُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ الصَّفَاءِ، فَفِيهِ الْقَلْبُ الْمَكَانِيُّ إذْ قُدِّمَتْ الْوَاوُ عَلَى الْفَاءِ لِأَنَّ أَصْلَهُ الصَّفْوَةُ، وَهُوَ مُصَفٍّ لِلْقَلْبِ، وَقِيلَ: سُمُّوا صُوفِيَّةً لِصَفَاءِ أَسْرَارِهِمْ وَبَقَاءِ آثَارِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِبَقَاءِ الْآثَارِ طَهَارَةُ الظَّاهِرِ عَنْ الْمُخَالَفَاتِ ، فَإِنَّهَا مِنْ آثَارِ صَفَاءِ الْأَسْرَارِ عَنْ الْكُدُورَاتِ، وَقِيلَ: سُمُّوا صُوفِيَّةً لِلُبْسِهِمْ الصُّوفَ ، لِأَنَّهُ كَانَ لِبَاسَ الْأَنْبِيَاءِ وَشِعَارَ الصَّالِحِينَ، وَهَذَا لَا قَلْبَ فِيهِ قَالَ الْغَزَالِيُّ: التَّصَوُّفُ تَجْرِيدُ الْقَلْبِ لِلَّهِ وَاحْتِقَارُ مَا سِوَاهُ، وَحَاصِلُهُ يَرْجِعُ إلَى عَمَلِ الْقَلْبِ وَالْجَوَارِحِ، وَمَعْنَى احْتِقَارِ مَا سِوَاهُ ، احْتِقَارُ مَا لَيْسَ لِلَّهِ فَتَعْظِيمُنَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ وَالْعُلَمَاءَ لَيْسَ إلَّا لِأَنَّ اللَّهَ عَظَّمَهُمْ وَأَمَرَنَا بِتَعْظِيمِهِمْ، فَتَعْظِيمُهُمْ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ فَلَيْسَ تَعْظِيمُهُمْ خَارِجًا عَنْ تَجْرِيدِ الْقَلْبِ لِلَّهِ أَوْ مَعْنَى احْتِقَارِ مَا سِوَاهُ: اعْتِقَادُ أَنَّ سِوَاهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ إذْ الْمُؤَثِّرُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِلَّا فَاحْتِقَارُ هَؤُلَاءِ أَوْ كُتُبِهِ أَوْ الطَّاعَاتِ أَوْ الْمَسَاجِدِ كُفْرٌ[2].

---

[1] القطب اطفيش :هوالعلامة الشيخ الحاج محمد بن يوسف بن عيسى ، يتصل نسبه إلى سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه –أما عن كنيته المشهورة فهي –القطب وهو سيد القوم ونجمهم الذي لا يبرح مكانه مطلقا، بكير سعيد أعوشت ، نفحات من السير ، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان، ص١٠٨.، ويقصد بالكنية ما يجعل علما على الشخص غير الاسم واللقب ، ويقول الشيخ أبو اليقظان الذي يعد أحد تلاميذ القطب ما يلي :" منهم الشيخ الحاج محمد بن يوسف أطفيش الشهير بقطب الأئمة عند المغاربة ، وبقطب المغرب عند المشارقة وهو جدير بحق هذا اللقب العظيم ، فإن علماء المشرق والمغرب كالكواكب تدور على هذا القطب في فلكه الواسع ويتصل نسبه بسيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه – فهو من بني عدي. المصدر نفسه، ص: ١٠٩ ولد في مدينة بني يزجن ، القريبة من غرداية جنوب الجزائر سنة ١٢٣٦هـ الموافق ل ١٦٢٠م، فقد عاش الشيخ امحمد بن يوسف اطفيش بين القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجريين، من القرن التاسع عشر إلى بداية القرن العشرين الملاديين[1]

اعتلت صحته بالحمى التي جعلته طريح الفراش لمدة ثمانية أيام كاملة فتوفاه الله في يوم السبت ٢٣ربيع الثاني ١٣٣٢هـ الموافق لمارس ١٩١٤ ص١.

[2] محمد بن يوسف اطفيش القطب شرح كتاب النيل وشفاء العليل دار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة الإرشاد، جدة الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م – ص ٧٠٧.

وتعريف القطب للتصوف يتوافق مع تعريف كبار الصوفية كأبي حامد الغزالي مستعينا بمصطلحات التصوف كالتجريد وغيرها وأن القطب نقل لنا التعريف كما هو وهو دليل التوافق في المضمون مع مراعاة آراء القطب في التصوف الطرقي ، ومن خلال تعريف القطب للتصوف تظهر العناية بهذا الجانب من الناحية النظرية

وقَالَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ " فِي تَرْجَمَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ الْجِدُّ فِي السُّلُوكِ إِلَى مَلِكِ الْمُلُوكِ، وَقِيلَ: وَقْفُ الْهِمَمِ عَلَى مَوْلَى النِّعَمِ، وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ الْفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَقَدْ قِيلَ: الْمُوَافَقَةُ لِلْحَقِّ فِي الْمُخَالَفَةِ لِلْخَلْقِ، وَقِيلَ: النُّبُوُّ عَنْ الْمَرَاتِبِ الدُّنْيَا وَالسُّمُوُّ إِلَى الْمَرْتَبَةِ الْعُلْيَا، وَقِيلَ: التَّصَوُّفُ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الشَّدَائِدِ لِلرَّيِّ مِنْ شَرَفِ الْمَوَارِدِ، وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عُثْمَانَ: وَقَدْ قِيلَ: إنَّ التَّصَوُّفَ الْإِكْفَافُ عَلَى الْعَمَلِ تَطَرُّقًا إِلَى بُلُوغِ الْأَمَلِ، وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَلِيٍّ: وَقَدْ قِيلَ: التَّصَوُّفُ الرَّغْبَةُ إِلَى الْمَحْبُوبِ فِي دَرْكِ الْمَطْلُوبِ، وَقِيلَ: السُّلُوُّ عَنْ الْأَعْرَاضِ بِالسُّمُوِّ إِلَى الْأَغْرَاضِ[1]، وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَقِيلَ: التَّصَوُّفُ تَشَوُّفُ الصَّادِي إِلَى الرَّاغِبِ عَنْ الْكَدَرِ إِلَى صَفَاءِ الْوَرْدِ مِنْ غَيْرِ صَدَرٍ وَقَالَ فِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ: إنَّ التَّصَوُّفَ الْتِمَاسُ الذَّرِيعَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ، وَفِي تَرْجَمَةِ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ الْأَنْصَارِيِّ: وَقِيلَ: التَّصَوُّفُ الْمَفَرُّ مِنْ الْبَيْنُونَةِ إِلَى مَقَرِّ الْكَيْنُونَةِ، وَفِي تَرْجَمَةِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: وَقِيلَ: إنَّ التَّصَوُّفَ الِانْفِرَادُ بِالْحَقِّ عَنْ مُلَابَسَةِ الْخَلْقِ، وَفِي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ: وَقِيلَ: التَّصَوُّفُ الْوَطْءُ عَلَى جَمْرِ الْقَضَا إِلَى مَنَازِلِ الْأُنْسِ وَالرِّضَى، وَفِي تَرْجَمَةِ صُهَيْبٍ بْنِ سِنَانٍ: وَقِيلَ: إنَّ التَّصَوُّفَ الْأَخْذُ بِالْأُصُولِ، وَالتَّرْكُ لِلْفُضُولِ، وَالتَّشَمُّرُ لِلْوُصُولِ، وَفِي تَرْجَمَةِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: وَقِيلَ: التَّصَوُّفُ عِرْفَانُ الْمِنَنِ، وَكِتْمَانُ الْمِحَنِ [2].

[1] ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ، روائع السلف الصالح وأقوال ووصايا وأراء وفتاوي ومواقف لعلماء أهل الحق والاستقامة الحلقة الأولى من القرن الأول إلى القرن السادس من الهجرة ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .ص ٣٧ .

[2] شرح النيل مصدر سابق ص٧٠٨.

قَدْ عَرَفْت مِمَّا مَرَّ أَنَّ أَوَّلَ الْوَاجِبَاتِ مَعْرِفَةُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدِيمٌ وَمَا سِوَاهُ مُحْدَثٌ، وَأَنَّهُ لَا يُشْبِهُ غَيْرَهُ بِوَجْهٍ، وَأَنَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْفَرْدُ الصَّمَدُ [1]، فَمَنْ عَرَفَهُ تَصَوَّرَ تَبْعِيدَهُ وَتَقْرِيبَهُ، فَخَافَ. وَرَجَا وَأَصْغَى وَالنَّهْيُ، ارْتَكَبَ وَاجْتَنَبَ، فَأَحَبَّهُ مَوْلَاهُ، فَكَانَ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ وَيَدَهُ، وَاتَّخَذَهُ وَلِيًّا، إنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ، وَإِنْ اسْتَعَاذَ بِهِ أَعَاذَهُ، فَذُو النَّفْسِ الَّتِي تَأْبَى إلَّا الْعُلُوَّ الْأُخْرَوِيَّ يَرْفَعُهَا بِالْمُجَاهَدَةِ مِنْ سَفْسَافِ الْأُمُورِ، وَيَجْنَحُ بِهَا إلَى مَعَالِيهَا مِنْ الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ، وَدَنِيءُ الْهِمَّةِ لَا يُبَالِي بِمَا تَدْعُوهُ إلَيْهِ فَيَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ، وَيَدْخُلُ تَحْت رِبْقَةِ الْمَارِقِينَ، فَدُونَك أَيُّهَا الْعَبْدُ صَلَاحًا أَوْ فَسَادًا أَوْ رِضًى أَوْ سَخَطًا أَوْ قُرْبًا أَوْ بُعْدًا أَوْ سَعَادَةً أَوْ شَقَاوَةً أَوْ نَعِيمًا أَوْ جَحِيمًا وَإِذَا خَطَرَ لَكَ أَمْرٌ فَزِنْهُ بِالشَّرْعِ، فَإِنْ كَانَ مَأْمُورًا بِهِ فَبَادِرْ إلَيْهِ فَإِنَّهُ مِنْ الرَّحْمَنِ، فَإِنْ خَشِيتَ وُقُوعَهُ عَلَى صِفَةٍ مَنْهِيَّةٍ لَا إيقَاعَهُ فَلَا عَلَيْك، فَاحْتِيَاجُ اسْتِغْفَارِنَا إلَى الِاسْتِغْفَارِ لَا يُوجِبُ تَرْكَ الِاسْتِغْفَارِ [2].

لا ريب أن الزهد قد وجد في التصوف الإسلامي ، وذلك باعتباره ركيزة أساسية في منظومة الإسلام الروحية ، على أن هذا اللفظ " الزهد " لم يظهر بهذا الاصطلاح في عهد الرعيل الأول ولا في القرآن الكريم بدلالته التي خص بها من بعد إلا أنه فهم بمعناه من خلال تسابق الصحابة إلى أعمال البر ، وأفعال الخير والصلاح والتفكر الدائم في نعيم الآخرة [3]مدلول الزهد متضمن لمدلول التصوف ، والقطب اطفيش من كبار علماء الإباضية المغاربة الذين عرفوا بالورع والتقوى لم يذكر أنه ، وضع قواعد وآداب للتصوف واكتفى بتعريفه كما عرفه السابقون من القوم ، كما لا تخلوا مؤلفات الإباضية من الحديث عن الزهد والتصوف ، وأول الزهد أن لا تريد سوى الله، وأن تقطع طمعك من المخلوقين ثم تمسك لسانك وجوارحك أن لا تغتاب أحد وأن لا تقول إلا خيرا ثم تعلم

[1] المصدر نفسه ص٧٠٩.

[2] المصدر نفسه ص٢١٢_ص٢١٧

[3] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ، البعد الصوفي في الفكر الإباضي ، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث ٢٠٠٧.الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا ، ص ١٠٣.

أنه ما كان لك فلا يخطئك وما لم يقدر لك فلا حيلة لك فيه ولا تجزع على ما فات ولا تجزع من الذل ولا تحب إلا الله وتخافه أشد المخافة فإنك موقوف بين يديه واعلم أن ذكر الله عند الزهاد أحلى من الشهد والعسل والصبر عند الزهاد على الحق بالسراء والضراء ، وعلى الضراء بالفرج والصبر على الصلاة بالخشوع والصبر على الصيام بالتفصيل كانه طاعم والصبر على الذل بطيبة نفسه وقيل أتم الزهاد أسخاهم نفسا وأسلمهم صدرا وأكمل الزهاد أكثرهم يقينا وموت القلب أن يطلب الدنيا بعمل الآخرة ومن علامة الزهد أن لا يكون في قلبه موضع للحسد ، ص٣٦، ومبتدأ الخوف أن يلهم قلبه ذكر الله وذكر الموت حتى يتوفى والخشية لله والحذر والفرق كأنه يراه فإذا مضى به يوم واحد وهو في الزهادة زاده الله من المهابة والشوق إلى الجنة ونعيمها وحورها ولا يكون ورعا حتى يكون عالما ،وقال : ولا تطمع بالسمنة مع الشبع ولا في الحزن مع كثرة النوم ولا في الخوف مع الرغبة في الدنيا ولا في حب الله مع حب المال والشرف ولا في لين القلب مع جفاء الأرملة واليتيم والمسكين ولا في رقة القلب مع كثرة الكلام والفضول ولا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من بعد الإياس مما في أيدي الناس [١]، وفي فوائد الأدب : والأدب هو رياضة النفس على طاعة الله عز وجل والأدب هو اللسان وجلالة الإنسان وبه صح البيان وإن صح له البرهان وهو مادة العقل وكمال الفضل وفيه قوة العلم وبه يقرب الفهم ويجب أن يبتدئ به الانسان ليقيم به اللسان [٢].

[١] ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ، روائع السلف الصالح وأقوال ووصايا وأراء وفتاوي ومواقف لعلماء أهل الحق والاستقامة الحلقة الأولى من القرن الأول إلى القرن السادس من الهجرة ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .ص ٣٧

[٢] المصدر نفسه ص٧٦

المنثورة الخامسة في الزهد وشيء من الأخبار العربية والحجج الذكية

وأما الزهد مصدر زهد زهدا وزهادة بفتح مهملة الماضي والمستقبل وبكسر مهملة ، يقال أن الزهادة في الدنيا والزهد في الدين واعلم أن ذكر الله عند الزهادة [1] ، أحلى من الشهد والعسل والصبر عند الزهادة على الحق بالسراء والضراء والصبر على الصلاة بالخشوع والصبر على الصيام بالتفضيل كأنه طاعم والصبر على الذل بطيبة نفسه وقيل أتم الزهاد أسخاهم نفسا وأوسعهم صدرا وأكمل الزهاد أكبرهم يقينا وموت القلب أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة ومن علامة ذلك أن يكون في قلبه موضع للحسد ومبتدأ أن يلهم قلبه ذكر الله وذكر الموت حتى يتوفى والخشية لله والحذر والخوف كأنه يراه فإذا مضى يوم واحد وهو في الزيادة من الخوف زاده الله من المهابة والشوق إلى المحبة ونعيمها وحورها ولا يكون زاهدا حتى يكون عابدا ولا يكون عابدا حتى يكون ورعا ولا يكون ورعا حتى يكون عالما قال : ولا تطمع بالسمن ولا في حب الله مع حب المال والشرف ولا في لين القلب مع حفاء الأرملة واليتيم والمسكين ولا في رقة القلب مع كثرة الكلام والفضول ولا بأمر معروف والنهي عن المنكر إلا بعد الإياس عما في أيدي الناس ، وفي الخبر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لا يغرنكم صلاة إمرئ ولا صيام من صام ومن شاء صلى ولكن انظروا إلى إخواني والإصرار على المعاصي وترك الاستغفار لأنه قال تبارك وتعالى : والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا "قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾[2]

وعن النبي ﷺ :من لم يستغفر الله كل يوم مرتين مرة بالغداة ومرة بالعشي فقد ظلم نفسه ولعمري ما ينفع الاستغفار باللسان مع قساوة الجنان والغل لجميع الإخوان والإصرار

[1] عبد الله بن محمد بن عامر بن خنبس الخراسيني النزوي ج١ت: محمد بن صالح ناصر ،أ مهنى بن عمر التواجيني فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم ط١ مسقط ١٤١٦هـ-١٩٩٥م. ص١٣٤

[2] سورة آل عمران ١٣٥.

على معصية الرحمن إنما التوبة والانقياد والرجوع بالقلب عن المعاصي والاعتقاد أن لا يقرب معصية أبدا [1]،ويقول سماحة المفتي أحمد الخليلي أن :الإباضية تتفق مع غيرها من الفرق في مضمون التصوف وفي معنى الزهد وتقبل المصطلح في منظومتها الفكرية من جانبه العملي ، أما من جانبه النظري فالإباضية يتعاملون معه بتحفظ وحذر، فمن ناحية المصطلح فالزهد سابق على التصوف والمصطلحين لم يتداولهما الرسول ﷺ ولا الصحابة ،بل كانا عبارة عن ممارسة وسلوكا .

تختلف نظرة علماء الإباضية من شخص لآخر ، فمنهم من نظر إلى مصطلح " التصوف " على أنه مصطلح دخيل على المنظومة الفكرية الإسلامية عامة ، والإباضية على وجه الخصوص ، فتعاملوا معه بحذر وهناك من قبله ولم يبدي أي اعتراض على تسمية التصوف وإلا ما كان قطب الأئمة يخصص صفحات من كتابه القيم ليورد فيه تعريف التصوف والذي نقله عن العلماء المنظرين لهذا العلم .

[1] فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم مصدر سابق ص٣٣٥

يقول الشيخ ابراهيم طلاي[1]: قبل الإجابة عن السؤال عن قبول مصطلح التصوف عند الإباضية أو التصوف كممارسة : أولا نتفق على الأرضية أو بمعنى آخر نتفاهم على منهج الإسلام حيث أن مقصد الشيخ من الاتفاق أن الحياة الروحية هي ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم في أداء عبادته وتنسكه وزهده وما كان عليه الصحابة رضوان

[1]ولد الشيخ سنة ١٩٢٩ ميلادية بوادي ميزاب ببلدة بني يزقن ولاية غرداية بالجمهورية الجزائرية. أخذ معارفه الأولى وحفظ القرآن وتفقه على يد الفقيه الشيخ إبراهيم بكير حفار تلميذ قطب الأئمة الشيخ اطفيش. انتقل إلى تونس قصد الاستزادة من المعرفة. فانتسب إلى جامع الزيتونة بالجمهورية التونسية وتحصل على العَالمية (ليسانس) في الأدب وعلوم اللغة سنة ١٩٥٩.

عاد إلى الجزائر بعد استقلالها فاشتغل في التدريس والتربية لفترة بعدة مدن بالجزائر. ثم عين موجها تربويا للتعليم الثانوي (مفتش) مادة الأدب العربي. انتدب للمشاركة في المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٨٠ وكان عضوا في لجنة إحياء التراث بالمجلس. وانتدب للانتساب إلى هيئة العزابة لبلدة بني يزقن والانخراط فيها في نفس السنة. أمضى فترة طويلة كمنسق لمجلس أعيان بلدة بني يزقن، ورئيس عشيرة آل إسماعيل من عشائر بني يزقن. وله مساهمات فعلة في مجال إصلاح ذات البين والعمل الاجتماعي في وادي ميزاب. كما كان له دور كبير في عصرنة وبعث مؤسسة الجابرية للتعليم القرآني. وهو الآن عضو في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. ومحاضر بمعهد عمي سعيد لمادة التاريخ والحضارة الإسلامية. وعضو حلقة العزابة ببني يزقن. والكاتب العام لمجلس عمي سعيد الهيئة العليا لمساجد الإباضية بوادي ميزاب. وعضو في إدارة مؤسسة الجابرية للتعليم القرآني. وعضو في حلقة العزابة لبني يزقن، ويعتبر حاليا من أهم المراجع للفتوى في وادي ميزاب.

ساهم في بعث وتحقيق التراث الإباضي عبر عدة تحقيقات ومؤلفات أهمها:

– إعادة طبع كتاب الذهب الخاص المنوه بالعلم القالص للشيخ اطفيش: كتاب في الفقه للعلامة قطب الأيمة الشيخ امحمد اطفيش.

– كتاب طبقات المشايخ بالمغرب في جزئين تحقيق وطبع: يعتبر من أهم المصادر حول تاريخ المذهب الإباضي بالمغرب للشيخ أبي العباس الدرجيني.

– كتاب أجوبة علماء فزان تحقيق وطبع. كتيب في الفقه.

– كتاب أجوبة علماء نفوسة للإمام عبد الوهاب تحقيق وطبع. من أوائل الكتب التي صنفت في الفقه الإباضي.

– حاشية الجامع الصحيح لمسند الربيع بن حبيب في خمسة أجزاء تحقيق وطبع. حاشية أبي ستة لمسند الربيع بن حبيب أول ما صنف في الحديث.

– تأليف كتاب ميزاب بلد كفاح الذي يعتبر باكورة أعماله. كتيب يتحدث عن ميزاب اجتماعيا وتاريخيا.

– تأليف الدروس المختارة من الجامع الصحيح كتاب مدرسي في جزئين موجه لتلاميذ المدارس الحرة بوادي ميزاب.

– أهم عمل قام به هو تحقيق وطبع السفر الجليل تيسير التفسير لقطب الأئمة الشيخ اطفيش في ١٧ جزءا. من أهم ما كتب القطب وهذا الكتاب موسوعة فقه ولغوية وبلاغية.

– مختصر تيسير التفسير : مختصر لكتاب تيسير التفسير ظهر منه حتى الآن جزء واحد.

– أعادة تحقيق وطبع كتاب طبقات المشائخ بالمغرب في جزئين.

زيادة على عدة محاضرات ومقالات في عدة دوريات وندوات إسلامية.، موقع الشيخ ابراهيم محمد طلاي ، ٢٠٠٩/٥/٢٦،

الله عليهم من ترك الاهتمام بالدنيا ، أي أن مصدرية هذه الممارسة لا تخرج إطار المبادئ الإسلامية ذلك أن التحرز في استعمال مصطلح التصوف سببه ادخال بعض الأفكار من الفلسفة الغربية والرهبانية المسيحية وطقوس أخرى مذمومة في عقيدة التوحيد[1]، وانطلاقا من كون الشيخ ابراهيم طلاي عضوا في هيئة العزابة لبني يزق ومساره الطويل فإنه يقول أن العزابي زاهد وليس صوفي موضحا لمعنى التصوف مبتعدا عن الجوانب السلبية والأفكار المقتبسة من الديانات غير المسلمة ، بالنسبة لإباضية المغرب يقول الشيخ: ليس لهم أوراد مخصوصة وإنما يتعبدون بالقرآن والأحاديث وقد أثبت بحثنا في مكتباتهم الثرية والعريقة والغنية عدم وجود أي وثيقة لأوراد أو أذكار فقط كما قال الشيخ لديهم كتيب صغير عبارة عن ورد : اسمه ورد السلام يقرأ بعد صلاة الفجر ،أما بالنسبة للتجربة الروحية(التجربة الصوفية الإباضية) باعتبارها تجربة إسلامية مستقاة من مبادئ الشريعة الإسلامية والعقيدة الصحيحة ،نعم الإباضية صوفية، أما إذا كانت التجربة الصوفية المقصود بها التصوف الفلسفي الحلولي ، فيرفض هذا المصطلح[2].

علم السلوك :وكلمة السلوك معناه تهذيب النفس وتصفيتها من الأخلاق السيئة التي تؤثر على المعتقدات النفسية والعقلية فالسالك هو العالم بحقيقة طريق الوصول إلى الله، تعالى عابد ،زاهد ،سالك مريد ،**والمريد**: هو الذي بلغ الغاية الوثقى حيث تأدب مع أربع جهات من الكون ، أدبه مع الله تعالى، وأدبه مع نفسه ، وأدبه مع الخلق وأدبه مع الكائنات ، فإذا وصل المريد إلى هذه الدرجة وتعامل مع هذه الأربع من الطبقات يطلق عليه اسم – المريد – الذي بلغ المكانة ، وكذلك لا بد من دراسة أصول هذه الطريقة (السلوك إلى الله تعالى) حيث أن كل الموارد التي ينهل منها المتصوفون هي من مصدر واحد كما أنها طريق واحد في تأديب النفس وهي مدار التزكية والمجاهدة لأنها هي التي تزل بالإنسان وتغويه ولولا النفس لما ﷻعصى الإنسان ، لأنها هي القائد لأولي الألباب

[1] لقاء مع الشيخ المؤرخ إبراهيم طلاي –بني يزجن – غرداية –في مكتبته –مارس –٢٠١٥ .

[2] لقاء مع الشيخ ابراهيم طلاي –بمكتبته بني يزجن– مارس ٢٠١٥–

والعقول وتهديهم من الضلال، والله ما ما أقسم بشيء من المخلوقات الضارة بالإنسان كما أقسم بالنفس جواب القسم في قوله تعالى:﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [1]وفي قوله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾[2] أي طهرها وعلمها وحافظ عليها وخاب وخسر وضل ووقع في الخطأ من (دساها) أي ظلمها والظلم للنفس تركها تفعل ما تشاء وعدم الاهتمام بتهذيبها للحق ومتابعتها لما تريد فإذا أعطاها العبد مبتغاها وهواها ولم يرشدها كما أمره الله تعالى حتى تسلك الطريق الذي جعله الله منهجا للأمة [3]قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ ﴾[4] فانظر الأقسام السبعة التي أسم بها الله على النفس تسمى العدد الكامل وأقسم بها لواحد من المخلوقات وهي النفس لعظمتها عند الله تعالى ، أما بالنسبة لعلم السلوك من حيث المضمون والممارسة فهو ليس بعلم جديد ولا مخترع ولا مبتدع فقد بعثه الله تعالى مع الأنبياء والرسل لكن المصطلحات تختلف من جيل إلى جيل _ فأطلقوا عليه اسم التصوف والسلوك (اسلكي سبيل ربك وأضاف السلوك إلى الله تعالى (طرق)، فنلاحظ حينما نقرأ القرآن أن السلوك مأمورة به النهل حتى تخرج الشهد لتصنع العسل (اسلكي سبيل ربك) ويقول تعالى (فتفرق بكم السبل) هذه الآية وآية النحل واحدة يعني انتم إذا اتبعتم سبيل ربكم ولم تتبعوا سبل الشيطان واسلكوا سبيل الله والسالك سبيل الله يجب أن يكون هادي ومعلم ومنار فهذه الطرق التي يسلكها الإنسان في سبيل ربه هي طريق الشهد فتلك نعمة وهذه عقيدة .

ويقول الشيخ مهنا عن السلوك بأنه تسميته عند المذاهب الأخرى من الصفاء أي من صفى قلبه لله وليس من الصوف، حيث يتفق الإباضية مع جميع المذاهب بأن تعريف للتصوف كلمتين :"الصدق مع الحق والتخلق مع الخلق" كلمة عامة تشمل الأعمال والأقوال عند الإباضية وغيرهم ، فالصدق مع الله تعالى هو الدين الخالص (فاعبدوه

[1] سورة الشمس الآية ٨.

[2] سورة الشمس الآية ٩.

[3] لقاء مع الشيخ مهنا الخروصي ٦مارس ٢٠١٧عصرا في– العوابي – الرستاق

[4] سورة المائدة الآية ٤٨.

مخلصين له الدين) أي في دينكم خالصين (خالصة الدار) إي إخلاصهم في الإيمان بالله وباليوم الآخر ولذلك سمو مخلصين (الا عباد الله المخلصين) "كن كما يريد يكن لك كما تريد " فمن رضي من العباد رضي الله عنه فرضا الله مقارنة مع رضا العبد بربه[1]، فإذا أخلص العبد في عمل المأمور به والابتعاد عن المنهي عنه كان من عباد الله المخلصين الذين أعد الله لهم ثواب في الآخرة .

يقول الشيخ أن عناصر السلوك هي – العلم – الزهد – الورع – وهي أركان طريق الوصول إلى الله تعالى .(أولئك الذين أنعم الله عليهم)،كما أن لابد لسالك الطريق من رفيق والرفيق هو من ترتفق به في الطريق وتهتدي به (الشهداء – الصديقين – الصالحين – الرفقاء) لقوله تعال(واصبر نفسك) ....(وحسن رفيقا) أما عن تعريف أو معنى الزهد فقد عرفه : أنه ترفع النفس عن الشهوات ونبذ الدنيا والعمل للأخرة،مع الاتصاف بالورع المتمثل في تحري الحلال من الحرام في المطعم والمشرب والملبس .

الشيخ مهنا يشير هنا إلى ضرورة اتخاذ شيخ للسالك[2] الذي اختار السير إلى الله ليكون مرشدا له ومرجعا يعود إليه في سلوكه وهذا متعارف عليه عند كبار الصوفية والصالحين من خلال سيرهم وتتبع أخبارهم .واقترن علم الشريعة والإيمان وأن جزاء العاملين وثمرة العلم بالإيمان إذا لم تكن عالما بإيمانك وعالم بدينك وبعبادتك ، وإلا أنت لست في شيء، لأن الإيمان عقد من عقيدة والعبادة عمل وهم أصول الدين وأصول الحياة لذلك فضل الله العلماء على سائر البشر هذه شهادة من الله تعالى لعباده ، القليل هم الذين

[1] مارس ٢٠١٧عصرا في لقاء مع الشيخ مهنا الخروصي – العوابي – الرستاق

[2] وأخلاق المشايخ مهذبة بحسن الاقتداء برسول الله ﷺ وهم أحق الناس بإحياء سنته في كل ما أمر وندب وأنكر وأوجب ص ٢٢٢ وظيفة الشيخ حسن خلقه مع أهل الإرادة والطلب ، ومن أداب الشيوخ النزول إلى حال المريدين من الرفق بهم وبسطهم ، قال بعضهم : إذا رأيت الفقير فألقه بالرفق ولا تلقه بالعلم ، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه ، فإذا فعل الشيخ هذا المعنى من الرفق يتدرج المريد ببركة ذلك الانتفاع بالعلم فيعامل حينئذ بصريح العلم ، عوارف المعارف للإمام العارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي ت: عبد الحليم محمود و محمود بن الشريف دار المعارف القاهرة ، ج٢، ص٢٢٠.

يعبدون الله على علم ، فعبادة عالم ساعة واحدة خير من عبادة الجاهل ألف سنة (شهد الله أنه لا إله) للعالم درجة تساوي درجة الملائكة ، وشهادة الله لعباده العلماء (يخشى الله من عباده) علماء الأمة من آدم حتى قيام الساعة هم الذين يدرسون كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإذا حصلت الخشية والمخافة من العبد لربه حصل الإخلاص وظهر القرب بين العبد وربه ، والمقربون عند الله العلماء العاملين .

والسلوك درجات فإذا عبد الله حق عبادته وقدر حق قدره فقد تهيأ العابد للسير في السلوك إلى الله ، فهذه من بين الكلمات التي إذا ضمنها العبد ضمن الجزاء وهي :أن تؤمن بالله تتقي الله – تقرض الله قرضا حسنا – فهي توصلك إلى غاية ما تريد من الإيمان والهدايا كما أن التقوى مخرج من مزالق الحياة (ومن يتقي الله يجعل له مخرجا)، من يؤمن بالله فقد وفاه من يدعو الله فقد حباه من يقرض الله فقد كفاه ومن يدعوا الله فقد لباه.

السلوك أو التصوف منهج مفتوح لكل المذاهب والبشر وليس حكرا على فرقة دون غيرها والتصوف ليس مذهبا بل هو منهج أو مسلك تتبعه جل المذاهب كل حسب منهجه ، وعن بعض صفات العباد فيقول الشيخ منهم :موف ، فهو الذي يعمل بعمله ، ومنتحل يعمل بخلاف علمه ، ومقصر وهو الذي انحرف عن الطريق الصحيح ، وكلام الشيخ قريب جدا من تقسيمات العلماء للناس ومن بينهم تقسيم الغزالي ، والموفي هو الذي جعل مورده القرآن الكريم و قدوته النبي ﷺ لأن الحق ما كان عليه رسول الله ﷺ وما جاء به (تركت فيكم) .

أما عن الكرامات لم يختص بها الإباضية فقط، بل كل علماء المذاهب والفقهاء لهم كرامات فإذا كانت مكذوبة فهي من الراوي وإذا كانت صادقة فهي من الله ليميز بها

المؤمن من الكافر[1]، والإباضية لا ينكرون التصوف من ناحية المضمون كما صرح سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي :[...نحن لا ننكر الصوفية التي بمعنى صفاء النفس وطهارة القلب وتجريد النفس من العجب والرياء والكبر وأمراض النفس و أن رابعة العدوية كانت من رواد الفكر الصوفي وما كانت عندها فلسفة مثلما أثر عن الحلاج والبسطامي] [2]

المتتبع لتاريخ الإباضية يجد أن السلوك بما فيه من رياضات روحية وأذكار وخلوات ما كان بشكل جماعي أي طقوسي صرف بحت في الماضي ، يعني الممارسة السلوكية والخلوات كانت اكثرها انفرادية شخصية إلا إذا كان في إطار شيخ وطلاب متعلمين يعني فكرة الشيخ غير مبالغ فيها عند الإباضية وكانت في حدود ، كانت على اساس أنه علم يوصله الشيخ الى الطالب ، حيث يرجع سبب انحراف التصوف جعلت هي في ذاتها شعائر وطقوس مقصودة بالذات وترك الهدف الاسمى فصارت الضوابط والشروط للمريد وللذكر وطريقة الجلوس وكآنها هي الغاية وانتشرت في فترة زمنية وجاءت على خلاف مقصود الشرع فتعطل بعض الاحكام الشرعية[3]

[1] مارس ٢٠١٧عصرا في لقاء مع الشيخ مهنا الخروصي – العوابي – الرستاق

[2] لقاء مع الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي) مفتي سلطنة عمان ،ديسمبر ٢٠١٦

[3] لقاء مع الشيخ كهلان الخروصي نائب المفتي بوزارة الأوقاف .

المطلب الثاني : : المصطلحات الصوفية عند شيوخ الإباضية

لا يمكن الحديث عن التجربة الصوفية أو الممارسة العرفانية الذوقية إلا بتحديد المصطلحات التي تصف ما يجده الصوفي السالك في حضرته اللدنية، وسفره الروحاني، وما يعيشه من مجاهدات ورياضات قلبية، وما يسلكه من مدارج على مستوى المقامات والأحوال، و المصطلح الصوفي هو لفظ تغيرت دلالته اللغوية الأصلية إلى دلالة اصطلاحية تواضعية ، أي أنه لفظ لا يعرف عن طريق منطق العقل والنظر ، بقدر ما يفهم بواسطة الذوق والكشف ، فالمصطلح الصوفي إذا هو بنية خاصة تدور في كلام وأشعار أهل العرفان بها يشيرون من خلاله إلى ما ينالونه من مواجيد ومنازلات[1].

ويقول الدكتور سلطان الحراصي:[وإذا أردنا معرفة أسباب ظهور التصوف بدلالته الاصطلاحية في المجتمع العماني] لا بد لنا من دراسة الناحية السياسية والاجتماعية وذلك من حيث إن اللجوء إلى الخلوات والاعتزال طلبا للمكاشفة ، لا يكون في الغالب إلا عند شعور الإنسان بالخطر الداهم وعدم استطاعته الخروج منه إلا باللجوء إلى قوة عظمى يجد الراحة والاطمئنان في كنفها ويستمد الحلول لمعالجة الأوضاع الطارئة ، بما يفيضه الله عليه من الإلهام والتسديد في القول والعمل وبمقدار قوة الواقع يكون عمق التجربة وقوتها[2].

ولا يمكن للسالك المريد أيضا أن يسافر في تعرجاه الصوفي من أجل امتلاك حقيقة الإنسان الكامل أو الوصول إلى حقيقة القطب إلا بمعرفة المفاهيم والمصطلحات الصوفية التي قد ترشده وتهديه في سفره الوجداني وترحاله الروحاني، والتي ستساعده بلا ريب على امتلاك قبس المعرفة الإشراقية، والسيطرة على مفاتيح الحضرة اللدنية، والقدرة على استكناه التجليات الربانية، والارتشاف من معين الإشراق الإلهي والكشف النوراني،

[1] محمد سحواج ، معجم المصطلح الصوفي الفلسفي في شعر الأمير عبد القادر مصدر سابق ص ٥٨

[2] الفكر الصوفي مصدر سابق ١٥٨.

المصطلح الصوفي هو عبارة عن مفهوم تصوري يعكس مضمون التجربة الذوقية الوجدانية التي يعيشها المريد السالك في رحلته الروحانية من أجل تحقيق الوصال أو اللقاء الرباني عبر محطات ثلاث، وهي: التحلية والتخلية والوصال وللمصطلح الصوفي أبعاد ثلاثة: بعد عملي يتمثل في الممارسة السلوكية الذوقية، والبعد الوجداني الذي يتعلق بطبيعة التجربة الصوفية، والبعد النظري أو الفكري أو المعرفي الذي يقترن بالمذهب. وهذا ما يؤكده الدكتور محمد كمال إبراهيم جعفر محقق كتاب "اصطلاحات الصوفية" للقاشاني عندما أشار في مقدمة الكتاب المحقق أن للمصطلح الصوفي ثلاثة جوانب أساسية:" أولها الجانب العملي وهو الطريق، وثانيها الجانب النفسي أو الشعوري أو الوجداني أو العاطفي وهو التجربة، وثالثها الجانب النظري أو الفكري أو التعبيري وهو المذهب[1].

وقد استعمل علماء الإباضية مصطلحات الصوفية والشعراء هم الذين تداولوها بقوة والواضح أنهم قبلوها لما رأوا أنها أكثر تعبيرا عن ما يعيشونه في عالمهم الوجداني والروحاني

يعتبر العلم من أهم الأسس التي تنبى عليها الحياة الروحية وهو في ذات الوقت ثمرة الطاعة "وقد يكنى بالعلم عن العمل لأن العمل إذا كان نافعا قلما يتخلف عن علم ، هذا بعض تحقيق العلم من حيث هو ، أما المذكور بلسان الشرع الممدوح به وبالعقل فهو نور في قلب المؤمن أصل إشراقه من شموس النبوة المحمدية من أفعالها وأقوالها وأحوالها فيهتدي بهذا النور إلى الله وصفاته وأسمائه وأفعاله وأحكامه، فإن حصل بواسطة البشر فهو كسبي وإلا فهو اللدني المنقسم إلى وحي وإلهام وفراسة والذي يهمنا هنا هو الإلهام: لغة الإبلاغ، وهو علم يقذفه الله من الغيب في قلوب عباده الصالحين المتقين لقوله

[1] جميل حمداوي: المصطلح الصوفي موقع وزارة الثقافة والاتصال للمملكة المغربية
http://www.minculture.gov.ma/index.php/2010-01-11-01-40-04/etudes-essaie/343-jamil-hamsaoui-terinologie-mystique

تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾[1] ، والعلوم أنواع ودرجات منها :علم اليقين ، وهو ما كان من طريق النظر والاستدلال [2] وعين اليقين ما كان بطريق الكشف والنوال ، وحق اليقين ما كان بتحقيق الانفصال عن لوث الصلصال لورود رائد الوصل ، ومن أسرار الله في هذا الكون أن بعض النفوس البشرية تقتبس بعض العلم من الموجودات بشرا كان أو غيره بغير واسطة الحواس ولا الاستنباط العقلي بينها وبينهم من القرب والمناسبة وهذه القابلية وجهان :

الأول : ما يختص الله تعالى به الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بدون سعي منهم ولا كسب فيؤهلهم لنبوته ورسالته وينزل عليهم الملائكة بالروح من أمره فلا القابل الذي يتلقى عن الملك النازل بالوحي يكون له اختيار فيما يوحى إليه ولا الفاعل وهو الملك النازل بالوحي يكون له اختيار فيما يوحيه بل يفعل ما يأمره الله تعالى ولا يستطيع أن يعصيه ولكمال استعداد الأنبياء وعلو أرواحهم يرزن الملائكة في صورهم الأصلية قليلا ويتمثل لهم الملك بصورة البشر أو يلابسهم ملابسة روحية فيلقي في أرواحهم ما شاء الله أن يلقيه وهو الأكثر ، وهذا النوع قد ختم وتم ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، والذي من شؤون البشر الكسبية يبقى ببقائهم ، و**الثاني** :ما يمنحه الله من التثبيت في الحق والإلهام لمن دون الأنبياء من خيار خلقه الذين سلمت فطرتهم وصفت سريرتهم وزكت بالعمل الصالح أنفسهم حتى غلبت فيها الصفات الملكية على النزعات الحيوانية ، والنزغات الشيطانية ولاشك في قوة المناسبة بين الأرواح البشرية العالية وبين الملائكة فتستفيد من طريق المناسبة قوة في الخير والحق وثبات على الصلاح والجهاد **قَالَ تَعَالَى:**﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[3] وقد نستفيد

---

[1] سورة سبأ الآية ٤٨

[2] أبي مسلم الشيخ ناصر بن سالم بن علي البهلاني ، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر ج١، ط٤، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، مكتبة مسقط –سلطنة عمان ص ٣٢.

[3] سورة الأنفال الآية ١٢.

منها علما بالحق وبشارة بالخير وهو ما يسمى التحديث والإلهام[1]، وقد ثبت في الحديث الصحيح أن عمر بن الخطاب كان من المحدثين الملهمين ومنهم العلامة الولي محمد بن يوسف الذي: وألهمني ربي وكنت محدثا وقد ذكر هذا التعيين في تفسيره المسمى (تيسير التفسير في)سورة الزخرف عند قوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾ [2] ومثل هذا لا يتأتى إلى البشر إلا من طريق الإلهام والتحديث [3]وقد عبر ﷺ عن ملك الإلهام بأنه واعظ الله في قلب كل مؤمن ويوضحه "إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق :" فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان، لطيفة من الحق سبحانه أعطاها النفوس العالية ذوات العقول السامية من عارفيه الذين لم تدن مراتبهم من مراتب الأنبياء إلا أنهم أولياء ، فكثير منهم نال حظه من الأنس بما يقارب تلك الحال في النوع أو الجنس ، لهم مشارفة في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب ولهم مشاهد صحيحة في عالم المثال لا تنكر عليهم لتحقق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا يستبعدون شيئا مما يحدث به عن الأنبياء صلوات الله عليهم ومن ذاق عرف ومن حرم انحرف[4].

وسأل المحقق الخليلي ما هو العلم الوهبي ؟ فكان الجواب : العلم الوهبي هو ما يلقيه الله تعالى في قلب عبده فيضا نورانيا ومددا رحمانيا[5].

علم الأسرار : علم معدود لأهل التخلي من العوائق و العلائق ، والتحلي بالفضائل والوسائل ، وهو أحد الطرق الموصلة إلى معرفة الله ، وعظمة قدره وجلالة أمره ، وما

---

[1] أبي مسلم الشيخ ناصر بن سالم بن عدم البهلاني ، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر مصدر سابق ص ٣٤.

[2] سورة الزخرف الآية ٦١.

[3] أبي مسلم الشيخ ناصر بن سالم بن عدم البهلاني ، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر ، مصدر سابق ص ٣٥.

[4] المصدر نفسه ص ٣٥

[5] أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ، أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري ج١.

أودعه الله في ذلك من أسرار وأنوار ، وفي الأسماء والآيات والأوراد والأذكار والابتهالات والتوسلات بصفات الله وأسمائه[1]

استعن بقلة الطعام عن قلة الكلام ، فمن جاع شغله الذكر عن الفكر ، ومن شبع حمله النظر عن الهذر[2].

ألفاظ الرؤية الصوفية والمحبة الإلهية :لا يمكن لأي شاعر أن يصف تجربة صوفية في شعره إلا من عاشها وغاص فيها وفهم حقائق طبيعتها وترقى في مراتبها حتي يخرج شعره في صورة معبرة عن تجربة حقيقية عاشها الشاعر وسبر أغوارها وعرف ما توحيه ألفاظها وكلماتها من دلائل ومعان فكل لفظ له مدلول يختص به في التجربة الصوفية ، والمصطلحات الصوفية كثيرة الدالة على عمق التجربة والمعايشة الواقعية للحياة الروحية وهي بدورها تجربة ذاتية فردية فهذه ألفاظ خاصة بالحب الإلهي : الوجد ، الحب ، الشوق ، الوصل ،القرب ، والهوى ، القلب ، الروح ، وتلك ألفاظ خاصة بالسكر الروحي: ، الشراب ، الكأس ، الخمر ، الجمال ، الصيام ، الصحو ، السكر ، والتي تظهر بقوة في شعر سعيد بن خلفان نجد وصف دقيقا لسفر النفس المؤمنة في ترقيها لمقامات التصوف وانتقالها من حال إلى حال لتبلغ منتهاها ومرادها من القرب من الله [3].

وقد استعمل علماء الإباضية مصطلح [**العلم اللدني**] :يقول أبو يعقوب الوارجلاني .. أن العلم اللدني لا يحتاج إلى تعلم ولا تعليم ويصير الفؤاد مرآة الخلق ، قد انطبعت فيه صورة كل شيء كالمرآة التي تقبل صورة كل جسم قابلها ، فهو العلم الذي أراه الله الخضر عليه السلام وهو علم الباطن الذي استأثر الله به، إلا من خصه الله من عباده

[1] مبارك بن سعيد بن بدر بن محمد الشكيلي الغافري ، تحق، هلال بن محمود بن عامر البريدي ، مجموع البيان لحسن مكارم الأخلاق على مر الزمان ،ط١٤٣٤،١هـ-٢٠١٣م، وزارة التراث والثقافة –سلطنة عمان ص ٢٩٥

[2] المصدر نفسه ص ٢٩٦..

[3] شريفة اليحيائي شعر سعيد بن خلفان الخليلي دراسة تحليلية جامعة السلطان قابوس كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها ، ص ٨٤

وانتزعه من جملة خلقه إلى كنفه وخيره فهذا العلم ليس علم المكاشفة الذي يأتي عن طريق الممارسة والمجاهدة كما يقول الصوفية ، وإنما علم لا يحتاج إلى رياضة أو مجاهدة فهو من عند الله من غير واسطة ملك أو نبي ، فهو علم يقدمه الله لمن اصطفاه من عباده كسيدنا الخضر عليه السلام .

علم المكاشفة :ويقال لها رفع الحجاب بين الروح الجسماني الذي لا يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة[1]، إن السالك حينما يضع قدمه في عليين الحقيقة بعدما يجذبها من طبيعتها السفلية بسبب جذبه الإرادة فإنه يصفي باطنه بالرياضة ، فلذا تصبح عينه في كل وقت مفتوحة وبمقدار ذلك الصفاء يرتفع عنه الحجاب ويزداد لديه قوة صفاء ، ويورد الوارجلاني تعريف الغزالي (هو علم الباطن وذلك غاية العلوم وهو علم الصديقين والمقربين وهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتنزيهه من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة حتى تصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وتعالى وصفاته الباقيات التامات وبأفعاله ويحكمه في خلق الدنيا والآخرة ونعني بكلمة المكاشفة أن يرفع الغطاء حتى يتضح له جلية الحق في هذه الأمور اتضاحا يجري مجرى العيان الذي لا شك فيه .

أما عن طريقة المكاشفة :وهي العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة أي مرآة القلب من هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء عليهم السلام في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة وبالعلم وبالتعليم وهذه العلوم التي لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من

[1] دليلة خبزي الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني ، رسالة ماجستير في أصول الدين ، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م- مسقط عمان ص ١١٨.

أنعم الله بها عليه بشيء منها إلا مع أهله[1] ، وللمكاشفة درجات ومراتب تتمثل في الكشف النظري.. هو تصفيه القلب بالرياضة ، فتصبح العين في كل وقت مفتوحة وبمقدار ذلك الصفاء يرتفع عنه الحجاب ويزداد لديه قوة صفاء عقل المعاني المعقولة ،الكشف النوري ..يجب على السالك أن يتجاوز الكشف النظري ويخطوه عدة خطوات وأن يجعل قلبه عاملا أكثر حتى يتصل بنور القلب الذي يسمى بالكشف النوري ، الكشف الإلهي ..يتقدم السالك نحو الأمام خطوات أخرى حتى تبدوا له المكاشفات السرية التي يقال لها الكشف الإلهي ، أما الكشف الروحاني ثمة تبدوا له أسرار الخلق وحكمة الوجود ثم يتقدم إلى الأمام أيضا حتى يصل إلى المكاشفة الروحانية وهي التي يقال لها الكشف الروحاني فتنكشف له عوالم النعيم والجحيم ورؤية الملائكة والعوالم اللامتناهية فتبدوا له الولاية ، والمكاشفة الصفائية ثم يجب أن يجتاز هذه الدرجة حتى تبدوا له المكاشفات الخفية حتى يجد بواسطتها عالم صفات الربوبية وهذا ما يقال له المكاشفة الصفائية .

يتضح مما سبق أن هناك فرق بين العلم اللدني وعلم المكاشفة غير أن أبا يعقوب لم يفرق بينهما حيث قال ..(علم المكاشفة وهو العلم اللدني وأصله المعرفة والمعرفة هي سكون النفس إلى الرب وهي علم تقدمه علم وعند ذلك يستوحش العبد من جميع الخلق ولا يستأنس بأحد منهم لما عوده الله من استجابة الدعاء ومؤانسة في وحدته .فهذه درجات التقرب إلى الله فإذا بلغ هذه المنزلة رفع الله عز وجل الحجاب بينه وبين خلقه وانكشف له الغطاء عن قلبه في جميع ما أراد الله تعالى أن يحدثه وآثره بذلك وخصه به فكانت

[1] دليلة خبزي الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني ، رسالة ماجستير في أصول الدين ، ، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م- مسقط عمان ص ١١٩.

علومه من لدن الله عز وجل لا بواسطة من غيره كما قال تعالى " وعلمناه من لدنا علما " فيظهر من كلام أبي يعقوب أنه لا يفرق بين العلم اللدني وعلم المكاشفة [1].

ومن المصطلحات المتداولة في وسط المجتمع الإباضي العماني تسمية بعض المساجد القديمة بمساجد العُباد وهي ملاذ العارفين وأماكن تنسك الصالحين الفارين من الناس لأجل التفرغ للعبادة والذكر مثل مسجد المضمار، ومسجد العقبة (ذو القبلتين)، ومساجد العُباد. مساجد عُمانية أثرية قديمة، اكتسبت مظهرا متقشفاً خالياً من السّمات البارزة التي اشتهرت بها المساجد الإسلامية على مرّ العصور؟! وكيف احتفظ كل مسجد بحكايته الروحانية والإيمانية؟ ، حيث يرتبط مصطلح " مساجد العباد " بمصطلحين أساسيين في الحياة الروحية وهما :الخلوة والعزلة وهناك من يسميها "بيوتات" :مكان اختلى فيه الشيوخ للعبادة بدار ما ثم تحول إلى مسجد مثل مسجد الشيخ صالح الإباضي في بني واكين بورجلان .

كما تعرف في عرف أهل جربه في تونس بالمساكن الخاصة لطلبة العلم وكانت تتخذ قرب مسجد الحشان والذي يعرف اليوم بمؤسسة أبي مسور اليهرانيسي فكان الطلبة يؤوون إلى هذه الخلوات بعد انتهاء الدروس ولكن لما ضعف الاقبال على الدراسة اضطر الشيوخ إلى جعلها بيوتا لتعليم العوام ووعظهم [2].

المسجد الطائر ويقع على قمة جبل هرمي الشكل، وكأن الجبل خصص للمسجد فقط، ويجد المرء صعوبة في الصعود إليه، وقد اندثرت أجزاء المسجد من الداخل والخارج؛ إلا أن بعض الأجزاء من جدرانه لا زالت متماسكة. وقد أطلق الأهالي اسم "الطائر" على هذا المسجد، لعدم معرفتهم بمن قام ببنائه وفي هذه النقطة الصعبة على قمة

[1] الآراء الكلامية لأبي يعقوب الورجلاني ، رسالة ماجستير في أصول الدين ، دليلة خبزي ، ط ١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م- مسقط ، سلطنة عمان .

[2] معجم مصطلحات الإباضية مصدر سابق .ص٣٦٢.

الجبل .المسجد الطائر في ولاية نزوى حيث يقع في قمة الجبل كان يختلي فيه العباد ، وتسمى كذلك بيوتات أو خلوات يرتادها العلماء للتنسك والعبادة والاعتزال عن الناس وتسمى كذلك مساجد العبادة ، ويتضح من كلام الشيخ أن المسجد لم يكن مخصص للعبادة كونه في قمة الجبل ويصعب على المصلين الالتحاق به في كل صلاة لذا فالمؤكد أنه كان خلوة للعبادة ، وسلطنة عمان مليئة بهذه المساجد وخاصة ولاية نزوى [1] تبدو للناظر وكأنها طيور محلقة على منحدرات الجبال، حيث تميز هذا النوع من المساجد (المتقشفة)، بأنها نحتت في الجبال – وتتسع غالباً لشخص واحد، وتتميز بصغر حجمها وانعزالها بعيداً عن سُكنى الناس ، حيث انتشرت هذه المساجد منذ فترات تاريخية متباعدة في ولاية نزوى التي تحتضن آثار ما لا يقل عن سبعين مسجدا، وكذلك في ولايتي بُهلا والرستاق المجاورتين ، وتحفل كتب التراث العُماني بالكثير من الأثر عن سير أصحاب تلك المساجد، والتي كانت مقراً للعلماء والأئمّة والنُّساك، والعباد الصّالحين، والذين كانوا ينفرون إليها، طلباً للاعتكاف والعبادة. ورغم بساطة هذه المساجد إلا أنها ظلت وقفاً توقف لها الأموال لرعايتها، ولها وكلاء ليومنا هذا، حظيت مساجد العُباد بالكثير من الرُّوحانية اللافتة، فهي تمد زوارها بالكثير من السلام الداخلي والطمأنينة وتُشيع السكينة في أمكنتها البعيدة عن صخب الحياة، وكأننا في هذا التجلي الصوفي نستذكر أبياتاً لشاعر السلوك العُماني

أبو مسلم البهلاني في قصيدته النهروانية :

سَميري وَهَلّ للمُسْتَهامِ سَميرُ ... تَنَامُ وبرقُ الأبْرقينَ سَهِيرُ

تمزق أحشاءَ الرَّبَابِ نِصَالهُ ... وقَلْبي بِهَاتيك النِّصَال فَطيرُ

[1] لقاء مع الشيخ محمد الهنائي...الخوض .مسقط ..سلطنة عمان .

وقد نظمت الجمعية العمانية للكتّاب والأدباء بالتعاون مع النادي الثقافي ندوة "التصوف في الأدب والفكر العماني " في النادي الثقافي: ومن بين أهم المواضيع التي تناولها الباحثون

العرفان عند الشيخ ناصر بن أبي نبهان الخروصي" عرف العرفان على انه : (هو الحصول على المعرفة عن طريق الباطن كالكشف والإلهام، وهي طريقة ترتفع عن تحصيل المعرفة من طريق البحث والبرهان) وأضاف ان الخروصي لم يستخدم مصطلح العرفان، وإنما استخدم: التصوف، الكشف، الإلهام، الفيض، النور، كما تطرق العدوي الى أهم قضايا العرفان للفيلسوف ناصر بن ابي نبهان في ثلاث نقاط وهي : الكشف والإلهام والفيض والنور وهي —حسب العدوي –تنوير العقل بنور العلم لتذهب ظلمة الجهل، وهي التخلق بالصفات الحميدة والتخلي عن الصفات الذميمة، وانكشاف حقائق الوجود الكبرى، التوحيد والمآل، والدلالة عليهما، وإنما هذه كلها أسماء واستعارات مجازية، وجاز القول في معانيها كذلك تمثيلاً، ليهتدي أهل العقول إلى الحق الموصل إليها ،ثم أرجح أسباب اللجوء الى العرفان والتصوف بكثافة الى كونها : (نوع من التعويض النفسي الداخلي عن الإخفاق على المستوى الاجتماعي الخارجي والحفاظ على الذات بإبقاء الأمل، فالضعف السياسي قد يؤدي إلى تلاشي الفكرة ويحقق نوعاً من السرية يصعّب على الخصم السياسي كشفها، ولأنه عند الإباضية يُعتبر التصوف الجهادي والتصوف المصطلحي كما ان انحسار سلطة الفقيه من الدولة اليعربية، ومحاولة تعويضها باللامنطق "علم الأسرار".[1]

[1] ندوة" التصوف في الأدب والفكر العُماني"١٢-٠١-٢٠١٠م...سا ١٩:٥العرفان والفكر الإباضي والشعر السلوكي في الصوفية العمانية متابعة . بدرية الوهيبي.

* الفكر الإباضي والبعد الصوفي الباحث سلطان الحراصي : يقول الحراصي في تعريفه للتصوف : (لقد اختُلِف في مفهوم التصوف كمصطلح، سواء من حيث سبب التسمية أو من حيث المعنى والمفهوم، كما أن معناه ومفهومه قد تطور عبر الزمن، بين مفهوم حميد يقابل الجانب الروحي الاحساني النوراني في منظومة الإسلام، وبين معنى سلبي يكون أداة لهدم الدين وضرب قواعده الكبرى، وذلك عندما اتُّخِذ التصوف تكأة من أجل الوصول إلى غايات كفرية ونظريات عدمية، ومناهج الحادية، ومقولات باطنية، لا تُراعي للدين حرمة، ولا للأخلاق مزية، وذلك باستغلال جانب العاطفة وثورتها، والنفس وضعفها، والوجدان وتقلباته، في ظل ضعف في المعتقد، وجهل بمنهج الدين من حيث الثوابت والأصول، فظهرت الكثير من المقولات الكفرية التي أنكرها علماء الإسلام وحذروا منها كالقول بوحدة الوجود والحلول والاتحاد، والاباحية والسحر والكهانة) واستعرض الحركات الاسلامية التي ظهرت آنذاك وتأسيس الحركة الاباضية على يد جابر بن زيد كحركة معتدلة متوازنة واقعيا وفكريا، كُتب لها البقاء إلى اليوم، ثم أشار الى دور الاباضية ووصولهم الى المعرفة الصوفية قائلا : عندما خرجوا عن نطاق مجتمعهم ودولتهم فتأثر بعض رجالاتهم بها، وظهر تصوفهم تصوفا سلوكيا عمليا احسانيا، بعيدا كل البعد عن الهرطقة والغلو الباطني، كما أنهم لم يجعلوا التصوف غاية في حد ذاته، بقدر ما كان وسيلة من وسائل المعرفة والقرب من الله تعالى، لاسيما في وقت الانعطافات الحادة، وزمن الشدة والابتلاءات، ولم يولوه عناية كبرى في البحث والدرس وذلك مقارنة بعنايتهم بالشريعة فقها وعقيدة، ورغم هذا فقد ظهر تصوفهم مميزا يحمل سمات مدرستهم الفكرية، ومنظومتهم العقدية والسياسية، ولم يسموه بـ "التصوف" وإنما أطلقوا عليه اسم "السلوك"، وأرى أن هذه التسمية ربما أرادوا بها التميز بعدم تقليد واجترار ما عند الغير،

أفضل ما في التصوف إنما هو سلوك السالك إلى ربه، بتجاوز عقبات الطريق والانطلاق بالكلية إلى رب البرية[1].

وأخيرا أكد الحراصي على ان بالرغم أن شيوخ التصوف الاباضي لم يعنوا كثيرا بدراسة مباحث الفلسفة الصوفية ومصطلحاتها، إلا أن الرغبة ربما كانت ظاهرة من بعضهم، في خوض غمار هذا الجانب المعرفي، ولا أدل على ذلك من إطلاق لفظ " الشيخ الرئيس" على الشيخ جاعد بن خميس الخروصي، ومعلوم أن هذا اللفظ قد أطلق من قبل على ابن سينا، وهو من مناصري نظرية الفيض والإشراق الفلسفية، وكذلك اهتمام الشيخ ناصر بن جاعد بالفلسفة الصوفية، وشرحه لتائيتي ابن الفارض، شرحا عميقا، بحيث انه لم يرد من ذلك الشرح، مجرد شرح لأبيات شعرية سلوكية، بل ربما كان يريد تأسيس النواة الأولى للمعرفة الصوفية، والتي تتعدى التصوف المصطلحي إلى التصوف الفلسفي، في محاولة جادة لوضع كتاب أسماه "نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك"، وتوجيه كثير من تلك الأبيات الشعرية إلى ما يراه من الحق والاستقامة في الدين كما ذكر ذلك بنفسه.

المحور الثالث تناول الشعر السلوكي العماني (موضوعاته وخصائصه) وقدمه الدكتور عادل المطاعني وهو أيضا رسالته لنيل شهادة الدكتوراه حيث يقول في المقدمة (لقد شاع لفظ السلوك في الكتب الصوفية مصطلحا من مصطلحات التصوف التي تعني : سلوك طريق الحق بكثرة العبادات والأذكار، بالإضافة إلى الزهد المتمثل في نبذ الدنيا والتوجه إلى الله تعالى ولهذا الطريق شروطه الخاصة به منها التوبة إلى الله والانشغال به عمن سواه واشار المطاعني في ورقته ان المدرسةُ الصوفية تأثرت بعمان بإحياء علوم الدين للغزالي ، وبإلهيات ابن الفارض لكنهم آثروا ألا يسموا أنفسهم بالمتصوفة ؛ وإنما سموا نتاجهم الإبداعي في هذا المجال بالسلوك ، ولا يزال الجهاز المفاهيمي المرتبط بتفكيك وبناء هذا النمط من

[1] ندوة "التصوف في الأدب والفكر العُماني مصدر سابق .

الشعر مستعصيًا إذ الأمر لا يتعلق بمعرفة نظرية فحسب ؛ وإنما قد يتجاوز ذلك إلى معرفة سلوكية والتجربة السلوكية الاباضية في ماهيتها منظومة متشابكة لا يتحقق اكتمالها إلا باكتمال أركانها ، وتقوم في أصلها على الطرائق العملية ، والممارسات المحققة ببذل الرياضات والمجاهدات ، المؤدية إلى النضج المعرفي ، المصحوب بالتهيؤ والاستعداد النفسي ، للتدرج في مراتب الترقي وصولا إلى الحقيقة فهي تقوم في أساسها على الجوانب العلمية ، والعملية والروحية ، وهو ما قامت عليه التجربة الصوفية أيضا ، فهذا التماثل في طبيعة الأسس جعل بين التجربتين نقط التقاء ونقط تباين ، وأكد الباحث ان على التجربة الفكرية السلوكية انبنى الشعر السلوكي ، الذي لم تظهر معالمه جلية واضحة منذ البداية ، بل ظهر الجانب العلمي منه مع إشعار الشراة ، ثم تفرع إلى جانبين روحي وعملي في الفكر الصوفي ثم اكتسب استقلاله وثبوته عند الاباضة وهو ما عرف بالسلوك الإباضي ، وقد مثل هذا التيار عدد من شعراء السلوك الإباضيين . ولقد ركزت التجربة الشعرية السلوكية قوامها على جانبين رئيسين وهما الجانب العملي الذي قام على الزهد في الدنيا ، والالتزام بأداء العبادات والأذكار وذلك لتتنقى ذات السالك من أدران الحياة الدنيا ، فترقي إلى الجانب الروحي ، الذي تمر فيه بين مقامات السلوك ، وتترقى بين أحواله ، وصولا إلى حال الفناء ، ولكن هذا الفناء الذي ظهرت به حدود الإثنينية واضحة ففصلوا بين الأنا والهو فصلا صريحا فبذلك قامت التجربة الشعرية السلوكية في حدود الإطار الفكري للتجربة السلوكية ، فاختلفت عن التجربة الصوفية التي أطلقت الحدود ، فشطح بعض شعرائها إلى الحلول ، والاتحاد ، ووحدة الوجود . ومن الاختلاف الواقع بين السلوك والتصوف في جانب مظاهر التجليات الإلهية ففي الشعر الصوفي ظهر التجلي واسع الأفق وظهرت معه أفكارهم الفلسفية ، في حين مثلت التجربة الشعرية السلوكية صورة التجلي الإلهي في حدود معطيات الفكر الاباضي ، وخاصة فيما يتصل بإثبات وجود الذات الإلهية وفيما يتعلق بصفات الذات الإلهية ، ونفي رؤيتها ولخص

ورقته إلى أن التجربة السلوكية تماثلت من الناحية الفكرية مع الصوفية واختلفت في عدة ، فالعلاقة بين التجربتين لم تقتصر على هذا الحد بل كانت على مستوى البنية الشعرية ، أي من ناحية اللغة والبناء الفني .

ويؤكد الشيخ السيابي ابتعاد الإباضية عن استعمال مصطلح التصوف واستحبابهم لمصطلح "السلوك "[1]، فالشعر الذي تكون فيه نزعة صوفية يسمونه شعر السلوك ...والسلوك مصطلح ينضوي تحت مصطلحات الصوفية التي يكثرون >كرها ، ويرتبط به مصطلح آخر هو" الطريق "[2]، ولا يخفى على المدقق العلاقة الوثقى سواء أكانت لغوية أم روحية بين السلوك والطريق ، فإذا علمنا أن التصوف هو العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة والعبادة " أدركنا التشابه [3]بين مدلول المصطلحين إلى حد كبير من حيث إن السلوك هو التطبيق العملي لجملة الأفكار التي آمن بها السالك وراح يطبها على نفسه ومن منظور الكاتب أن أسبابا حدت بالفكر الإباضي إلى العدول عن مصطلح التصوف وتفضيل مصطلح السلوك عليه ، منها الاعتزاز بالشخصية ، والرغبة في التميز فجميع الفرق تتخذ من هذا المصطلح شعارا لها فآثر الفكر الإباضي مصطلحا هو من داخل التصوف، وسبب آخر أقوى وأهم : كون السلوك ومدلوله العميق يشير إلى النقاء الذي ظل محتفظا به من حيث التحامه الوثيق بالشريعة وأحكامها ورغبة الإنسان في اتخاذ طريق معين لعبادة ربه يتمثل في الخلوة وتلاوة القرآن والأوراد فحسب، في حين اختلط التصوف ومدلوله بمؤثرات أجنبية أبعدته

[1] لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود السيابي وكذلك أنظر كتاب إيضاح نظم السلوك وكتاب التصوف في عمان للشيخ السيابي ومقال الشيخ السيابي .

[2] ناصر بن جاعد الخروصي ، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك ، ت: د. وليد محمود خالص ، ط١هـ٠هيئة أبة ظبي للثقافة والتراث دار الكتب الوطنية ٢٠١٢م ص ٢٤.

[3] المصدر نفسه ص ٢٥.

عن منبعه الصافي وهو الزهد ، وهو ما نأى الفكر الإباضي بنفسه عنه ، واكتفى بالسلوك منهجا وطريقة وتفاعلا مع الحياة وأحداثها[1]

واضح من كلام الباحث أن الإباضية عنوا بمضمون التصوف واتخذوا مصطلح السلوك شعارا لهم لمعناه العملي والذي يوافق منظومتهم العقدية وفكرهم العقدي وفي معنى الإيمان في المدرسة الإباضية .

[1] ناصر بن جاعد الخروصي ، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك مصدر سابق ، ص ٢٤.

المطلب الثالث : المجاهدة و الرياضة

المتتبع لسير علماء الإباضية يجد أن السلوك بكل ما فيه من رياضات روحية وأذكار وخلوات وتسبيحات لم يكن بشكل جماعي أي طقوسي بحت في الماضي ، يعني أن الممارسة السلوكية والخلوات كانت اكثرها انفرادية شخصية إلا إذا كان في إطار شيخ وطلاب متعلمين يعني فكرة الشيخ غير مبالغ فيها عند الإباضية وليست ضرورة لسلوك الطريق إلى الله حيث كانت في حدود على أساس أنه علم يوصله الشيخ الى الطالب[1] ويرسم له معالم الطريق ، واعتبرت المجاهدة هي المنطلق الأول الذي يبدأ به من أراد تزكية نفسه وتهذيبها وإفراغها من العلائق ، وتطهيرها من الأدناس وترك اتباع الهوى وشهوات الدنيا ، والسائر في طريق الاستقامة عليه أن يلزم نفسه بأعمال منها الرياضة والمجاهدة، علما أن الممارسة السلوكية عامة وليست حكرا لأشخاص دون آخرين ، وقد وضع علماء الإباضية شروط للرياضة ومن شروطها: الخلوة والصيام واجتناب ذوات الأرواح والوصف والتلاوة وحضور القلب فيها ومناسبة الوقت وعدم المزيد والنقص[2] وفي جوابات المحقق الخليلي عن صفة علم الحقيقة جاء ما يلي : وذكرت أنك تريد شيئا من كلام الحقير مما قرأته عليك من علم الحقيقة فالقصيدة واصلة إليك وأما ما ذكرته من علم الحقيقة وليت شعري كيف هو يكون وكيف يحمل من لا حقيقة له أن يتكلم في علم الحقيقة فيكون بذلك مدعيا إنما هو ليس من أهله ودالا على ما استوجب هو أن يستدل عليه بغيره ولكن ظننت أن المطلوب ما تذاكرناه من قبل فدليتك به من صفة الدخول في ذلك الأمر لمن أراده وسعى له سعيه بالمجاهدة والإخلاص وقطع الشواغل الدنياوية وشغل نفسه بالشواغل الأخروية فلا يكون في شيء همه أبدا إلا في سلوك

[1] لقاء مع الشيخ كهلان الخروصي نائب المفتي بوزارة الأوقاف بسلطنة عمان .

[2] أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ، أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري ج١.ص ٢٢٣.

طريقه إلى أن يذوق شربة من رحيق متوجها إلى الله ربه يتطهر قلبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر وإن شئت ذلك فطهر أولا قلبك بالإخلاص والتوكل على الله والرضا بقضاء الله في كل أمر، وتوجه إلى الذي فطر السموات والأرض صفا مستقيما في طريقه من غير تواهن ولا تلجلج بقوة عزم وصدق إرادة وذلك بعد تطهر النفس من العلائق الرذيلة القاطعة من حب الدنيا والميل إلى الشهوات وما أشبه ذلك من المشبهات ولا أظنها تخفى عليك ثم تطهر بعد ذلك من الأوساخ وثيابك من الأدناس وجميع الأرجاس[1].

وتعمد إلى خلوة ظاهرة خالية من حسوس البشر وينبغي أن يكون ذلك في بيت ضيق مظلم وإن لم يتفق ذلك فهي حيث أمكن من الخلوات في بيت ،مسجد ، أو كهف أو جبل أو شيء من السيوح والأوديه وتكون صائما نهارك كله في مدة الخلوة وفطرك على ما ليس فيه روح ولا خرج من روح من الأكل اليسير بمقدار ما يقوي به على أداء الفرائض وذكرك في هذه المدة كلها أي مدة الخلوة [2] ، اسم الجلالة وحده هكذا : الله الله الله إلى أربعين يوما لا تقر عينه ليلا ولا نهارا إلا فيما لابد منه من الصلوات اللازمات من الفرائض والسنن الموكدة ولا تتم إلا عن غلبة ومتى انتبهت تداركت الذكر في الحال وإن احتجت إلى صاحب يناولك طعامك وشرابك فلا يضرك ذلك ولكن لا تكثر الحديث له ولا يضرك إن حدثته بالقليل مما لا تجد بدا عن ذلك وينبغي أن تحضر في مجلسك ما تقدر عليه من الطيب وتطيب نفسك وثيابك والموضع واحذر أن يكشف لك شيء من الأسرار أن تشتغل به عن وردك بل كن كأنك لم تر شيئا من ذلك أصلا

[1] أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ، أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري ج١. ص ٢٢٨.

[2] أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ج١.ص ٢٢٨.

فما ترتقي من كشف إلا وجدت وراءه ما هو أكبر منه وأجل والغزالي لا يشترط في ذلك مدة معلومة ولكن يقول تبقى على ذلك الاسم إلى أن تجد قلبك حاضرا فيه ، الاسم كأنه يتكلم به ولو لم ينطق لسانك [1] ، فإذا بلغت ذلك فاثبت عليه ودع حركة اللسان فليس المطلوب إلا حركة القلب بالحضور الكامل فإذا بلغت هنالك فاثبت على ذلك إلى أن تجد معنى الاسم حاضرا ثابتا من غير حركة باللفظ فهي المرتبة الكبرى فاثبت عليها ولازمها إلى أن يتمكن ذلك من قلبك فتنسيك كل ما سواه فلا تشعر بنفسك ولا دنيا ولا شيء غير الله قطعا فهذه هي المرتبة لا فوق فوقها في شيء من العلم وهي التي يسمونها بالفناء الغيبي وكيمياء السعادة الأبدية وعندما تشاهد بالكشف مواطن الملك والملكوت وتشاهد العجائب والغرائب فتشرف على مقام كن لحن الله أكبر الله أكبر أمر دليل يحقق للعارف ، أن يسمح بالنفس في طلبه وذلك سهل لمن يسره الله تعالى له كما قال ﷺ "كل ميسر لما خلق له "وأما نحن فقد التقطنا أحاديث الأقوام فقمنا نتكلم على قياس ما ذكروا [2]، من ذلك من غير تجرد ولا تجربة دلتنا شواهد العقول وصحة النقول على أنها من المقبول كما جاء في الحديث النبوي " من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه " فهي هي وإلا فالمرء من المؤمنين قد يخلص في أكثر من تلك ولا يكون كذلك ولا يتكل الانسان في ذلك على الأربعين فإن القلوب قد تختلف أحوالها ولا شك فإن استحكم فيه الصدى ليحتاج أكثر من المدة لجلائه وتطهيره حتى يكون قابلا للطائف الواردة عليه بخلاف الطاهر الزكي [3].

---

[1] أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ج١ ص ٢٢٩.

[2] المصدر نفسه ص ٢٣٠.

[3] أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي النفوسي قناطر الخيرات ، ج٣، دار النهضة سلطنة عمان ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م ص ٢٣١

واجتهد العلماء العاملين في حياتهم الروحية بإثرائها بالأذكار التي تقربهم إلى المولى عز وجل والذي تميز به علماء الإباضية هي الأذكار النظمية التي يعبر فيها العابد العالم عن مكنوناته وتكون بها مناجاته ، ومصدرهم في ذلك القرآن الكريم وهو المنهج القويم الذي تستقيم به الأحوال، وتكشف به الأضرار ، وتصفوا به الأكدار، وينال السالك بها العلم والأسرار وتتجلى له الأنوار ، فجعلوا لمناجاتهم مناظيم وأشعار ، ومنهم الشيخ أبو مسلم البهلاني الذي أخذنا بعض الأبيات من قصائده التي تفصح عن مجاهداته في مجال الذكر ومنها التي سماها مقدمة في شروط الذكر : فيقول:

على المعرج الأسنى من الذكر عولا فإشراق شمس السر فيه تهللا

وما هو إلا ذكر أسماء ربنا ولكن كن على الشرط أولا

فيقول الشيخ أبو مسلم أنه قبل البدء في الذكر بأسماء الله تعالى ، وجب على المريد الالتزام بالشرط ، وأوله تطهير القلب من أذى المعاصي، ثم التفرد في الخلا ويعني هنا الانعزال عن الناس والابتعاد عن شواغل الدنيا فيقول :

فأوله التطهير للقلب من أذى المعاصي وثانيه التفرد في الخلا [1]

ثم يأتي بعدها الإخلاص لله تعالى وحده ، ذلك لأن الإخلاص هو الأساس الذي تبنى عليه الأعمال وهو قوام هذا كله فيقول :

وقوامه الإخلاص لله وحده وهذا ملاك الأمر فالزمه مقبلا [2]

ويستحب صوم الخميس مع مداومة الذكر في السحر لأن له مقصدا ، وبالمداومة على هذه الأذكار تأتي ثمرتها بانفتاح السر للمداوم عليها فيقول :

[1] صر بن سالم بن عديم الرواحي، ديوان أبي مسلم البهلاني ن: الشيخ يوسف قوما البستاني ، مكتبة العرب بالفحالة ، مصر المطبعة العربية ١٤٣٦/ ١٩٢٨م، ص ٣.

[2] المصدر نفسه ص ٤.

فمن يفتح الفتاح من سرها له يكن ملكا في العالمين مبجلا

ثم ينصح الشيخ أبو مسلم بقوله :

فعول عليها في المهمات داعيا بياء الندا مستهديا متوكلا

القارئ المستبصر لديوان الشيخ أبي مسلم يستشف صدق تلك المناجاة والمجاهدات التي صاغها في قالب نظمي والتي تترك وقعها في القلب، وإنه لدليل على براعة الناظم والتوفيق الرباني الذي حظى به ، ففي اللطيفة الأولى في سؤال تزكية النفس بواردات القدس يقول :

فتَلَهجْ يا الله في القصد مخلصا بسر اسمك الذاتي قدري جللا

ثم يقول :

و يا رب أصلح لي عبوديتي أكن مطيعا خضوعا خاشعا متبتلا

و يا مالكي ملكني النفس والهوى فلا ينزلا من معاصيك منزلا

و يا حي يا قيوم أحي سريرتي فأشهد قيومية العلم والـــــولا [1]

واللطيفة الثالثة في استمداد الأنوار العلمية والأسرار الحكمية فيقول فيها :

ونور جناني يا عليم بومضة من العلم تحييني بها متجـــــــــــملا

ثم يقول :

بأرواح لطف يا لطيف رياحهـــــا لدنية نفح جناني وعلـــــــــلا

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص٤٠ .

ألا يا خبير اكشف لسري غوامض الغيوب وكن للسر لأسمائك العلا [1]

ثم يقول :

وبين لسري يا مبين معارفا شوارقها من مطلع النور تجتلي

ثم اللطيفة الثالثة لدفع الآفات والكلاء من طوارق المحافات فيقول :

أفوض أمري واضطراري ومهنتي لمقتدر باق فيكشف معضلا

محيط بكليات عجزي وفاقتي قدير أزل ضعفي ووهني معجلا [2]

اللطيفة الرابعة : في تطهير النفس بالاستغفار من نجاسة موبقات الأوزار :

ببابك يدعوا يا بصيراً بحاله فأوسع له يا واسع الفضل مجزلا

أتيتُ ذنوبا يا غفور فكن لها وقد تبت منها يا حليم مبدلا [3]

اللطيفة الخامسة لفتح خزائن النعم وانبساط فيوض المتكرم :

و يا صمدا امنحني الغنى منك سرمداً أصون به يا رب وجهي عن الملا

بفتحك يا فتـــــاح عجل فما أرى سواك لفتح المغلقات مؤمـــــلا [4]

وفي نظم المعرج يقول :

ومذ مد قولي من قلامس فيضه خضما من البحر المحيط تسلســـــلا

واطلع شمسا يهتدي بضيائها إلى الله من ذاق الرحيق المسلســـــــلا

---

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص ٥.

[2] المصدر نفسه ص ٦.

[3] المصدر نفسه ص ٧.

[4] المصدر نفسه ص ٨

وكان بمكنون العجائب سلما به يرتقي أهل السلوك إلى العـــــــلا

تضمن تاريخا لحسن كمالـــــه ثلاثة أسمـــــاء تحـــــرم جمـــــلا

غنيٌ عليٌ مع لطيف وعـــــده مليك ووهاب فخذه مفصـــــــلا [1]

ومن خلال مجاهدات الشيخ أبي مسلم وأذكاره النظمية يظهر تمسك الشيخ بمبادئ وفكر الإباضية وذلك فيما اداه بعض الصوفية من رؤية الله في الدنيا بعد مجاهداتهم والترقي في المقامات وذكره في مقدمة طمس الأبصار عن إدراك ذات الجبار :

هنه النفس وافتقار الطبيعي وقيد التعبيد والاعتـــــلال

حاولت هكذا الجلال الإلهي وقالت درك وكشف وحال

كل درك وكل كشف وحال حده الحد والفنا والمثـــال

جهلت نقصا وقالت رأينا ما رأته توهم وخـــــــيال

ما رأت في التحقيق إلا حدودا ورسوما وما ادعته ضلال [2]

حيث قال الشيخ أبو مسلم عن هذه المسألة :

قال العبد الأقل علما الأكثر جهلا وأملا أبو مسلم ناصر ابن سالم بن عُديم الرواحي : إني أنشأت قصيدتي هذه المسماة بطمس الأبصار عن إدراك ذات الجبار ، وعلم أني لا أقصد مباراة من سبقني في فنها من السادة العلماء الغابرين ولا مباهاة الأفاضل من الإخوان المعاصرين ، ولكنها كلمات أجراها الله وفتح بها من عنده على لسان عبده

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص١٠.

[2] المصدر نفسه ص ١٦.

فنحوت بها وجه الكريم انتصارا لحقوق التوحيد وغيرة على محارم التفريد ووفاء بجزء من واجب التمجيد [1]

القطبية ليست معلومات تحفظ وتعلم ، بل هدايات تتنزل في القلوب وأنوار تشعشع في الأفئدة ثمر عملا واستقامة وتعبدا خالصا لله ولا مرية أن في الدورة الكثير من الأسرار المساعدة على ذلك كالتفرغ التام من العلائق والمشاغل والانقطاع لوجه الله أياما معدودات وترك الدنيا ابتغاء ما عند الله والمصابرة مع الإخوان واغتنام الأوقات المشهودة كقيام الليل والبكرة والأصيل والجو المعقم من اللغو وأمراض اللسان ومعاصي الجوارح وكذا الروحانية التي متع الله بها الشيخ والأسلوب المؤثر الذي حباه الله تعالى إياه مما لا تغني عنه الكلمات المسطورة وإتاحة الوقت الكافي للتفكر ومراجعة النفس وحاسبتها وغير ذلك .

فالمؤمن من لا يتصف بمكان صفة الفراعنة والجبابرة المتكبرين والفراعنة والجبابرة المنكرون لا يتصفون بصفات العبودية بالذلة والتواضع والخشوع وامتثال الأمر للمولى الرؤوف الرحيم ، وبأخلاق الشياطين وأخلاق المؤمنين الذين إذا ذكروا الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم .

وطبائع البهائم وأوصاف الروحانيين ، والطريق لهدا أن يملك العبد نفسه لأنه إدا لم يملكها ملكته ومن أراد أن يقوى عليها أنصفها بقطع أسباب هواها وحبس مواد شهواتها ،وإلا قويت عليه وصرعته فأول ملكتها أن يحاسبها عند كل ساعة ، ويراقب مطلوبها من كل وقت ويقف عند كل همة من خطراتها فأن كانت الهمة مطلوبها في طاعة الله بادر في إمضائها قبل الفوت وسابق إليها قبل الموت وإن كانت الهمة لغير الله تعالى أدبر بها وأعرض عنها ، فإن البركة في العمر القصير أن يدرك به من الفوز ما فات أهل

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص ١٧.

العمر الطويل بغفلته فيرفع له من العمل الصالح في سنة ما لا يرفع لغيره في عشرين سنة فخطرة من ذكر الله تعالى بتسبيح أو تهليل أو تحميد و تمجيد أو ثناء أو تفكر أفضل من الجبال الله عنه أنه قال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيد ، وكان الحسن إدا تلى هده الآية { كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الأيام الخالية }يقول إخواني أيامكم هده اقطعوها بالجد والاجتهاد ولا تضيعوا أوقاتكم باللهو والأشغال فتكونوا كما قال المبطلون { يا حسرة على ما فرطنا فيها } الآية تعني الأيام الخالية وكدا قالت النفس ، النفس أمارة بالسوء يا حسرة على ما قدمت في جنبات الله ، في أيام الدنيا التي ضيعت العمر فيها فخلت من الثواب والجزاء غدا ، فمن قصر عن المحاسبة ولم تكن له في دلك مراقبة فاته مقام الفائزين ، فصار من النادمين فمن نالته نعمة فعليه أن يشكر وإن أصابته بلية فعليه أن يستغفر ، وإن وجد حاله بصفة المؤمنين استبشر ، وإن وجد في نفسه صفة من أوصاف المنافقين أو الجاهلين تاب واستغفر ص ٧٠٦ وتدكر وحزن على دلك واعتدر وقال لنفسه ، كيف فعلت ولما فعلت ، وما تركت من سكوتك وصمتك لم تركته ولما فعلته فيفتقد الزيادة والنقصان ، وليكن مخلصا في حركاته وسكونه ويجعل دلك كله لوجه الله تعالى ويجتهد في الاستغفار بعد حسن التوبة والاعتذار والغافلون في الدنيا هم الخاسرون في الآخرة [1]، وقال الحسن بين العبد وبين الله حد محدود من الذنوب إدا بلغه العبد طبع على قلبه فلم يوفق لخير أبدا ، فبادر أيها المجاوز لحدود الله بالتوبة والرجوع قبل أن تبلغ الحد فتلقى عناء وجهدا ، وقيل من كان مقامه المراقبة كان حاله المحاسبة ، وهو أن يعلم يقينا أنه لا يخلوا من الله في كل وقت ، وأن يعلم أن الله افترض عليه فرضا أمره بفعله ، أو أمره بتركه أو ندبه إليه أو أباحه له لصلاح قلبه وجسمه فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن يومه لغده ومن دنياه لآخرته لأن العبد لا يخلوا في كل وقت وإن قل من نعمة أو بلية ، فعليه الشكر عند النعمة والصبر عند البلية ، فيكون ساعة يناجي

[1] السهروردي ، عوارف المعارف ، مصدر سابق ص ٧٠٧.

فيها ربه ، وساعة يحاسب فيها نفسه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يخلوا فيها للمطعم والمشرب فإن هده الساعة عون على كل تلك الساعات فالعاقل يكون مقبلا على شأنه حافظا للسانه عارف بزمانه وأما من آثر الشهوات واتبع ما تهواه نفسه ومن خسيس العاجلة على قرب الله تعالى وما أعد من حسن الآجلة فتخطفه الشياطين فتهوي به الأهواء إلى مكان سحيق ويخرج من مقعد صدق عند مليك مقتدر إلى حضرة شيطان رجيم لعين ، ومردة الشياطين في أسفل السافلين فنعود بالله من دلك إنه القادر على هدايتنا ونجاتنا وهو حسبنا ونعم الوكيل كم ثبت هدا الغبن والفرق بين هاتين المنزلتين فالموت خير لمن يومه أشر من أمسه ، وغده أشر من يومه لأن العمر يفوت جزءا جزءا بحكمة الله تعالى على تمهل واستدراج وقتا بعد وقت ويوما بعد يوم كالذي يصعد مرقاة إلى أن ينتهي إلى حده فتبقى [1]الأيام بالفوت وتنقضي الأوقات إلى الموت وفي كل ذلك سبيل عليه المولى بالستر وقال بعضهم لا بد لطالب الآخرة من سبعة أشياء ، الصدق في الإرادة ، وعلامته إعداد العدة والتسبب إلى الطاعات وعلامته هجر قرناء السوء ، والمعرفة بالحال وعلامته استكشاف آفات النفوس ومجالسة عالم بالله وعلامة ذلك إشارة إلى ما سواه وتوبة نصوح وبذلك يجد حلاوة الطاعة ويثبت على المداومة وعلامة ذلك قطع أسباب الهوى والزهد فيما كانت النفس راغبة فيه وقوت حلال يقوم به الانسان لأنه لابد منه وعلامته حلول سبب مباح موافق لحكم [2]الشرع وقرين صالح يؤازره على حاله وعلامة القرين الصالح أن يكون معاونا على البر والتقوى ناهيا عن الإثم والعدوان ، فهذه الخصال السبعة لا بد للمريد منها ويستعان عليها بأربع ، الجوع والسهر والصمت والخلوة ، فهذه الأربعة سجن النفس وقيدها ، فأما الجوع فإنه ينقص دم القلب فينبض ويثور ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقيه ورقيه مفتاح كل خير لأن القسوة مفتاح كل شر وإذا نقص دم القلب ضاق مسلك العدو ولعنه الله فيه لأن دم القلب إذا

[1] السهروردي مصدر سابق ٧٠٧.
[2] المصدر نفسه ٧٠٩.

رقا القلب ضعف سلطان العدو منه وإذا قوي الدم فيه قوي سلطان العدو فيه ، ويروى في الحديث أن الشيطان يجري من بن آدم مجرى الدم في العروق فينبغي أن يضيق عليه مجاريه بالجوع والعطش [1].

وقيل اجتمع الخير كله في أربع خصال ، الجوع والصمت والعزلة وسهر الليل وبهن صار الأبدال أبدالا وقيل ما تحول الصديقون صديقين إلا بالجوع والسهر لأن الجوع يذل النفس والسهر ينير القلب ويجلوه وفي إجلائه صفاء اليقين فتدخل الاستنارة والجلاء على البياض والرقة فيصير القلب كأنه كوكب دري في مرآة مجلوة فيشهد الغيب بالغيب فيزهد في الفاني لما عاين من الباقي ، وتقل رغبته في عاجل الدنيا لما ينظر من بقاء الآخرة ، ويرغب في الطاعة بمشاهدة رفيع الدرجات فيصير مؤمنا حقا ، وأما الصمت فإنه يجلب التقوى ويوفق فيه به للقول السديد والعلم الرشيد ، وقال عقبة بن عامر للرسول صلى الله عليه وسلك ، فيما النجاة ؟ قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك ومن سره أن يسلم فليلزم الصمت[2]، فمن لم يكن صمته تفكر فهو سهو ومن لم يكن كلامه ذكر فهو لغو ومن لم يكن نظره عبرة فهو لهو، وأما الخلوة فإنها تفرغ القلب من الخلق وتجمع الهم بأداء اللوازم وتقل الأفكار في عاجل حظوظ النفس وهي من أكبر العوائق ، وقال سهل مخالطة الولي للناس ذل وتفرده عز وقلما يكون ولي الله إلا منفردا وقيل إن الوحدة وجود الطريق وقوة العزم دليل الاستقامة.

ويقول الشيخ أحمد الخليلي عن أثر الصلاة في التربية الروحية: مبينا أثر الصلاة في تهذيب النفس وترويضها ، وتغذية الروح ، وهي إمام الأعمال البدنية و أقواها في تهذيب النفس

[1] السهروردي مصدر سابق ص ٧٠٩.

[2] المصدر نفسه ٧١٠ .

[1] وتقويم السلوك ، وأجداها في إمداد العقيدة ، لما فيها من التذكير بالله وسلطانه وإحسانه وإن الصلاة أثرها كبير في تزكية النفس وتصفيه الروح وتجريد الإنسان من سلطان الشهوات الذي كثيرا ما يسيطر عليه ، فالله سبحانه وتعالى شرع في هذه الصلوات من الأذكار ما يحيي القلب ، و يوقض الضمير ، ويفيض على النفس البشرية من الأنوار الربانية ما يجعلها تهتدي بعد ضلالها ، وترشد بعد غيها ، فكل كلمة من الكلمات التي تقال في الصلاة تسكب في حس الإنسان شعورا بعظمة الله سبحانه وتعالى وبحكمه من أمر ونهي ، ووعد ووعيد لتكون هذه النفس يقظة مستعدة للقيام بأوامر الله ولا ريب أن الإنسان عندما يخوض غمار هذه الحياة يتكدر بما يلاقيه ، وعندما يأتي إلى الصلاة يطهر نفسه من آثار هذه الأكدار فتعود في كل مرة من المرات الخمس صافية نقية ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أرأيتم لو أن على باب أحدكم نهرا جاريا غمرا ينغمس فيه كل يوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء ؟ ، قالوا : لا يا رسول الله ، قال : ذلك مثل الصلوات الخمس ، فالصلاة تطهر أعماق الروح ويقول في موضع آخر :" إن عبدنا الله تبارك وتعالى بحق كما فرض علينا أن نعبده عاشت الروحانية ، فالصلاة في اليوم والليلة خمس مرات تقوى جانب الروح ، وتشع في باطن الإنسان نور الإيمان ، تذكر بالله وباليوم الآخر ، وتذكر بنعم الله تبارك وتعالى ، فما من كلمة يقولها المصلي في صلاته إلا وفيها الدواء النافع لروح الإنسان ، لباطن الإنسان ن لعقل الإنسان ، لقلب الإنسان [2].

[1] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ج٢ ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٧م، مسقط ، ص١٧٩

[2] المصدر نفسه ، ص ١٨٠

المبحث الثاني : مقومات التصوف

المطلب الأول : الولاية والكرامة

الملفت للنظر في كتب السير الإباضية هو ذكر كرامات الأولياء الصالحين وتكرارها من مصدر إلى آخر ويقيس الإنسان عدم استطاعته وتصديقه ذلك بأنه في مرتبة أقل من حيث الصفاء الذي وصل إليه هؤلاء وإلا لوصل إلى مرتبة كشف الأسرار ومعرفة ذلك[1].

وإن لذكر الكرامات أثرها النفسي على الإنسان حتى لأنها تجعله يحترم ذلك العالم المحظوظ برضى الله وقد يبقى بين التصديق والوقوف والحكم على الكرامات بنفي معرفة رأي العلماء خاصة علماء الشريعة وكتب السير مليئة بذكر الكرامات التي تعطي مهابة للولي ويترك انطباعا حسنا وأثرا في النفس يدعوا إلى الاقتداء والتأسي بأخلاق هؤلاء الأولياء، ما من شك أن الحديث عن الأولياء الصالحين وعن كراماتهم ينبغي أن لا يكون للتفكه و التنذر بل ينبغي أن يكون للتفكر والتدبر شأنه شأن التحدث عن السير والتاريخ إجمالا .

وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق يقول النبهاني " وليس المقصود منه مجرد الأخبار التاريخية والحكايات المروية للتفكه بتلك الكرامات التي أجراها الله على أيدي خواص عبيده " ويقول " وهي في الحقيقة تستحق الاهتمام لما فيها من تقوية الإيمان بوجود الله تعالى وقدرته الباهرة [2] .

---

[1] سلمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني أبي الربيع سير الوسياني ق٦هـ-١٦م، ج١،تح عمر بن لقمان حمو سلمان بوعصبانة ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .ص ٢٠٠ .

[2] المصدر نفسه ص٢٠١ .

يقول الشيخ النسفي في فهمه لأسرار الكرامات يستدل الشيخ أبو المعين عن الكرامة للأولياء فظهورها جائز غير ممتنع ويستدل على ثبوتها بما روي من الأخبار كرؤية عمر – رضي الله عنه – بالمدينة الجيش بنهاوند ، وقوله: يا سارية الجبل ، الجبل وسماع سارية الصوت وشرب خالد رضي الله عنه –السم بالحيرة ولم يضره ، أما ما جاء في الأمم السابقة فما ورد به القرآن الكريم عن أصحاب سليمان وإتيانه بعرش بلقيس قبل ارتداد الطرف[1] وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ويخشى أن تكون من قبل الاستدراج له ويخاف الاغترار عند الاشتهار إلى جانب أن فيها فوائد للولي صاحب الكرامة ولغيره ممن يشاهدونها فهي تثبت الولي عن عقيدته فيصير كمن عاين المعجزة ممن عاصر النبي وتدفعه إلى الاجتهاد في العمل حتى يحتفظ بهذه المنزلة الرفيعة وتدفع غيره ممن شاهدها إلى الاجتهاد في العمل حتى يبلغوا مبلغه [2].

واعلم أن من امتثل أوامر الله تعالى واجتنب نواهيه ورزق الخوف من الله تعالى لا من خلقه واجتهد في طاعته جل وعلا وبحث عن أمر كسبه ووقف عند ما حد له ورجع عن كل مالا يعلم حكمه فهو الصالح وأعلى درجة ي هذا حصول الورع التام وترك الطمع وبغض الدنيا ومن تمسك بها ودرجات الصالحين تختلف بالترقي في ذلك على حسب العناية من الله تعالى في المماليك ...والكرامة ليست من شرط الولاية فقد تحصل الكرامة لكن إن وقعت لولي فهي دالة على صدق عبادته وعلو مكانته بشرط اتباعه لحقيقة ما أمر به النبي عليه السلام ، وإلا فهي خذلان من الشيطان ومن الصالحين من يعلم بولايته ويعلم غيره بها ومنهم من لا يعلم بنفسه ولا يعلم به ، ومنهم ما يعلم به ولا يعلم هو

[1] التمهيد لقواعد التوحيد للإمام أبي المعين النسفي ت٥٠٨هـ-ت: جيب الله حسن أحمد ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦م ، دار الطباعة المحمدية ص ٨٩.

[2] المصدر نفسه ص٩٠.

بنفسه ، وكذلك أصحاب الكرامة منهم من يعلم بكرامته ومنهم من لا يعلم بها والعالمون بها منهم من يكتمها جهد استطاعته ومنهم من يظهرها ويصرح بها [1].

فلا يستدل على الولاية بالكرامة لاحتمال أن تكون من الشيطان ، وإنما يستدل بها على صدق الكرامة بصحة الولاية وقد تكون الكرامة نوعا واحدا في الشخص وقد تكون أنواع مختلفة وربما كانت مرارا.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية : ... وإذا كان" أولياء الله " هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى ، فمن كان أكمل إيمانا وتقوى ، كان أكمل ولا يته لله فمن كان أكمل إيمانا وتقوى ، كان أكمل ولاية لله فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى[2].

وأولياء الله تعالى على نوعين : مقربون وأصحاب يمين وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال :" من عادى لي وليا فقد بارزني بالمحاربة وما تقرب إلي عبدي بمثل ما افترضته عليه ، ولا يزال يتقرب إليا بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به [3]، وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها " فالأبرار أصحاب اليمين هم المقربون إليه بالفرائض يفعلون ما أوجب الله عليهم ويتركون ما حرم الله عليهم ولا يكلفون أنفسهم بالمندوبات ولا الكف عن فضول المباحات .

[1] أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني أبي العباس أنس الفقير وعز الحقير ت ٨١٠هـ ١٤٠٧-١٤٠٨م، ت: محمد الفاسي – أدولف فور ، المركز الجامعي للبحث العلمي _ الرباط ، ص٣.

[2] الشيخ زهير شفيق الكبي فقه التصوف لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، ط١ ١٩٩٣م، دار الفكر العربي بيروت لبنان ص ٩٩ .

[3] المصدر نفسه ص١٠١ .

وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض ففعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات والمكروهات فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباتهم أحبهم الرب حبا تاما يعني الحب المطلق كقوله تعالى:﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ٧﴾ [1] أي أنعم عليهم الإنعام المطلق المذكور في قوله تعالى قال تعالى:﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ [2]، وأصل الكرامة ثابت بالنص القرآني فيما حكاه الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف ، الذين ضرب على آذانهم ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعة مع أنهم في هذه المدة لم تكن تتغذى أجسادهم بغذاء مادي من خلال وسيلة معروفة للناس إذا لم يكونوا محاطين بهالة من الأطباء أو غيرهم يعتنون بهم ويحافظون بوسائلهم عليهم وعلى حياتهم وإنما كانت عناية الله وحده كفيلة بإبقائهم أحياء هذه المدة الطويلة المتطاولة لم تهلك فيها أجسامهم ولم يطرأ عليها ما يغيرها وقد عادوا إلى طبيعة الحياة بعد انقضائها أو ليست هذه كرامة من الله تعالى فإن لم يكن كذلك فبأي تفسير يفسر .

فالمنكرون للكرامة رأسا إما أن ينكروا ما أخبر الله من شأنهم وحسبهم من ذلك كفر ،و إما أن يأتوا بتفسير مادي مما هو مألوف للبشر[3].

وقصة أصحاب الرقيم أن الله سبحانه أزاح عنهم الصخرة التي سدت باب غارهم الذي كانوا فيه يتوسلون إليه دعائهم فيكشف ضرائهم مع أن تزحزح الصخر من مكانه بإذن الله أمر معهود سواء كان ذلك سبب مألوف أو بدونه على أنه تعالى امتن على عباده في كتابه بنص صريح دعائهم وكشفه ضراءهم فهو القائل ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا

[1] سورة الفاتحة الآيات ٨- ٧

[2] سورة النساء الآية ٦٩.

[3] أحمد بن حمد الخليلي كتاب العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع ، ، محاضرات ألقاها بجامعة السلطان قابوس ص١٠٤

تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾[1] فبأي غرابة في كشف الله سبحانه ضر هؤلاء ، معنى الكرامة :لغة : كرم الشيء بضم الراء كرما بفتحتين وكرامة إذا نفس وعز فهو كريم وله علي كرامة أي غزارة وكل شيء شرف في بابه فإنه يوصف بالكرم ولا يقال في الإنسان كريم حتى تظهر منه أخلاق وأفعال محمودة ، وشرعا : أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ولا هو مقدمة لها يظهر على عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح علم بها ذلك العبد أم لم يعلم .

العلاقة بين الولاية والكرامة :الولاية في عرف اللغة مصدر ولي الشيء يليه وولايته إذا دنا منه وقرب أو قام به وملك أمره أو نصره وأحبه ويصاغ من فعل ولي المفاعلة فيقال ولاه يواليه مولاة إذا صادقه وناصره فهو موالي له ضد معاد له كما يصاغ التولية فيقال تولاه توليه إذا صار له وليا ومنه اشتق لفظ الولي الذي هو ضد العدو .

هذا هو معنى الولاية في عرف اللغة وهو لا يختلف كثيرا عنه في الدين إذ كلا المعنيين يدور على القرب والحب والنصرة والقيام بالأمر[2]، الصالح الولي وضد الولاية العداوة وهي تدور على البعد والبغض وإرادة الشر والهلاك للشخص المعادي على عكس الولاية و بناءا على هذا فولاية الله تعالى للعبد أن يهديه إلى الإيمان به وإلى معرفته وطاعته ومحبته ونصرة دينه فيعمل العبد بذلك ويقرب به من ربه عز وجل حتى يحبه فإذا أحبه قربه وتولى أموره ونصره وحفظه وكان بذلك وليه كما قال تعالى " الله ولي الذين أمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور البقرة ٢٥٧، وولاية العبد للرب تبارك وتعالى أن يؤمن به يتقيه ويتقرب إليه بطاعته ويوافقه على محابه ومكارهه يوالي من يوالي ويعادي من يعادي " إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم "قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ

[1] سورة النمل الآية ٦٢.

[2] سيف بن يوسف بن سيف الأغبري الكرامة لأهل الحق والاستقامة ، ج١، كرامات أهل الحق والاستقامة من أهل المشرق ط١-١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م. ص٢١.

لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

والولي هو مؤمن أكرمه الله تعالى بهدايته فآمن به واتقاه وتقرب إليه بالصالحات ووافقه فيما يحب وما يكره من الذوات والصفات ووالى من يوالي وعادى من يعادي فوالاه الله تعالى ذلك وتولاه وأكرمه ،بكرامات فكان إذا دعاه استجاب له وان استعاذه أعاذه وإن سأله أعطاه[2]؟، والفرق بين الكرامة والاستدراج : إن من أراد شيئا فأعطاه الله مراده لم يدل ذلك على كون ذلك العبد وحيها عن الله تعالى سواءا كانت العطية على وفق العادة أو لم تكن على وفق العادة بل قد يكون ذلك إكراما للعبد وقد يكون استدراجا له ولهذا الاستدراج أسماء كثيرة في القرآن، والأدلة على الكرامة ، أولها أدلة عقلية : فهناك الكثير من الدلائل والحجج العقلية القطعية على جواز حصول الكرامات لأولياء الله وعباده المتقين ومن هذه الدلائل أولا : إن العبد ولي الله لقوله تَعَالَى:﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ والرب ولي العبد قَالَ تَعَالَى:﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3]وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩٦ ﴾[4]، فثبت أن الرب ولي العبد وأن العبد ولي الرب وأيضا الرب حبيب العبد والعبد حبيب الرب ، قال تعالى قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ

[1] سورة يونس الآية ٦٢ .

[2] الكرامة لأهل الحق والاستقامة مصدر سابق ص٢٢ .

[3] سورة البقرة الآية ٢٥٧.

[4] سورة الأعراف الآية ١٩٦.

وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ [1]

وقال تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [2]، وإذا ثبت هذا فيقول العبد إذا بلغ في الطاعة إلي حيث يفعل كل ما أمره الله به وكل ما فيه رضاه وترك كل ما نهى عنه الله وزجر عنه فكيف يبعد أن يفعل الرب الكريم الرحيم مرة واحدة ما يريده العبد بل هو أولى لأن العبد مع لؤمه وعجزه لما فعل كل ما يريده الله ويأمر به فلان يفعل الرب الرحيم مرة واحدة ما أراده العبد كان أولى .

والأدلة النقليه الادلة فمن القرآن الكريم : كرامات أهل الكهف وقصتهم أنهم فتية آمنوا وفروا من ظلم الملك الكافر الذي كان في زمنهم فأوو إلى الكهف في أحد الجبال فأنامهم الله ثلاثمئة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثهم الله و أيقضهم من نومهم الطويل ، قال تعالى :" وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا "[3]،قَالَ تَعَالَى:﴿ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ﴾[4]

وفي هذه القصة الكثير من الكرامات لهؤلاء الفتية [5]الحكمة من الكرامة : إن لله حكم من حصول الكرامات لأوليائه بها يتحقق عديد من المصالح والمنافع فمن بينها "، أنها كالمعجزة تدل على أعظم دلالة على كمال قدرة الله ونفوذ مشيئته وأنه فعال لما يريد وأن له فوق هذه السنن والأسباب المعتادة سننا أخرى لا يقع عليها علم البشر ولا تدركها أعمالهم فمن ذلك قصة أصحاب الكهف والنوم الذي أوقعه الله بهم تلك المدة الطويلة

---

[1] سورة المائدة: الآية ٥٤

[2] سورة البقرة: الآية ١٦٥.

[3] الكرامة لأهل الحق والاستقامة مصدر سابق ص٢٨ .

[4] سورة الكهف الآية ١٤ – ١٦

[5] الكرامة لأهل الحق والاستقامة مصدر سابق ص٢٩.

مع حفظه تعالى لأبدانهم من التحلل والفناء ومنها ما أكرم الله بها مريم بنت عمرات وإيصال الرزق إليها وهي في المحراب حتى عجب من ذلك زكريا عليه السلام سألها أنى لك هذا وكذلك حملها بعيسى عليه السلام بلا أب وولادتها إياه وكلامه في المهد وغير ذلك وإن وقوع كرامات الأولياء هو في الحقيقة معجزة للأشياء لأن تلك الكرامات لم تحصل لهم إلا بركة متابعتهم لأنبيائهم وسيرهم على هديهم وكرامات الأولياء هي البشرى التي عجلها الله لهم في الدنيا فإن المراد بالبشرى كل أمر بدل ولا يتم وحسن عاقبتهم ومن جملة ذلك الكرامات فالله تعالى يعطي بعض عباده أمورا خارقة للعادة إكراما لهم لصلاحهم وقوة إيمانهم وقد يكون ذلك سدا لحاجاتهم كالحاجة للطعام والشراب والأمن وقد يعطيهم ذلك لنصرة دينه ورفعة كلمته وإحقاقا للحق وإبطالا للباطل[1].

شروط الكرامة : يشترط في الكرامة أن لا تؤدي إلى رفع أصل من أصول الدين وهي لا تصح إلا بشرطين هما : أن لا تخرم حكما شرعيا ولا تخرم قاعدة دينية فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكما شرعيا ، ليس بحق في نفسه بل هو إما خيال أو وهم وإما إلقاء من الشيطان ، و أنواع الكرامات : إحياء الموتى كلام الموتى إنزواء الأرض لهم انقلاب البحر والمشي على الماء انقلاب الأعيان كلام الجمادات والحيوانات إبراء العلل طاعة الحيوانات لهم طي الزمان نثر الزمان ص٤٦، استجابة الدعاء امساك اللسان عن الكلام وانطلاقه جذب بعض القلوب في مجلس كان فيه في غاية النفرة الإخبار عن بعض المغيبات والكشف ص٤٧، الصبر على عدم الطعام والشراب لمدة طويلة ، مقام التصريف ، القدرة على تناول الكثير من الغذاء ، الحفظ من أكل الحرام رؤية المكان البعيد من وراء الحجاب الهيبة التي لبعضهم بحيث مات من شاهده بمجرد رؤيته ، كفاية الله تعالى إياهم شر من يريدهم بسوء وانقلابه خير التصور بأطوار مختلفة إطلاع الله إياهم على ذخائر

[1] الكرامة لأهل الحق والاستقامة مصدر سابق ص٤٥ .

الأرض ، ما سهل الله لكثير من العلماء من التصانيف في الزمن اليسير ، عدم تأثير المسمومات وأنواع المتلفات فيهم[1].

الكرامات : الملفت للنظر في كتب السير الإباضية هو ذكر كرامات الأولياء الصالحين وتكرارها من مصدر إلى آخر ويقيس الإنسان عدم استطاعته وتصديقه ذلك بأنه في مرتبة أقل من حيث الصفاء الذي وثل إليه هؤلاء وإلا لوصل إلى مرتبة كشف الأسرار ومعرفة ذلك[2].

وإن لذكر الكرامات أثرها النفسي على الإنسان حتى لأنها تجعله يحترم ذلك العالم المحظوظ برضى الله وقد يبقى بين التصديق والوقوف والحكم على الكرامات بنفي معرفة رأي العلماء خاصة علماء الشريعة وكتب السير مليئة بذكر الكرامات التي تعطي مهابة للولي ويترك انطباعا حسنا وأثرا في النفس يدعوا إلى الاقتداء والتأسي بأخلاق هؤلاء الاولياء[3]ما من شك أن الحديث عن الأولياء الصالحين وعن كراماتهم ينبغي أن لا يكون للتفكه والتنذر بل ينبغي أن يكون للتفكر والتدبر شأنه شأن التحدث عن السير والتاريخ إجمالا، وعلى هذا الأساس ومن هذا المنطلق يقول النبهاني " وليس المقصود منه مجرد الأخبار التاريخية والحكايات المروية للتفكه بتلك الكرامات التي أجراها الله على أيدي خواص عبيده " ويقول " وهي في الحقيقة تستحق الاهتمام لما فيها من تقوية الإيمان بوجود الله تعالى وقدرته الباهرة ، ولتصديق ما يرد من الكرامات أو لتكذيبها بحاجة إلى سمو نفس واجتهاد في الطاعة حتى تقترب من تلك المرتبة تسليما لقدرة الله تبارك و تعالى فخوارق العادات كما يرى الدارسون لها تنقسم إلى عدة أقسام ،[4] معجزات لا تأتي إلا

---

[1] المصدر نفسه ص ٤٧ .

[2] عمر بن لقمان حمو سلمان بوعصبانة سير الوسياني، أبي الربيع سلمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني ق٦هـ-١٦م، ج١، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م ، ص ٢٠٠.

[3] المصدر نفسه ص٢٠١.

[4] عمر بن لقمان حمو سلمان بوعصبانة سير الوسياني مصدر سابق ص ٢٠٢

على أيدي الرسل صلوات الله عليهم ، وكرامات يحظى بها العباد والزهاد وتكون على أشكال منها المكاشفات والمخاطبات والمشاهدات .

واستدراجات وذلك ما قد يظهر على يدي عامي غير عاصي بعونه له من الله تبارك وتعالى من المكاشفات أنواع كثيرة منها على سبيل المثال أنواع الطعام والشراب المختلف في صحن واحد أو إناء واحد ويجد كل واحد من الحاضرين ما يشتهيه من اللبن أو الماء وجد هذا النوع مذكورا نه عند كثير من السير الاباضية ومنها سير الوسياني والنبهاني[1].

ذكر لمع من سيرة الحلقة وما ينبغي لأهل الطريق والعزابة أن يأتوا به ويعملوا به مما رتبه أبو عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه ، أول ذلك من سمي من أراد الدخول في طريق المبتدئين العزابي وذلك إذا اعتزل العوائق الدنيوية وأول ما يتخلى عنه حلق الشعر ولا يتركه يطول والعزابة من شعارهم عدم الظهور ومنها ألا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض ولا بأس بعلم يعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا ثم إن اقتصر على عباءة أو ملحفة لم تشنه وكان أليق وإن كان ذلك على قميص كان أكمل ولا سبيل إلى اقتصاره على قميص أو قميص دون اشتماله والتحافه وارتدائه وإن اعتم فالتحف على ما جاء في الأثر ولبس لبس العمامة بضرب لازب لا بأس باستغنائه عنها وإن اقتصر على[2] العباءة أو اللحاف غطا رأسه وألقى الطرف الأعلى من هدب الحاشية من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر أوقاف الختمات والنوم وعريف الطعام وغير المنفرد من العرفاء من حملة القرآن منهم من يكتب عليه طلبة القرآن ألواحهم ويصححونها عليه ويحفظونها وعريف على أوقات الدراسة ، يكون واحدا ويكون أكثر إنما ، هو على قدر الاحتياج إليه والمأمور ثلاثة طلبة القرآن وطلبة فنون العلم والأدب والعاجزون ولجميعهم أوقات يختص

[1] المصدر نفسه ص٢٠٣.

[2] أحمد بن سعود السيابي الجواهر المنتقاة ، العلامة ابي القاسم بن ابراهيم البرداي ط١، دار الحكمة لندن ٢٠١٤، ص٢٢٦.

بها منها الشيخ يتعلق به الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه ومنها الجلوس بإثر الختمة للجواب عن الأسئلة في أي فن كان وليذكر تلاميذه فيما حصلوا قبل ذلك من حضر وتختص غداة يوم الجمعة بذكر شيء عن التذكير والوعظ ومنها الاستفتاح وهو قيامه في ثلث الليل الآخر أو ربعه الآخر فيأتي إلى موضع الاستفتاح فيستعيذ ويبسمل ويقرأ فاتحة الكتاب ويبتدئ من حيث انتهى مجلس الاستفتاح من الليلة التي قبله ونية كل نائم منهم من يقرأ معه في المجلس ومنهم من يخرج فيقرآ وحده فإذا أذن مؤذن الصبح قطعوا القراءة ويدعون كالعادة من بعد العشاء ومنها أن يجمعهم يوم الجمعة وكذلك في يوم الأثنين والخميس فيحصن ويذكر ويورد أمثالا حكيمة وحكايات زهدية ثم يفحص جميع من حضر منهم ويسأل عن أحوالهم ويقلد من العرفاء من حمدت أفعاله فاستحسن ومن عين عليه شيء من زاوية تكون موضع لتأديبهم ثم يجتهد الشيخ في عدد ما يجلد منها إذا قدم قادم من بلد قريب أو بعيد فلا يخلوا أن يكون عابر سبيل أو طالبا للإقامة والدخول في زمرة أهل الحلقة فيشاوروا الشيخ في كلا النوعين ويستأذن في شأنها فإن كان عابر سبيل فله حظ فيما فتح الله به من المأكول غير المدخر ولا يحق عليه ملازمة الأوقاف ولا شيء فيها يدخر من الفتوح وإن كان يريد الدخول في الحلقة استأذن الشيخ في شأنه ويبحث الشيخ عن أحواله فإن سمع منه نقيصة أو مذمومة فالطرد لا غير وإن لم يسمع إلا الخير فليدخل مع أهل الحلقة له مالهم وعليه [1].

الطبقة الثانية ..طبقة التابعين، فصل في ذكر كراماتهم وأحوالهم، يقول صاحب الكتاب :

أبو بلال مرداس بن أدية وأخوه عروة بن أديه وبعض أصحابه ممن حضر صفين وكان مع أهل النهر وله في العلم والورع والديانة والشجاعة ، هو وأخوه الأمد الأقصى ولكل

[1] أحمد بن سعود السيابي الجواهر المنتقاة مصدر سابق ص ٢٢٧

منهما فضائل لا تحصى لا تأخذهما في الله لومة لائم ٧٠٧ج١، ومن تورعهم هو وأصحابه أنهم يبيعون حلي سيوفهم من الحاجة وأبوا أخذ المال إلا من له عطاء ومن كراماته ما قال أبو سفيان قال ..أخبرني أبو العلا بن الشهيد رحل من حبة البيت عن آبائه أني لفي الطواف في ليلة صاحية قمراء فإذا برجل تحت الميزاب يدعوا الله ويرغب إليه فبينما هو كذلك إذ لح فقال اللهم حاجتي فكرر فسمعه أهل الطواف قلوا اللهم اقض حاجته قال اللهم إن كنت رضيت ما أريد فأرني من ذلك علما قال فقطرت عليه من الميزاب قرات فلما أحس الماء انساب في الناس فإذا هو أبو بلال قال أبو سفيان لما حضر خروجه اجتمع هو وأصحابه في بيت لبني تميم قال فدعوا الله وغبوا إليه م يجعل لهم علامة إن رضي خروجهم قال فانشق سقف البيت حتى نظروا السماء [١].

[١] كتاب السير أبوا العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي تحق محمد حسن ج١ط١، ٢٠٠٩، طرابلس ٥٠-١٠٠هـ. ص ١٧٨.

المطلب الثاني :الأربعينية و الأذكار

جاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم إن الدعاء ينفع بما نزل مما لم ينزل ، فعليكم عباد بالدعاء وقال " إن الله حي كريم يستجيب إذا بسط الرجل إليه يديه أن يردها صفر ليس فيها شيء إلى آخر ما جاء في هذا الموضوع من أحاديث كلها تحض على الدعاء وتدعوا المؤمن على ملازمته سرا وجهرا في المكره والمنشط ، وإذا عدنا إلى التراث الإسلامي فإننا نجد في أبيات المتصوفة اهتماما بالدعاء والأذكار وضعوا لها آدابا وشروطا ينبغي أن يكون المرء عليها في حالة الدعاء وحتى يستجيب الله لدعائه ، ولهده الآداب تفاصيل توجد في الجزء الاول من كتاب إحياء علوم الدين والجزء الخامس من كتاب غاية الإرب للنويري كما تكتظ بها كتب الصوفية والرقائق وجملة هذه الدقائق وجملة هذه الآداب تبين كيف يحرص الصوفية ل صفاء النفس حين تراض على هذه الآداب فوصل النفس بالله واستحضار فقرها إليه ورهبتها منه ورغبتها منه ورغبتها فيه وانتظارها لفضله في ثقة ويقين كل أولئك من العوامل المهمة في صقل النفس وتطهير القلب وتربية الوجدان وانتظار الخير كله من الله وتهيئة النفس لذلك باب أصيل في بناء الملكات الأخلاقية ولا سيما إذا لاحظنا مخلصين أن الأمر بيد الله وأن العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا هذه الأسباب تجعلنا نفهم موقنين لماذا يصف الرسول ص الدعاء بأنه مخ العبادة من هذا المنطق الإيماني نفهم لماذا يتجه شاعر مثل أبي مسلم إلى هذا النوع من الشعر لماذا يكرس له من ديوانه كل هذه القصائد بحيث تصبح الجزء الغالب عليه بل يصبح الروح الذي طبع أغلب أعماله الشعرية [1].

[1] قراءات في فكر البهلاني الرواحي ، حصاد الدورة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم أبي مسلم البهلاني الرواحي ١٤-١٦ رجب ١٧-١٩ن ديسمبر ١٩٩٤ط١ن ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ص ٩١ .

حول حديث : من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه "والإخلاص المشار إليه هو الإخلاص المعروف وهو أن يكون عمله كله خالصا لوجه الله تعالى فإن حصل ذلك لأحد من الناس ودام عليه مدة كان ذلك سببا لانفجار الحكمة في قلبه والحكمة المشار إليهاهي الهداية التي وعد الله بها عباده المجاهدين فيه **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[1] ، وسئل الإمام نور الدين السالمي عن كتم أسرار المكاشفات قال : ما تقول فيمن وهب الله له علما في مكاشفات العلويات العظمى بواسطة تلاوة أسماء الله الحسنى إلهاما منه تعالى لا تعليما من كتاب ولا أخذا عن أحد مع أن هذه المكاشفات لم يعلم أن [2] ، أحدا اطلع على هذا قبله ولا في زمانه فهل يجوز لهذا الواصل أن يطلع أحدا على سره أو الكتمان أولى ، من أنه واقف حيرة بين الأمر بالتعليم الوارد عن العلماء لقولهم لا تمنعوا الحكمة أهلها الخ وبين النهي الوارد عنهم أيضا نثرا ونظما في قول بعضهم :

من أطلعوه على سر فباح به

لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا

يقول السالمي وهو من كبار علماء إباضية عمان في هذه المسألة : لا شك أن الأولى كتمان مثل هذا وناهيك أن يسمى سرا فاسمه يقتضي حكمه وعقوبة من أذاعه أن يحرم الاطلاع على مثله كما قال القائل : لا يطلعوه على الأسرار ما عاشا ، والخضر عليه السلام قد اشترط على موسى عليه السلام في صحبته أن يكون صابرا لا يسأل عما رآه وهذا الاشتراط ينبيك أن المطلوب الكتمان وحيث لم يصبر موسى عليه السلام بل أنكر ما رأى وسامحه في المرة الأولى والثانية فارقه في المرة الثالثة ويكون الحال الواقع من الخضر

[1] سورة العنكبوت الآية ٦٩.

[2] جوابات الإمام السالمي ، ص ٤٢١.

مخالفا لمظاهر الشريعة المطهرة اقتضى ذلك تفسير ما اطلع عليه موسى وأنكره فأخبره الخضر بتأويل ذلك[1].

تنزيها لساحته وتبينا للخصوصية التي خصه الله بها من العلم اللدني وأباح له الحكمة بمقتضاه

وهي خصوصية للخضر دون غيره من الناس فلا حجة فيه للصوفية [2]في عملهم بما ينكشف لهم مما هو مخالف لظاهر الشريعة فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل إلى الكافة ولم يخرج أحد عن حكم شريعته بل يجب على الجميع التزام أحكامه فمن زعم أنه يحكم بما ينكشف له مما هو مخالف لظاهر الشريعة فهو فاسق لا تقبل شهادته ولا تسمع دعواه ولا تعلق له بقصة الخضر فإنه قد خص بحكم ليس لغيره أن يشاركه فيه ، ولا شك أن رسول الله ص قد كشف له بعض الغيب وقد اطلع من ذلك على ما لم يطلع عليه سواه ومع ذلك كله فأحكامه كلها جارية على وفق الظاهر .

وكتمان هذه الأسرار لا ينافي بذل الحكمة لأهلها فإن الحكمة الواجب بذلها لأهلها ما كان فيه مرشد دينهم ومصالح دنياهم من أحكام الشريعة وآدابها وليس كشف مثل هذه الأسرار من الحكمة بل لا مصلحة لهم في ذلك بل ربما يخشى عليهم بكشف ذلك الفتنة والفساد[3]

[1] قراءات في فكر البهلاني الرواحي ، حصاد الدورة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم أبي مسلم البهلاني الرواحي ١٤-١٦ رجب ١٧-١٩ن ديسمبر ١٩٩٤ط١ن ١٤١٨هـ-١٩٩٨م ، ٨٢.

[2] نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، جوابات الإمام السالمي : عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي ، مكتبة الإمام السالمي ، بدية ، سلطنة عمان ، ٢٠١٠م ،ج ٥ص٤٢٢.

[3] المصدر نفسه ص ٤٢٣.

من أخلص لله أربعين يوما تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[1]،قيل في هذا :من أخلص لله قلبه أربعين يوما لم يشتغل فيها بغير الله متخليا بذكره وتقواه ملازما لحضور قلبه مع الله يفيض عليه من أنوار علمه وحكمته بواسع رحمته ينابيع حكمته في جنانه يظهرها على لسانه ،والله يقول الحق وهو يهدي السبيل [2]،وقال من أخلص لله تعالى دينه وإيمانه وجسمه وفؤاده وسره ولسانه فجر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه بفضله وكرمه .

إن سأل الله الجواب هنا لا يكون إلا بالتجرد التام والانقطاع عن العلائق والتبتل إلى الله تعالى بتصفية القلب من جميع الشوائب والكدورات ، وإلزامه دوام الخضوع مع الله تعالى حتى يتجلى عليه لوامع الأنوار الإلهية من الحضرات القدسية بالتجلي عن وجوده في حضرة شهوده فإذا ثبت على ذلك فهو المشار إليه هنالك لأنه الذي تتفجر ينابيع الحكمة منقلبه على لسانه .

القطبية ليست معلومات تحفظ وتعلم ، بل هدايات تتنزل في القلوب وأنوار تشعشع في الأفئدة ثمر عملا واستقامة وتعبدا خالصا لله ولا مرية أن في الدورة الكثير من الأسرار المساعدة على ذلك كالتفرغ التام من العلائق والمشاغل والانقطاع لوجه الله أياما معدودات وترك الدنيا ابتغاء ما عند الله والمصابرة مع الإخوان واغتنام الأوقات المشهودة كقيام الليل والبكرة والأصيل والجو المعقم من اللغو وأمراض اللسان ومعاصي الجوارح وكذا الروحانية التي متع الله بها الشيخ والأسلوب المؤثر الذي حباه الله تعالى إياه مما لا

[1] أبي سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي ،تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان ج٣ ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م-وزارة التراث القومي والثقافة –سلطنة عمان ص ٦٧ .

[2] أبي سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي ،تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان نصدر سابق ص ٦٨

تغني عنه الكلمات المسطورة وإتاحة الوقت الكافي للتفكر ومراجعة النفس وحاسبتها وغير ذلك[1].

باب الدخول في الأربعينية ... وقد تقرر أن الوحدة والعزلة ملاذ ومستمسك أرباب الصدق فمن استثمر أوقاته على ذلك فجميع عمره خلوة وهو الأسلم لدينه فإن لم يتيسر له ذلك وكان مبتلى بنفسه أولا ثم بالأهل والأولاد ثانيا فليجعل لنفسه من ذلك نصيبا ،وأما المريد الطالب إذا أراد أن يدخل الخلوة فأكمل الأمر في ذلك أن يتجرد من الدنيا ويخرج عن كل ما يملكه ويغتسل غسلا كاملا بعد الاحتياط للثوب والمعلى بالنظافة والطهارة ويصلي ركعتين ويتوب إلى الله تعالى من ذنوبه ببكاء وتضرع واستكانة وتخشع ويسوي بين السريرة والعلانية ولا ينطوي على غل وغش وحقد وحسد وخيانة ثم يقعد في موضع خلوته ولا يخرج إلا لصلاة الجمعة وصلاة الجماعة ومن ذهب إلى ترك صلاة الجماعة غلط وأخطأ ، فإن وجد تفرقة في خروجه بكونه شخص يصلي معه جماعة في خلوته ولا ينبغي أن يرضى بالصلاة منفردا البتة فبترك الجماعة يخشى عليه آفات وقد رأينا من يشوش عقله في الخلوة ولعل ذلك شؤم إصراره على ترك صلاة الجماعةمبحث التوافق الروحي في الأربيعنية [2].

التصوف هو منهاج الدخول في ساحة العرفان وصولا إلى علوم التوحيد الحق ومتطوعات ذلك هو أولا –روح قلقة ترى في ظاهر الحياة متناقضات لا تحقق الانسجام الإنساني من عدل وقناعات توافق الفطرة السليمة.

وثانيا – وبناء على ذلك فإنها ترى ما يناقض تعاليم الدين من أقوال الأنبياء والمرسلين والحكماء من تحقيق التقوى .

[1] تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان مصدر سابق ص ٦٧.

[2] عوارف المعارف : عوارف المعارف للإمام العارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي ٥٣٩هـ- ٦٣٢هـ ج٢، تح عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف – دار المعارف – القاهرة ص ٥٠ .

يقول صاحب الكتاب : لما علمت بوجود السالكين في أوساط الإباضية ولعلمي بأن طريق السير والسلوك في مواهبه من الله يتم بالإلهام وأن الإباضي الظاهري قبل التحقيق الصوفي منتحل لمذهبه ، فهل هذا المذهب يؤمن بالإلهام كمصدر للمعرفة ؟ وفي حوار أجراه مع معالي السيد محمد بن أحمد البوسعيدي العلم المعروف ، فتبين أن مصادر التشريع عند الإباضية هي القرآن والسنة والقياس والإجماع وعند البعض الإلهام واستدل له ببيت من شعر العلامة الإمام نور الدين عبد الله بن حميد السالمي [1].

يقول أنه ذهب أعمق في كتاب العلامة السالمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان حتى وصل إلى باب العلم ص ٢٧٩و٢٨٠، في الجزء الرابع حيث عثر على ما أشار إليه السيد محمد بن أحمد البوسعيدي من شعر العلامة السالمي ..

العلم إلهام من الحميد في مذهب الشيخ أبي سعيـــــد

وعنده التعليم كالنبات للنخل للتلقيح والثبـــــات

وخالف الشيخ أبو محمد فقال بالجد ينال فاجهـــــد

ولا أرى الخلاف في ذا الباب يفضي لغير اللفظ والخطاب

فليس للجد بنفسه أثر من غير توفيق وإلهام صـــــدر

ولم يك الإلهام دون كد في الشرع ينفعن للمســـــــــتعد

فكل واحد من الشيخين جاء بوجه وهو ذو وجهـــــــين

وإن نقل خلافهم فيم الأهم من ذين فالأهم إلهام الحـــــكم

[1] رشحات التصوف في أوساط الإباضية محسن بن جمعة بن محمد اللواتي ط١ هـ-٢٠١٤م، دار المحجة البيضاء ص ٨٩.

كم قد رأينا في فتى مجتهـد وهو بباب منه لما يســـعد

وآخر لم يقر إلا البعـــض وهو يفض المشكلات فض

وقال بعض من أولي الحلوم ثلاثة مطالع العـــــــلوم

أولها قلب به يفكـــــــر ثم لسان ناطق معـــــــبر

ثم بيان للمعاني صورا يفهمه من قد قرأ أو نظـــــــرا [1].

عليك بالعلم والإكثار منه تكن من جملة الأخيـــــــار

ينقل العلامة السالمي بأن العلم إلهام من الحميد في مذهب الشيخ أبي سعيد ، ولكن أبو محمد خالفه وقال بالجد ينال المراد ، ولكن العلامة في البيت الرابع لا يرى الخلاف في ذلك ويوضحه في البيت الخامس فليس للجد بنفسه أثر من غير توفيق وإلهام صدر ثم من البيت السادس إلى البيت الثالث عشر يؤكد الشيخ العلامة الإمام السالمي، مع الإلهام يجب التعلم والعمل ولكن في البيت السابع والثامن هو أكثر وضوحا لأهمية الإلهام كمصدر التشريع عند الإباضية فأكد وجهتي الشيخين أبي سعيد والشيخ محمد الإلهام والعمل به ومع أهمية الإلهام هو الحكم .ذاك هو حكم العلامة نور الدين السالمي

وسماها الكاتب في بحثه رشحات التصوف في أوساط الإباضية أي أمر الإلهام ، لأن انكشاف الحقائق من أحد مصادرها الإلهام ثم تأتي التجليات الأخرى التي يتفضل الكريم على السالكين منها عليهم ، وكذلك من الأمور المهمة جدا أن يكون للسالكين شيخا ص٩٤، ومرشدا يقودهم في دروب معارج الكمال وهذا المرشد يجب أن يكون واصلا قطع فيافي الدروب لأعماق محيطات الباطن وتحقق بفضل المولى وقبوله وهذا واضح في

[1] محسن بن جمعة بن محمد اللواتي رشحات التصوف في أوساط الإباضية ط١ ٢٠١٤م، دار المحجة البيضاء ص ٩٣.

الآية الكريمة { ن يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا } فالهداية من الله بواسطة الولي المرشد ودلت وبينتها التجربة، وسئل المحقق الخليلي ما هو العلم الوهبي الجواب : الوهبي ما يلقيه الله تعالى في قلب عبده فيضا نورانيا ومددا رحمانيا[1].

[1] أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي ت بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ، أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري ج١.

المطلب الثالث :الحضرة الإلهية والمشاهدة

يعرف الشيخ ناصر التجلي تعريفا يتفق والعقيدة الإباضية مبتعدا بذلك التعريف عن الفلاسفة الفيضيين فيقول : التجلي الإلهي هو ظهور معرفته والمتجلي عليه بها هو العالم بمعرفة الله تعالى، والمشاهدة لها بقوة الحضور وانفتاح النفس والروح إليها انفتاحا في العلم والعمل والشوق إلى علم معرفة الله تعالى وإلى محبته ورضاه عنه : ثم يقسم التجلي إلى مقيد ومطلق فالأول : هو أن تتجلى للمرء من حضرات الله فعلا واحدا أو اسما واحدا أو صفة أو أكثر ويكون له حد في كثرة ذلك التجلي والثاني : أن تشاهد أفعال الله تعالى في كل ما تشاهده وأن أفعاله في قدرته لأنها لها [1].

وليست كل المصطلحات مرفوضة فالشهود والتجليات بمعنى شهود آيات لله تعالى بالنسبة للحضرة والشهود لا ينكرها الاباضية فالعابد المداوم للذكر والتسبيح هو الذي يكون قريب من الله وتتيسر له الأمور وتنفعل له الامور بقدر الله تعالى بحسب ما يريد الله لا بحسب ما يريده العبد ، وهذا لا يعني أنه يشارك الانسان الحضرة الالهية في تصريف الكون ، كما أن للحضرة الإلهية أنواع ومنها الحضرة الأحدية :توحيد الذات الإلهية ، بالفطرة والإيمان، ويدعوا الله معترفا أنه الخالق الواحد الفرد أن يثبته على التوحيد ، ويسقيه من كأس المحبة والثبات على دين الإسلام .[2].

والتجلي هو الظهور والمراد تجلي جمال المحبة الإلهية ، وتجلي بعض حضراتها وهي المعرفة بالله تعالى ، وذلك بعد التحلي أي بعد أن تحلى صاحبها بحلي جمالها في كل اعتقاد

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي البعد الصوفي في الفكر الإباضي رسالة لنيل درجة الدكتوراه ، دراسة تحليلية تاريخية ٢٠٠٧.، ص١٨٤

[2] مخطوط إيضاح نظم السلوك ص١٣٣.

وعمل وترك وحركة وسكون ، وذلك بعد التخلي أي بعد أن يتخلى من جميع الصفات غيرالمحمودة ولا المحبوبة معها ولم يبقى إلا روحا مطهرة أي روحانيا طاهرا لا يحب سواها [1]

واعلم أن لكل حضرة اسما من أسماء الله أو صفة لأن كل صفة تجلت عليه فهي حضرة تلك الصفة أو لذلك الاسم ، وكلها يطلق عليها الحضرات الإلهية ولذلك يخص اسم الحضرة باسم الحضرة الإلهية ، لأن التي تتجلى على المرء في حال سلوكه لا تعرف أي حضرة تتجلى عليه وإن كان الابتداء في الترتيب بالمبتدين حضرات الأفعال فإن حضرات الأفعال كثيرة ، فلا يمكن أن يخصص اسم حضرة تجلت له باسم ، لأن ذلك لا يعرفه المفسر ، ولا الناظم للسلوك ، ولو قال حضرة كذا مثلا تجلت له "حضرة اللطف" فيمكن أن يكون غيرها ، فإن الحضرة الربانية مع أهل العلم في اصطلاحهم هي غير الحضرة الرحمانية ، وغير الحضرة الرحيمية ، وغير الحضرة القدسية ، أما حضرات التجريد فكلها تسمى الحضرة القدسية وكل حضرة هي معنى اسمها وكذلك المحبة ولذلك نخصها بالمحبة الإلهية لا باسم غير ذلك ، لأن كل حضرة محبة ، لأنه إذا تجلى على عبده بحضرة ، فقد أحب أن تتجلى له بتلك فتكون تلك المحبة وتلك الحضرة منسوبة كل منهما إلى تلك الصفة ، وليس المراد أنه لا يجوز تسميتها إلا كذلك شرعا وإنما[2]، المراد كذلك في اصطلاحهم مثلا لو شاهدت ربوبية الله تعالى في كل شيء مشاهدة حضور وأدهشتك عظمتها فيك ، وفي كل شيء ، فهي الحضرة الربانية والمحبة الربانية ، وكثير من الملائكة نظرهم إلى الحضرة الربانية لرؤيتهم لنفوسهم بذل العبودية ورؤيتهم إلى الله أنه ربهم وأنهم عبيده [3].

[1] ناصر بن جاعد الخروصي ، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك ، ت: د. وليد محمود خالص ، ط١هـ٠هيئة أبة ظبي للثقافة والتراث دار الكتب الوطنية ٢٠١٢م ص ١٠'.

[2] المصدر نفسه ص ١٢٢.

[3] المصدر نفسه ص ١٢٣.

الحضرة العرفانية:

في هذه الحضرة يتوجه الشيخ أبي مسلم بالتضرع إلى علام الغيوب والشهادة بأن يهبه الحكمة ويفيض عليه الأنوار وينقي قلبه من ظلمة الجهل ، وأن يكشف له الحجب وان يبين له النور والمعارف ،كشف الأسرار ، العلم ، الهداية ، اليقين ، تنوير القلب ، الفهم والذكاء والعلم .

وهذا مطلعها :

عالم الغيب والشهادة علا م الغيوب العليم علمك هب لـي

واهب الفيض أوع قلبي بالحك مـــة والعلم يا حكيم ومـــل

يا مفيض الأنوار نور السموا ت والأرض أجل رين ظلمة جهلي

منعتني عن الحقائق حجب مزق الحجب يا مبين وجـــــل

ثم يقول :

أبن لي النور والمعارف يا ظا هر من بحر نورك المتجـــــــلي

لا تفتني علم الحقيقة وهـبا باطن الذات في ظهور التجـــلي

كيف تبقى كثائف الجهل عندي إن تكن يا خبير أنت المجلي[1].

[1] عبد الرحمن الخزندار ، ديوان أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني شاعر زمانه وفريد أوانه ، دار المختار ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ١٣٤

الحضرة القدسية :

في هذه الحضرة يتوجه الشاعر بالاعتراف بذنوبه للمولى عز وجل ووسائلا اياه العفو والمغفرة والصفح لأنه هو الغفور ، الحليم ، الرؤوف ، العفو، التواب ، العظيم .

يقول :

سيدي يا تواب جلت ذنوبي غرني حلمك العظيم وجهلي

سيدي يا غفور قد تبت فاغفر وتجاوز عن قبح سوءة فعلي

سيدي عادتك الحـــــــلم ومن عادتي اقترافي وبطـــلي

سيدي يا غفور أن تعف عني فبفضل وإن تعذب بعـــدل[1].

الحضرة الرحموتية :

تعبر عن استغاثة الشاعر من كثرة ما مسه الضر وما أصابه من بؤس، وانكسار وفقر ، طامعا في رحمة ، يرفع فيها أكف الضراعة مناجيا الرحمن .

فيقول :

مستغيث قد مسني الضر يا رحمن فاكشف ضري وبؤسي وقـلي

مستمد فيض الرحيـــم بفقري تحت باب الرحمن بقولي وفعلي

رب لا تلقني إلى حول نفســي إنه ليس حول نفسي بحـــول[2].

الحضرة الفتوحية:

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص ١٣٤،

[2] المصدر نفسه ص ١٣٥.

يتوجه إلى الله تعالى بكل اسم متضرعا متذللا شاكيا منكسرا ، ومطلعها :

يا غني المغني لك الملك والسلطان أشكو إليك فقري وذلـــــي

يا حميد الفعال ذا المن باللطـــــف على خلقه أنف عسري وقلي

الحضرة القريبة :

يتوجه الشاعر بكلمات تذلل واذعان واستغاثة لله الخلاق ان ينجيه من الكرب وان يستجيب له دعاؤه وهو مظلوم ومستضعف ، ومطلعها :

نجني يا خلاق من كل كرب ليس تشقي عليك لهجة مثلي

وأتح لي نجاة ذي النون وحيا يا قريب قريب الداني بغير محل[1]

الحضرة الجبروتية

فيها تعظيم الله سبحانه وتعالى وأنه صحاب الأمر ومالك الملك وكل الصفات التي تدل على عظمة الله وعظمته وقدرته ، ومطلعها :

ملك الناس مالك الملك تؤتي الملك والعز من تشـــاء وتعـــــلي

بجلال يا ذا الجلال وذا الإكرام أكرم نفـــــس الملـــظ الأذل[2].

[1] عبد الرحمن الخزندار ، ديوان أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني شاعر زمانه وفريد أوانه ، دار المختار ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ١٣٧.

[2] المصدر نفسه ص ١٣٧.

الحضرة القاصمة :[1].

الدعاء على الأعداء والظلمة والتوسل إلى الله تعالى بالانتقام منهم واذلالهم مثلما اذلوه ونصرته عليهم ومطلعها :

واكف يا آخر الأعادي بالتأخير عن قصدهم بسر المـــــذل

يا قوي الأخذ الشديد المحال القاصم ادمغ فوق الألد المضل [2]

خاتمة السعادة :.

القصيدة سماها خاتمة السعادة ، فهو يناجي الله تعالى والمتمعن في أبيات القصيدة يحس أن الشاعر يصف حياته الروحية من خلال هذه الأسماء ويفتتحها بسؤال الله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وعائذ ومخبت وأن ذكرها هو كل شغله وحديثه ، ضاقت به الدنيا وظلت سبله وأن القاصد حمى الله لقي كرما وأن كل قاصد لله لم يخيب قصده وهو المغيث للمضطر إذا دعاه ، ومن يصرف هواه إلى غير الله يكون جزاؤه التولي من الله ، ويصف حاله وما يعتري قلبه من الشوق من الشوق ومن كثرة الشوق عقله استل ، ويذكر رحمة الله تعالى ولطفه به وعنايته به أنه لو امال عنه هوى نفسه انه لطف به وعدل ميله ، هذا يدل على حسن الظن بالله تعالى والثقة بمحبته وعنايته له ،وانه وأن غلب عليه الطبع وانغمست نفسه في ظلمته انتشله الله وجذبه ،ويصف محبة الله وجماله ولكن الإنسان ينأى بجهله ، ثم يقر الشاعر باسرافه في الذنوب وأن اقتراف الخطأ للخير يبلي ، وفي هذين البيتين يقول :

سيدي لا يزكو الذي لزه الطبع إلى ما يرضى الرجيم بحـــــبل

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص ١٣٨.

[2] المصدر نفسه ص ١٣٨.

سيدي لو قامرت شيطان نفسي بقداح الطاعات أحرزت خصلي

أي أن الإنسان لو كان مداوم على الطاعات فلا يجد الشيطان له منفذ [1]

الحضرة الإلهية

الناموس الأسنى بالأسماء الحسنى

حضرة الناموس

يقول الشيخ : الحمد لله ببركة أسماء الله قد أبرزت العناية الأزلية للحكمة الخفية من الستور الغيبية ناموسنا الأعظم الأسنى متجليا بتسع حضرات إلهيه ، تنقل النفس الزكية بين مشاهدها القدسية حتى ترجع إلى ربها راضية مرضية .

_الحضرة الجامعة المشرفة من خلال { أنا الله }

باسمك الأعظم العظيم الأجـــــل

العلي الأعلى تعلق ذلـــــــي [2].

_ الحضرة الأحدية المتجلية من كمال { قل هو الله }

يا إلهي وحدْتُ ذاتك إيْمَانـــــــا

وصدقا وفطرة لا تُوَلـــــي [3]

[1] ديوان أبي مسلم مصدر سابق ص١٣٩.

[2] النفس الرحماني مصدر سابق ص ٣١١.

[3] المصدر نفسه ص٣١٧.

_ الحضرة العرفانية المتشعشعة من أنوار كمال { علم الإنسان ما لم يعلم }

_ الحضرة القدسية اللائحة على جمال { وأنا التواب الرحيم }

_ الحضرة الرحمونية الظاهرة من جمال {ورحمتي وسعت كل شيء }

_ الحضرة الفتوحية المنبسطة من جمال { وما بكم من نعمة فمن الله }

_ الحضرة الجبروتية الصادرة من قهر جلال { قل اللهم ملك الملك }

_ الحضرة القاصمة المرسلة صواعقها من خلال { إن بطش ربك لشديد } [1]

_ الحضرة القريبة الواردة من جمال { وإذا سألك عبادي عني فإني قريب }

وبعدها سجدة فيها تسع وتسعون تسبيحة ص١٤٤.، وبعدها الصلاة على الذات المحمدية بأي الصيغ ،وبعدها الفاتحة على الذات المحمدية ثم الفاتحة ثلاثا إلى الأرواح المقدسة ثم الالتفات الكلي بالغيبة عن عالم الوجود إلى عالم الشهود بمجرد مراقبة المعبود لقصد الانتظار لا الاختيار لفيض الكرم والجود، [2] وهذا ما يسمى بالذكر المرتبط باسم التعلق {الله} في سجى الليل في القلب وهو من أصعب الأذكار لتملل النفس ولكن المدد فيه عظيم للصابرين العاشقين .

تنقسم الحضرات إلى حضرات مظهرة القدرات في أسماء ربنا تعالى وحضرات طالبة الحاجات الروحانية بالغالب وعلينا الآن أن ننعطف إلى الذكر العاشر وهو بمثابة

[1] ناصر بن سالم بن عديم الرواحي أبي مسلم الشيخ ، النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني مكتبة مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م ص ٣١٠.

[2] النفس الرحماني مصدر سابق ص ٣١١.

منظومات للأسماء الفاتحة كما سماها العارف البهلاني أو كما تحقق له ذلك وهو الله فالرب، فالرحمن، فالملك [1] .

يقول الشيخ أحمد الخليلي في معرض كلامه عن العرفان السلوكي:" قد يكون العبد في إقباله على ربه ، وهو يؤدي عبادة من عباداته قد امتلكته نشوة الذكر ، حتى يكون غارقا في شهوده ، ذاهلا عن كل شيء حتى عن ملاحظة وجوده ، فيعرج عن الملك والملكوت فلا يلبث أن يكون كأنما يشاهد بأم عينيه في الحضرة القدسية يد الله تصرف الوجود إيجادا وعدما ، وإحياء وإماتة ، ورفعا وخفضا ، وبسطا ومنعا ، ولطفا وشدة ، وتوفيقا وخذلانا ، فلا يكون منه أمام هذه المشاهد إلا أن تعنوا نفسه لقيومها ، فيسلم لله تعالى جسمه وروحه وعقله وقلبه وفكره ووجدانه وسره وعلنه .[2]

[1] مخطوط إيضاح نظم السلوك ص١٤٥ .

[2] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، ط١١٤٢٩هـ/٢٠٠٧م مسقط معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، ج٢، عشرون وسيلة للتربية الروحية

المبحث الثالث :نماذج لبعض من الشخصيات الروحية في الماضي والحاضر

المطلب الأول : الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي شاعر المحبة الإلهية:

المحقق سعيد بن خلفان الخليلي[1] من العلماء العاملين ، كان قبل ارتقاء عرش الإمامة في رغد من العيش وتأنق من اللباس لأنه كان غنيا ، فلما ولي الأمر رغب عن ذلك مع كثرة غناه فكان يطوي الأيام والليالي ويفطر على التمر والعوال {هو السمك المجفف من نوع خاص }

كثير صيام التطوع [2]، وكثير الصلاة والتقرب إلى الله تعالى بأنواع القربات ، كثير التوسل والتضرع إلى المولى عز وجل بقصائد نظمية أو أدعية نثرية لنيل العلم والفضل والتوفيق [3]

كما أن له قصائد مطولة في السلوك فريدة في فنها ، وألهمه الله عز وجل علم الأسرار [4].

وطالما حاسب نفسه ولامها أمام الله وهضمها وألقى حظوظها في التراب فلا حظ للنفس عنده ولا ميزان لها بين يديه ومواقفه كلها تدل على ذلك فهو القائل :{فإم مقصودي في السلوك لمعبودي تطهير نفسي من معايبها وإنقاذها من شوائبها ، حتى تتخلى عن هواها ، فتصلح لأن تتجلى في خدمة مولاها ، فإني لم أخلق لسواها}، كيف لا وهو الذي تذلل بين يدي مولاه ، للوصول إلى رضاه وقصائده السلوكية تشهد

---

[1] هو سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح ، أبو محمد الخليلي الشهير ب" المحقق" ولد عام ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م، عالم محقق وفقيه مدقق وأحد أركان دولة الإمام عزان بن قيس ، عاش في القرن الثالث عشر الهجري (النصف الأول من القرن التاسع عشر) تتلمذ على يد عدة مشايخ منهم الشيخ ناصر بن أبي نبهان ، ص١٦٤، تقيا ورعا ساعيا لصلاح الأمة كان كثير التوسل والتضرع لله تعالى توفي سنة ١٢٨٧هـ/ ١٨٧١م معجم شعراء الإباضية ج١و٢، ص ١٦٤.

[2] قراءات في فكر الخليلي حصاد ندوة المنتدى الأدبي تكريما للمرحوم العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي من ١٧، ١٨ذي القعدة ١٤١٣هـ الموافق ل٨مايوا ١٩٩٣، ط٢/١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م، ص ١٣٩.

[3] المصدر نفسه ص ١٤٠.

[4] المصدر نفسه ص ١٤١.

بذلك ، وهو فارس ميدان سباق التوسل إلى الله عزو جل وطلب الفتح الإلهي من عنده في قوله :

عرج على باب الكريم المفضل والثم ثراه ساعة وتذلل

فلئن رزقت لدى حماه وقفة تربت يداك بنيل ما لم تأمــل

ولئن نشقت شذى ذراعه ساعة فلك البشارة بالمقام الأطول [1]

كان الشيخ محبا لله ورسوله ﷺ شديد التعلق بهما ، وهذه آية من آيات إيمانه الخالص لله تعالى ، وقد استقر في قرارة نفسه أنه لا يتم إيمانه بالله حتى يتم تقديم حب النبي ﷺ على الأهل والولد والمال [2] .

وقد أمده المصدر الصوفي بوفرة هائلة من المصطلحات والألفاظ التي أضفت على شعره جوا روحانيا ومن هذه المصطلحات والمقامات : القبض ، البسط ، الهيبة ، الأنس ، الشوق ، الجذب ، السكر ، الكرامة ، مقامات ، أهل السلوك ، عرفان ، كشف ، مشاهدة ، فيض العلم ، عين اليقين ، حق اليقين ، التوبة ، الخوف ، الرجاء ، المجاهدة ، الرضا ، العبودية ، الفقر ، حيث كان الشيخ سعيد يحسن استخدام الألفاظ في مكانها المناسب ، حتى تفيض بالإيحاءات والمشاعر وتحمل من الدلالات أكثر مما تحمله من معناها اللغوي يقول في وصف حال المتصوفة :

فمن بعد علوي النوم والشبع والروا غدوا خلف إلف السهد والجوع والظمأ [3].

درس علم الأسرار على يد شيخه ناصر بن جاعد بن خميس الخروصي ، حيث كان الشيخ سعيد بن خلفان مولعا بعلم السر والخلوات الإلهية ، ويقال عنه أنه دخل الخلوة

[1] قراءات في فكر الخليلي حصاد ندوة المنتدى الأدبي مصدر سابق ص ١٤٣.

[2] المصدر نفسه ص ١٤٥.

[3] المصدر نفسه ص ١١٨.

بالأسماء الحسنى كلها وهي تسعة وتسعون اسما ، فانجلت له الأسرار والخفيات وهو الملقب بأبو السلوك ، عرف الشيخ بكثرة الذر والتوسل والتضرع ومراقبة الله سبحانه وتعالى ، فمقام الإحسان هو مراعاة الله عز وجل في السر والعلن واتخاذه رقيبا على كل الأعمال التي يقوم بها المؤمن موقنا في قرارة نفسه أن الله يراه في كل وقت، فهو حاضر لا يغيب كما أن الإحسان هو التحقيق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة أي رؤية الحق موصوفا بصفاته بعين صفته فهو يراه يقينا ولا يراه حقيقة [1]

ومصادر التصوف عند سعيد بن خلفان الخليلي قد قامت على ثلاثة محاور أساسية : القرآن الكريم بما فيه من أخبار وروايات عن الأنبياء والمرسلين ، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأثره بشعر سلطان العاشقين ابن الفارض لا سيما في النونية الكبرى ، ويكون بذلك شعر التصوف عنده قائما على قاعدة دينية منبثقة من تعاليم الدين الإسلامي ومستمدة ركائزها من مصادر هذا الدين [2]،وقد نال الخليلي الريادة في الأدب الصوفي وذلك لتمثله لمعاني الصوفية في شعره ة وتناولها تناولا سليما الذي ينم عن معرف صاحبها بدقائق هذا الاتجاه والتعمق فيه فأكسبه خبرة كافية في مجال التصوف وألبسه ثوب المتصوفة وأسلكه اتجاههم فكان شعره بمنزلة المرج الذي يعود إليه أصحاب هذا الاتجاه والمهتمين به في عمان والخليج العربي لأنه المرجع الذي يتناول أحوال الصوفية ومقاماتهم والمعجم اللفظي الخاص يهم وبمعانيهم ، حيث تتجلى معاني التصوف في شعر سعيد بن خلفان الخليلي وأهمها :معنى الحب الإلهي ، معنى القرب والتوجه إلى الله ، معنى الخلوة حيث كان أغلب الشعر الصوفي عند الخليلي منبثقا من فكرة الحب الإلهي [3]، لأن الحب الإلهي نزعة روحانية تستولي على قلب صاحبها وأن نار

[1] شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥_رسالةلاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية-كلية الآداب – جامعة السلطان قابوس – سلطنة عمان –ص٦٤

[2] المصدر نفسه ص ٦٥.

[3] المصدر نفسه ص ٦٦.

المحبة تتحكم في صاحبها ولا سبيل إلى الخلاص منها وهو شأن الصوفي العابد يناله الوهن في سبيل الحب الإلهي، ولقد تمثل معنى الحب الإلهي في شعر التصوف عند (سعيد بن خلفان الخليلي) ، ويخالط سعيد بن خلفان الخليلي خوفه من الله عز وجل من الموقف العظيم في لقائه بحيائه وخجله من عظمة وجلال الله سبحانه وتعالى وهيبته فيذرف دموع الخوف والحنين والشوق المتأجج في ضلوعه يقول واصفا حالته بين الشعور والخوف والذلة والانكسار من عظمة ذلك الموقف بين رغبته الملحة في نيل التقرب من الله فتختلط دموعه بين دموع الخوف ودوع الشوق ويرتجف لسانه ويفقد القدرة على النطق من شدة الموقف وهيبته ويشعر حينا بالارتياح ونشوة السكر الروحي في بلوغ درجة القربى فينطق حينها معبرا عن ذلك الارتياح فيقول :

وغض طرفا من حياء وهيبة بدهشة قلب في تزلزل أركـــــــــان

تكامل منه ذله وانكساره إمارة تعظيم لبرزة سلـــــــــــطان

فأدمعه تجري بلوعة وجده فيا لك بحرا سال من حر نيـــــــران

فيصمته حينا حياء وهيبة وتنطقه أخرى ارتياحه نشـــــــــــوان[1]

المحبة عند الشيخ سعيد نابعة من إيمانه القوي بالله تعالى وتوكله عليه في كل أمور حياته واعتماده على قدرة الله تعالى في تحريك أمور الناس .

والحب الذي يشعر به الصوفي نحو الله تعالى هو لذة ممزوجة بالألم بسبب انفصاله عن الله حالما تنتهي التجربة الروحية الصوفية وهو يظل ينتظر الاتحاد بالله من جديد حينما يغيب مرة أخرى ويعبر سعيد بن خلفان فيشعره عن تجربته مع النشوة الروحية وهي مرحلة يعيشها الصوفية وتعرف ب(السكر الروحي) ويصف لنا كيف يكون حاله عندما يسترد

[1] شعر سعيد بن خلفان الخليلي مصدر سابق ص ٦٨.

وعيه ويعود إلى رشده وتخف حدة النشوة الروحية وسرعان ما يبدأ في الحنين من جديد مرة أخرى في الدخول في تلك الحالة فيشعر بالألم لفراق تلك الحضرة كل هذا أثناء خلوته فيقول :

وأي مقام لا أروم انتهاءه وفي مبدئي نور المصاحف غشـــــــــــاني

فصحح إيماني بكل حقيقة بسر إلى أوج النهاية أنهـــــــــــاني

ومازج بالإيمان روحي فاغتدى مسوطا بجسمي في دمائي ولحمـــــــاني

ويقول :

فهام بحب عامَ في بحر ذكره ولم يدرِ وجدان اصطبارٍ وســـلوانِ

فدام به في كل وقت وهيئة على صيغ التلوين في كل أحيـــــانِ

فحينما يدخل الصوفي في التجربة الصوفية فإن الروح تشتاق إلى بلوغ مرتبة الهيام الروحي والشعور بالارتياح لبلوغ هذه المرتبة التي يكون فيها القلب مليئا بالوجد والحب الإلهي والرغبة في الفناء فيشعر أنه بعيد عن كل الكائنات فيقول :

وترتاح منك الروح للوصول واللُقا بقلبٍ من الوجدِ المبرحِ ملآن

تمكن منه سالبُ الحب والهوى فأزعجه في كل إلفٍ وخلانِ

ثم يقول عن الفناء :

وتفنى عن الأكوان كل حضره صحوتُ بها في كل غيبةِ سكرانِ[1]

[1] شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي مصدر سابق ص ٧٠

والصبر في الحب مع وجود العوائق والموانع يهون كل الصعاب لأن العين تكون متطلعة إلى أعلى والقلب متوجه إلى المولى وفي ذلك يقول سعيد بن خلفان :

فقمتُ أنادي لمن شأنهُ لغيرِهم الشعرُ يُستنتَجُ المتقارب

أيا شاعرَ الدارِ ويكَ استمعْ عجائبَ في مدحِهم تُنْســـــَجُ

لساني بإمداحهم طيب ومدحك غيرهم يسمـــــــج [1]

ويعبر الشاعر الصوفي عن اندهاشه واستبشاره برضا الله عنه ومن عظمة الله العلي القدير وجلالته وهيبته فيقول :

ولئن ترى ذاك الجمال هنيهة فاسحب ذيول النية فخرا وارفـــل

ولئن صددت أو ابتعدت فعد إلى إرسال دمع كالعقائق مســـــبل

والهج بأنواع الضراعة وابتهل مثل الغريق بلجة البحر المـــــــلي

لا يدهشنك ما ترى من هيبة وجلالة وتعاظم العز العـــــــــلي [2]

فهذه المرحلة ينال فيها الصوفي غايته وهي القرب من الله عز وجل .

يبرز شعر الشيخ سعيد خطوات الطريق إلى الله من خلاله تجربته الصوفية وما يترتب على الصوفي من أعمال حيث يجتاز الصوفي مرحلة أولية غايتها إماتة شهوات النفس وقطع علائقها بالدنيا وتطهيرها من كل ميل إلى غير الله ويسمى عند الصوفية هذا النوع من الترويض النفي بالمجاهدة ، والقارئ المستبصر لشعر الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي يلحظ أنه خير من استعمل الألفاظ الصوفية في شعره ونلمس أغلب المصطلحات

[1] المصدر نفسه ص ٧٥.

[2] شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي مصدر سابق ص ٧٩.

الصوفية في شعره وهذا ينم عن تجربة صوفية معاشة وإدراك عميق لهذه الألفاظ ، والألفاظ التي تعبر عن تجربته في الحب الإلهي نجدها بكثرة في شعره وما تحمله من دلائل ففي هذا البيت يقول :

فأدمعه تجري بلوعة وجده فيا لك بحرا سال من حر نيـــــــرانِ

يحن إلى ذكر الحبيب وقربه حنينَ الثكالى قد ضُنِينَ بأشجانِ الطويل

ويقول :

هي الروح للأرواح راح ارتياحها تصان عن الأشباح أي مصان

ولا مرادي غير بادي الهوى والحب والقربة والذكـــــــر [1]

يقول في التجلي :

ولكنني أتلوا فأجلوا إشارة تفتح بالتوقيظ أجفان وســــــنان

ولاح تجلي الحق فيه لعينه بمرآته كشفا يراه بوجـــــــــــدان

معان تجلت في معان تجملت بها إذ تجلت من سناها بألـــــــوان

ففي تلك يستجلي ظهورا يكشفها فتضحى بزلفى القرب أسعد جذلان [2]

وتتابع استعمالات الألفاظ الصوفية معبرة عن تجربة خلفان بن سعيد فيقول :

وإذا شهدت المنع منه والعطا فلقد ظفرتُ وفزتُ بالنور الجلي

هل فصله أدركت أم هل وصله قد أدركته النظرةُ المتشـــــــوقة

[1] شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي مصدر سابق ص ٩٠

[2] المصدر نفسه ص٩٣.

ومعنى الفصل والوصل يشير إلى أنه إذا اجتهد السالك وحظى بالمنة الإلهية والفتح الرباني وبلغ ما يتمناه يقال أنه وصل واتصل ،أما الفصل فهو حال الصحو بعد الوصل ،والوصل هو حالة الغيبة التي يدخل فيها الصوفي بات[1] صاله القوي بالله تعالى ،وحين تفارقه تلك الغيبة ويعود إلى حالة الصحو فإنها الفصل .

وإن ساعة أفناك أبقاك خالدا بوصف له باقٍ صفاتك أعدما

وإن هو جلى منك بعض صفاته فماكنت أنت الآن أنت المقّدَمَا

وفيها مقامات لأهل سلوكها شموسا وأقماراً تنيرُ وأنجمـــــــا

فمن ذاق منها نَغْبَةً مات رغبةً ومن لم يذُقْها ماتَ بالغمّ مُسْقَما

ويظهر الجانب الصوفي للمحقق الخليلي جليا في قصيدته القطرة الغيثية والوسيلة الإلهية ، حين يقول :

على باب من أهوى يلذ لي الذل فيا عز قوم تحت أعتابه ذلوا

أحبتنا إن الصدود معذبي ولكن عذابي مره فيكم يحلـوا

أجود بنفسي في هواكم وإنها لمن عندكم والفرع مرجعه الأصل

فإن تقبلوها فهو لي غاية المنى وإلا فوا ويلاه أن دُفِعَ البـــــذل

تقطعت الأسباب إلا إليكم ورثت عرى الآمال وانفصم الحبْلُ [2] .

ثم يقول :

[1] شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي مصدر سابق ص٩٦.

[2] محمود مبارك السليمي ، أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين مكتبة الجيل الواعد ط١: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م ، ص٢١٩.

سلوك طريق العارفين بعرفان يلذ لأرواح غُذين بإيمـــــــــان

ويبين الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي الوسيلة التي يتوصل بها الإباضي إلى طريقة السالكين فيقول :

وهاك أخي نعت الطريق إذا به أردت سلوكا كي تفوزَ بإحســـان

وفي إشارة إلى المقامات التي تمثل الطريق الذي يمكنهم من معرفة حقيقة الإيمان كما دل عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ،متحدثا عن المقامات الإيمانية الثلاث :الإسلام ومستلزماته الظاهرة والإيمان وتحقيقاته الباطنة والإحسان:

وما بعد هذا من مقام لإيمان سوى الباذخ العالي بنسبة إحسان

مقام بتحقيق الشهود مخصص لعبد بُتولِ في العبادةِ ولهانَ

وبين التقلب من مقام إلى آخر يؤكد الشيخ سعيد على ضرورة العمل والاجتهاد في أداء العبادات وذلك بتحويل هذه المقامات إلى واقع عملي يستشعر العبد فيها عظمة الخالق عز وجل ودقة مراقبته له وهذه الأركان ليست لمجرد النطق والذكر وإنما المطلوب هو اتخاذها طريقا يلتمس به الوصول إلى حقيقة هذه المقامات فيقول :

فبالله إيماني يقين يقيمني ويقعدني لله في كل أحيـــــــانِ

ويلهمني سر القيام بخدمتي لطاعة مولاي الذي هو ســـــواني

فبين الرجا والخوف منه أقامني ذنوب أخافت أو رجاء لغفران [1]

وتميز الشعر العماني بمناظيمه الروحية بأنه يمثل الحياة الروحية لأولئك العلماء الذين كانت لهم مجاهدات ورياضات وتمثل مجموعة من الطقوس كالمناجاة و الذكر والتسبيح وقد

[1] أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني مصدر سابق ، ص ٢٢١.

تأتي أشياء غامضة في أشعار الإباضية ولكن قد يتوصل الإنسان إلى حلها وفهمها ، كما أن بعض الأشياء كانت إلهام من الله تعالى ، وهذه قصيدة المحقق الخليلي التي تدل على عظمة التسبيح وعلى مجاهدات الشيخ التي صاغها في صورة نظمية تصف العالم الروحاني الذي كان يغوص فيه بذكره وتسبيحه ،يقول :

أعاين تسبيحي بِنور جَناني ... فأَشهَدُ مني ألفَ ألفِ لسـان
وكل لسانٍ أَجتلي من لُغاتِه ... إذا الألف ألفٍ من غريب أغـان
ويُهدى إلى سمعي بكل لُغَيّةٍ ... هُدى ألفِ ألفٍ من شتيت معان
وفي كل معنًى ألفُ ألفِ عَجيبة ... يُقصِّر عن إحصائها الثقـلان
ولم أذكر الأعداد إلا نموذجا ... كأني في أوصاف مسيـطران
وإلاّ ففوقَ العَدِّ أمرٌ منَزَّهٌ ... عن الحَدِّ يَفنى دونه الملَـوَان
ولا تَتعجّب إن عَجِبْتَ فإنها ... حقائقُ صِدْقٍ ليس بالهذيـان

فالإنسان–إذن–الذي يَخرُج بِنفسه من هذا العالَم المادي الضيّق بِحيث يَأوي إلى ربِّه–سبحانه–في بيت من بيوته مستشرِفا عالم الغيب متطلِّعا إلى نَفحات الله تبارك وتعالى .. يُحسّ هذا الإنسان بِروحانية عجيبة .. يُحسّ بِأنه خَرج مِن سِجن كان فيه إلى رِحابٍ واسعة لا يُحيط بها إلا الله تبارك وتعالى .. يُحسّ أنه خَرج إلى رِحابٍ عالَمية واسِعة لا يُمكن أن يُحيط بها فكرُه، ولا يُمكن أن يُحيط بها عِلمه .. إنما المحيط بها هو الله سبحانه، بل يَشعُر أنه يَعيش في الملأ الأعلى، وعندما يَتلو كتابَ الله–تبارك وتعالى الذي تتجلّى فيه آياتُ الله سبحانه وتعالى – الواسعة المتطابِقة مع آياتِه الصامتة في مخلوقاتِه الواسعة التي لا يُحيط بها غيرُه–سبحانه يُحسّ–أيضا–بِالعَجَب العُجاب لأنه يُحسّ بِأنه يُشاهِد العالَم من خِلال ما يَقرأه في كتاب الله – سبحانه وتعالى – مِن آياتِ الله–تعالى–الواسِعة التي تُحدِّث عن نظام هذا الوجود، وأنه بِأسْره خاضعٌ لِجَلال الله، مستجِيبٌ لِدَاعِيه مسبِّحٌ بِحمده، ساجِدٌ لكبريائه، فهذه مِن جملة الثّمرات التي يَجنيها المعتكِف عندما

يقضي تلك اليُيَيْمَات في بيوت الله – سبحانه وتعالى – حيثُ القُدْسِية وحيثُ الطهارة وحيثُ النّزاهة وحيث الإيمان وحيث الأمان، وبِجانب ذلك–أيضا–يَشعُر أنه زالت حواجز بينه وبين ربه، فهو وإن كان في أيّ حال من الأحوال يُمكنه الاتصال بِربه – سبحانه وتعالى – مِن خِلال مناجاته إلا أنّ هنالك حواجز تَقِف في سبيله منها أطماعُه الكثيرة ومنها رغَباتُه في هذه الحياة الدنيا ومُتَعِها ومنها صِلاتُه بِعباد الله ولكنه عندما يَقطَع هذه الصِّلات كلها ويَنفرِد مكانَه بِربه – سبحانه وتعالى – مناجِيا خاضِعا راكِعا ساجِدا متضرِّعا تالِيا لكتاب الله يَشعُر بِتِلكم الحواجز وقد تَحطَّمت كلُّها فَيَصِل بِفضل الله–تعالى–ومشيئته إلى درجة الإحسان، التي أخبر عنها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: (أن تَعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك } .

فإنّ هذا الشعور إنما يُخامِر الإنسانَ في مثل هذه اللحظات الطيّبة[1].

[1] سؤال أهل الذكر، الاعتكاف، سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي.تاريخ الحلقة: ١٩ رمضان ١٤٢٤ هـ ، ١٤ نوفمبر ٢٠٠٢ م

المطلب الثاني : الشيخ حمود الصوافي مدرسة روحية

عالم رباني طهر قلبه ونفسه من عكر الأهواء والسعي إلى المغانم الدنيوية ،تربت بين جوانحه محبة إلهية عارمة متفان ، الكفاءة القيادية في شخصه يترجمها إلى أعمال بناءة لخدمة الدين والعلم [1]، من أعلام ومصلحي عمان في الوقت الحاضر، الشيخ العلامة المربي المصلح حمود بن حميد الصوافي ن هو شخص يشبه الآخرين من جهة من حيث النوع والخصائص الإنسانية ، ويشبه بعض الأشخاص من جهة أخرى وذلك من حيث تصرفاته ومظاهر سلوكه في المظاهر التي تواجهه في مجريات الحياة اليومية ، ومن جهة ثالثة هو كيان متفرد ومستقل يختلف عن أي شخص من حيث أسلوب حديثه وتصرفه والسلوك الذي يأتي به وطريقة عبادته وتفكيره ومظاهر تفاعله مع الآخرين وقدراته العقلية وإصراره ومثابرته وروحه المعنوية العالية وضبطه الذاتي ومع تعامله مع مشاعره وانفعالاته ، متوهجا قلبه بحب الله متعلقا بكتابه المبين وسنة الأمين رسوله ﷺ [2].

التعريف بالشيخ : مما لا شك فيه أن تعريف العظماء يصعب على كل من أراد التعريف بهم لأن جوانب حياتهم الباطنة ألمع وأنصع ، من جوانب حياتهم الظاهرة والمعرف لا يستطيع إلا أن يأتي ببعض الشذرات مما يسمعه ويراه ظاهرا والشيخ حمود بن حميد الصوافي ولج أبواب العظمة البشرية من أوسع أبوابها ، حيث أنه ما من صفه حميدة إلا وقد امتطى أعلاها ورغب فيها ، وما من صفه وضيعه إلا وهجرها وكره فيها.

[1] الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية –تربوية – اجتماعية ت: أحمد بن حمد الخليلي ، ت: الشيخ ابراهيم بن ناصر الصوافي ، الشيخ صالح بن خلفان البراشدي ، سلم بن راشد بن سعيد البوصافي ، ط٢ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص١٦-١٧.

[2] المصدر نفسه ص ١٣.

اسمه حمود بن حميد بن حمد بن حميد بن رشيد بن المر بن ناصر بن محمد بن سعيد الصوافي

نسبه من آل صوفه وهي قبيله عريقة ومعروفه سكنوا بلدة سناو وكانت أصولهم بلدة السليف من ولاية عبري، كان مولده في بلدة سناو من ولاية المضيبي عام ١٣٦٣هـ ١٩٤٢م ، نشا الشيخ حمود نشاه علميه منذ صغره وأتم حفظ القرآن الكريم في صباه في قرابة سن العاشرة أو الثانية عشر[١] ثم اخذ ينهل من كتب أهل العلم فحفظ متونا كثيره في مقدمتها جوهر النظام ، ومدارج الكمال للإمام السالمي، وألفيه ابن مالك في النحو والصرف وقرأ المعارج وشرح النيل وغيرها من الكتب المعتبرة[٢]، تميز منذ صغره بالذكاء وشده الرغبة في طلب العلم ، ففتح الله عليه حتى بلغ وعلا نجمه ،وأصبح من المراجع العلمية وممن يشار اليه بالبنان، كف بصره فاجتهد في الحصول على علاج فلم ينفعه إلا أن بصيرته وفطنته كانتا تزدادان يوما بعد يوم وهكذا شأن العظماء لا تزيدهم الابتلاءات إلا عزيمه وقوه وإصرارا فضل يؤجر من يقرأ له العلوم .

تعلم القرآن الكريم على يد شيوخ منهم : حبيب بن ناصر البراشدي ثم أكمل تعليمه علي يد الأستاذ ناصر بن راشد المحروقي والاستاذ يحيي بن سالم المحروقي والقاضي حمود بن عبدالله الراشدي ،وهم من تلاميذ الامام محمد بن عبدالله الخليلي رحمه الله [٣]،أما عن حياته الاجتماعية : هو أب لثلاثة اولاد وسبع بنات بارك الله فيهم وجعلهم

[١] مدرسه الشيخ حمود بن حميد الصوافي انموذج معاصر ، جامعه السلطان قابوس كليه التربية قسم العلوم الإسلامية ندوه التراث التربوي التعليمي الاسلامي العماني ومؤسساته ، ورقه عمل اعداد الدكتور مسلم بن سالم بن علي الوهيبي لطان قابوس للثقافة الاسلاميه سلطنه عمان مسقط . سلطنه عمان ٢٧.٢٥ شعبان ١٤٢٢هـ ١١ . ١٣ نوفمبر ٢٠٠١م ص ٣٣

[٢] المصدر نفسه ص٣٣.

[٣] سالم بن مسعود بن سليم الصوافي ، إمام العلم والعمل ، الشيخ الرضي حمود بن حميد الصوافي ، سيرة حياة ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م ص ٢٣.

قره عينه اما بالمعني الواقعي والمشاهد فهو اب لطلابه خاصه وطلاب العلم الشرعي عامه وعنايته بطلابه تفوق عنايته بأولاده[1].

حياته العملية : يصعب علي الحديث حول حياته العملية واشعر بالعجز التام عن إعطاء صوره واضحه لمجريات حياته العملية لأنني لم أعايش أو أشاهد أو أسمع في واقعنا المعاصر إنسانا مثله فحياته العملية قريبه الشبه بما نسمعه ونقرأه عن حياه الصحابة والتابعين ومشاهير الفضلاء والعلماء، وتلحظ العجب العجاب في سعه باله وقوه تحمله لكن من باع الدنيا واشترى الآخرة ، رخص كل غال سهل كل صعب في حياته ، فهاتفه مفتوح في معظم الاوقات حتي في وجبات الطعام، وإذا ما تأخرت رنة الهاتف على المائدة مثلا أخذ يلمس الهاتف بنفسه ليتأكدا هل يشتغل ، فيوم الجمعة يتجمهر بجامع سناو في صلاة الجمعة عدد كبير من المصلين يأتي بعضهم من أماكن بعيدة للاستماع إلى خطبة الشيخ حمود بن حميد الصوافي التي تدخل إلى أعماق القلوب لأنها صادرة من قلب مخلص وخطيب رباني الفكر الأمر الذي حدا بمجموعه كبيرة من المصلين أن يقوموا بتسجيل تلك الخطب للاحتفاظ بها أو تسميعها الذرية وغيرها ،وبين فتره وأخرى يدعى الشيخ إلى مناطق كثيرة لإلقاء المحاضرات الاسلاميه ووعظ الناس بما يعين على استقامتهم في الدين وتحسين سلوكهم في الحياة.

بعد صلاة الفجر يقرأ مجموعه من الأدعية والأوراد جهارا في الصيف حتي يتعلم منه الطلاب وخفية في الشتاء حيث المصلين قليل وقد سبق لهم التعرف على أوراده وأدعيته ثم يقرأ جهارا حديثا أو حديثين يرددهما ثلاث مرات حتي تحفظ أو تسجل من قبل الطلاب ويذكر تخريجهما بعد ذلك ثم يقيم حلقه لقراءة القرآن الكريم أيضا ، يقرأ المصحف بالترتيب وبالتالي تقرأ في مسجده ختمتان أما في الصيف فتقرا أربع ختمات:

[1] مدرسه الشيخ حمود بن حميد الصوافي انموذج معاصر مصدر سابق ص ٣٤.

الأولى: في فريضه الفجر

الثانية : في الحلقة التي بها الشيخ ومعه قرابه خمسه وثلاثين طالبا

الثالثة: في الحلقة التي بها مدرسه التجويد وبها قرابه خمسه وثلاثين طالبا آخرين ومما يلاحظ أن الطلبة الذين يقرؤون اليوم مع مدرس التجويد يقرؤون غدا مع الشيخ وهكذا بالتناوب

الرابعة: الحلقة التي يقرأ فيها الطلبة المبتدئون أو ضعيفو القراءة يقوم بتصويب قراءتهم أحد الطلبة البارزين ، تختتم جميع الحلقات بالدعاء ، ثم يسأل الحاضرين معه هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا ، فيذكرون رؤاهم إن كانت هناك رؤيه تطبيقا للسنه النبوية ،حيث روى أبو عبيده عن جابر بن زيد عن أبي هريره أن النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة قال : هل رأى احد منكم الليلة رؤيا ، ثم يأمر الشيخ الطلبة بقراءة التقويم الخاص بذلك اليوم ويقرأ الحكمة إن وجدت فيه ، وقد يطلب من الطلبة إعرابها بعد ذلك تكون الشمس قد شرقت وارتفعت قليلا فيصلون سنه الشروق تطبيقا للسنه الشريفة حيث يقول ﷺ :من صلى الصبح في جماعه ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجه وعمرة ، وبعد سنه الشروق يخرج الشيخ إلى أهله، فيسلم ويطمئن عليهم ويجلس لإكمال ما بقي من أوراد وأذكار ثم يمكث هناك ويتناول وجبه الافطار ويستعد للخروج .

وعلى المائدة التي بها الشيخ يتحلق مجموعه من الأضياف والطلبة يطرحون أسئلتهم ومن حسن أدب طلابه ألا يتقدمون بأسئلتهم إلا إذا صمت الضيوف ، ولم تكن هناك اتصالات هاتفيه ، وهكذا تصبح جلسه الغداء غذاء روحيا وجسديا معا[1].

[1] مدرسه الشيخ حمود بن حميد الصوافي انموذج معاصر مصدر سابق ص ٣٥.

أما عن الفترات المخصصة لأهله لا يمكن أن يفرط فيها ، فحتى لو جاء زائر ومحتاج إلى الشيخ في كلمة واحدة وهو في ذلك الوقت مع الأهل لا يمكن أن يخرج له إلا في الوقت المحدد لخروجه في العادة.

ومن مميزات الشيخ حمود الصوافي ربط الاعمال بأوقات الصلوات ، حيث هناك ترابط شديد بين الأعمال وأوقات الصلاة فعقب كل صلاة تأتي أعمال معينه تشهد له بالفضل وعلو الهمه في التسابق إلى الخيرات، وبالجملة إن سمات الجدول تقود إلى الحديث عن صفات الشيخ التي ستثير في نفس القارئ أو السامع الإعجاب والاستعجاب وتجعله يغوص بفكره في أعماق التاريخ ليسترجع صفات الصالحين والعلماء الربانيين .

امثله من صفات الشيخ حمود١) استمراريه العبادة من المعلوم من الدين بالضرورة ان الانسان لم يخلق ولم يوجد علي ظهر البسيطة الا لهدف سام وغايه عظيمه الا وهي عباده خالق الاكوان ورب الارباب عز وجل قال تعالي وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون قَالَ تَعَالَى:﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾[1]

ومدرسة الشيخ حمود الصوافي : هي مؤسسة تربية أوجدها نشاط الشيخ التلقائي وهي امتداد لمدارس الأئمة بعمان ، قادتها رغبة الشيخ حمود الصادقة في تعليم الطلاب واحتساب ذلك لوجه الله تعالى ، هدفها السامي إعداد أفراد بشخصية قرآنية ، يرقى بالطالب عقليا وروحيا وفكريا ، ويمتلك الكفاءة التربوية [٢]، ولوائحها التنظيمية مستمدة من قيم العقيدة الإسلامية السمحة ، التي تراعي جميع جوانب شخصية الطالب الجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية والتربوية والأخلاقية[٣]، ورؤية المدرسة :بناء جيل رباني

[١] سورة الذاريات الآية ٥٦.

[٢] المصدر نفسه ص ٢٣.

[٣] مدرسه الشيخ حمود بن حميد الصوافي انموذج معاصر مصدر سابق ص٣٠.

وتنمية شخصيته بصورة متزنة لتحقيق النمو المتكامل المتوازن لجميع جوانب شخصيته النفسية والاجتماعية والعقلية والتربوية ليحمل على عاتقه رسالة الاسلام .

نال العلم مكانة عالية من التوجيهات الربانية ، التي أكدتها نصوص السنة الشريفة في رفع مكانة العلم والعلماء واهتم العلماء الأوائل أمثال الإمام الغزالي بالعلم الذي يوصل إلى الدار الآخرة ، وتشكل العقيدة الإسلامية القاعدة الأساس لشخصية الشيخ حمود أي أن كل ما يصدر عن الشيخ من قول أو فعل إنما يكون نابعا من هذه العقيدة فهو يقيم كل أعماله وتصرفاته ومواقفه وعلاقاته على أساس الإيمان بالله والعمل بأمره وأن هذه العقيدة ربانية من عند الله وأنها لم تتغير ولم تتبدل وأنها تتميز بأنها توقيفية فلا تجاوز للنصوص الثابتة فيها كما أنها عقيدة تقوم على الحجة والبرهان والدليل وهذا يطمئن نفس الشيخ لأنه يراها خيرا له لذلك يرى السعادة تكمن من تنفيذها والشقاء كل الشقاء في تركها والشيخ يسموا بهذه العقيدة ، وينمي جوانبها ويرقى بغاياتها وأهدافها وأنه يرى أن العقيدة الإسلامية ليست غريبة عن الفطرة السليمة ولا مناقصة لها ، بل هي على وفاق تام وانسجام كامل معها ، إذ إن خالق الإنسان العليم بحاله هو الذي شرع له من الدين ما يناسب فطرته التي خلقه عليها ،كما قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [1]، والعقيدة الإسلامية واضحة لا غموض فيها ولا تعقيد ، فهي أساس شخصية الشيخ لأنها ساس تفكيره وتصوراته ،وسلوكه وعلاقاته مع الآخرين ، كما أن طريقة تفكير الشيخ موجه ديناميكي لأنشطته في الحياة ، وتوجيه جهوده وخياراته بالتفكير التي تنضبط بأوامر شرع العقيدة الإسلامية الغنية بالقيم الأخلاقية الحميدة[2].

السلوك :السلوك يعتبر من أهم مكونات الشخصية الإسلامية الذي يميزها عن غيرها من الشخصيات وفي الإسلام يرتبط السلوك ارتباطا وثيقا بالعقيدة ، ذلك أن مقتضى

[1] سورة الروم الآية ٣٠

[2] الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية –تربوية مصدر سابق ، ص ٥٥

العقيدة هو الالتزام بما أنزل الله ،وما أنزل الله يشمل الحياة كلها بجميع جوانبها وأن سلوك الشيخ واضح ،وثابت فهو ينطلق من أنه إذا كان متفقا مع الشريعة السمحة فهو مقبول ويقوم به ، وما كان غير متفق مع مبادئ الشريعة فهو مرفوض فالشيخ ملتزم لا يسلك سلوكا عشوائيا غير موزون ، بل يضع كل فعل وموقف في ميزان الأعمال أمام أحكام الشريعة قبل أن يقدم عليه لالا، فإن وجد عملا متطابقا مع مرضاة الله متسقا مع منهج الحق والخير أجاز لنفسه الإقدام عليه ، والشروع في تنفيذه والإتيان به وإذا وجده غير متطابق مع أحكام العقيدة الإسلامية تركه وابتعد عنه وهذا يدل على الإرادة القوية التي يمتلكها الشيخ ، القادرة على الاختيار والمتمكنة[1] من القبول، والرفض وفق مقياس الإسلام وأحكامه الواضحة ، فهو شخص ملتزم بمنهج الله ،يتمثل أحكام الاسلام وآدابه في جميع سلوكه ، والشيخ يتحلى بالإيمان الصادق بدليل ظهور آثاره الواضحة في المعاملة والسلوك ، إذ أنه بمجرد تحقق هذا الإيمان في عالم اللاشعور يتحرك ليحقق مدلوله في الخارج ويترجمه إلى سلوك في عالم الواقع وهذا ما نراه في سلوك الشيخ الرفيع الملفت للنظر[2].

والشيخ يتمثل العقيدة ويتشربها ويخضع سلوكه لمقاييس وقيم وموازين ثابتة لديه بحث تأتي كلها وفق الخط الإسلامي الواضح تماما كما ينسحب هذا الالتزام على ممارسته اليومية للعبادات والأخلاق والعلاقات الفردية المتعددة ويحول هذا التمثل إلى واقع عملي في الحياة والتعامل بين الآخرين تأسيا بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين تحولوا إلى نماذج فريدة سلوكا وإخلاصا وطهرا وهذا الالتزام يفرز دوما وحدة سلوكية وفكرية وعاطفية متماسكة في شخصية الشيخ[3].

---

[1] الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية –تربوية ص٥٦.

[2] الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية ص ٥٨.

[3] المصدر نفسه ص ٥٨.

منابع الإبداع عند الشيخ :الإعانة الإلهية :القدرات الإبداعية التي يمتلكها الشيخ الصوافي مرتبطة بمنهج الله سبحانه وتعالى ، مستمدة من القرآن الكريم ، والسنة الشريفة ، وآثار السلف وهي مستمدة من عقيدة ربانية تحث على التفكر والنظر والتأمل وتستمد تصوراتها من الحياة والكون والإنسان ويرى من خلال هذه التصورات عظيم صنع الله ولا يقرأ منها إلا صفات المكون ، وربت هذه العقيدة لدى الشيخ محبة إلهية عارمة وحققت الأمن والسكينة والطمأنينة والسعادة الروحية الصادقة والذوق القلبي الذي يكرم الله به عباده ، فهو حريص كل الحرص على إرضاء ربه وإن التوفيق الإلهي في بناء أي شخصية تقتضي سلوكيات عباد الرحمان قال عز وجل ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾ [1] وصور هذا الإبداع ليس مدا وجزرا في بعض صور الأحداث اليومية التي تمر على الشيخ إنما هي إطار لهذه الصور الذي يحوي مزيجا من الإشراق الإلهي العظيم ، والنشاط الاستثنائي اليومي ، والأسبوعي الذي يتحلى به الشيخ وهو يمثل حالة من الصفاء أكرمه الله بها ، وطهور قلبه ونفسه من عكر الأهواء ، والعصبيات والسعي إلى المغانم الدنيوية وهو توفيق إلهي ميزه الله به وهذا التوفيق الإلهي أدى إلى سلوكيات يقوم بها الشيخ نابعة من التوفيق وتنسجم مع القيم التي تنادي بها [2]، هذه العقيدة السمحة .

فالشيخ حمود بن حميد الصوافي مدرسة نفسية ومدرسة تربوية ، وهي نموذج واقعي من المدرسة الروحية الإباضية:

رغم أن دراسة المذهب الإباضي جاءت متأخرة عن المذاهب الأخرى ، والمدرسة الإباضية التربوية الروحية ظاهرة بقوة في شخص الشيخ حمود الصوافي ، لأن مدرسة الشيخ قائمة على جانب التربية والتزكية مع الاهتمام بدراسة العقائد ، أي تهيئة الطالب أخلاقيا ودينيا لتلقي العلوم .

[1] سورة الفرقان الآية ٦٣.

[2] الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية –تربوية ص١٣٤

بدءا من صلاة الفجر إلى الليل

قبل صلاة الفجر للاستعداد للصلاة

حلقة قرآن أو حلقتين حسب العدد إلى طلوع الشمس

تعليم تطبيقي لقواعد التجويد

بعض الأسئلة في الجانب النحوي ومعنى الآية[1]

وإذا ما التفتنا إلى الشيخ حمود مع القرآن الكريم فإننا نجدة يكثر من قراءة القرآن في حله وترحاله في كل مكان وعلى أي حال في المسجد في الطريق في صلاته في الفرائض والنوافل يقوم به الليل ويتلوه في صلواته يجتهد به في شهر رمضان يختمه في صلاة التراويح وفي صلاة الفجر وصلاة السحر[2].

وعلم التربية في المفهوم الإسلامي يشتمل على كل العلوم والمكتسبات الفكريه والسلوكية المؤدية إلى الفضيلة، أما إذا لم تؤدي التربيه إلى الفضيلة ، ولم تثمر جهود المربين هذه الثمرة كان ذلك دليلا على انحراف التربيه عن هدفها الإسلامي الصحيح،

وأي مجتمع اشتهر بالفضيلة والخلق الرفيع كان التعليم الديني والتربية الخلقية وترسيخ معالم العقيدة الإسلامية ،هو المبعث الرئيسي لذلك ،والمجتمع العماني مجتمع متدين بطبعه فالدين سجيته وفطرته والفضيلة والسمعة الطيبة توارثتها الاجيال كابرا عن كابر بسبب انتشار المدارس الدينية في معظم ولايات السلطنة التي ظلت مستمرة طوال فترات التاريخ تنقل العلوم الشرعية منذ مبعث الرسالة المحمدية على صاحبها أفضل الصلات والسلام إلى وقتنا هذا

[1] في حوار مع الشيخ إبراهيم الغماري أحد تلاميذ الشيخ الصوافي

[2] سالم بن مسعود بن سليم الصوافي ، إمام العلم والعمل ، الشيخ الرضي حمود بن حميد الصوافي سيرة حياة ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص٣٣

ومفهوم العبادة ليس محصورا في تأدية الشعائر التعبدية بل يشمل كذلك حركات الانسان وسكناته في حياته الدنيوية ، والنية الصالحة هي المعيار الدقيق لتحديد ما بين العبادة والعادة وحياه الشيخ من حركات وسكنات كلها عباده صالحة روحانية المظهر ربانية الفكر قرآنية النزعة .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : الشيخ أحمد بن حمد الخليلي العالم الرباني

ومنهج الشيخ في حياته هو المنهج القرآني الذي يربط العقيدة بالسلوك والقرآن يخاطب الحس والعقل والوجدان فهو إباضي والإباضية يسلكون مسلك القرآن الذي يجمع بين الجانب الروحي الإيماني السلوكي مع الجانب العملي ، ومن مميزات شخصيته وتنظيمه لحياته .

اهتمامه بالوقت تنظيم وقته صباحا، الكتابة ثم الانضباط للذهاب إلى العمل وعن تقسيمه للوقت فبعد صلاة العصر خصص وقتا لاستقبال الناس وسماع انشغالاتهم وهناك فقط من يأتون لزيارته فقط ويظهر اهتمام الشيخ بصحته من خلال ممارسة الرياضة ، حيث يدخل الشيخ أحمد الخليلي إلى المسجد لصلاة المغرب ولا يخرج منه إلا بعد صلاة العشاء ، وبعد صلاة العشاء هناك وقت مخصص للعائلة واهتمامه بكل فرد من أفرادها ، فهو حريص جدا على رؤية أولاده وأحفاده ومعرفة أخبارهم وانشغالاتهم فالشيخ منظم في أوقاته مرتب في برامجه حيث يضع الشيخ جدول مرتب يوميا ومن مميزات شخصيته استلطافه للأطفال، والوفاء بالوعد ، و بالنسبة للوقت حيث أنه يذهب للموعد قبل الوقت، وتتضح بعض المعالم لشخصية الشيخ أحمد الخليلي كالبساطة والتواضع والزهد في الدنيا في المأكل والملبس والكرم والإيثار والمعاملة الحسنة لكل الناس سواء فلا يفرق بين ضعيف وقوي ولا بين فقير وغني ولا بين شيخ عالم وطالب علم ولا بين مالك ومملوك فالكل يعاملهم بحسن أخلاقه التي استقاها من اخلاق النبي ﷺ وهي أخلاق القرآن [1].

ومن كرامات الشيخ أنه عندما كان طفلا صغير ا لم يبلغ السنة من عمره وكانت سنوات الجوع وصعوبة المعيشة آنذاك ، فكانت والدته تطعمه من اليقطين وكان هو لا يستسيغ

[1] لقاء مع الأستاذة أميرة الهنائي في قسم الإرشاد النسوي ، وزارة الأوقاف

طعمه وكان يدفعه بلسانه ، فلما كبر سأل والدته قائلا : لماذا كنت تطعمينني اليقطين وأنا لا أحبه، يعني أنه يذكر ذلك الوقت علما أن والدته لم تخبره بذلك ولم يتجاوز السنة من عمره [١].

ومن بين الشخصيات التي هيأتها القدرة الإلهية وصنعتها التربية الربانية وأبرزتها في أوانها ومكانها الشيخ أحمد بن حمد الخليلي [٢]:

ولد الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان بن ناصر بن سالمين بن حميد الخليلي الخروصي صباح الثاني عشر من رجب ١٣٦١هـ-/١٩٤٢م بجزيرة زنجبار بإفريقية ٨٧.الشرقية التي كانت خاضعة لحكم عمان وقتئذ فانتقل إليها والده بتاريخ ١٠ ربيع الأول ١٣٤١هـ وأصله من محلة الخضراء بولاية بهلاء في داخلية عمان[٣].

ولد الشيخ ونشأ في كنف أبوين صالحين كانا يرعيانه بحنانهما رغم الصعوبة والشدة التي كانا يعانيانها في ذلك الوقت وفي ذلك الوقت حيث كان والد الشيخ يعتني بالتجارة وقد خصص لها قسما من بيته وكانت البضاعة تأتي من العاصمة كما كانت لديهم بعض المواشي التي يعنون بتربيتها ومنذ نعومة أظافره كان الشيخ الخليلي يشارك في مساعدة والديه مهما لقيا في ذلك من الشدة والمتاعب فكان يساعد والده في أمور التجارة والرعي كما كان يشارك معه في ممارسة أعمال الزراعة وقد استمرت حياة الشيخ في زنجبار [٤]

[١] لقاء مع بنت سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي .

[٢] سيد أزهر حسين الندوي سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي وجهوده الفكرية ، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م،ص ٣٢

[٣] المصدر نفسه ٨٨.

[٤] المصدر نفسه ص ٩١.

في ظل الأوضاع السياسية المزرية و الانقلابات وقد واجه العمانيون كثيرا من الويلات والمعاناة في هذا الانقلاب العسكري ولم تسلم أسرة الشيخ الخليلي أيضا من لفحات هذه الثورة اللهيبة فقد أودع والده السجن ...وبعد خروج والد الشيخ من السجن عزموا على الرحيل إلى عمان وكان خروجهم من زنجبار في أواخر جمادى الأولى من عام ١٣٨٤هـ-وقد ذكر الشيخ ما دفعهم إلى الرحيل قائلا :" شاء الله تعالى – والله يفعل ما يشاء – أن[١]، أطل على هذا الوجود وأن أخرج إلى الحياة في مدينة زنجبار في الشرق الإفريقي وأن تكتحل عيناي بالنور في بقعة منها هي (المكاديني) وهكذا قدر لي الله أن أقضي أيام الصبا وجزءا من الشباب في ربوع زنجبار وتحت ظلالها الوارفة الجميلة ولكن الأيام لم تستمر على حال وسبحانه مغير الأحوال وشاء القدر أن يحدث ما حدث عام ١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م ودار الفلك دورته فانقلب المجن على ظهره وحل النقص محل التمام فتحولت الجنة الخضراء إلى جحيم حمراء والمدينة الحالمة الوادعة إلى مكان مضطرب مزعج حتى أصبح النسيم العليل كأنه صفارات إنذار فخرجنا من هناك ميممين عمان تخت العروبة وحمى الإسلام أرض الآباء والأجداد فكان البديل ولله الحمد والشكر – خيرا والخير فيما اختاره الله [٢].

صفاته وأخلاقه :تتميز شخصية الشيخ بعدة صفات خلقية نبيلة مع سعة الأفق وذكاء وقاد وألمعية فذة وقدرات عقلية فائقة واتجاهات نفسية معتدلة وانفعالات هادئة ومما يلمسه الناظر في ممارساته الفردية والاجتماعية والعلمية والإصلاحية خلال كتبه ومحاضراته ولقاءاته ومشاهداته صفاء سريرته ونقاء ضميره وطويته المتسامحة وحدبه على الآخرين بل وحبه للناس أجمعين وإقباله عليهم بالخير كأنه أب رؤوم حنون يخاف على أبنائه من الوقوع في النفاق واجتنابه عن الإيذاء .

[١] سيد أزهر حسين الندوي سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي وجهوده الفكرية ص ٩٢.

[٢] المصدر نفسه ص ٩٣.

تدينه العميق وشدة ورعه :ونعني بتدينه الشديد هنا حبه العميق لدين الإسلام وتمسكه بمبادئه وباعه الطويل في دراسة شريعته دراسة وافية ، ثم انتظام سلوكه وفقا لمبادئ الشريعة ودفاعه عنها بدحر أعدائها في الداخل والخارج ممن يكيد لها سرا وجهرا فالدين عنده ليس مجرد مبادئ تقرأ وسور تتلى وآيات تحفظ ومظاهر تبدوا أمام الناس بل الدين عنده ممارسة عملية وعلمية وحياة معيشة وتعامل يومي مع أفراد المجتمع تبعا لمبادئه ووفقا لشرائعه وزد إلى ص ٩٥، ذلك الرفق بالفقراء والعطف على الضعفاء والأخذ بيد المحتاجين والإحساس بحاجاتهم والسهر على مصالحهم وفك كربهم .

ومن ملامح ورعه وتقواه ما تحكيه والدته عنه في يوم وفاة جده لأمه حين كان الشيخ الخليلي ابن ثلاث سنوات وستة أشهر أخذ يناديها أمي تعالى ، إني أريدك فأجابته : تعال إلي فقال : لا أستطيع هناك نساء كيف أدخل بينهن ومن ذلك زيارته لبلدة العارض فزار هناك قبر الزاهد أبي سعيد الكدمي ورأى ما رأى حول القبر من النذور وقرب القبر كانت شجرة عليها الكثير من الثياب البالية وعندما سألهم عن ذلك أخبروه أن المرأة إذا ولد لها مولودا معافى وقد نجت من مخاطر الولادة تذبح شاة على القبر فنهاهم عن ذلك وبين لهم حرمته وأمرهم بقطع الشجرة وإزالة جميع الأذى من القاذورات وبقايا الطعام من على ظهر القبر وقال : احترموا هذا العالم الجليل في قبره كما كان يحترمه معاصروه في حياته.[1]

فالشيخ الخليلي قد وهب حياته للإسلام فله يحي وفيه يعيش ويريد أن يكون الإسلام في الناس في مأكلهم ومشربهم وملبسهم ومسكنهم ومظهرهم فيحث الناس على ذلك ويقول : فجدير بكل أحد أن يحرص بأن يربي أفلاذ كبده في بيوت الله سبحانه وتعالى من أجل دراسة كتاب الله ومن أجل تلقي المعارف الربانية بين جنباتها ومن أجل التكيف

[1] سيد أزهر حسين الندوي سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي وجهوده الفكرية مصدر سابق ص٩٦.

وفق مقتضيات هذا الدين الحنيف من خلا الانتظام في صلوات الجماعات حيث يشاهدون ليل نهار صفوف عباد الله تمثل بين يديه خاضعة خاشعة ولغرس العادات الحميدة والقيم النبيلة والأخلاق الفاضلة في النشء الجديد [1].

ودليل آخر على هذه السمة أنه يلتزم بقيام الليل في الحضر والسفر ، فيقوم في آخر الليل ويناجي ربه وشكوا بثه وحزنه إليه ويتزود بنشاط روحي جديد وإشراق قلبي جديد وغذاء فكري جديد ويستمتع من النفحات السحرية ويعتقد أنها رأس ماله ورأس مال كل عالم مفكر لا يستغني عنها أكبر عالم أو زاهد ، وأما بعد صلاة العصر لكل يوم جمعة فهو يتفرغ للتلاوة والذكر والدعاء في المسجد حتى آذان المغرب التماسا للساعة المباركة من يوم الجمعة[2]

ويقوم بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحل والترحال ولا يخشى في الله لومة لائم وقد كتب الصحفي علي محمد المهدي في مجلة " مواقف " عن الشيخ الخليلي أنه :" عالم رباني زاهد في الدنيا ولا يهتم إلا بأمور الإسلام ومصلحة المسلمين داره مفتوحة لكل ذي حاجة ولكل من لديه مشكلة ،وقد رأيت ذلك بنفسي حينما مكثت في مجلسه مدة تزيد على ثلاث ساعات يستقبل هذا بابتسامة المؤمن الوديع ويودع هذا بوجه بشوش خال من التصنع والتكلف ويعامل الآخرين بقلب مفتوح ينبض بالإيمان وطاعة الرحمان وشغفا لقضاء حوائج الناس .

هذه الصفة تعد من أبرز سمة شخصيته وهي التي يلتمسها كل من يلتقي به ويستمع إليه ويجلس عنده وما أعظم بها صفة .

ومن أقوال الشيخ أحمد الخليلي عن الإخلاص والتجرد عن الأهواء :

---

[1] المصدر نفسه ص ٩٧.

[2] سيد أزهر حسين الندوي سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي وجهوده الفكرية ٩٧.

الإخلاص هو أساس وركيزة كل عمل في الإسلام ولا يتم إلا بتوافر النية الصادقة وتجريدها لله تعالى وتخليصها من الشوائب والرغبات الذاتية والدنيوية لذا فإن أي انحراف عن هذا الجانب يلازمه ميل الهوى كما يلازمه القصور في النظر والبعد عن الصواب وقد أشار إلى ذلك الشيخ الخليلي بنفسه قائلا : هو أن يجعل الشيء خالصا لمن يعمله له فالإخلاص لله سبحانه وتعالى ألا تشوب نية الإنسان في العمل الذي يتقرب به إلى الله شائبة من حب الدنيا أو حب المحمدة بين الناس أو الرغبة في التوصل إلى أي شيء [1] يرغب فيه ما عدا رضا الله تبارك وتعالى " ونبه في موضع آخر " إن الإخلاص هو روح العبادات والعمل ولئن كانت الجثث بدون أرواحها تكون هامدة متعفنة فاسدة فإن العمل إن تجرد من الإخلاص كان نتنا قذرا بل كان أشد نتنا وأقبح مظهرا من الجثة التي تفقد الروح ذلك لأن قيمة العمل إخلاصه " وقد صدق من قال " لقد ضل من زعم أن العلماء يتفاضلون بقوة العلم وكثرة المعلومات وزيادة الذكاء وأن الشعراء يتفاضلون بقوة الشاعرية وحسن اختيار اللفظ ودقة المعاني وأن المؤلفين يتفاضلون بسعة الدراسة والمطالعة وكثرة التأليف والإنتاج وأن المعلمين يتفاضلون بحسن الإلقاء والمحاضرة واستحضار المادة الدراسة وكثرة المراجع وأن المصلحين والزعماء يتفاضلون بالبراعة في الخطابة وأساليب السياسة والحكمة واللباقة ، إنما يتفاضل الجميع بقوة الإخلاص لغايتهم إذ فاق أحدهم الآخر فإنما يفوقه لأن الإخلاص هو قوام كل عمل .

{في حواري مع الشيخ كنت اوجه له تساؤلات عن أفكار مختلفة فإذا به يجيب قبل أن أكمل السؤال .

وتجدر الإشارة إلى أن أهم صفات الروح الخفاء ، وأمرها يعود إلى الله سبحانه وتعالى ولذلك سمي الله عز وجل جبريل روحا **قَالَ تَعَالَى:** ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [2]، وعليه

[1] المصدر نفسه ص ٩٨.

[2] سورة الشعراء الآية ١٩٣.

فإن حياة الشيخ الروحية بالغة الخفاء تتطلب يقظة من يصاحبه لاقتناص بعض الشواهد الإيمانية التي ينفح عبيرها ويفوح شذاها في محيطه ، فهو شديد التكتم ، عظيم الحرص على ألا تطلع حشاياه على تراتيل قلبه ، ولا تعلمه شماله بتسابيح يمينه ، ولا تسمع أذناه أذكار لسانه حياء من ذي الملك والملكوت ، والفضل والرحموت ، وخوفا من ذي العزة والجبروت أن يرد إليه عمله لشيء من قوادح الإخلاص الخفية فيه ، فها هو في مقدمة محاضرته عن الإخلاص يقول " إنني وجلال الله لأجدني أقلكم أهلية في الحديث عن هذا الموضوع " ، وإنك لتراه يتضاءل ويتضاءل أمام نفسه مع ما أتاه الله من الملكات ، وما حباه به من القدرات ، وما هي إلا سمة المؤمنين [1].

شيخ الزهاد والناسكين [2]، احمد الخليلي هو ذلك الرجل التقي الزكي ، الأواه المخبت المنيب ، الذي يهز كيانه ويذيب فؤاده ويفتت اكباده خوفه من ربه ، وخشيته من أليم عذابه ،وهو ذلك الرجل العلامة الفقيه ، الورع ، النزيه ، والمتحدث الفصيح ، المتفنن في أساليب الكلام ، وهو ذلك الرجل الذي لم يخف في حياته أحدا من البشر قط ولم تعبر جنانه خلجة من فزع ، أو خاطرة رغبة أو ميل إلى حطام زائل أو طمع ، رجل لا يعرف أنصاف الحلول ولا يهادن الزائفين ، ولا تنحني هامته لغير الله ذي القوة المتين ، وهو ذلك الرجل الذي يتحرك بكليته وفق قناعاته الفكرية وأساساته الإيمانية ، لا وفق هواه أو إملاءات محيطه [3].

أحمد الخليلي هو ذلك الرجل المرهف في أحاسيسه ، الحساس في مشاعره ظاهره كباطنه ، لم يعرف في حياته غلا ولا حسدا ، وإن تكالب عليه الحساد ولا مر بقلبه طيف من الأحقاد بل يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة ، ولا يغضب إلا لربه ، وإذا غضب فهو الحليم المغضب ، رجل صقله الإيمان فتواضع لعباد الرحمان ، فليس ثمة شيء يميز

[1] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ط١ مسقط ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٧م ، ج٢ص ١٣

[2] المصدر نفسه ص ١٤.

[3] المصدر نفسه ص١٦.

النفوس العظيمة ، ويرفع شأنها ويعلي قدرها مثل التزامها منهج التواضع ونأيها عن الغرور ، دنو في علو وتواضع في سمو ولئن حاول الغرور أن يحكم حصاره على حصون الرجل فلن تجد ثغرة يستطيع النفاذ منها ،والتسلل إلى قلب أحاط به سياج متين من الإيمان[1]، واليقين ، والمدد المتدارك من رب العالمين ، فهذا الرجل الزاهد العابد الرباني الذي تفتحت ببركة جهوده أزاهير الصحوة الإسلامية في عمان وأصبح صاحب لبقول الفصل بين العلماء ، وها هو ينظر فيرى التفات الناس حوله ينزلون عند رغبته وينتهون عند قوله ، ولا يأبهون بفتوى بعد فتواه ، مع هذا كله وغيره لم يجد الغرور إلى نفسه سبيلا ، ولو بمجرد خلجات نفسانية ، ولم يعرف حب الظهور إليه دليلا ولو بمجرد بارقة وجدانية ، إن مثل هذه النفس الربانية ، الطاهرة الزكية العزوفة عن زخارف الحياة .

الشكر : ولا يرى فيما قدمه لربه ويقدمه سوى جهد المقل العاجز المعترف بتقصيره ، ويرى كل ذلك نعما من الله تعالى توجب عليه الشكر اللائق بذي الجلال والإكرام يقول المؤمنين يحرص على أن يكون موصولا بربه سبحانه وتعالى ، في كل حال من الأحوال فعندما يشاهد نعماء يبسط يديه لشكر الله عز وجل الذي أنعم بها.

اليقين :ثم إنه ولا ريب يعلم أن وراء كل سبب مسببا فالله سبحانه وتعالى مسبب الأسباب وهو الذي يأذن لهذه الأسباب أن تصل إلى مسبباتها وهو يعلم علم اليقين بأن أحدا من البشر لا يستطيع أن يشكر الله سبحانه حق شكره مهما كان ناسكا عابدا مجاهدا أواها منيبا ، كما يعلم أن شكره لربه هو نعمة أخرى تستوجب شكرا جديدا ويقول الشيخ : إن المؤمن يعلم علم اليقين أن كل سراء مسته ، أو منفعة تيسرت له ، ماهي إلا فيض من نعم الله الواسعة ، التي يعجز عن حصرها ، وينوء بشكرها [2].

[1] من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص ١٧.

[2] المصدر نفسه ص١٩.

التقوى :الشيخ الخليلي والحياة الدنيا :يقول الشيخ أحمد الخليلي ك على الإنسان أن يكون مستبصرا جدا في الحياة الدنيا آخذا بحجزة تقوى الله تبارك وتعالى ، وأن لا يعبر خضمها إلا على سفينة من التقوى التي تبلغه القصد ، فإنه خضم رهيب متلاطم الأمواج ، متعاظم الأعاصير ، فالإنسان تتنازعه في هذه الحياة الدنيا أمور شتى فهو واقع بين شهواته المتنوعة ، ونزعاته المتعددة ، ونزواته المختلفة ، وكل منها –والعياذ بالله – يجره إلى الردى إن لم يكن مستبصرا آخذا من تقوى الله تبارك وتعالى بالعروة الوثقى ".

الزهد :هذا منطق رجل لو شاء أن يظفر بأوسع القصور وأعلاها وأفخم المراكب وأسناها وألذ المطاعم وأشهاها ، وأنعم الملابس وبهاها ، والنعيم الواسع في شتى صوره وأشكاله لظفر بذلك كله ولكنه آثر لنفسه عيشه الكفاف ، واختار لها شظف العيش ، وإن تعجب من منهجيته متعجب من كشف له النقاب بقوله :

وخيمة خوص أو ظليلة راكة كثير على حي يموت فيقبر [1].

"كيف يلقى ربه غدا " حتى أصبح هذا السؤال هو الشرارة التي تتكهرب بها كل خلاياه وذرات كيانه بل هو البوصلة التي تتحرك باتجاهها كل أفكاره وأحاسيسه ومشاعره ، وسفينة التقوى هي الملاذ والملجأ والمنجى ، ، فسمته التقوى والصفا ء والنقاء و البر ، فعزف عن الحياة الدنيا عزوف العارفين لحقيقتها وطلقها بالثلاث طلاقا باتا ، فلم تستطع بكل ألوانها الزاهية ، ومناظرها الخلابة ، أن تحظى منه بالتفاتة واحدة ، وهي تتراقص منه ذات اليمين وذات الشمال ، ولكن كان حداؤه دوما " دعيني منك يا دنيا دعيني " .

[1] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ، ص٢٠

لقد سكن في بيت صغير مستأجر سنين عديدة وكان فيه غاية في السعادة لاقترابه في معيشته من حياة العامة على الرغم من منصبه الكبير ، وتجده قد قامت قيامته حين تهدى إليه هدية من ذوي الشأن .ص٢١.

الشيخ أحمد الخليلي والقرآن

الشيخ والعبادة : والأنس :كل أفعال المسلم عبادة ، خضوعه واستسلامه لأمر مولاه عبادة ، رضاه بقضائه وقدره عبادة ، تبتله وتضرعه عبادة كل ذلك وما جرى مجراه انعقدت بينه وبين سماحته الألفة وأية أفة حتى أضحى نضوا طلحا من العبادة والسهر ، وهو متصوف من غير تصوف ، ألح على العبادة في شتى تجلياتها ، فما استثقل ولا استطول ، ولا مل ولا كل ، وكيف يمل مصدر أنسه وريحانة فؤاده ، حين يؤم الحرمين للعمرة في رمضان يهجر مضجعه ليخلوا بمناجاة خالقه سبحانه ، يسري إلى الحرم فلا تراه إلا عمودا في محرابه ، يروي ولده سليمان قائلا : لحقت بأبي في الحرم فوجدته واقفا يصلي فصليت عشرين ركعة ، وأبي ما يزال في وقفته لم يتحرك ، فتركته على حالته وقفلت راجعا ، لا ريب إنه مع القرآن ، وبينه وبين القرآن عهد وميثاق ، تمازج أرواح وتحليق في عوالم الغيب ،فهو في رحلة وتجوال ينسى نفسه فضلا العالم من حوله ، وأصعب ما يكون عليه أن يفارق ذلك الأنس العجيب ، وأشق ما يكون على نفسه أن ينتهي إلى قوله " السلام عليكم " إنه في رحلة كونية ، وانسجام مع تسابيح الكون وتراتيله ، فهناك راحته وسعادته وفراغ همه ، وألم يقل المصطفى ص أرحنا بها يا بلال ؟ ألم تخبر عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بأنه إذا حضرت الصلاة كأنه لا يعرفنا ولا نعرفه ؟ وها هو الشيخ يتحدث عن هذه اللحظات بقوله قد يكون العبد في إقباله على ربه ، وهو يؤدي عبادة من عباداته قد امتلكته نشوة الذكر ، حتى يكون غارقا في شهوده ، ذاهلا عن كل شيء حتى عن ملاحظة وجوده ، فيعرج عن الملك والملكوت إلى من بيده الملك والملكوت فلا يلبث أن يكون كأنما يشاهد بأم عينيه في الحضرة القدسية يد

الله تصرف الوجود إيجادا وإعداما ، وإحياءا وإماتة ، ورفعا وخفضا ، وبسطا ومنعا ولطفا وشدة وتوفيقا وخذلان ، فلا يكون منه أمام هذه المشاهد إلا أن تعنوا نفسه لقيومها ، فيسلم لله تعالى جسمه وروحه وعقله وقلبه وفكره ووجدانه ، وسره وعلنه.

ومن هنا استنكر الشيخ على أولئك الذين شكوا إليه تطويل الإمام في صلاة التراويح بمسجد السلطان قابوس بروي ، وتملكه العجب كيف يعيش هؤلاء ؟ لقد عادت إليه صورة المشايخ في زمن الإمام الخليلي وهم يتكئون على عصيهم وما شكوا طول الصلاة عجبا لهؤلاء كل العجب السر يكمن هنا في اقتفاء مسلك العباد الزهاد ، فالحلقات متصلة بأولئك الذين وصفهم أبو حمزة الشاري بقوله : أنضاء عبادة وأطلاح سهر ، قد أكلت الأرض ركبهم وأيديهم وأنوفهم من كثرة السجود، مصفرة ألوانهم وأنوفهم من كثرة السجود، ناحلة أجسامهم من كثرة الصيام وكول القيام .

ولا غرابة أن نرى هذا النحول في شخص الشيخ أحمد الخليلي فقد تخرج من مدرسة محمد صلى الله عليه وسلم الذي تورمت قدماه من طول القيام [1].

وحمل سمات أبطال مدرسته من الصحابة الكرام .

فعادته سماحته في كل رمضان حين يكون في عمان أن يخرج من الصباح إلى المسجد فيبقى هناك حتى صلاة الظهر ثم يعود لصلاة العصر ويبقى إلى صلاة المغرب ثم يعود إليه لصلاة القيام ، وكان من عادته أن يسافر إلى العمرة بعد مضي خمسة أيام من رمضان ليعود في العشر الأواخر منه أتراه يمل من جني اللطائف الرحمانية ؟أو يكل من اقتباس النفحات النورانية ؟، وهو منها وإليها .

[1] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص ٢٥.

ولقد نابته نائبة من صروف الدهر ذات يوم فأهمته وأقلقته فهرع إلى مصدر أنسه وينبوع راحته ومخلص همومه ، فلما اعتكر الدجى ، ونام الخليون ، مد يدي الضراعة مستكينا خاضعا لمولاه ومصرف الوجود بأسره ، اللهم اكفني ما أهمني ، ورتل في ضراعته تلك قوله سبحانه وتعالى ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾﴾ [1] ، ثلاثة آلاف مرة ، ويأتيه المدد الإلهي وهو ما يزال مع تراتيله ، فتأخذه سنة من النوم يرى فيها نفسه محاطا بسياج متين مبني من قوله تعالى { فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم } وتنقشع الهموم وتتحقق المآرب بما لم يكن في الحسبان ، إنه حفظه الله ممن يرجون لله وقارا ويتضرعون له ليلا ونهارا ويتبتلون له إجلالا وإكبارا ، حتى غدا التسبيح والاستغفار والتبتل غذاء روحه ومادة تفكيره[2].

وعن مفهوم التزكية عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي يقول : إن التزكية تعود إلى ما سماه الله تعالى " القلب " فبقدر ما يكون عليه هذا القلب من السلامة والإنابة إلى الله تعالى تكون سلامة الإنسان ، وبقدر ما يكون عليه هذا القلب من التكدر والانحراف يكون الأمر بعكس ذلك ولذلك جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم" ألا وإن في القلب مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " لذلك نجد في كتاب الله سبحانه وتعالى أن الفوز والسلامة والنجاح لمن كان ذا قلب سليم ، فالله سبحانه وتعالى يقول :{ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم } الشعراء ٨٨.

فالقلب هو أساس السلامة أو الخطر فبقدر ما يكون هذا القلب صافيا نقيا تكون السلامة بمشيئة الله لأن القلب هو ملاك الإنسان ، فالجسد يتفاعل مع القلب ويتأثر به

[1] سورة البقرة الآية ١٣٧.

[2] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق.ص٢٦.

، والجوارح بمثابة الرعايا للقلب ، فهي لا تجد مناصا عن الاستجابة لأمره والإذعان له ص ٤٠.

فصلاح القلب هو الذي يؤدي إلى انضباط الإنسان في سلوكه ومعاملاته

يقول الكاتب أن أقرب المعاني إلى مصطلح الروحية مصطلح الإيمانية " التي تجعل الإنسان ذا ملكة إيمانية شفافة مرهفة ، تتجلى في قسمات وجهة أنوارها ، وتهيمن على جوارحه سكينتها و وقارها، دمث الأخلاق ،سهل العريكة ، يألف ويؤلف يعيش مع الناس حياته الفانية ، بنفس تتطلع إلى الدار الباقية ، وروح معلقة بالملكوت الأعلى ، فإذا ذكر الله تعالى وجل قلبه واقشعر جلده وخشع بصره واستسلمت جوارحه ، فسبح بحمد ربه ، فتغشاه لطائف السكينة والاطمئنان والأمان [١].

ويستخدم الشيخ أحمد الخليلي مصطلح" التزكية "أو " تزكية النفس " وقد يعني به التطهر من المعاصي ، وتنمية جوانب الخير يقول : " التزكية التطهير والتزكية التنمية ، تطهير النفس من الرذائل ، وتنمية الأخلاق والفضائل والتطهير تخلية والتنمية تحلية " .

ويقول ايضا :" التزكية لها معنيان من حيث الاستعمال اللغوي فهي تستعمل بمعنى الطهارة وتستعمل أيضا بمعنى التنمية ، ومن ذلك " زكا الزرع " بمعنى : نما ، فتزكية النفس إنما هي بتطهيرها من آثار معاصي الله سبحانه وتعالى ، وبتنمية خصال الخير فيها من خلال ممارسة الإنسان لأنواع الفضائل ، وابتعاده عن صنوف الرذائل ، حتى تكون هذه النفس منقادة في سبيل الحق " [٢]قد يتعامى الإنسان عن قصد السبيل لما تتجاذبه من طبائع نفسه ، ويتقاضاه من مطالب الحياة ، فهو واقع بين العواطف الملتهبة والغرائز

[١] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص٥٧.
[٢] المصدر نفسه ص ٥٩.

الجارفة ، والمطالب المختلفة ، والدوافع المتنوعة ، فلا عجب إذا أنساه ذلك ما يجب عليه تجاه خالقه وتجاه الخلق[1].

فإذا أولى عنايته بالنفس وأحاطها برعايته ولم يبخسها ما لها من حقوق فإن التربية الروحية تغمر النفس بهبات من جملتها :

١ تعميق الصلة بالله وتوثيق عرى محبته في النفس فيفوز بالهداية إلى صالح القول والعمل ، يقول سبحانه وتعالى :{ محمد ١٧} وهي التي يشير إليها الشيخ بهداية التوفيق وهي خاصة بعباد الله المؤمنين .

٢ تجعل النفس محلا لإشراق أنوار الحق ، وفيوض العرفان ، يقول الشيخ : على الإنسان أن يزكي نفسه تزكية يجعلها محلا لإشراق أنوار الحق عليها ظن فالله سبحانه وتعالى يقول قَالَ تَعَالَى:﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾﴾ [2].
إشباع غريزة الإنسان ونزعته إلى حب التدين ، فيشعر بالاطمئنان والراحة و الراحة النفسية وما حوادث الانتحار وسفك دماء الأبرياء ، وأمراض ص٦٣، القلق والاكتئاب والاضطرابات النفسية الشائعة في هذا العصر إلا انعكاس واضح جلي يكشف عن مدى البعد عن الروحانيات والدين الحق .ويقول : ما أعظم هذا الأنس العظيم الذي يشعر به العبد في صلته بالله سبحانه وتعالى وفي علاقته بالكون عندما يملأ الإيمان جوانبه "[3]

وينقل لنا الشيخ أحمد الخليلي التصور الصحيح للحياة الدنيا فيقول : الدنيا مزرعة الآخرة كل ما فيها إل ذهاب ، بهارج وزخارف، لا تسمن ولا تغني من جوع لمن لم يخلص وجهته لله ، الدنيا ...الدنيا كاسمها دنو وانخفاض م المراتب العليا ، تلك التي تكون في الدار الآخرة يقول سماحته "وقد ضرب الله الأمثال الكثيرة التي تبين حقارة هذه

[1] من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص٦١.
[2] سورة الشمس الآية ٩،١٠.
[3] من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص٦٤.

الدنيا وهوانها ن فإن الله تعالى سماها متاع الغرور[1] ويقول تعالى ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾[2].

تتميز شخصية الشيخ أحمد الخليلي بسمات جلها ظاهر لمن حوله ، فالزهد والورع والتقوى عرف بها الشيخ من خلال معاشرة الناس له ، كما أن له من علم الأسرار ما لم يمكنه إخفائه فقد كانت له رياضات ومجاهدات حيث يذكر المقربون منه أنه دخل في الأربعينية وقد سبق ذكرها ، كما أن له كرامات لكنها مسكوت عنها لان الشيخ لا يبوح بأي شيء إلا ما يحصل أمام الناس دون قصد منه ، فيروى أنه سافر يوما إلى زنجبار فبينما هم في المسجد وكان بجانب هذا المسجد حانة ، فقام الشيخ بالدعاء فإذا هي دقائق ويأتي أحدهم يهتف ويحمد الله ويقول : أن حريقا شب في الحانة فلم يبقى منها شيء ، فهذه كرامة من كرامات الشيخ أحمد ، وإن ردها العقلانيين المعاصرين الذين أنكروا أشياء كثيرة قررها الشرع ، وفسروها تفسير عقلي : بأن حماسة أحدهم وقوة إيمانه وغيرته على حرمة الله جعلته وتأثره بكلام الشيخ والدعاء جعلته آليا يقوم بهذا العمل ، نقول لهم حتى تفسيركم لا ينفي كون استجابة الدعاء هو في حد ذاته كرامة ، فهذا الشيخ الجليل وكثرة تواضعه رفعه الله وجعله من الصالحين .

[1] زايد بن سليمان بن عبد الله الجهضمي ، من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مصدر سابق ص٢٦٦.ج٢

[2] سورة آل عمران الآية ١٨٥.

الفصل الرابع

الفصل الرابع : تجليات التجربة الروحية في المذهب الإباضي

المبحث الأول : البعد السلوكي للآراء العقدية في المذهب الإباضي

المطلب الأول :الآراء المتعلقة بالإلهيات

المطلب الثاني :الآراء المتعلقة بالإنسان ومجتمعه

المطلب الثالث ::الآراء المتعلقة بالسياسة الشرعية

المبحث الثاني : أقطاب شعر الزهد والسلوك الإباضي العماني

المطلب الأول : الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي وديوانه نفائس العقيان

المطلب الثاني : الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي من خلال إيضاح نظم السلوك

المطلب الثالث : الصوفي الشاعر أبي مسلم البهلاني –النفس الرحماني

المبحث الثالث: ملامح التجربة الروحية في النظام الاجتماعي الإباضي

المطلب الأول : حلقة العزابة

المطلب الثاني : الحياة الروحية للمرأة الإباضية

المطلب الثالث: دورات المصابرة وتدبر القرآن الكريم

الفصل الرابع : تجليات التجربة الروحية في المذهب الإباضي

المبحث الأول : البعد السلوكي للآراء العقدية في المذهب الإباضي

المطلب الأول :الآراء المتعلقة بالإلهيات

الآراء المتعلقة بالإلهيات هي الأصول المتعلقة بذات الله تعالى حيث ، يقول الشيخ فرحات الجعبيري[1] :في تعريف كلمة ذات (ذات الله تعالى) كيف يمكن الحديث عن ذات الله تعالى أو الإحاطة بها ونحن نعلم (أن ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك) وأن العجز عن إدراكه إدراك كما يقول صالح بن عمر :

وكل ما صورته ببالك فالله جل بخلاف ذلـــــك

فعلم كنه ذاته محال ممن سواه ولذاك قالـــــوا

العجز عن إدراكه إدراك والخوض في إدراكه إشراك[2]

وأسماء الله الحسنى هي التي سمى بها نفسه وتمجد باتصافه بأفعالها وأمر خلقه بدعائه بها [3]

والصفة هي ما دلت على الذات مع اعتبار معنى يوصف به الذات[4]،حيث خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان مفطور على التوحيد ومجبول على عبادة خالقه وهذه العلاقة الروحية بين العبد والمعبود كامن بداخله، برغم ما يشوب الفطرة أحيانا من فساد وتشوه وتشويش خارجي وريب داخلي، فإن الفطرة لا تتبدل في قوله تعالى :" فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ "[5]، وعبادة الله سبحانه وتعالى هي الغاية الأسمى التي خلق لأجلها الإنسان والتي تشتمل على معرفة الله وتوحيده وتنزيهه عن

---

[1] الشيخ العلامة الدكتور فرحات بن علي الجعبيري شيخ الإباضية في جزيرة جربة تونس .

[2] فرحات الجعبيري ،البعد الحضاري للعقيدة الإباضيةط٢-١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م-الاستقامة-ص ٢٠٢.

[3] المصدر نفسه ص٢٦ .

[4] لمصدر نفسه ص ٢٢٧ .

[5] سورة الروم الآية٣٠.

الشريك وإفراده ومحبته والإنابة إليه والإقبال عليه والإعراض عما سواه ، فالتوحيد الخالص لله المقرون بالعمل بمقتضى ما جاءت به الشريعة السمحة هو الأصل وهو منبع كل خير وبه تتحقق خلافة الإنسان في الأرض وبه يحقق سعادة الدارين أما الشرك وما شابهه من ظنون فهو تبديل للفطرة ، والإباضية عنوا كثيرا بهذا المبحث باعتباره الأصل الثابت والعنصر الأول لتقويم سلوك الفرد وتهذيب أخلاقه وتزكية نفسه وكان العلم بمتعلقات هذا المبحث مما لا يسع جهله، يقول أبي حفص[1] علم المسلم أن أصل الدين واحد وذلك كون الإله المعبود واحد والأصل ثابت وإن تفرعت مبادئ وآراء بحسب درجة الاجتهاد فيها ، واختلفت باختلاف توجهات الناس وآرائهم ومقاصدهم وغاياتهم ، وعند الإباضية فإن أصل الدين هو التوحيد لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ ﴿١٩﴾ ﴾ [2] والاسلام لا يتم الا بقول وعمل ، وأما القول: فشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ند ولا ضد ولا قرين ولا شبيه ولا مثيل وأن محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وأن ما جاء به حق من عند ربه وأما العمل فالإتيان بجميع الفرائض[3] ، فلو تمعنا في الطريقة التي صاغ بها الإباضية أراءهم العقدية نلحظ التوفيق بين الاعتقاد القلبي أي الإيمان والتصديق وما يقابله من أعمال ظاهرة تتجلى في سلوك الأفراد ، ومن استشعار عظمة الله سبحانه وتعالى والحرص على تبيين ركن الإيمان بالله وهو الأصل وما يتعلق به من أعمال وأقوال، وهذه التقسيمات أولها متعلق بالإيمان وهي: كمال التوحيد وفيه ثلاثة أقاويل من جاء بهن تامة لم ينقص منهن، شيئا كمل توحيده فيما بينه وبين الخلائق وأما فيما بينه وبين الله تعالى فحتى يأتي بعشرة أقاويل: أما الأول فالإيمان بجميع الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الكتب التي أنزلت على جميعهم والموت والبعث ويوم القيامة والحساب والعقاب والجنة والنار وجميع ما كان وما يكون وما هو كائن فالله هو المكون له فهذه عشرة أقاويل من جاء بهن تامة لم ينقص منهن شيئا كمل توحيده فيما بينه وبين الله تعالى والخلائق فمن ترك واحدة منهن فقد أشرك بالله، ومن جاء بهذه الوجوه كلها فقد حرم دمه وماله وسبي ذريته[4]، ثم تأتي العناصر المتعلقة بجانب العمل وتسمى عند الإباضية ، هي أركان

[1] الشيخ عمرو بن جميع عاش ما بين ق السابع الهجري الثالث عشر ميلادي والقرن الثمن الهجري الرابع عشر الميلادي أخذ العلم عن الشيخ أ أبي العباس أحمد الدرجيني ت حوالي ٦٧٠ه صاحب الطبقات ...مقدمة الكتاب

[2] سورة ال عمران الآية ١٩.

[3] أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر ص٢

[4] أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة ص ٣.

الاسلام وهي الاستسلام لأمر الله والرضا بقضاء الله والتوكل على الله والتفويض إلى الله وقواعد الكفر ، هي الجهل والكبر والحسد [1] ، و قواعد الإسلام هي أربعة العلم والعمل والنية، فقواعد الاسلام هي أسسه وركائزه فقد شبه الإسلام ببيت أسس على قواعد ثابتة وفي اللسان القواعد الأنساق أو الأساطين أي ما يعتمد عليه ، والعلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع الذي لا يقبل التشكيك والمراد به هنا ما يجب على المكلف معرفته مثل التوحيد وعلم الفرائض قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [2] ولقوله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة والعمل هو القيام بجميع الواجبات وترك المحرمات لقوله صلى الله عليه سلم تعلموا من العلم ما شئتم فو الله لا تؤجر ومع العلم حتى تعملوا "و النية هي القصد إلى الفعل بالقلب وإخلاص العمل لله تعالى وحده وهو أمر لا بد منه في جميع الحالات لقوله ص إنما الأعمال بالنيات[3]، لا شك أن القارئ يلتمس شمولية الدين وعظمة التوحيد وثمراته والورع هو الكف عن جميع المكروهات والشبهات لقوله ص " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات لا يعلمها إلا كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه " الالباني صحيح الجامع الصغير، أما أركان الاستسلام الأربعة كما سبق هي الاستسلام لأمر الله والرضا بقضاء الله والتوكل على الله والتفويض إلى الله ، وهي تمثل جوانبه وفي اللسان وأركان كل شيء جوانبه التي تستند إليها بها ، الاستسلام هو الانقياد والخضوع بما أمر الله به ومصداقا لقوله قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [4]، ثم الرضا بقضاء الله هو القبول والعزم على امتثال كل الأوامر الصادرة من الله لقوله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ .

---

[1] المصدر نفسه ص ٤

[2] سورة الزمر الآية ٩

[3] أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر ص ٤

[4] لقمان الآية ٢٢سورة

[1]ولقوله ﷺ قال تبارك وتعالى" من لم يرضى بقضائي ويصبر على بلائي فليلتمس ربا سواي" [2]، ثم التوكل على الله هو أن يثق ويطمئن ويعتمد على الله تعالى في جميع أموره الدينية والدنيوية لقوله تعالى :" وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ " [3] لأن التوكل على الله يولد الراحة والاطمئنان وثمرته التوفيق في الأعمال ووعد الله حق وحاصل للمتوكلين على ربهم لقوله : " وعلى الله فتوكلوا على الله تعالى حق توكله يرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا " [4]، ثم التفويض إلى الله هو رد المرء أمره إلى من بيده حق التصرف والتدبير وهو الله تعالى ويتيقن ويعلم حينئذ أن ما أعطاه فلا مانع له وما منعه فلا معطي له **قَالَ تَعَالَىٰ:**﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [5]، وهو الواحد ذاتا وصفة وفعلا وعبادة فلا يسمى غيره بالله متعال عن صفات المخلوقات فلا أول له ولا آخر ومعنى لا أول لأوليته ولا آخر لآخريته أن له أولية وآخرية بحسب وجود الخلق وفنائهم أي سبقا وبقاءا ولا أول لذلك السبق ولا آخر لذلك البقاء ولا يخفى عنه شيء ،ويجب أن يعلم أن الله أمر بطاعته وأوجب عليها ثوابا ونهى عن معصيته وأوجب عليها عقابا ، وأن الله أمر بالتوحيد وأوجب عليه الثواب ونهى عن الشرك وأوجب عليه العقاب وأنه كبيرة وكفر[6].

الله هو الخالق وهو الإله المعبود الواحد الأحد الفرد الصمد ومن ثم كان الأصل المتعلق بالله تعالى سابق ومتقدم على باقي الأصول وإن كانت كلها مرتبطة ومتسلسلة وتكمل بعضها البعض ، لأن الحكمة من خلق الإنسان هي عبادة الله تعالى وتنزيهه عن الشريك يعني التوحيد ، والتقرب إليه بالطاعات بنوعيها الاعتقادي والعملي .

---

[1] سورة الحج الآية ١٤

[2] الطبراني في الكبرى ج ٢٢ص ٣٢١رقم ٨٠٧

[3] سورة ابراهيم الآية ١١

[4] أحمد في مسنده ج١، ص٧٣، رقم ٢٠٥

[5] سورة غافر الآية٤٤.

[6] لشيخ محمد بن يوسف اطفيش ت: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، ط٢، دار البعث قسنطينة ص ٢٨ .

ويكمن أثر الإيمان بالله و اعتقاد صفاته سبحانه تعالى على المؤمن في قول الشيخ أحمد الخليلي الذي أجاب عن أسئلة كثير تبين كيف وظف الإباضية أعلى ركن من أركان الإيمان في الحياة اليومية للفرد في علاقته بخالقه وشكلت هذه الرؤية نسقا متكامل الأطراف شمل حياة الإنسان الباطنة والظاهرة المعنوية والمادية ،علما أن الله سبحانه عرفنا نفسه ، واطلعنا على صفاته لا لأجل أن تكون معرفتنا به وبصفاته مدارك سطحية تلوح لأذهاننا تارة وتختفي أخرى ، وإنما عرفنا بذلك وأوجب علينا اعتقاده ،لتكون معرفتنا به حية دفاقة بالخير ،مناعة عن الشر ، تتجلى آثارها في سر حياتنا وعلانيتها وخفي أمرنا وجليه ،وظاهر طباعنا وباطنها ومن المعلوم أن لكل ما يعتقده المؤمن مما فرض الله اعتقاده وأطلعه عليه من أمر غيبه أثر عميق في تربية نفسه وتهذيب أخلاقه وتقويم سلوكه وتحسين معاملته بينه وبين الناس وبينه وبين سائر الخلق ،فكيف بأصل الاعتقاد وأعظم أركانه وهو معرفة الله سبحانه بصفاته الباهرة وكمالاته الظاهرة[1] ،ولا ريب أن هذه المعرفة هي سراج وهاج يبدد من نفس الإنسان ظلمات طبعه لتتأهل نفسه لأن تشرق عليها من الله أنوار قدسه وتفيض عليها ألطاف أنسه ،وتتدفق عليها من لدنه فيوض وهبه ، المتمثلة في المعارف الربانية ،والعوارف النورانية ، فإن لكل ما يتعرف عليه العبد من صفاته تعالى آثارا في محق طباعه السيئة وتنمية خصاله الحميدة ،وتزكية أقواله وأفعاله ، وتربية أخلاقه وخلاله ،فهو يتدرج بهذه المعرفة إلى مدار الخير ،ويترقى بها في معارج الصلاح والتقوى ،فإيمانه بقدرة الله تعالى وقوته ينهيه عن مقارفة السوء ،وذلك بما يرسخ في نفسه بسببه من هيبة الله تعالى وخوفه باستشعار عظمته ويدفعه [2] ، إلى المسارعة إلى أعمال البر ،رغبة في التقرب إلى جنابه ،كما يخلصه من التعلق بغيره في كل أموره لأن كل من سواه تتعذر المقارنة والمناسبة بين ما أوتي من قدرة وقوة وبين قدرته وقوته عز وجل ، وكذلك إيمانه بعلمه المحيط بكل ما في الوجود ،من حقائق ظاهرة وباطنة وحركات واضحة وغامضة وخواطر تجيش بها السرائر ووساوس تعرض لأعماق الضمائر ، فإنه رادع للنفس عن مفارقة مكروهاته والتطلع إلى

[1] أحمد بن حمد الخليلي برهان الحق ص ٤٦٧ ج٢ –ط١–١٤٣٧هـ–٢٠١٦م– الكلمة الطيبة–مسقط– سلطنة عمان .

[2] برهان الحق ج٢ مصدر سابق ص ٣٦٧.

محظوراته فحسبه مما جاء في هذا قوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

وقوله تعالى:" وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ"[2]، فإن إيمانه بذلك يجرد من نفسه رقيبا عليه ،يحاسبه أدق الحساب على كل ما دق وجل ،وكثر وقل ،وظهر وخفي ،من أعماله ،وفي صفتي السمع والبصر ما يوجبه الإيمان بهما من الحيطة والحذر ، ومراقبة النفس عندما تكون بمنأى عن سمع الناس وأبصارهم لئلا تتوهم أنه في هذه الحالة بمأمن عن مراقبة الله سبحانه وإحاطة سمعه وبصره بجميع أقواله وأعماله [3]، أما الإيمان بإرادته تعالى فهو بتغلغله في أعماق النفس يجعلها تسلم تسليما عندما تصطدم بواقع يزعجها ، تتحطم معه إرادتها فيحال بينها وبين مرادها ، لأن المشيئة المطلقة النافذة إنما هي مشيئة الله سبحانه وحده ولا يكون إلا ما أراد وحسب المؤمن التسليم المطلق ورضاه بما أراده الله له راحة لنفسه وهدوء لأعصابه وطمأنينة في حياته [4]قال الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾[5].

[1] سورة ق الآية ١٦.

[2] سورة البقرة الآية ٢٨٤.

[3] برهان الحق ج٢ ص٤٦٨_مصدر سابق

[4] المصدر نفسه –ص ٤٦٨.

[5] سورة البقرة الآية ٢١٦

المطلب الثاني :الآراء المتعلقة بالإنسان ومجتمعه

نجد على الصعيد العقدي مفهومين خطيرين لهما بعد حضاري عميق في جوانب الحياة

ولا يهمنا هنا اختلاف المذاهب في آرائهم العقدية بقدر ما يهمنا معرفة أثرها في السلوك وما ينطوي تحتها من أعمال في حياة الأفراد ، و الجانب الاقتصادي بالخصوص وفي توجيه السلوك الإنساني لمن تشرب من آراء المذهب الإباضي وهما :الوعد والوعيد والولاية والبراءة فقد أنبنى على هذه القاعدة العقدية مجرى سلوكي مهم جدا فالإباضية يعتقدون أن الله صادق في وعده ، صادق في وعيده لا يتراجع عنه أبدا وبذلك فإن الشفاعة ، شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجوز ولا تجب لأهل الكبائر والعصاة باعتبارهم أعداء الله بإعراضهم عن أمرهم به وإتيانهم ما نهى سواء من صغائر الذنوب أو كبائرها فهي مما لا يسع الإباضي جهلها والإصرار هو سبب الحكم عنه وأن الناس مخلدون إما في الجنة وإما إلى النار لقد بنيت هذه القاعدة العقدية أعمال سلوكية هامة فهم يعتقدون بحرمه مال المسلم إلا عن تجارة بتراض من الطرفين وهم يرون أن أكل مال المسلم من الكبائر التي إن مات عليها الإباضي خلد في نار جهنم[1].

ولأن الله سبحانه صادق في وعده ووعيده يجعل الفرد يتحرى كل أفعاله ويتجنب المهلكات في تعامله مع غيره من أفراد مجتمعه في المعاملات والعادات ، وتبرز قيمة الموقنين بالخلود في النار سيرهم الحذر في هذه الحياة ، وتتجلى معالم هذه الأصول في السلوك الخارجي للإباضي التي وضع معالمها ورسخها كبار الأئمة بفضل اجتهادهم ومصدرهم في ذلك هو القرآن الكريم ، فعقيدة الخروج من النار لم يقبلها العقل الإباضي واجتهد في إثبات أن من مات على كبيرة ولم يتب فهو خالد مخلد في النار ، فكرة تشربها الإباضية وزرعت فيه الخوف من غضب الله وسخطه ومحبة في طاعته واجتناب نواهيه ، وبأن وعد الله لا يتغير ، كما أنه لا يستوي من

[1] الشيخ محمد بن يوسف اطفيش ت: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، ط٢، دار البعث قسنطينة ص ٢٨

عاش على استقامة ومات عليها كمن عاش كل حياته عاصيا وادركته الموت ولم يتب إلى الله لأن الله عادل ووعده حق والجنة حق والنار حق ، فالوعد والوعيد له أثر في تهذيب سلوك الفرد وعدم الاغترار في هذه الحياة .

أما الولاية والبراءة وقد انبنت على هذه القاعدة أمور عظيمة إذ استخدمت في وقت ما كأداة جزاء وعقاب بيد العزابة لفرض سلطتها وأحكام نفوذها على المجتمع الميزابي والملاحظ أن هذه السلطة الروحية أوجدتها عوامل العزلة والانتماء[1]، من هذا المبدأ تتكون شخصية الفرد الإباضي بصفة عامة ، فيتجه الى طاعة الله متجردا من كل المغريات ، وفقا للأصول الأصلية

والمتتبع لاجتهادات الإباضية في هذا الأصل يجد أنواع كثيرة من البراءة ، فمنها البراءة من العاصي سواء كان زانيا أو سارقا أو غيرها من المناكر إلا إذا تاب وأناب والبراءة السلطان الجائر والبراءة من الكفار والبراءة عندهم أقسام منها ماهي في الظاهر ومنها ما هي في السريرة ، كما أن الشفاعة ركن متعلق بالإنسان ،الشفاعة عند الإباضية لمن تاب من معصية وذلك لأنه من مات على فسقه فهو ظالم فاسق ولا ينال الشفاعة الظالمين لقوله تعالى:

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [2]، فالشفاعة عندهم قسمان ، الشفاعة العظمى وهي بداية الحساب إذ يفرج هو الموقف حتى يأتي سيدنا محمد ص فيأذن بالإفراج بأمر الله وهي التي أخبر عنها بنفسه والشفاعة لأهل المعاصي التائبين من معاصيهم لتحقيق هول الموقف ورفع الدرجات وتسهيل الحساب .[3]

والمعتقد الحق عند أهل الحق والاستقامة هو خلود أهل الكبائر غير التائبين والمصرين على الكبيرة من المسلمين في النار فلا يجدون مستطيعا ولا منقذا ولا مخلصا فلقد قسم الله الناس يوم القيامة إلى فريقين لا ثالث لهما فريق في الجنة وفريق في النار السعير ، ولم يقل أن هناك فريق آخر سيدخل النار ثم يخرج إلى الجنة وكذلك قسم الله الناس يوم القيامة إلى أبرار وفجار

[1] الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص مصدر سابق ، ص ٣٠

[2] سورة غافر الآية ١٨ .

[3] مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه ٤٥-١٤٥هـ ص ١٥٩ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ط١

لا ثالث لهما: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ ﴾[1] أي لن يغادرونها ولن يخرجوا منها ولا يقول العاقل إن تارك الصلاة والزكاة وشارب الخمر والزاني أنهم من الأبرار إلا إذا تابوا منها وعملوا صالحا وإلا كيف ستقبل أعمال المسلم وهو لا يصلي فإن فسدت الصلاة فسدت باقي الأعمال هذا لمن فسدت صلاته فكيف وهو لا يصلي[2]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ ﴾[3]، وكيف سيدخل الجنة المتعامل بالربا الذي أعلن الله سبحانه وتعالى عليه الحرب قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[4]، وقد بين الله سبحانه وتعالى مصير المرابي الأبدي لمن لم يتب بقوله " وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ".[5] ومعلوم أن الإباضية في أصولهم يأخذون بالأحوط فلا يترك مجال للإنسان أن يغتر بعفو الله ورحمته وهو في نفس الوقت ينتهك محارمه ويتعلق بحبل الشفاعة يوم القيامة ، إلا إذا تاب وأصلح وإلا لا يمكن للإنسان العاقل أن يقبلها ، هل يستوي الصالح والعاصي والمؤمن والفاجر[6].

قال تعالى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[7] فالحذر الأخذ

---

[1] سورة الانفطار الآية ١٣-١٦

[2] عبد العزيز بن سعود المعولي ابراهيم بن ناصر الصوافي مذهب الإسلام ، ط٥، ص ٤٠

[3] سورة مريم الآية -٥٩-٦٠

[4] سورة البقرة الآية ٢٧٨- ٢٧٩

[5] سورة البقرة الآية ٢٧٥

[6] عبد العزيز بن سعود المعولي ابراهيم بن ناصر الصوافي مذهب الإسلام ص ٤١

[7] سورة الجاثية الآية ٢١

{بالأحوط} وسد الذرائع [1]عند الإباضية أسهم دونما شك في تربية روحه على الخوف من معصية الله وتجنب الشبهات ، وكذلك تمثل قواعد الكفر الأربعة اوهي الجهل والحمية والكبر والحسد ، الجهل بما يجب عليه من الفرائض لقوله ص " إن من ورائكم أياما ينزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج " قالوا يا رسول الله ما لهرج ؟ قال : القتل ، والحمية هي العصبية والأنفة التي تحمل صاحبها على[2] .

ولقوله ﷺ :" ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية ، " كنز العمال ج٣، ص٥١٠، رقم ٧٦٥٧، والكبر هو تسفيه الحق واحتقار الناس والاستهانة بهم لقوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [3]وقال أيضا في شأن الكفار ومصيرهم قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [4]ولقوله ﷺ من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر أكبه الله على وجهه في النار " أحمد في مسنده ج٢ص ٦٧٣قم ٧٠٣٥، والحسد هو تمني زوال النعمة على المنعم عليه بها لقوله تعالى ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن﴾ [5]،وقوله تعالى أيضا " ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ ﴿١٠٩﴾﴾ [6] ولقوله ﷺ: " الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار والصلاة نور المؤمن والصيام حبة من النار [7]" والرغبة هي منع ما أوجب الله على الانسان من حق و ما أخذ ما حرمه الله عليه مثل أخذ الرشوة لقول

أنظر كتاب الفقه المقارن الفقه المالكي والفقه الإباضي ، دراسة تقابلية بين المذهبين من حيث الأصول والفروع ج١، ص٢٠

[1] التواتي التواتي بن التواتي ص ٧

[2] الطبري في الكبير ج١١ص ٧٤رقم ٤٢،١١١

[3] سورة البقرة الآية ٣٤

[4] سورة الزمر الآية ٧٢

[5] سورة النساء الآية ٥٤

[6] سورة البقرة الآية ١٠٩

[7] ابن ماجة ، الزهد ٢٢ باب الحسد رقم ٤٢١٠

ص :" لعن الله الراشي المرتشي والرائش الذي يمشي بينهما [1]ص ٧، كنز العمال ج٦، ص١١٤رقم ١٠٨، أو الرغبة في الجاه وإرضاء الناس لقوله تعالى ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [2]، الرهبة الممانعة أو منع ما أوجب الله على الانسان عامة مثل ترك العدل في الحكم خشية أن يؤذيه السلطان لقوله تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [3].

الشهوة هي الحاملة للنفس على المعاصي لقوله صلى الله عليه وسلم : إن أخوف ما أتخوف على أمتي الاشراك بالله أما أظني لست أقول : يعبدون شمسا ولا قمرا ، ولا وثنا، ولكن أعمالا لغير الله وشهوة خفيه " [4] ، ولقوله ﷺ :" لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباء منثورا ، أما أنهم إخوانكم من أهل جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها " (كنز العمال ١٦٢ ، رقم ٤٣٦٧٥)، والغضب هو نقيض الرضا وهو حركة في النفس مبدأها إرادة الانتقام وهو نوعان مذموم وهو ما كان في غير الحق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم حينما سأله عبد الله بن عمر ، ماذا يباعدني عن غضب الله عز وجل ،قال : لا تغضب "[5] وفي والمحمود وهوما كان في جانب الدين والحق مثل غضب الرسول ص في بعض الحالات [6]، ثم جعلوا واجبات المكلف ستة تجب على ابن آدم ، الكلفة مع البلوغ والأمر والنهي ومعرفة الله ومعرفة الرسول ص والمن والدلائل والخوف والرجاء والولاية و العداوة والمن: الإنعام والفضل لقوله تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ

---

[1] عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة أبي حفص عمرو بن جميع ، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر، ، ص٥.

[2] سورة الأنبياء الآية٩٠.

[3] سورة المائدة الآية ٤٤.

[4] ابن ماجة الزهد ٢١باب الربا والسمعة رقم ٤٢٠٥.

[5] أحمد المسند ج١ص٥٨٧، رقم ٦٦٤٦.

[6] أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة مصدر سابق ص٩.

﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[1]

والدلائل هي [2]، كل ما يدل على وجود الله تعالى ووحدانيته من إنزال الكتب وبعث الرسل وغيرها مثل قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾: ﴾ [3].

أما الخوف والرجاء : فهي من أهم الأشياء الواجبة على الإنسان وكما يجب أن يعتدل في قلبه اعتدالا لا يميل أحدهما على الآخر فالخوف زاجر عن المعصية ورادع عنها والرجاء داع إلى الطاعة وباعث عليها قال تعالى : " أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا " [4]، ولقوله أيضا " فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ " [5]، أما عن الأصل المتعلق بمسألة القضاء والقدر فهو من أركان الإيمان الإيمان ، فقال الإباضية فيها بقول السلف من الصحابة والتابعين وهو أن الله خالق لكل شيء وأن الأفعال هي خلق من الله واكتساب من العبد إذ جعل له قدرة واستطاعة على الفعل وعدمه عند الإتيان به فلا هو مجبور على ما يأتي ولا يذر ولا هو خالق لفعله كله ولا هو خالق لفعله القبيح لتنزيه الله تعالى عن خلق القبائح كما قالت المعتزلة فمناط الثواب والعقاب عندهم على كسب العبد [6] ، وكانت للإباضية الأوائل مواقف مع القدرية والمعتزلة والجهمية وغيرهم في في الدفاع عن هذه العقيدة تنزيها لله .

وقد سبق في مطلب الإلهيات ذكر مسألة نفوذ الوعد والوعيد ،عن الله عز وجل في أهل الكبائر لأنه يتعلق بوعد الله ووعيده من جهة ويتعلق بجزاء العبد ومصيره في الآخرة وذلك بقول

---

[1] سورة آل عمران الآية ١٦٤.

[2] أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر ص١٨

[3] سورة البقرة الآية ١٦٤

[4] سورة الإسراء الآية ٥٧

[5] سورة الأعراف الآية ٩٩

[6] الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه ٤٥-١٤٥هـ مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ط١. ط١. ص١٥٨

الإباضية بنفوذ هذا الوعيد فكل كبيرة أوعد الله غليها العقاب أو أوجب عليها الحد في الدنيا إذا مات صاحبها من غير توبة دخل النار خالدا مخلدا لا يخرج منها أبدا فهو خالد خلودا داخل الجنة كلاهما سيان لأن ذلك من جملة ما امتدح الله به سبحانه فلا يخلف الله وعيده كما لا يخلف الله وعده ولم يأخذوا بالأحاديث الواردة في خروج مرتكبي الكبائر من النار ممن أوتوا بالشهادتين وذلك لأنها أحاديث أحادية فهي توجب العمل ولا توجب العلم ولاعتقاد ثمرة اليقين ولا يحصل اليقين بالحديث الأحادي ولم يتغير موقف الإباضية من هذه المسألة قديما وحديثا فلا شفاعة عندهم إلا من تاب من الكبيرة أما من دخل النار فإنه لا يخرج منها إذ لا معنى للوعيد الذي توعد الله أهل المعاصي لو كان الداخل في النار يخرج منها بعدما يعذب بقدر عمله[1] الولاية والبراءة عند الإباضية أصل من أصول علم الكلام والولاية هي الحب والمناصرة في الله والبراءة عكس ذلك وكان لهذا المسلك ، كبير الأثر في المحافظة على نقاء المجتمع وطهارته من أكثر الرذائل وخصوصا عندما كانوا يطبقونه كاملا كما هو الحال في المجتمع الإباضي الأول في البصرة [2] .

أما عن كفر النعمة فإن الإباضية عندما يطلقون كلمة الكفر على أحد على أحد من أهل التوحيد فهم يقصدون كفر النعمة وهو ما يطلق عليه غيرهم كلمة الفسوق والعصيان والمعنى الذي يطلق عليه الاباضية كفر النعمة ويطلق عليه المعتزلة الفسوق ويطلق عليه غيرهم النفاق أو العصيان وهو معنى واحد كما أطلقت الكلمات الثلاثة على المنافقين في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم كما أطلقت على الذين يجاهرون بالمعصية ، والنتيجة أن من يصر على معصية الله يلاقي نفس الجزاء الذي يلاقيه من يكفر بالله أما معاملة المسلمين لمن يفسق عن أمر الله أو ينافق في دين الله أو يكفر بنعمة الله فإنها معاملة للعاصي المنتهك الذي تجب محاولة إرشاده

[1] الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي مصدر سابق ص ١٥٩ .

[2] المصدر نفسه ص ١٦٠ .

إلى وجوب الاستمساك بدينه ورجوعه إلى أوامر ربه وإقلاعه عن محادة الله ورسوله فإن أصروا استكبروا وتغلب عليه الشيطان بريء منه ومن عمله وجافاه المسلمون[1] .

من منطلق الصلة بين العقيدة والعمل يذهب الإباضية إلى أن التعامل مع الناس يجب أن تكون مرجعيته هذه العقيدة التي تتحدد العلاقة بموجبها ولذلك عدوا الولاية والبراءة أصلا من أصولهم العقدية وقاعدة من قواعد الإسلام فوضعوا لها شرطا وحددوا لها مواصفات وتشددوا في تطبيقها في مجتمعاتهم، ويدور مفهوم الولاية حول الحب لأولياء الله وقيل[2] :" هي الحب بالجنان ،والذكر باللسان ، والميل بالقلب والجوارح إلى مطيع لطاعته "، أما البراءة فهي البغض لأعداء الله وقيل هي :" البغض بالجنان والشتم باللسان والميل بالقلب والجوارح عن عاص لعصيانه "[3] .

وأصل الولاية "الموافقة في الحق ،فالمتوافقان فيه متواليان"[4] ،وهي واجبة لقوله تعالى﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[5] ،ومن الأصول التي لها علاقة بالمجتمع محبة المؤمنين لبعضهم ،التكافل الاجتماعي والتراحم والإيثار صفة تميز بها المؤمنين عامة ومجتمع الإباضية بصفة خاصة .

ذكر الرسول ﷺ أن من علامات الايمان التواد بين المؤمنين لا لأجل قرابه حميمة تشد بعضهم إلى بعض ولا لأجل منفعة عاجله ينالها المحب من محبوبه إنما هي مودة في ذات الله وانه يحب المرء لا يحبه الا لله فالعلاقة الإيمانية بين المؤمن التي تطغى على كل علاقه وتجعل المومن مشدودا إلى المؤمن يحبه ويحرص على مصلحته ويسهر من أجل دفع الضرر عنه هذه العلاقة هي من مقتضيات الإيمان ومن دلائل هذا الايمان وبدون هذا الترابط بين المؤمنين لا يصل

---

[1] الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي مصدر سابق ص ٧٨.

[2] حمود بن مبارك السليمي ، أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في ق ١٣و١٤هـ،ط١-١٤٢٣هـ-٢٠٠٣مكتبة الجيل الواعد-سلطنة عمان

[3] الثميني عبدالعزيز ، معالم الإسلام ج٢ ص١١٥.

[4] أبو مسلم البهلاني ، العقيدة الوهبية ص ٢٦٧.

[5] سورة التوبة الآية ٧١ .

المؤمنون الي ذروه الإيمان كيف والنبي صلى الله عليه وسلم يقول (لا يؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه ما يحب لنفسه) روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه عن طريق أنس رضي الله عنه أيضا فالمؤمن يحب المؤمن حبا جما كما يحب نفسه ولا ريب أن الإنسان بطبعه لا بد أن يحب نفسه حبا عظيما ولذلك كثيرا من الناس من أجل حب النفس يريدون أن يستأثروا بالخير دون الآخرين إلا ان المؤمن من شأنه أن يحس منه أحاسيس إخوانه في الايمان فلذلك يحب لهم ما يحبه لنفسه من الخير وقد يفدي المومن أخاه بنفسه وهذا حصل عندما كان الايمان ساكنا راسخا فالمؤمنون كان احدهم يوثر مصلحه اخيه علي مصلحه نفسه قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ ﴾[1] بل ربما كان المؤمن أحرص علي حياة أخيه من حياه نفسه قد استقصي في أولئك النفر الذين أصيبوا في غزوه من الغزوات وعطشوا عطشا شديدا فجئ اليهم بالماء فلما كاد أحدهم يطفئ سعار ظماه بقطرات من الماء سمع أخا له يطلب الماء فأمر بأن يقدم إليه وسمع الثاني بالثالث يطلب الماء فأمر أن يقدم إليه وأخيرا مات الثلاثة قبل أن يبلوا لهواتهم بذلك الماء على حاله لو أن في القوم حاتما على جوده لظن بالماء حاتم هكذا كان السلف الصالح يحرص أحدهم على مصلحه أخيه أكثر مما يحرص على مصلحته ويوثر أخاه علي نفسه ، وهذا لأنهم موقنين بأن

محبه المؤمنين من الإيمان ويبين لنا رسول الله ﷺ أن الايمان ـ أيضا يقتضي انسجام العبد المؤمن مع إخوانه المؤمنين في مشاعره إذ يقول عليه أفضل الصلاة والسلام :

(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)، وعلى هذا النهج سار الإباضية، وانطلاق من القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم صاغ الإباضية نظريتهم الاجتماعية صياغة إسلامية نبوية فالتراحم في المجتمع المسلم صفة خص بها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال الله تعالى ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ

[1] سورة الحشر الآية ٩.

﴿رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ﴿٢٩﴾﴾[1]، واقتران الإيمان بمحبة الآخرين وحب الخير للغير كما تحبه النفس يشير إلى أثر هذه المحبة في الآخرة ،إن المجتمع الإباضي مجتمع إسلامي يستمد تعاليمه ومبادئه من الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي بفهم إباضي ولخصوصية الفكر الاقتصادي الاسلامي أثر كبير أثر كبير في أحداث هذه الظاهرة ولا شك أن المجتمع الميزابي من بين أكثر تشكيلات المجتمع الجزائري التزاما ومحافظة على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف إذ تتجلى تعاليمها في كل سلوكاته في حياته اليومية [2]، هذا ما يثبته الواقع وما أثبتته الدراسات ،مجتمع الإباضية سواء في عمان أوفي الجزائر سمته التراحم والأخوة فيما بينهم كإباضية وفي تعاملهم مع إخوانهم المسلمين ومن المذاهب الأخرى .

ولقد عرف العمانيون في التأريخ بحسن شمائلهم وحميد أخلاقهم ،وأسهم حسن فهمهم للإسلام وشمول نظرتهم إليه مع صدق التزامهم بتعاليمه في تبؤهم تلك المكانة السامقة [3]

تنبع صفة التعاون والتكافل عند العمانيين من طبيعتهم الرقيقة وقلوبهم الرحيمة، فلم يعرف عنهم إلا اللطف والود ، فإعانة المارة وتخفيف الحمل عن الكبار والصغار وقضاء حوائج المرأة ،وقيادة الأعمى ،وإرشاد الحائر ما هي إلا ملامح تلك الخصيصة، فكيف بأخ من إخوانهم يقع في ضيق أو ينحني ظهره أو ينقطع فيحتاج إلى معروف ألا يعينونه أو يدفعون عنه خصاصته [4]، وتلك أيضا صفة عربية أصيلة ، بل سمة إنسانية تدفع صاحبها لبذل الخير وصنع المعروف دون انتظار مكافأة مادية أو معنوية من المحسن إليه ،ولا ريب أن الوازع الإيماني يقويها ويهذبها وينميها لقوله تعالى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾ [5] هذه الملكة في المرء بقدر صفاء نفسه وحبه

---

[1] سورة الفتح الآية ٢٩ .

[2] بوداوود بومدين ، تجارة بني ميزاب تجسيد للمنهج الإسلامي في إدارة الأعمال تجارية تقديم ، أ بكلي عبد الوهاب ط١، ٢٠٠٦م – ١٤٢٧، الجزائر ص٢٧ .

[3] عبد الله بن سعيد المعمري ، القيم الخلقية عند العمانيين،ط١-١٤٣٧هـ-٢٠١٦م-الطلائع –سلطنة عمان –ولاية إبراء ص ٣

[4] المصدر نفسه ص ٤١.

[5] سورة المائدة الآية ٢.

للخير وتكريمه للإنسان بل لجميع خلق الله مع تعلقه بربه والدار الآخرة ، وهذه الصفة الظاهرة عند أهل عمان في إجابة الداعي ،ويهبون لإغاثة الملهوف بترك كل ما في أيديهم مهما كان رجالا أور كبانا ولولم تربطهم بصاحب الحاجة معرفة سابقة سواء تعلق الأمر بنفس أو عرض أو مال ولا يتركون المستغيث إلا وقد اطمأنت نفوسهم أنه قد كشفت كربته ولبيت حاجته مادام في وسعهم ذلك وكذا من عاداتهم التي تؤكد معنى التكافل الاجتماعي للإباضية في عمان ، أن من عاداتهم حين حصاد النخل – أن يتنادوا بأن الجذاذ في اليوم الفلاني عند فلان فيتواعد الناس صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم ليعينوه على إنجاز عمله ، ثم ينتقلون في اليوم التالي إلى غيره وهكذا ويمضي الأمر بسلاسة مع سلامة القلوب وانشراح الصدور في جو من المرح والألفة أما عن مجالسهم العامة يتدارسون شؤونهم وحاجات بعضهم البعض ولديهم قوة لحمة الرحم ولا زالت رابطة القرابة من أقوى الروابط في العسر واليسر والفرح والحزن[1].

وقوله تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[2] ، ولاشك أن الفكر الإباضي الذي بنى مدرسته على التمسك بالشريعة الإسلامية قد أسهم في تغذية المجتمع بأصوله التي وضعها لتكون منهجا لتقويم الأفراد والجماعات ، ومعلوم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقود إلى الفلاح في الدنيا والآخر باعتباره استجابة لأوامر الله والانتهاء عن نواهيه ، ونظرا لأهميته فقد اتخذه الإباضية أصلا من أصول المذهب .

ويقول الشيخ الخليلي في الحكمة من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :إن الإنسان بطبعه ميال إلى راحة نفسه ولو كان ذلك على حساب راحته في مستقبله وهو ميال إلى إيتاء نفسه رغباتها ولو كان ذلك على حساب سعادته لذلك كان الإنسان بحاجة إلى أن يؤمر به ويأمر به ، وأن ينهى عنه وأن ينتهي عنه[3].

---

[1] عبد الله بن سعيد المعمري ، القيم الخلقية عند العمانيين –مصدر سابق ص ٤٤

[2] سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

[3] ومضات فكرية لسماحة الشيخ الخليلي ، اقتباسات من روائع أقوله – الحلقة الأولى –ط١-١٤٣٥هـ-٢٠١٤م-موقع بصيرة-مسقط –سلطنة عمان .

المطلب الثالث ::الآراء المتعلقة بالسياسة الشرعية

ترتبط الآراء المتعلقة بالسياسة الشرعية في المذهب الإباضي ارتباطا وثيقا بما قدمناه آنفا من أراء ،حيث أن مبدأ الشورى وتطبيقه عند إباضية عمان: قيل إن العمانيين هم من أكثر شعوب الأرض ارتباطا بالشورى وتطبيقا لها ،فتجربتهم معها في الحكم تربوا على ألف عام بل إنهم منذ دخولهم الإسلام ما عرفوا غير الشورى مبدأ في اختيار خليفة المسلمين ٢٩،إن هذه الصفة قبل أن تكون مجتمعية تقوم بها الأمة حيث وصف الله بها الجماعة المؤمنة في قوله تعالى﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴿٣٨﴾ ﴾ [1] يجب أن تكون نابعة من النفس ، فعلى كل فرد أن يقتنع بها مبدأ في نفسه [2]، فلكل قبيلة مجلس عام يعرف بالسبلة يجتمع فيه أفرادها لتباحث شؤونهم الخاصة ليتم اتخاذ القرار بعد [3]، ذلك ، وربما كان لكل قبيلة فروع – فخائذ– تقوم بذلك ثم يكون الاجتماع العام للقبيلة كلها تحت قيادة الشيخ التميمة وكذلك بالنسبة للقبائل المختلفة في البلد الواحد فإنها تجتمع للنظر في مصالحها والتشاور في شؤونها [4]،وقناعة العمانيين بأن مبدأ الشورى هو قيمة خلقية والتزامهم بها ضمن لهم اختيار الأقوياء الأمناء في تولي أمورهم فازدهر العدل وعم الأمن وانتشر العلم، لأنهم يرو ضرورة المحافظة على قيمة الشورى لأنها واجب شرعي وضرورة اجتماعية[5] .

العدل : إن حب العمانيين للعدل يقابله القدر نفسه أو أشد من كره الظلم والاستبداد ولا ريب أن هذا نابع من عمق فهمهم للإسلام وشدة تمسكهم به ، فالله عز وجل ما أرسل رسله ولا أنزل كتبه إلا لإقامة العدل فقد بعث النبيين مبشرين ومنذرين ليقوم الناس بالقسط ولا يستقيم أود النفس كما لا ينتظم شأن المجتمع إلا ببسط العدل الذي يضع كل شيء في موضعه ،ويعطي كل ذي حق حقه ولأن كان التاريخ العماني انعكاسا لفكر أهل الاستقامة (الإباضية)بحيث لا يمكن فك أحدهما عن الآخر ، فهم يشترطون على الحاكم الكفاءة التامة

---

[1] سورة الشورى الآية ٣٨.

[2] القيم الخلقية عند العمانيين مصدر سابق ص ٣٠.

[3] المصدر نفسه ص ٣١.

[4] المصدر نفسه ص ٣٢ .

[5] المصدر نفسه ص٣٣.

للقيام بمسؤولياته فليست العبرة بشرف النسب أو كثرة المال لتولي إمارة المؤمنين وإنما التقوى والعلم وسائر الصفات القيادية [1] المؤهلة لتنفيذ حكم الله وتحقيق مصلحة الإنسان

وتقوم الإمامة عندهم على أربعة مراحل تسمى مسالك الدين و المتعلقة بالسياسة الشرعية وهي الظهور والدفاع والشراء والكتمان ، فالظهور كأبي بكر وعمر والدفاع كعبد الله بن وهب الراسبي والشراء كأبي بلال مرداس بن حدير والكتمان كأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة وأبي الشعثاء ، مسالك الدين جمع مسلك وهو الطريق والمراد به الطرق التي يتوصل بها إلى إنقاذ الأحكام الشرعية ، الظهور : هو الجهر بإقامة الأحكام الشرعية ، الدفاع هو دفع المسلمين العدو إذا داهمهم ، الشراء بيع جماعة المسلمين أنفسهم لله تعالى رجاء ثواب الجنة الكتمان : إخفاء المسلمين الأثبات بالأحكام الشرعية لعجزهم عن إظهارها [2].

من أصول الإباضية في السياسة أنهم يعتمدون على الدعوة والإقناع، ولا يلجؤون إلى استعمال العنف إلا في حالات الدفاع ، ولذلك لم يشتركوا في أي عمل من أعمال العنف التي قام بها الخوارج والشيعة والتوابون وابن الزبير وابن الأشعث وغيرهم ضد الدولة الأموية، رغم إنكارهم الشديد على حكام الدولة الأموية ونقدهم العنيف لسلوكهم المنحرف عن الكتاب والسنة، حيث حاول زعماء الخوارج استدراج عبدالله بن إباض للخروج معهم فامتنع واخبرهم أنه لا يخرج على قوم يرتفع الأذان من صوامعهم، والقرآن من مساجدهم.

وأول حركة عنف قام بها الإباضية–وأسبابها دفاعية–هي تلك التي قام بها في اليمن طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي. قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة جزء٥ما يلي:

[1] القيم الخلقية عند العمانيين – مصدر سابق ص٣٥.

[2] عقيدة العزابة أبي حفص عمرو بن جميع مصدر سابق ص١٦.

(فرأى باليمن جورا ظاهرا وعسفا شديدا وسيرة في الناس قبيحة، فقال لأصحابه : أنه لا يحل لنا المقام على ما نرى، ولا الصبر عليه، وكتب إلى جماعة من الإباضية بالبصرة وغيرها يشاورهم في الخروج، فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوما واحد فافعل) ا.[1]

وأسباب تلك الحركة ونتائجها معروفة مفصلة في كتب التاريخ والأدب ولعلها أول حركة عنف وآخرها قام بها الإباضية ضد مخالفيهم فتجاوزوا منطقة الدفاع عن النفس.

ولعل في إمكاننا أن نلخص أهم أصولهم في السياسة في النقاط التالية:

١- عقد الإمامة فريضة بفرض الله الأمر والنهي-والقيام بالعدل واخذ الحقوق من مواضعها، ووضعها في مواضعها، ومجاهدة العدو. والدليل عليها من الكتاب والسنة والإجماع.

٢- رئاسة الدولة الإسلامية (الخلافة) ليست مقصورة على قريش أو العرب وإنما يراعى فيها الكفاءة المطلقة فإن تساوت الكفاءات كانت القرشية أو العروبة مرجحا

٣. -لا يحل الخروج على الإمام العادل

٤- الخروج على الإمام الجائر ليس واجباً كما تقول الخوارج، وليس ممنوعاً كما تقول الأشاعرة ومن معها، وإنما هو جائز بترجح استحسان الخروج إذا غلب على الظن نجاحه، ويستحسن البقاء تحت الحكم الظالم إذا غلب على الظن عدم نجاح الخروج أو خيف أن يؤدي إلى مضرة تلحق المسلمين أو تضعف قوتهم على الأعداء في أي مكان من بلاد الإسلام، والإباضية عندما يتكلمون على الأئمة الجَوَرَة لا يقصدون مخالفيهم فقط، كما توحي به عبارات المؤرخين وكُتَّاب المقالات؛ وإنما يقصدون أئمة الجور الذين انحرفوا عن حكم الله سواء كانوا من أتباع المذهب الإباضي أو من أتباع غيره. فالجور ليس له مذهب [2].

[1] أبي حفص عمرو بن جميع عقيدة العزابة مصدر سابق ص ٧

[2] المصدر نفسه ص٨.

٥- الإمام يُختار عن طريق الشورى وباتفاق أغلبية أهل الحل والعقد.

٦- الإمام هو المسؤول عن تصرفات ولاته، ويستحسن له أن يستشير أهل الحل والعقد من أهل كل منطقة في تولية العمال عليه وعزلهم عنهم.

٧- لا يجوز أن تبقى الأمة الإسلامية دون إمام أو سلطان.

٨- الحاكم الجائر يُطالب أولا بالعدل فإن لم يستجب طولب باعتزال أمور المسلمين فإن لم يستجب جاز القيام عليه وعزله بالقوة ولو أدى ذلك إلى قتله إذا كان ذلك لا يؤدي إلى فتنة أكبر، والسلطان الجائر سواء كان من الإباضية أو من غيرهم هو وأعوانه في براءة المسلمين ومعسكره معسكر بغي.، بلد المخالفين لهم في المذهب بلد إسلام ولو كان سلطانهم جائر

لا يجوز الاعتداء على دولة مسلمة قائمة داخل حدودها إلا رداً لعدوان.

يجوز أن تتعدد الإمامات في الأمة المسلمة إذا اتسعت رقعتها وبعدت أطراف البلاد منها أو قطع بين أجزاءها عدو بحيث يعسر حكمها بنظام واحد، أو يكون ذلك سببا لا انهيارها وتشتت قواها وتعطل مصالح الناس فيها ، ولحكم الدار في نظر الإباضية أربع صور هي كما يلي:[1]

الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر إسلام وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والدولة مسلمة تعمل بكتاب الله.

الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر إسلام إلا أنه معسكر بغي وظلم وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والدولة مسلمة لكنها لا تلتزم المنهج الإسلامي في الحكم سواء كانت من الإباضية أو من مخالفيهم.

[1] عقيدة العزابة أبي حفص عمرو بن جميع مصدر سابق ص٨.

الدار دار إسلام، ومعسكر السلطان معسكر كفر وشرك وذلك عندما يكون الوطن مسلماً والأمة مسلمة والحاكم دولة مستعمرة مشركة كتابية أو غير كتابية.

الدار دار كفر، ومعسكر السلطان معسكر كفر وذلك عندما يكون الوطن للمشركين تسكنه أمة مشركة وتتولى الحكم فيه دولة مشركة.[1]

ثم على إثر هذا فإنا معتقدون الصبر على طاعة الله والقيام بحقه والعمل بمرضاته والانتهاء عن حرماته في حال الشدة والرخاء ، والعافية والبلاء والراحة والتعب ، والرضا والغضب، وليس إذا بلانا بشدة واختبرنا بضيقة وامتحننا بمحنة طاشت بذلك عقولنا ، وذهبت أحلامنا ،وزللنا عن ديننا ونكصنا عن أعقابنا " رسالتان في السياسة الشرعية ، الإمام راشد بن سعيد اليحمدي العماني [2]:وإرادتي منك معرفتي ما معك ، فإن كنت مع المسلمين على هذا الأمر الشريف حتى تموت في جملتهم رشيدا ، أو تحيا في حياتهم سعيدا حميدا فوطن نفسك على ذلك ، وانصح لله وللمؤمنين ولنفسك في سرك وجهرك ، وتب إلى الله تعالى من ذنبك ولا تعد إلى معصية ربك[3]، فلا تهجم على أمر لا تعرفه حتى تعلم حسنه من قبيحه وفساده من صحيحه وقد قال بعض الحكماء : الكلمة في وثاق صاحبها ما لم يتكلم بها فإذا تكلم بها صار في وثاقها[4]، فامسك عما لا يحل لك من القول ، وما لا يجوز لك في الفعل ، ودعنا نقضي هذه الأيام القريبة بنفوس آمنة من الغل ، وصدور سالمة من الضغن ، ناجية من الحقد حتى نلحق الله تعالى والكلمة على الحق جامعة ، والنفوس بالألفة ساكنة ، والقلوب مع ذلك صافية ، وما توفيقنا إلا بالله ، عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، ونعم المولى ونعم النصير، واعلم أن التعسف لا يسوغ في أمر الدنيا فكيف يجوز في أمر الآخرة ؟ وأراك طورا تميل إلى العدل ، وطورا تطمع في الجهل ، وهذا دين الله ليس هو كلعب الأطفال ، ولا سياسة

[1] عمرو بن جميع عقيدة العزابة أبي حفص مصدر سابق ص٩.

[2] المصدر نفسه ص١٩.

[3] المصدر نفسه ص٢٠.

[4] المصدر نفسه ص١٧.

الجهال الذين يتسكعون في الضلالات ، ويحكمون في دين الله بالشهوات ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال : من حمل دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس ، ضالا عن السبيل ، قائلا غير الجميل فكيف من حمل دينه على شهوته ، وأصلح دنياه بفساد آخرته.[1]راشد بن سعيد اليحمدي العماني ،فهذا عرض موجز عن الآراء العقدية عند الإباضية وكيف طبقها المجتمع الإباضي في هذه المجالات وأثرها ،و الدعوة في حقيقتها هي منهج الأنبياء والرسل ، وبما أن الإسلام هو خاتم الرسالات والرسول صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فإن الإسلام هو دعوة ويجب على كل مسلم أن يكون داعية للإسلام ، فما من نبي إلا أن قال لقومه { اعبدوا الله مالكم من إله غيره } الدعوة أمرها عظيم عند الله تعالى لأنها منهج الأنبياء والرسل فالأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درها وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر.[2] ، فالعالم يجب أن يكون داعية ولكي يكون داعية عليه أن يتعلم ويتفقه في دينه { التوبة ١٢٢} والآية جمعت منهجية التفقه والدعوة إلى الإسلام ويقول الإمام محمد بن محبوب لم يؤت الله العباد مثل العلم بعد النبوة ، النبوة هي اصطفاء إلهي وغير مكتسبة أما العلم فهو مكتسب وراجع إلى اجتهاد الإنسان ورغبة في طلب العلم وهذا العلم لا بد له من دعوة تصاحبه فلذلك الرسول صلى الله عليه وسلم هو أول معلم وأول فقيه وأول عالم بأحكام الله تعالى وشريعته وهو أول داعية ، أخذ يعلم أصحابه سرا ثم جهرا بعد أن جاء أمر الله تعالى ، الدعوة ليست شيئا مكتوب بل هي أي عمل وقول يخدم الإسلام فتعلم القرآن دعوة تعليم القرآن حيث العلم دعوة ، الأمر بالصلاة دعوة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعوة كل عمل يدعوا إلى الخير دعوة فالمسلم في الحقيقة هو داعية من حيث لا يشعر ، فلذلك الصحابة قاموا بالدعوة إن الفتوحات الإسلامية أظهرت عدالة الإسلام ، وخلق الإسلام فالكثير من الناس اعتنقوا الإسلام بسبب المعاملة لما رأوا عدالة الإسلام .[3]، والإمامة لا تكون وراثية وليست على عصبة دون

[1] عقيدة العزابة أبي حفص عمرو بن جميع مصدر سابق ص.٢١

[2] المصدر نفسه ص ٣٠.

[3] الدعوة عند الإباضية الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر مصدر سابق ص ٣٣.

عصبة وإنما يتولاها من توفرت فيه شروطها وإن كان أسود حبشيا فكان الإمام الأول عربيا عمانيا جابر بن زيد والإمام الثاني يمنيا أسود أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، والإمام الثالث عربيا عمانيا لا تربطه بالإمام الأول رابطة إلا من بعيد.[1]

من كتاب مجموع البيان : الإمامة هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص ن وهي خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم في إقامة الدين وحفظ حوزة الملة والإمامة عند الإباضية أربع مراتب : هي إمامة الظهور والدفاع والشراء والكتمان وذلك حسب ظروف المجتمع الإسلامي من حيث القوة والضعف[2].

هي القيادة الكبرى للأمة ، وهي ضرورية من أجل جمع شمل الأمة وتأليف قلوبها والنهوض بمسؤوليتها ، ومن بينها : الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ،و إقامة الحدود الشرعية ، وإغاثة الملهوفين ونصرة المظلومين ، والجهاد في سبيل الله ، وإقامة الجمعات ، فإن ذلك من مسؤوليات الأمة ، ولا يمكن أن يقوم بذلك أفراد مشتتون ، وإنما يتم ذلك في حين قيام النظام الشرعي ، ووجود قائد للامة تفوض إليه أمرها وتسلس له قيادها وتحوطه بنصحها وتوجيهاتها [3] وهو منصب لا يختار له إلا من كل له أهلية تامة وذلك بأن يكون رجلا مسلما ورعا سليم الحواس والعقل ليست به عاهة وان يكون حرا بالغا متمتعا بمؤهلات القيادة ، من الإقدام وحسن السياسة والحنكة وسعة الصدر ورباطة الجأش وعلو الهمة والخبرة بشؤون الدين والدنيا ومعنى هذا أنه لابد من أن يكون عالما مجتهدا ، أو أن يكون من حوله علماء يستمد منهم خبرته ويرجع إليهم في حل المشكلات .

[1] شخصيات إباضية . د. فرحات بن علي الجعبيري مكتبة الضامري ط١ ، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م سلطنة عمان ص ٦٥.

[2] المصدر نفسه ص ١٣٨.

[3] المصدر نفسه ص١٩٨.

وهذا المنصب إنما هو وراثة للنبوة ، فلذلك لا يتبوؤه إلا من كان على منهاج الأنبياء فما لأهل الجور والظلم فيه من نصيب بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾[1]

فكما أن الظالم لا يكون نبيا قط كذلك لا يقعد على عرش خلافة النبوة .

ولا يشترط لهذا المنصب نسب بعينه فجميع الناس متساوية فيه أقدامهم عندما تتوفر فيهم الشروط المطلوبة ، فليس العربي أولى به من الأعجمي ، ولا القرشي أولى به من غيره ، وإنما اختيار الخلفاء الراشدين من قريش في عهد الصحابة رضوان الله عليهم –مراعاة لمصلحة سياسة الأمة[2] ،فإن الدولة كانت قائمة يومئذ على أكتاف العرب لأن معظم الرادة إلى الإسلام كانوا منهم ن وكانت العرب جميعا تجل قريشا لمجاورتها بيت الله تعالى الذي ورثت العرب تعظيمه ، ولأنها القائمة عليه وذلك مما اورثها مكانة في نفوس العرب جميعا .

وهذا مما يؤكد أن اختيار الخلفاء منهم كان إجراء سياسيا من أجل مصلحة الدين في ذلك العهد فحسب ، وفيما بعد ذلك إذا وجد الأكفأ من غيرهم فهو أولى بهذا الشأن ، مع أن الذين اختيروا للخلافة الراشدة لم يختاروا لقريشيتهم فحسب ،إنما لسابقتهم في الفضل ولأنهم من السابقين الأولين من المهاجرين فكانوا أحرياء بذلك وعليه فالإمام هو واسطة عقد المسلمين ونظام الإمامة شرع في الإسلام من أجل جمع الشتات وتأليف القلوب وتقريب القاصي وهو يتنافى مع التفرق والاختلاف ولذلك طان غير صالح أن يجمع إمامين معا في وقت واحد لأن ذلك مدعاة للاختلاف في الرأي وتشتت الكلمة وقيام العصبية العمياء التي تدفع بجماعات المسلمين إلى تعصب كل جماعة منهم لإمام[3].

[1] سورة البقرة الآية ١٢٤.

[2] شخصيات إباضية . د. فرحات بن علي الجعبيري ص ١٩٩.

[3] المصدر نفسه ص ٢٠٢ .

يقول الشيخ أحمد بن سعود السيابي : ...لا شك أن الإسلام جاء ليبني دولة فالنبي ﷺ أنشأ كيان إسلامي (الدولة) و(الحكم)، حيث كان الإسلام هو المقوم للأمة وهو الذي ينظم ويكون العلاقات في الأمة وهو الحكم في الإسلام ، فقد يكون المجتمع الإسلامي فيه الكثير من التجاوزات الكثير من التجاوزات لكن وجود نظام حكم إسلامي يعالج تلك المعاصي وتلك السيئات لأن المعاصي لا يمكن أن تختفي والناس لا يمكن أن يكونوا في غاية النزاهة .[1]

فالتربية الروحية التي كان يهتم بها النبي ﷺ لتهذيب نفوس المسلمين وإقامة حكم الله انطلاقا من القرآن الكريم ، ولا يتأتى ذلك إلا بترسيخ العقيدة الإسلامية وهي تعمل على بناء شيئين : وهما البناء الروحي للفرد والارتقاء به من عالم البهيمية إلى عالم الملائكية هو الذي يحقق البناء المادى والمتمثل في بناء دولة متماسكة هدفها إقامة حدود الله وبذلك تتحقق للإنسان عمارة الأرض .

[1] ليالي ابن دريد ، الشيخ أحمد بن سعود السيابي ٣/ ١/ ٢٠١٧، الثلاثاء / الإسلام والفكر السياسي ، التصوف الإسلامي

المبحث الثاني : أقطاب شعر الزهد والسلوك الإباضي العماني

المطلب الأول : الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي وديوانه نفائس العقيان

هو الشيخ الرئيس العلامة جاعد بن خميس بن مبارك بن يحي ين عبد الله بن ناصر بن محمد بن حبا بن زيد بن منصور بن خليل بن ورد بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي اليحمدي الأزدي القحطاني وكنيته أبو نبهان ولقبه الشيخ الرئيس وسمي الرئيس لكتابته في مختلف حقول المعرفة ولد عام ١١٤٧هجرية ١٧٢٧ميلادية [١]

يحتل الشعر الصوفي مكانة مرموقة في تاريخ الأدب العربي حيث كان إيجاد الشكل التعبيري المناسب إشكالية كبرى في تاريخ التصوف الإسلامي ذلك لأن اللغة التي [٢] ، يستخدمها الناس في حياتهم اليومية لم تكن تناسب التعبير عن تلك الأحوال التي يعانيها الصوفي في الخطابة الروحية التي يرتفع فيها من ربقة المحسوسات إلى عالم الإلهامات و الفيوضات النورانية والمشاهدات وحتى بدايات القرن الرابع الهجري كانت إشكالية التعبير المناسب سببا في اضطهاد الصوفية والهجوم عليهم [٣]، ذلك لأن الشعر في حد ذاته هو نتاج لحالة شعورية ينطلق فيها الشاعر بحسه الأدبي ليصور لنا بعض الأشياء التي قد لا تستوقفنا في حياتنا اليومية لكنه يقدم لنا الرؤية خاصة لهذه الأشياء من خلال الأفق الرحب الفسيح الذي يحلق فيه الشاعر ولهذا فالشاعر على هذا النحو قريب الصلة بالتصوف فالصوفي هو الأخر يسعى من خلال خلواته ومجاهداته الروحية إلى التحرر من عالم الحس ليصل إلى عالم النور حيث يرى الأشياء يقلبه ..هذه رؤية جديدة للأشياء وهكذا ينطلق كل من الشعر والتصوف من نقطة واحدة تقريبا هي التخلص من تراكمات العادة وسيطرة المادة حتى ينتهي كل من الشعر والتصوف إلى نقطة

---

[١] حياة المهج الخروصي ١٨.

[٢] عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية تأليف يوسف زيدان ١٩٨٨م الاسكندرية : الشعر الصوفي ص ٧٥

[٣] الشعر الصوفي ص ٧٦.

واحدة أيضا هي التي تسمى عند الصوفية بالكشف وعند الشعراء بالإلهام ، ونظرا لهذه الطبيعة المتقاربة بين الشعر والتصوف ونظرا لإمكانية التعبير الرمزي عن المعاني الصوفية من خلال الأبيات الشعرية لجأ الصوفية إلى هذا اللون من الأدب للتعبير عن تجربتهم الروحية [1].

إن الشعر يعرفنا على مناطق لا يستطيع غيره أن يعرفنا بها ، للشعر ضياء أعمق لأنه يكشف عن القلب مجردا وفيه نتعرف التوق والرغبة والجاذبية التي انجذب يخفق لها والتي أثرت بالتالي في كافة الجوارح والحواس والأفعال والأقوال فلو أننا تتبعنا أطراف الأفعال وظاهر الأقوال لتهنا كثيرا ربما حتى نصل إلى البحيرة القلبية الصافية التي تنبع منها القصائد والأشعار .

وإذا كان الشيخ جاعد لم يضع تأليفا شاملا أو كتابا جامعا يبث فيه آرائه وفلسفته ويضع حكمته فإن شعره هو مجمع عواطفه ومشاعره وأفكاره الروحية والقلبية [2]، فهو عند الإباضية وغيرهم ،يعتبر الشيخ أبو نبهان مدرسة سلوكية فكل كتبه وفتواه يظهر عليها الجانب السلوكي [3]، ناهيك عن شعر المحبة الإلهية فالشعر الإلهي والقصائد الإلهية كحياة الأرواح وحياة المهج هي البحر الذي حين وصله الشيخ لم يلتفت لغيره كما قال هو في إحدى قصائده الإلهية :

دع غيره فالغير عفس ضيق والجهل فيه لدى الجهالة حاب

ولا نظن الشيخ بعد أن بلغ مصدر الأنوار ومبدعها سوف يلتفت لما سواه ، مع أن بعض المرويات كما في رواية الشيخ ناصر بن جاعد تشير إلى اشتغال أبيه بعلم السر كما يسمى لكن ذلك لا يعني بالضرورة علم الرمل أو علم الكيميا بل قد يشير إلى هذا الاتصال الرباني نفسه

[1] الشعر الصوفي مصدر سابق ص ٨١

[2] الشيخ خميس بن جاعد الخروصي ت: ابراهيم نفائس العقيان ، ديوان أبي نبهان السيد الرئيس الشيخ جاعد بن خميس الخروصي ج: بن سعيد ذاكرة عمان ، ط١ ١٤٣٨هـ-٢٠١٧.- ص ٤٣

[3] لقاء مع الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ، سلطنة عمان ٢٠١٥

فالاعتماد الأكبر فيه على الأذكار وأسماء الله لا على غيره من العلوم المنسبة إلى علم السر والشيخ جاعد عالم وشاعر وصوفي كبير [1].

إن شعر الشيخ جاعد مع التزامه بالمعجم الشعري الصوفي المتفق عليه الصوفية من قبله يقود قارئ شعره بين أودية الوجود بحنكة خبير في صعود الجبال فهو يصعد صعودا في كل قصيدة من قيعان الدنيا هذه وهاوياتها وأوديتها السحيقة وعالم الشهادة بأكمله حتى يصل إلى ذرى عالم الغيب والملكوت مع عشاق الله فيروي لقارئه وكأنه يرويه من تجلي الحبيب ذلك التجلي الذي يجعل العقل مندهشا وإن العوالم في قصائد الشيخ جاعد مفصولة فصلا دقيقا يتيح للمريد معرفة الطريق بل ورؤيته عيانا كما لو أنها دليل إرشادي في عالم غرائبي غامض على من يجهله فهي تصعد صعودا عبر وصف دقيق للمراحل يصعد بالمتلقي يحايث خطوات المريد نحو غاية المراد ويشع عليه في الخيال نور من تلك التجليات النورانية التي تسلب [2] ، اللب ويكاد يشم بخياله رائحة تلك الخمرة الإلهية التي تتحدث عنها الأشعار وتختفي ذرة منه في الفناء في الله وتثبت ذرة منه في البقاء في الله [3].

إن العارف في اتصاله بربه وتفانيه فيه يذوب وجدا وحبا حتى يكون الله قبلته أينما توجه وأبسط شروط المحبة أن يطلب المحب دوما الاقتراب من الحبيب بأي شكل كان .فإن العارف بالله كذلك في كلامه وهو المتماهي مع الحبيب الذي جعل قلبه مرآة للتجلي الإلهي يصنع في كلامه انعكاسا لجمال التجلي الإلهي في الوجود فهكذا يصنع من الكلام أعجوبته وإذا كانت الحياة الدنيا هي بوابة الوجود للعودة إلى حضرته تعالى مزينة مزخرفة فإن كلام العارفين يتبع النسق نفسه ويحاول محاكاة ذلك الإيقاع الإلهي ذاته فينعكس في لغته [4].

---

[1] ابراهيم بن سعيد نفائس العقيان ،ديوان أبي نبهان ت: ذاكرة عمان ، ط١ ١٤٣٨هـ-٢٠١٧ ص ٤٨.

[2] المصدر نفسه ص ٤٩ .

[3] المصدر نفسه مصدر سابق ص ٥٠.

[4] أبي نبهان نفائس العقيان ، مصدر سابق ص٥٢ .

حين أراد الله أن يوحي إلى أنبيائه بالوحي فإنه اختار هذا الوعاء اللغوي نفسه ليصب فيه من أنوار هدايته وسر الكلمة الباقي الذي تحله كل الكتب المقدسة يجري بلا انقطاع أيضا في تجارب الصوفية وهو الوعاء نفسه الحافظ لإيقاع أسمى تجاربهم الروحية وأسمى تطلعاتهم القلبية وهو نفسه الوعاء اللغوي الحامل الأزلي للحكمة وناشرها الأول ...إنها لغة التعبير عن الفناء في صفات الذات العظيمة [1].

يعرض شعر الشيخ جاعد بشكل جلي منظومة فكرية متكاملة وتامة يتخذ فيها الوصول إلى الله هدفا وتصوف استبطان الذات وتطهيرها منهجا وفي تلك المنظومة الفكرية فإن القلوب مهيئة للوصول بحكم فطرة الخلق الأولى

كل القلوب لمستعد سرها لتجليات الحق وهي فوارس.

كما جاء في قصيدة حياة الأرواح لكن تعوقها عيوتـــــــــبه

لكن بكل عيوبها منها لها فيها حجاب مانع متكـــــاوس

وطريقة التدبير في تنويرها تمحيق ما هو ناكس ومغامـــــس

ودقائق التدقيق في تدقيقها من رق من هو للعلوم مدارس

إذا فالعيوب تعوق القلوب عن تجاوز الحجب وفي هذه الدنيا من الحجب الكثيرة ما يجعل إدراك الناس غريقا فيما هم فيه من شغل وأطماع ورغبات وخوف فكأنهم جوعى لا شفاء لجوعهم ونهمهم

ولولا حجاب الجهل بالناس ما نووا وراموا بها الأطماع للروم جوع [2].

[1] نفائس العقيان ، ديوان أبي نبهان السيد الرئيس الشيخ جاعد مصدر سابق ص ٥٣.

[2] المصدر نفسه ص ٥٤

والدنيا خادعة مخادعة يصفها الشيخ في أكثر من قصيدة وهي تسعى لخداع المرء بألف وسيلة ووسيلة ومصيدته في نفسه فتعطيه ثم

خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين ظهر عند الشعراء الإباضيين في هذه الفترة وجود وفرة واضحة فيما يسمونه "شعر السلوك " فقد انتشرت في قصائدهم ظاهرة التأثر ببعض التوجهات الصوفية في أشعارهم ،ونجد ذلك واضحا في مسميات قصائد ودواوين هؤلاء الشعراء كسلوكيات أبي نبهان الخروصي ، وسلوكيات الخليلي ،وسلوكيات الرواحي ، حيث أطلق الشعراء الإباضيون على القصائد ذات الطابع الصوفي " شعر السلوك" ولم يطلقوا عليها " شعر التصوف "، وقد انعكس ذلك التأثر في موضوعات تصوفية بعينها كالزهد في الحياة والتحذير من الدنيا والتخويف من النار وعذابها الأبدي وطلب المغفرة من الله والتوبة إليه والمناجاة الإلهية والإقبال على الله سبحانه وتعالى ومخاطبة النفس وتبكيتها والدعوات التي من شأنها أن تؤكد التربية النفسية ضمن رغبة جامحة للتخلص من علائق الذنوب [1]

فشعراء السلوك الإباضية لا يدعون إلى اتخاذ الأذكار مجرد جلسات وطقوس وتجمعات وأناشيد تتلى "وإنما أخذت الخلوة الانفرادية واستعمال الأوراد"[2] ،كما أن عقيدة الإباضية في التنزيه لا تروم الوصول إلى رؤية الله سبحانه وتعالى فضلا عن التوحد معه ولذلك فهم ينتقدون الصوفية في ذلك فالشاعر العلامة سلطان بن محمد البطاشي يقول :

نظر الجليل من العبادة والسياحة والزهادة طلبة المتصـــــوفة

طمست بصائرهم أشعة نوره فعموا بذاك عن السبيل المزلفة [3]

[1] أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني ،ص٢٠٧

[2] السيابي أحمد بن سعود ،مقال ضمن قراءات في فكر البهلاني ،أبو مسلم البهلاني الرواحي ، ص٥٠.

[3] أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني مصدر سابق ص ٢٠٨.

وبقدر ما تأثر شعر السلوك العماني بالتصوف واستفاد الشعراء بنوازع التصوف المختلفة والتي استقاها المتصوفة من الفكر الإسلامي الأصيل والذي مؤداه الارتقاء بالنفس إلى مراتب المخلصين وكعلاج للنفس وترويضها وتعويدها على الطاعة والابتعاد عن مواطن الزلل فقد جاء نتاجهم الشعري في هذا المضمار محافظا على معطيات الفكر الإباضي في عمومه

فالزهد في الحياة والتحذير من الدنيا وآفاتها من أبرز الموضوعات التي عالجها الشعراء ويعد الشاعر أبو نبهان جاعد بن خميس الخروصي(ت ١٢٣٧)من أوائل المتأثرين بالنهج الصوفي في عمومه حيث اتجه الشاعر إلى النفس في محاولة لرسم معالم إصلاحها والخروج بها من ربقة الهوى إلى عالم يسمو بها إلى مرتبة العبودية الحقيقية لله عز وجل ويدعوا إل تنقية النفس منظلم الجهالة والهور فيقول [1]:

فقدّس هُديت النفس من رين جهلها به عاجلا تمحق به الذات والذنبا

وبادر إلى تجريدها من مزاجهـــــا وإخراجها من يم أمشاجها سحبــا

فإني أراها عن يقين غريقـــــة على قبحها في قعر بحر الهوى عطبا

ويبين أنحب الله لا يكون إلا بامتثال أوامره والانشغال بحبه عن كل ما سواه ويصف الشاعر الواصلين إلى مرضاته تعالى فيقول :

حدا عيسَه روما له لا لغيره على ظهر رَوْض الحُب مهما دعي لبا

يجوب الفلا منها بها في مروجها على أوجها منها بمعراجها هضـــــــبا

ولم يزل في صمده قاصدا له بمرصاده حتى تنيخ به الركـــــــــبا

فنى في هواه عن سواه له به وعد عن الأغيار في غوره عصـــــــــبا

[1] أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني مصدر سابق ص ٢٠٩.

وعن مراتب الكمالات التي لا يصلها الإنسان إلا إذا ارتقى بنفسه إلى مرتبة اليقين والإخلاص عندها تتفجر ينابيع العلم في قلبه فيمتلك زمام نفسه فيقول :

فطوبى لمن في نفسه عن صفاتها تخلّى وحلّى قلبه فانجلى هَجْبا

وأرخى إلى مولاه هوجاء نفسه مُجدّاً على جدّ لوجدٍ جَرى ضَرْبا

ولما يزل يرقى بمرقى التقى بها يروم الرضا الشقا إن قضى نحبا [1]

وهذه النظرة الزهدية إلى الدنيا والحياة تكتسب توجهها عبر نظرة سلوكية تصوفية ارتقى بها الشاعر لتعبر عن وجهة نظره نحوها بأسلوب صوفي قح وما فيه من الإشارة الدالة على الوصول الحقيقي إلى الله سبحانه وتعالى ،وتظهر المسحة الصوفية بقوة عند الشاعر أبي نبهان الخروصي بما يمثل شخصية (السالك) الذي نزع من قلبه كل شيء عدا حب الله عز وجل فأشرق نور الإيمان في قلبه فيقول :

شموس قلوب العارفين بوازغ ومن حب غير الله هن فوارغ

لها في خفيات الخفي مطالع وفي غرب أعيان العيان مبـــازغ

وفي سر إشراق النفوس مشارق لآفاق أوفاق النقق دوامـغ [2]

وفي أقسام العارفين يقول الشاعر أبي نبهان الخروصي :

والناظرون بنور الله نورهم في قالب مثل نور الشمس مركوزا

أهل الجهاد وأهل الاجتهاد هم أرباب وجد لهم في السر تمييز

فالسر منكشف في حقهم وكذا ما في الحقائق بالتحقيق مكنوز

[1] محمود مبارك السليمي ،أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني مصدر سابق ص ٢١١.

[2] الخصيبي محمد بن راشد ،شقائق النعمان ج١ص ١٤٧ــ

تعرفوا الحق لما الحق عرفهم عُرْف المعارف والتعريف تعزيزُ

واستنشقوا من ختام الحب رائحة راحوا بها وجميع الغير مفلوز (خسران) [1]

يقول أبي نبهان:

تبين أخي في الله قولي فإني علي النصح في ذات الله مع العتبا[2]

يريد الاستبصار في معنى قوله وأنه ناصح للإخوان في ذات الله والله هو المستحق لأن يعبد

ولا يجوز أن يتسمى بهذا الاسم غيره ولا يستحق العبادة أحد سواه ،والنصح اسم كالهيولي جامع لصور شتى ،من فرض ونفل لأنه يتناول الدين كله وهولا يريد بهذا النصح إلا سلوكا لمنهاج الأنبياء وسلوك سبيل المهتدين إلى الله رب العالمين[3] .

وأدنى قريب كان ذاتي حقيقتي فنفسي به أحرى بديا وإن تأبا

يشير الشيخ جاعد إلى أن النصح للنفس أولى لأنها أقرب القريبين منه وفيه إشارة إلى أن النفس صالحة بالفطرة رغم ما يعتريها من عوارض وأنها قابلة للصلاح بالمجاهدة والإصلاح [4]

فالاستمرار في كبح النفس وصقلها وتحمل المشاق والآلام تكون ثمرته نيل المراد برضا الله تعالى ، وإن أبت النفس ذلك فإنها ستبقى في الشقاوة ، فالنفس بعد تعودها على الرياضات والمجاهدات والتي أصبحت عندها بمثابت عادات فيقول الشيخ جاعد :فكيف ما أولاها فتحبه وترضى به لأنها مسهرة بحبه وكانت قرة عينها في رضى محبوبها .

أراها على قبح الصفاتِ ذميمة ومن بؤسها تسعى لمسعى الردى بي دأبا

---

[1] أثر الفكر الإباضي مصدر سابق ص ٢١٦.

[2] جاعد بن خميس الخروصي ،مخطوط شرح منظومة حياة المهج ص ٦/١.

[3] المصدر نفسه ص ٧/١.

[4] المصدر نفسه ص٨/١.

ويتحدث الشيخ هنا عن بصر عين القلب لأن النفس من عالم الملكوت فلا سبيل إلى إدراكها بالبصر الظاهر ، وأخبر عنها لا لأنها ذميمة وإنما المقتضى بذلك قبح صفاتها وهي كذلك وينبغي للمرء من أن ينظر إليها بعين السخط دائما ولا يراها بعين الرضا عنها ، وكيف يرضى عنها وهي الجامع لصور الشر ولها صفات أربع [1]، ومنها يتولد الخير والشر والصلاح والفساد فإن غلب عليها الإفراط صارت ينبوعا لجميع المعاصي وهنا يكون وصف النفس ذميمة ، لقبح صفاتها ولما اعتدلت في نفسها وكانت منقادة للشرع انعكس أمرها وصارت ينبوع جميع الطاعات[2].

إن الشغف بالمطلق والمحبة والوداد الإلهي اللذين يتفجر بهما ديوان الشيخ جاعد في هذا العمل الشعري سيعثر الإنسان على نفسه من جديد ويجد من المعرفة والقدرة والإلهام والحب ما يتجاوز به عقبات يومه نحو تحقيقه بلوغ مرتبة (الإنسان الحر) المنتمي إلى الناس الذين يصفهم الشيخ جاعد بأحرار الكون الذين يمثلون (الإنسان الكامل) ذلك الإنسان الذي كتب له عبد الكريم الجيلي كتابه بنفس الاسم والذي عاد نيتشه وحاول بعثه من جديد باسم (الإنسان الأسمى)، كل ذلك تعبير عن التوق النفسي والروحي المتجسد في الإنسان منذ الأزل [3]،وهذا النموذج الذي ينتمي ثقافيا وتاريخيا إلى مذهب فرعي من بين المذاهب الإسلامية ،وهو الإباضي العماني ، ولكن مع ذلك فإن الشيخ جاعد سعى ليتجاوز الحدود ويعانق المطلق بالحب المخلص النقي متحدا في مسلكه مع صوفية كبار في ثقافتنا الإسلامية وهم أيضا أخرجوا أنفسهم من ضيق السجون الفكرية إلى حرية تليق بإنسانيتهم .

[1] خطوط شرح منظومة حياة المهج ، مصدر سابق ص ٨/١.

[2] المصدر نفسه ص ٩/١.

[3] السيد الرئيس الشيخ جاعد بن خميس الخروصي –نفائس العقيان ، مصدر سابق .ص ٦.

وهكذا فإن تجارب الإنسان الروحية تلتقي في كل زمان ومكان عند الهدف العظيم والبحر اللامتناهي فيجمع شملها من جديد في هدفها ومرادها وهو الله ، وما دام المراد واحداً فالطرق وإن اختلفت لاشك مجتمعة وإنما اختلافها ثراء لا عداء .[1]

والمتأمل لانتشاءات الشيخ الإلهية وكؤوس خمر المحبة التي تنسكب من شعره ، يلحظ التشابه الصوفي بين فكر الشيخ جاعد والشيخ الأكبر ابن عربي خاصة عندما نقرأ قصيدته الموسومة "أرض الحقيقة " والمعروف أن ابن عربي قام بشرح وتفصيل هذا المقام ،وتوارده في هذه القصيدة إما أنه يشير صراحة إلى اطلاع الشيخ على مؤلفات ابن عربي الشيخ الأكبر وأنه يشير إلى بلوغه هذه المرتبة ووصوله إليها ووصفه لها وصف العارف بها [2]

يقول الشيخ جاعد :

يا من على نَجَبِ الغرارة يهبع وبكل واد في الجهالة يهرع

قف في رياض العارفين فإنهم قوم لهم أرض الحقيقة مربع

في صورة الشكل المسبع رسمها والقاعدات إذا نظرت فأربع

وقد خص ابن عربي أرض الحقيقة بوصف عجيب وقد أور ابن عربي أنها خلقت من فضلة الطين الذي خلق منه آدم وورد ذكرها في كتاب الفتوحات المكية الباب الثامن قال : الأرض الإلهية الواسعة التي تسع الحدوث والقدم فتلك أرض الله من سكن فيها تحقق بعبادة الله وأضافه الحق إليه ،ولهذه الأرض البقاء ما هي هذه الأرض التي تقبل التبديل والعبد لا يزال عبدا فلا زال في هذه الأرض في هذه الأرض أبدا وهي أرض معنوية معقولة غير محسوسة وإن ظهرت في الحس كظهور تجلي الحق في الصور وتجلي المعاني في المحسوسات ، على ذلك فإن أرض الحقيقة وفق هذا المفهوم الصوفي وهي كما يرد وصفها عند الشيخ كالجنة وشبيهة بها

[1] نفائس العقيان مصدر سابق ص ٧.

[2] المصدر نفسه ص٢٧٦.

درجة المطابقة ، لكن الوصول إليها ممكن الآن قبل الموت وفي حياة المرء عبر ترقيه في المقامات كما يفهم من كلام ابن عربي فهي مرتبة رفيعة في مقام أسماه مقام الخيال [1]

ثم يقول الشيخ جاعد في آخر القصيدة :

هذا هو الحق الصحيح وإنه كالشمس نورا بالضياء يسطع

فاطلب له إن كنت طالبا العلا واقصد إلهك نورا بالضياء يشفع

واحذر أخي طلب الجحيم فإنها للروح والجسم الضعيف تضعضع

وتمزق الأوصال في أجسادها والنار للنفس الدني تدعـــــدع

ودع المناهج قاصدا علم الهدى فالحق فرد والمناهج مهـــيع

يشير الشيخ جاعد في آخر بيت من قصيدة "أرض الحقيقة " إلى أن المناهج والمسالك إلى الله تعالى متعددة واسعة وضرورة اتباعها والابتعاد عن المناهج التي تبعد عن الحق تعالى واتباع علامة الهدى هو الحق تعالى وهو وحده تعالى علامة الهدى الواضح للعيان في كل زمان ومكان [2].

فديوان الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي ينم عن تجربة صوفية معاشة حقيقة والتنقل من حال إلى حال وترقي من مقام إلى مقام فأغلب قصائده تشير إلى المشوار الذي قطعه الشيخ للوصول وسلوكه الطريق التي سلكها من سبقه من أقطاب التصوف الإسلامي وممن يتضح تأثره بهم مثل الشيخ الأكبر ابن عربي ، حتى لقب الشيخ جاعد بالرئيس المدقق ،أو الشيخ الرئيس ، وقد تناولت أشعاره محاور هي مسالك الصوفية فأولهم وهو الغاية الأسمى نيل رضا الله تعالى ومحبته والقارئ لديوانه يستشف تلك المجاهدات والرياضات التي تكبدها

[1] نفائس العقيان مصدر سابق ص ٢٧٧.

[2] المصدر نفسه ص ٢٨١.

الشيخ للوصول إلى الفناء ، ففي ديوانه نفائس العقيان نظم الكثير من القصائد جلها في المحبة الإلهية : وهي :

قصيدة حياة الأرواح :

يقول الشيخ جاعد في تقديمه للقصيدة: أما بعد فإن الله مولى الجميع سخرني بعدله لنظم هذه القصيدة حتى كملت بجوده وفضله وسميتها بعد تمامها :حياةُ الأرواح وتقويمُ الأشباحِ وراحةُ الارتياحُ في إيضاحِ مصباحِ زجاجةِ مَعَالِمِ الطريقةِ ،وتقعيدُ قواعدِ علم الحقيقةِ والشريعةِ ،وتعريفُ معارفِ حقيقةِ الحقيقةِ وإظهارُ غوامِضِ أسرارِ العبوديةِ والقيامِ بحق الربوبيةِ فيقول :

والحق فرد والشهود كثيرة ولعالم الأشهاد جم رَاكِـــسُ

والكائنات فكلها في كونها عين الشهود وللمريد مَقابِس

وكثائف الأغيار عن تحقيقه حُجُب حُجِبَ الجهول الناكسُ [1]

الحق هو الله وهو الفرد من الفردانية والتفريد والمراد ذكر فردانية الله والشواهد والأدلة كثيرة .

ويقول :

والكشف سر في تفريده وفرايد التفريد سر شـــامس

والوهم قيد النفس في تقييدها عن مطلق الإخلاص فهو الحابس

الكشف عند الصوفية هو كشف الحجاب وبه تحصل العلوم والمشاهدة وفي الكشف والتحقيق قال ابن عربي :نفرغ قلوبنا من النظر الفكري ونجلس مع الحق تعالى بالذكر على بساط الأدب والمراقبة والحضور والتهيؤ لقبول ما يرد علينا منه تعالى ،أما التفريد فقال فيه ابن عربي أيضا :التفريد وقوفك بالحق معك ومن شرطه التجريد والتجريد هو إماطة السوى والكون عن القلب

[1] نفائس العقيان مصدر سابق ص ٨١.

والسر ، وللتفريد أسرار كما ذكر الشيخ جاعد في البيت وبها يحدث الكشف الإلهي [1]،ثم يقول في التجريد :

والأصل تجريد الهوى عن نفسه وبنفسه تجريدها يا ناعس

هيهات يحصل بالمنى تحصيله والنفس فيها للعناء مغارس

ويقول في الحضرة:

وإذا حضرت بعز حضرة قدسية فإليك في الأنس النفيس مجالس

ينسيك أنسك كل شيء دونه وبه القضاء على الفؤاد عضـــارس

(عضارس تعني البرد الشديد) فتلك الحضرة التي يذهل فيها عن كل شيء عدا الله وبتلك الحضرة الإلهية يسكن وتبرد حرارة الفؤاد على المصائب من حوادث القضاء والقدر فلا تؤثر فيهم ولا يحزنون وتلك طمأنينة الفؤاد وهدوء الروع [2].

قصيدة فريدة التفريد وقاعدة التوحيد:

والقصيدة تبتدئ أبياتها بالتسبيح وهي قصيدة رائقة في التسبيح وكأنها جاءت في حالة استغراق متسامية من التعبد يشهد بذلك التكرار المترادف فيها لكلمة سبحان الله وللشيخ أبي مسلم قصيدة مشابهة عنوانها الباقيات الصالحات .

سبحان من كل يسبحه به وإليه منه يدين من قد دانا

سبحان من للكون كان مكونا ما كان أو سيكون كونا كانا

[1] نفائس العقيان مصدر سابق ص ٧٣.

[2] المصدر نفسه ص ٨٧.

سبحان من شهد الوجود بجوده ووجوده سبحانه سبحانا [1]

قصيدة عدل العذل وحق الهوى :

يقول:

أرى العدل عن لوم العذول هو العدل وقصد الفتى وصل الحبيب هو الدخل

وحق الهوى ما صادق في الهوى فتى يُخِلُ به عن خله اللوم والعـــذل

ويصغي إلى قول الوشاة فينثني صُدُودًا على هجر وفي صدره ثِقلُ [2]

ويقول في آخر القصيدة:

ألا إن هذا الحب أوله عنى وأوسطه بلوى وآخره قتـــــــل

فمن لاعه حر الغرام به فقل على قول أهل الحب هذا له نِحل

يقول أن هذا الطريق الذي هو طريق الحب أوله عنى أي أسر وهو العاني أي الأسير وأوسطه شقاء ويعني به شدة الغرام وشقاء الوجد وحرارته وآخره قتله ويعني الفناء فيه [3].

ويختم القصيدة بقوله :

ومن مات في نار الجوى كان حكمه شهيدا ولكن في الهوى نفسه طل

ولا تحسبن قتلاه موتى فإنهـــــــم على القتل أحياء وما نالهم قتـــل

يختم الشيخ القصيدة بقوله أن الذي يموت في نار الجوى وهي شدة الوجد وناره اشتعال حزنه أي من مات في هذا الحب الإلهي وفي سبيله فهو شهيد ، وكم من قتيل في هذا الطريق .

---

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص ٩٢.

[2] المصدر نفسه ص ١٠٤.

[3] المصدر نفسه ص ١٣٧.

قصيدة غابة الغرايب :

أُوَاري أَوَاري من لظى حر لوعتي أُناسِي أُناسِي والأسى بي مالك

بوَادِي البَوَادِي في البَوَادي مُبددِي وَبالِي وبالي في المَبَارِك بـــــــارِكُ

والمعنى أنني أستر اشتعالي(أَوَاري يعني اتقادي وشدة تلهبي) من حر نار غرامي كي أؤنس من حولي فلا يهلعون علي إذا رأوا حزني وأساي يقهرني ،والبوادي بمعنى بداية البدايات أو ظهور المظاهر والمفتتحات وهي الظواهر البادية على القلب مما فتح به الحق وهي بداية السالك عند أهل الطريقة ، ويصف الشاعر حاله وأن بوادي مظاهر عشقه بدت وبددته بين البوادي وهو حال المغرم العاشق ينفر من جميع الناس .[1]

قصيدة الجاهل والعارف ومطلعها :

ألا إنني أُنسِي الأسَى مِنْ أسَاءِتِي وإن لِنَفْسِ الأُنْسِ نَفْسُ الأسَى أَسِيْ

والمراد بهذا أن المرء يأنس بالحزن ويجد فيه مواساة لأن موضع الأنس والحزن واحد فكل للآخر طبيب وعلاج .[2]

قصيدة السلامة في الدنيا : ومطلعها :

ألا إن مِنْ سَلْمَى السّلامَةِ إلى أَهْلِهَا قصدا لما هو أنـفعُ

بلى لعب هذِي وللخلب منصب بها وَلُهًا فيها إلى الجهل مرتعُ[3]

الحث على ترك الدنيا والسلامة من كل عيوبها وتوديعها والتحذير ومن الركض ورائها فماهي إلا لعب ولهو وملهاة وغرور ، وأنها مهلكة لمن يجعلها هدفه .

---

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص ١٣٩.

[2] المصدر نفسه ص ١٤٩.

[3] المصدر نفسه ص ١٥٨.

قصيدة نور الله :

معَاقِدُ الدينِ في التوحيدِ مودَعَةٌ	والعِز في قَاعِدَاتِ الحَق مرَكُـــــوزُ
والناسُ فيهِ على الإِجْمَالِ أَرْبَعَـــــــةٌ	منَ الصنُوفِ وَفِي الأَصْنَافِ تعجِيزُ
صنْفٌ جُحُودٌ وَصِنْفٌ دَاصَ مِن نَفَقٍ	وَثَالِثٌ بِأُولِي الألبَابِ مَوْشُـــــــوزُ
والعَارفونَ فَصِنْفٌ وهوَ أَرْبَعَـــــــةٌ	من الصنوفِ وفي الأقسَامِ تفــريزُ
فَشَاهِدٌ شَهِدَ المشْهُودَ شَاهـــــدُهُ	قَبلَ الشوَاهِدِ في الإِشْهَادِ مَوفُــوزُ
وَبِالشُهُودِ مِنَ الأكوَانِ شَاهَـــــدَهُ	بَعضٌ مِنَ القَومِ والتّشْهِيدُ تَرْزِيزُ [1]
وثَالِثٌ عِندَهَا قدْ كانَ مَشْهَـــــهُ	وَرَابِعٌ بَعْدهَا وَالبَعْدُ تَهزِيـــــــزُ
وكُلهم بكؤوسِ الحُبّ قد شَرِبوا	والحُبّ للحِبّ مَحْبُوبٌ ومَغـــــــــروزُ

يبدأ توحيد الله وإفراده بالألوهية والربوبية وإخلاصهما إليه ،وأن موضع عقد الدين وحله مودع في التوحيد يعني به توحيد الله وتنزيهه من كل شريك وشبيه والعز لا يكون إلا بالحق العزيز ، ثم يقسم الشيخ جاعد الناس إلى أربعة أصناف فمنه صنف جاحد وصنف (داص) أي زاغ ومال عن الحق ،والصنف الثالث هو ذوي الألباب (موشوز) والوشز هو الإرتفاع والشدة ويقصد به هو صنف المؤمنين ولذلك علقه بأولي الألباب وقرنهم به لأنهم وصلوا إلى إيمانهم بالقلب واللب والصنف الرابع هم العارفون الذين عرفوا الله الله وأهل المعرفة معرفة الله ، ثم يقول أن صنف العارفون له أقسام (تفريز) أي فرز وتقسيم ، أولهم شاهد حاضر عارف أدرك المشهود وهو الله بقلبه وهو شاهده ، قبل أن يشهده في الشواهد وهي الدلائل والبينات التي في مقام الإشهاد أي (الحضرة والمشاهدة) وقوله (موفوز) ويقصد بها الاستباق والفوز لأن هذا

[1] فائس العقيان مصدر سابق ص ١٦٧.

الصنف شاهد بقلبه على المشهود الحق دونما استعانة بشيء غير القلب ،والشاهد عند أهل السلوك ما يحضر القلب ويرى بعين القلب لا بعين الرؤية و(بالشهو) بحضرة المشاهدة والمراد تجلي الصفات في المخلوقات من الكون فكان ذلك شهادته على المشهود وهو الله وهم الصنف الثاني من العارفين وتكون بعين اليقين ، (رززته أي ثبته) والمعنى أن منزلة الشهود تثبيت من الله وهي نعمة من الله للعارفين ، أما الصنف الثالث من كان مشهده عند الشواهد أي حال اعتراض الحضرة له وباغتته وهو في غفلته فشاهد قلبه الحق باليقين والمشاهدة بالدلائل من الدليل ،والصنف الأخير من لم يشهدها في الحال وإنما باغتته الحضرة ورأى الدلائل ولكنه لم يستوعبها إلا فيما بعد حدوث المشاهدة[1].

قصيدة الدنيا والنفس :

إِياكَ والدُّنيَا الدَّنيَّةَ إنَّها بِالكُلِّ منهَا لِلفَنَا رَحّـــــالَهْ

وَشُرُورُهَا بِسُرُورِهَا مَمْزُوجَةٌ وَلِخَيرِهَا فَبِضُرِّها بدَّالـــــــه

دَارُ الغَرُورِ وَلِلغَرورِ فَإنَّها جرَّارَةٌ غَرَّارَةٌ عطـــــــــاله

أَكَّـــالَةُ مَيـَّـــالَةُ مَلاَّلَةٌ مُحتَالَة مُختَالَةٌ خَتَّالَـــــــه[2]

في هذه القصيدة نرى الشيخ نحى منحى الصوفية في نظرتهم إلى الدنيا وذمها والتحذير من الاغترار بها وأن ليست دار بقاء ، وهي تغوي الإنسان ببهارجها الفانية وتغرر به وتعطل عباداته وتشغله عن الآخرة وأنها متقلبة متغيرة لا ثبات لها ، وهذه نظرة القرآن الكريم لها .

قصيدة قاف بوادي الملك : يقول

قدحت زِنادِي أستَضِيءُ بِنَارِهِ فَأبْصَرْتُ أَسْرَارَ الهِدَايَةِ تُشْرِقُ

[1] نفائس العقيان مصدر سابق ص ١٦٨.

المصدر نفسه ص ١٧٥.

والقصيدة يدور رحاها طلب العلم والمعرفة والاجتهاد في ذلك حتى يبصر إشراق أسرار الهداية ،وبذل الجهد في العبادة والطاعة والتذلل والخشوع لله تعالى ورجاء السلامة ،فيقول :

قرعت بجهدي باب ربي تضرعا أرجى زوال الأسر عنها وتلحق [1]

قصيدة الوادي المقدس يقول الشيخ :

قَدَحَتْ زِنَادًا تَستَضِيءُ بِنُورِهِ أَلبَابُ كُلِّ العَارِفِينَ وتُشرِقُ

قَرَشَتْ لِنَارٍ آنَسَتْ أَنْوَارَهَا تَمَحُوا مِنَ البَالِ الخَيَالَ وتَمْحَقُ

قَحَمَتْ بِهِم وَادِي المقَدَّسِ بالهُدَى نودُوا أَلاَ هَذِي الحَقَايِقُ تَنْطِقُ

وبين هذه القصيدة وسابقتها تشابه كبير إلى حد التطابق ، الوادي المقدس هو الوادي الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام ،فأنس ألباب العارفين بها مثل استئناس موسى عليه السلام (إني آنست نارا) فتلك الأنوار منبعثة من نوره المقدس وتلك النار شبيهة بتلك النار والنور [2]

اسمه تعالى فكأن تلك النار الدالة هي انعكاس أنواره ودعوته والإشارة إلى تجلي النور الإلهي في القلوب .

قصيدة شموس العارفين

شُموسُ قُلوبِ العَارِفِينَ بَوَازِغُ ومِن حُبِّ غَيرِ اللهِ هُنَّ فـــوَارِغُ

لها في حَفِيَّاتِ الخَفِيَّ مَطَالِعٌ وفي غَربِ أعيانِ العَيَانِ مَبَازِغُ

وفي شَرقِ إشرَاقِ النُّفوسِ مَشَارِقٌ لآفَاقِ أوفَاقِ النِّفاقِ دَوامِغُ

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص١٨١

[2] المصدر نفسه ص ١٨٣.

أي أن قلوب العارفين مشرقة بمحبة الله سبحانه وهي من غير هذا الحب خالية ، ويقول أن لقلوب العارفين تكريم في حياض الله تبزع أنوارها حيث تكل العين عن الرؤية وذلك أن المعاينة في المقام والحضرة تكون بالقلب فالقلب هو الذي يرى وذلك بزوغ رؤيته وأنواره والمطلع عن د الصوفية هو مقام شهود الحق متجليا في كل شيء.[1]

قصيدة حب الله ومطلعها :

يا هاويا يهوي بالأهواء في سفل ووالها لملاهي لهوه الوبل

كل القصيدة عبارة عن نصح وبيان لاتباع طرق الهدى والعدة لذلك من علم مقرون بعمل وذكر ورجاء والإقبال على الله تعالى بالكلية والإعراض عن سواه ويقول :

وأقبل عليه بقلب مقبل جذب إقبال ذمر عن الأكوان منبتل

مُستفتِحًا بمفاتيحِ الدعاء له بَابَ القُبُول بقلبٍ منك مبتهِلِ [2]

قصيدة مناهج الله يقول :

يا أيها الغر الجهول الغافل المعرض العمي الجاهل

ويقول :

هي عالم الأدنى الدني لأنها تدني الدناة وللصفي تصاول [3]

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص ١٨٥

[2] ديوان نفائس العقيان المصدر نفسه ص ١٩١

[3] المصدر نفسه ص١٩٨

كذلك الشيخ جاعد في هذه القصيدة يوجه النصح للمعرض عن الله ويحذر من الدنيا ويبين حقيقتها بأنها فانية لامحالة وأنها دار زوال ودار الرزايا لمن جهل حقيقتها وابتلي بحبها ، (تصاول) بمعنى تقاتل أي أنهذه الدنيا تقرب الدني وتقاتل الصفي .

قصيدة حياة المهج: هذه القصيدة من أجل أشعار الشيخ جاعد ،يقول :

تَبَيَّنْ أخِي في اللهِ قولِي فإنَّنِـــــي على النُّصحِ في ذاتِ الإلـَـهِ مع العُتْـــــبى

وأُهدِيهِ صَرْفًا في عُمُومِ أُولي النُّهَـى كَذَا في خُصُوصٍ من عُمُومِ أولي القُـــــرَى

وأدْنَى قرِيبٍ كَانَ ذاتِي حَقِيقَتـــــي فنفسِي بـــه أَحرَى بَدِيًّا وإنْ تَـــــأبَى

أراهَا على قُبحِ الصِّفاتِ ذَميمَـــــةٌ وَمِنْ سُوئِهَا تَسْعَى بِمَسْعَى الرَّدَى دَابَـــا

لِكونِ العَمَى تَقْلى التُّقَى عن جهالةٍ بِرَبعِ الهَوَى تَرْضَى بما يُسخِطُ الرَّبَّـــــا [1]

أرَى الجهلَ أمرًا كَالهَوَى يَجْذِبُ الوَرَى إلى وَرْطَةٍ عنْ فَرْطَةٍ مِنهُمُ جَذْبَـــــــا [2]

قصيدة صرف النصيحة :هي كذلك يتوجه الشيخ جاعد بالنصح والتوبة إلى الله ونبذ الشرك فيقول :

اسمع أخي قولي فإني ناصح صرفا ولست بفاضح لهـــــدوده

واصغي إلي بسمع قلب شاهد ألقى السماع لسره بفـــــــدوده

ثم يقول :

وعلى الشريعة والحقيقة فاستقم حق القيام مراعيا لحـــــدوده

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ،ص٢٣٨.

[2] المصدر نفسه ص٢٣٩

فالسر كل السر في ترديده بوجوده شهدت له ووعوده

من غار في غار الفنا عن نفسه وفنى الفنا في قدسه لمجيده [1]

قصيدة حب غير الله : يقول :

إني رأيت الداء فيك عضالا لـــظهوره لا يقبلن نضـــالا

لما تمكن منك زاد بك الجوى في حب من تهوى فعاد ضلالا

وأراه في غير الإله ســفاهة ومــذمة ورذالــة ونكـــــالا

ويقول :

ذر ما يكون محرما في جنسه فيجر نحو المهلكات مآلا

واقنـــع بلازمه وجايــزه ودع ما لا يجوز مقـــالة وفِعـالا

واجعل لربـــك ما أباح فإنه يعطي الجزيل عن القليل نَوَالَا [2]

يصف فيها الشيخ حال من أحب غير الله ووصفه بالسفه واستفحال الداء فيه والدواء يكون في الوصال ومجانبة الحرام الذي يجر إلى المهلكات واتباع المباحات وعدم الإشراك بالله عز وجل وأن لا يترك العنان لنفسه فتهلكه وتورثه النكال .

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص٢٨٦.

[2] المصدر نفسه ص ٢٧٣.

قصيدة أرض الحقيقة

يا من على نجب الغرارة يهبع وبكل واد في الجهالة يهرع

قف في رياض العارفين فإنهم قوم لهم أرض الحقيقة مربع [1]

إن ما سمي في الأدب العماني بشعر السلوك والذي تتكرر أصداؤه في نظم الشيخ ناصر بن جاعد وفي أشعار الشيخ المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ،وفي تجليات أشعار أبي مسلم البهلاني الكثيرة، إنما كانت ينابيعه تتدفق من عين هذا الشعر وهذا الديوان ليس بالأقدمية وحدها ،بل بالتأثير المباشر تلميذا عن شيخه وقراءة في تراث الشيخ الشعري[2]

الشيخ أبو نبهان جاعد ولد سنة ١١٤٧هـ، في قرية العليا في وادي بني خروص –ت ١٢٣٧هـ وعمره ٩٠سنة و الملقب بالرئيس المدقق ، مخطوط شرح حياة المهَج عبارة عن قصيدة في علم السلوك وتربية النفس وهي من بحر الطويل[3]

[1] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص ٢٧٧.

[2] ديوان نفائس العقيان مصدر سابق ص ١١.

[3] شرح حياة المهج ،جاعد بن خميس الخروصي ، تح:زهران بن زاهر الريامي –مباركبن راشد الحجري ، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

المطلب الثاني : الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي من خلال إيضاح نظم السلوك :

هو العلامة الشيخ ناصر بن جاعد بن مبارك بن يحي من نسل الإمام الخليل بن عبد الله بن عمرو بن محمد بن الإمام الخليل بن شاذان بن الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي ، نسبة إلى الخروص بن ن يشجب بن يعرب بن قحطان بن شاري بن اليحمد بن عبد الله ، من سلالة نصر بن زهران بن كعب بن حارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن أزد بن نبت بن مالك بن زيد بن كلان بن سبأ يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود النبي عليه السلام ويكنى الشيخ ناصر بأبي محمد ، وشهرته ابن أبي نبهان [1]

من أخلاقه اهتمامه بالسلوك الحسن ، وتطبيق ذلك في سكناته وحركاته وسائر المعاملات ، والاهتمام بالعناية بطلب العلم ، وذكر الله ذكرا متصلا ، والمداومة على الأدعية المأثورة في شكل أوراد يومية ، والانقطاع للعبادة ، ورياضة النفس ، وكثرة الصوم والخلوة ، وكان ملازما لقراءة القرآن الكريم يوميا من بعد صلاة الفجر غلى طلوع الشمس[2].

مما لا شك فيه أن مجال السلوك أو التصوف مجال رحب وطريقه طويل ، وأربابه ما فتأوا يعيشون لحظة من لحظاتهم الروحانية إلا ويسارعوا إلى تدوينها في خلواتهم ، وكل عصر وعلمائه وسماته ، فمنهم من اتجه إلى النظم والشعر ومنهم من اتجه إلى تأليف كتب عن ما عاشه من مجاهدات ورياضات ، والمطلع على خزائن التراث العماني يجد الكثير من المؤلفات التي تعنى بالتصوف أو ما يسمى عند الأصحاب بالسلوك ومن ثم شعر السلوك ، والأهم من ذلك هو ما تحويه هذه المخطوطات من شعر ونظم يوضح تلك المجاهدات والتجارب الذاتية التي خاضها وعاشها هؤلاء العلماء ، وإن كانت تعبر عن تجارب فردية فإن لها صدى في النفوس .

---

[1] إبراهيم بن يحي بن حمدان العَبري ، الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم، للخروصي ناصر بن أبي نبهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨. ص ٥٦.

[2] المصدر نفسه ص ٦٢.

التوسل :

واعلم أن التوسل إلى الله تعالى وسيلة التصوف يصح ولو كان ينام بين أربع نساء في ليله ونهاره في جهاد الكفر المباح جهادهم ويكون وسيلة أيضا وقائما بأمور الخلق ويشغل نفسه بعلم الشريعة كل هذا لا يفسد التصوف ولا يعلم أحد أن هذا صوفي حقيقة بغير وحي من الله وبغير قول نبي سمعه من فمه إلى أذنك ، لأن التصوف أعمال قلبية ، وأما تسمية من هو متصف به في ظاهر الحكم فيجوز أن يقال هذا صوفي ، لأنه وإن قال فلا يقدح أن يكون على التحقيق ، وإن نوى به كذلك فهو قائل بجهل ، بعذر فيه إذا لم يعتقده ما لا يسعه [1] .

المقامات :

واعلم أن هذا الشيخ بنى منظومته هذه على سبعة مقامات : مقام التخليص ، ومقام الإخلاص ومقام الخلاص ، ومقام التفحيص ظن ومقام التمحيص ، ومقام التلخيص ومقام الخلاصة .

أما المقام الأول: التخليص فهو أداء جميع ما لزم المرء أداؤه من الحقوق على الوجه العدل في سعة وضيق والتوبة مما فعله المرء مما يهلك في الأخرى ويلزمه أن يتوب عنه من جميع الذنوب وهو الذي أشار إليه بنحول الجسم إلى أن لم يبق منه فيه بقية واستعار له الجسد لكثافته وظهور معرفته .

وأما المقام الثاني : الإخلاص فهو القيام بجميع ما ألزمه الله تعالى المرء أداه من العبادات التي تعبده بها فرضا من علم الشريعة وعلم الحقيقة وعلم المكاشفة وهو علم التوحيد والمآل والدلالة خالصا من جميع العيوب وهذا هو الصحو الأول ، وهو مقام الإخلاص وما بعده من المقامات نفل ووسيلة وفناء العيوب من هذه الأعمال لاحقة بعبارة نحول الجسد وفنائه وما كان من فعل

[1] وليد محمود خالص، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك ج١-ج٢ج٢، ص٩٨

مندوب وترك مكروه من الأعمال الشرعية الظاهرة وتصفية أعمال الوسائل الشرعية لاحقة بهذين المقامين .

وأما المقام الثالث : الخلاص فهو تصفية النفوس من صفاتها الذميمة كلها حتى تنمحي منها أصلا وهي التوبة من غفلات القلوب وتحليتها بصفات الله تعالى وهو المعبر عنه بفناء إحساس النفس .

أما المقام الرابع : التمحيص فهو تمحيص المحبة محضا للمحبوب والخروج بها في الرضى والمحبة والإرادة والمشيئة والفكر إلى حضرات المحبوب والتوبة هنا من كل شيء يخطر عليه سوى المحبوب[1] .

واما المقام الخامس : التفحيص فهو تفتيش بواطن الموجودات بالنظر إلى حقائقها علما بالله فلا يرى شيئا إلا ويراه توحيد ومعرفة وتسبيحا .

وأما المقام السادس : التخليص فهو الترقي في المشاهدة حتى متى نظر إلى الموجودات أغفله النظر إلى ظواهرها ولم ير إلا بواطنها وهي مقامات الرسل والأنبياء وهم على تفاوت في مراتبهم في ذلك ،ولكن في كل مقام من هذه المقامات الأربعة فإنما براية المحبة لا طالبا علما فقط ، بل يكون على مطية الحب ، وأما المقام السابع : الخلاصة هو أن يرى جميع الموجدات علما بالله نورا متحدا كما أوجده الله في أول الإيجاد نورا ولا شيء معه ومع ذلك يرى الموجدات كما هي غير غافل عن رؤيتها كما هي فهو يرى الصفة وصفات فيكون جماله جمال النور الأول وجلاله من جلاله وكماله من كماله ولا نهاية لجمال ولا لجلال ولا لكمال ذلك النور وهذا مقام النبي صلى الله عليه وسلم حيث لم تحجبه ذرة في الوجود لا يشهدها علما مشاهدة لا

[1] إيضاح نظم السلوك مصدر سابق ج٢ص ١٣٠

علما تصديقيا يقينيا ، ولا بعين اليقين بل بحق اليقين كما يشاهد الصور في المرآة ونظره يأتي على نظر المرآة والصور حقا .[1]

والتفحيص والتلخيص والخلاصة هو علم المكاشفة بالعلم بالله تعالى والوسيلة إليه بذلك وتعرف بالموجدات والمتوسل إلى الله تعالى بما هو المتعبد من أجناس الموجدات و أصول المعرفة بها والتطلع عليها بأربع صفات من صفات الله تعالى يعرفها من صفاته فأما من صفات الله تعالى فهو أنه سميع وبصير قدير متكلم ومن صفات المرء نفسه سمعه وبصره وقدرة جوارحه على الفعل ونطقه وعلى هذه الأصول بنى الشيخ منظومته في مقام التلخيص والخلاصة على أربعة أساليب :الأسلوب الأول : في مشاهدة جميع الموجودات بهذه الأربع الصفات نور العلم بالله تعالى والأسلوب الثاني : في بيان أحكام الأسفار الثلاثة إلى مقامات الكمال والسفرة الرابعة المختصة بالمقام الأحمدي التي هي سفر النفس عن النظر إلى ظواهر المحسوسات إلى بواطنها والسفر الثاني سفر الروح وهو المشاهدة إلى الله تعالى بالصفات والاستغراق في ذلك والسفر الثالث الجمع بين المقامين : سفر الروح وسفر النفس إلى مقام الجمع وإلى الصحو في ذلك وهو مقام جمع الجمع.

والسفر الرابع سفر النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى رؤية الوجود كما هو في أول الإيجاد نورا متحدا ،الأسلوب الثالث : في شروع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم الظاهر في وصفه مع مقامه وشروع كل سالك محقق إلى حكم الظاهر ويبتنى هذا الأسلوب الثالث على أربع قواعد : القاعدة الأولى : في حضرة مقامات كليات سير الإنسان المحقق إلى الله تعالى وذكر الأحكام المتعلقة بكل مقام كل منها التي هي الإسلام والإيمان والإحسان ومقاماته .

القاعدة الثانية :في خصائص الكامل المحقق ومشاهدة روحه لعالم الغيب ونظر نفسه إلى المحسوسات ، وأحكامها في الشريعة والحقيقة وما شرعوا فيه الأنبياء والرسل والعلماء والأبشار

[1] وليد محمود خالص، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك ج١-ج مصدر سابق ،٢ ص ١٣١ .

القاعدة الثالثة : في هيئات الأعمال وتمثيلها .

القاعدة الرابعة: في تأثير العلم ،والأعمال في النفس والروح .

الأسلوب الرابع : في آيات النبي صلى الله عليه وسلم التي ظهر بها من آثار مقامه أحدية الجمع من غيوثاته ودعواته وآياته الكبرى وهذا شروع الابتداء في الأسلوب الأول .[1].

الكشف:

وحققت عند الكشف أن بنوره اهتديت إلى أفعاله في الدجية

وإذا زال الحجاب وانكشف لك الحق في كل شيء والتوحيد في كل شيء وأن جميع هذه الأفعال الظاهرة إلى الهزل أو في العدل أنها من حكمة الله وتدبيره لإظهارها وأنها كلها حمد وشكر ونور في تدبيره فقد اهتديت إلى تحقيق توحيده من جهة الأفعال في الدجية وهي ظلمة الليل ولكن أراد هاهنا لظلمة الحجب الساترة عن انكشاف رؤية الحق فيها حتى يرى العالم والوجود كله نورا متحدا وترقى إلى حضرات الجمع فإن حضرات الجمع لا يوصل السالك إليها ما دام محجوبا عن رؤية { شيء } في الوجود غير نور ولا علم ولا حكمة بل حتى يرى لكل نورا متحدا كما كان قبل أن يخلق الله الكائنات منه وهي مرتبة النبي صلى الله عليه وسلم ورؤية الوجود كذلك هي الحضرات الظاهرية وتمامها جمع الحضرات الظاهرية وهي تقييدية وفرقية مع ما وراءها من الحضرات وترى صفات الأفعال والتدبير وحكمته كما [2] .

الأسباب الموصلة إلى الله :

ووحدت في الأسباب حتى فقدتها ورابطة التوحيد أجدى وسيلة

[1] وليد محمود خالص، إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك ج١-ج٢مصدر سابق ص ١٣٢

[2] المصدر نفسه .٢٦٣.

ووحدت الله تعالى وأطعته مقرا بثبوت الأسباب أن رضى الله تعالى لا ينال إلا بأداء الطاعة بما شرعه من دينه وبجميع ما يلزم أن يطاع فيه وبه أو يستحب من العباد بترك ما لزم تركه وندب تركه بالإخلاص في التقى والورع والتوكل والشكر والثقة به والخوض والرجاء والإسلام والإيمان والإحسان والصبر والرضى وترك الرياء والحسد والعجب والكبرياء والشرك الخفي والجلي والنفاق الخفي والجلي والجهل الظلمي واتباع الهوى الباطل والتوبة من كل ما لزم أو استحب فيه ومنه التوبة والتضرع إلى الله تعالى وأن هذه هي الأسباب الموصلة إلى الله تعالى ثم سلكت بعد ذلك طريقة تجريدها من صفاتها الذميمة ثم تحليها بالصفات الكمالية ثم سلك طريق المكاشفة بقوة المحبة الإلهية للحضرات الإلهية حتى فقدتها أي حتى لم أر نفسي بعين الرضا فيها وأني لم أعمل شيئا بل رأيت ذلك كله فضلا من الله تعالى لي ، فلم أر نفسي معه تستحق الحمد والثناء بفعلي لأن ذلك كله منه لي فأنا العابد وأنا من فضله خلقني وعبدته وبفضله كانت عبادتي حتى كاد أن يكون ليس سبب في ذلك لأنه هو المسبب من غير إنكار للأسباب كما قلت ورابطة التوحيد أي ومراصدة أو ملازمة التوحيد في كل شيء إذ لا حول عن معصية لله ولا قوة على طاعة الله إلا بالله العلي العظيم قوله إحدى وسيلتي أي من وسائلي إلى الله تعالى[1] ..

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه عز وجل جلا وعلا { قال كنت كنز لم أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقا كي أعرف في تحابوا وبي عرفوني وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه وإذا تقرب مني عبدي بالفرايض وبالنوافل شبرا تقربت منه ذراعا وإذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة ولا يزال يتقرب إلي بفرايضي وبالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته توليت أمره وكنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي

[1] يضاح نظم السلوك مصدر سابق ص ٢٧٨.

يبصر به ولسانه الذي يتكلم به ويده التي يبطش بها وما وسعنتي أرضي ولا سمواتي ووسعني قلب عبدي المؤمن وإني عند المنكسرة قلوبهم }[1]

وظهر من هذا الكلام المروي عن الله الملك العلي من العلم الظاهر الجلي ومن العلم الباطن الخفي لو شرح لطيق العالم به علما ودارت جميع بحور العلم المتجلي به ، المولا العظيم سبحانه الله على عباده وعلى الوجود بأسره على قطب معناه من مكاشفة وطريقة وحقيقة وشريعة ولنشر إلا بعض منها : الأول يدل أن الله تعالى عالم الغيب والشهادة لم يخلق الخلق إلا لأجل العبادة كما شاءها ، الوجه الثاني يدل على أن العبادة له جل جلاله على ثلاثة أقسام ، كشفي وهو علم التوحيد ، وعلم المآل وعلم الدلالة قسم منها جلي وخفي وقسم الحقيقة وهو علم الباطن والقسم الثالث الشريعة وكل من هذه الأقسام الثلاثة منقسم إلى أربعة أركان : الركن الأول وهو ما لا يسع المرء اعتقاده أو لا يسعه إلا اعتقاده أو لا يسعه اعتقاده ولا يسعه أن يتركه أو لا يسعه إلا تركه والرجوع عنه وهذا هو الركن الواجب الفرض الذي إن قام به المرء سلم ونجا وله القرب من الله والثواب كان بقوة حب أو بغير قوة حب فإن الله مستحق للعبادة ومن تركه وعصاه بغير عذر هلك وتردى .

الركن الرابع الوسائل من الأعمال أو يترك المباحات إلا أنه فيما يؤجر فيه بتركه في غير إفراط مجاوزا الحد إلى مالا حد فيه ولا تفريط في تساهل وأعظم الوسائل النهضة العليا لإقامة الدين حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى وكذلك و كذلك تجويد الفرايض وترفيها بالمجالس الكمالية وما كان القرب به إلى الله أعظم كتعليم العلم الشرعي والطريقة والحقيقة والتقرب إلى الله تعالى والوسائل على ثلاث طرق : طريقة وسيل الشريعة وطريقة وسايل التجريد من الحقيقة وطريقة المكاشفة بسراية المحبة.

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي قصيدة نظم السلوك إلى ملك الملوك ، { عدد صفحات المخطوط ٣٤٤ص

٢ المصدر نفسه .

وأما علم الشريعة وأقسامها فقد تكفل كثير من العلماء بتشريحها وأما علم الحقيقة طريقة ووسائل التجريد وطريقة المكاشفة بسراية المحبة فأقل بيانا وإن تكلم فيها بعض العلماء نظما ونثرا فكلامهم فيها أشد غموضا من كلام العلماء في علم الشريعة الظاهرة وأقوى وأجل ، وأشرف نظم عرفناه في هذا العلم نظم الشيخ العارف أبي حفص عمر بن الشيخ أبي الحسن علي بن المرشد علي الحموي نسبا والمصري مولدا ، وهو المعروف بابن الفارض وأعظم ما نظمه في العلم منظومته التائية وهي التي سماها نظم السلوك إلى حضرت ملك الملوك وكلمة حضرات { نحن اخترناها وإلا فهو سماها خدمة ملك الملوك وركب جميع كلامه فيها على هذه الرواية المروية التي حكاها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى وجعل قاعدتها ومتنها في شرح ثلاثة أسماء الله تعالى من أسماء ذاته وصفة رابعة من صفاته جل وعلا وهي السميع والبصير والقدير ولا يزال متكلما [1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم " أعطاني ربي ثلاثة علوم ، علم أمرت بتبليغه وهو علم دينه تعالى وعلم خيرت بين كشفه وكتمانه وهو علم الحقيقة وعلم أخذ على كتمانه وكل ذلك في الكتاب المبين ، أما ما أمرت بتبليغه فقوله ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وأما المخير فيه فقوله تعالى " سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم " وأما المكتوم فقوله تعالى { فنفخت فيه من روحي ويسألونك عن الروح } .

قسم الشيخ أبي نبهان الخروصي الكتاب إلى ثلاثة أجزاء :

القسم الأول في تخليص النفس من والروح إلى مراتب الكمال بسراية محبة المريدين .

والثاني في كمال النبي صلى الله عليه وسلم بسراية محبة المرادين وفي التوحيد لله المجيد .

والثالث في مقامات الحقيقة وفي التوحيد وكمال النبي صلى الله عليه وسلم .

[1] قصيدة نظم السلوك إلى ملك الملوك مصدر سابق ص٢

ثم رتبه إلى أبواب ورتب الأبواب إلى فصول ...

أولا في الانتباه و رقدة الجهالة وسنة الغفلة وفي التخليص مما يجب أو يستجيب التخليص من أو ترك ما يحب وما يستحب له تركه والقيام بما يجب أو يستحب له القيام والسلوك بعد ذلك إلى المكاشفة لمشاهدة الحضرات الإلهية واختلاف بدايات مبتدئين إلى هذا السلوك الخير بسراية المحبة الإلهية .

وفي المكاشفة بمشاهدة جمال المحبوب { المحبة الإلهية والحضرة الإلهية } بالرواية المنامية والتخليص بنزول التجريد والصفا بسراية المحبة الإلهية ،في الاتصال بالمحبوب بوقفة الموافقة في طريق مكة على عجلة وقضاء مناسك الحج تمثيلا وتصفية النفس من جميع صفاتها وتصفية الأعمال الإيمانية بنوافل التصفية بسراية المحبة الإلهية [1]،في الوصال لمشاهدة جمال الحضرة الإلهية وتصفية من الأغيار والحظوظ بسراية الطور الأول محي الراجع إلى المحب بالسفر الأول ، سفر النفس بمشاهدة الحضرات الظاهرية الفعلية الإلهية بسراية المحبة الإلهية .وفي خلاص المحبة للمحبوب وإخلاصها لمن الجمال المطلق وتخليص النفس من جميع الحظوظ وتجريد النفس من حب ذاتها إلى جمال الحضرة الإلهية بسراية المحبة الإلهية وفي الحث على السلوك وما يستحب لدان أن يتجرد منه فيه سراية المحبة الإلهية ،في مرتبة الصحو بعد المحو ودرجة التمكين بعد التلوين وحضرة الجميع بسراية المحبة الإلهية .

في سفر النفس والروح معا وهو السفر الثالث آخر مراتب السالكين إلى حضرات جمع الجمع الظاهرية والباطنية بسراية المحبة الإلهية ،وفي الجمال الإلهي والمحبة الإلهية ومحبة المشاهدة بالمحبة الإلهية ،وفي الرجوع إلى الشريعة التي لا يصح كمال الحقيقة إلا بها وهي من الحقيقة وفي الحقيقة وذلك حين القيام في مقامات حضرات جمع الجمع أو دونها بسراية المحبة الإلهية انتهى الجزء الأول من الكتاب ..

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص ٢

{مصدر التصوف }:لجزء الثاني من الكتاب : في سفر النبي صلة الله عليه وسلم بالطور الثالث وهو السفر المخصوص به وفيه بيان شيء من التوحيد والمعرفة المختص بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك بسراية المحبة الإلهية .

فيما يذكر في مبدأ سيره في السفر الرابع المخصوص به رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث نفسه وظاهر وجوده للتحقيق بحقيقة التوحيد والمعرفة المتعلقتين بحضرة أحدية الجمع لإعطاء حق الربوبية من عبوديته صلى الله عليه وسلم لبيان حال مقامه بسراية المحبة الإلهية .

في ذكره لما رآه في سير باطنه ومبدأ سيره الباطني إلى حضرة أحدية جمع الجمع وفي المحبة الإلهية وفي التوحيد المتعلق بهذا المبتدأ بلسان حال مقامه صلى الله عليه وسلم بالمكاشفة به في سفر الرابع بلسان حال مقامه وكماله بسراية المحبة الإلهية في المحو والصحو المحمدي ونتائجهما وفي التوحيد بسراية المحبة الإلهية .وفي ذكر جمال الجلال الإلهي ومشاهدته في مبدأ كشف التجلي وذكر انتهاء أثر التمكين المختص بمقام الأكمليه الأحمدية وفي التدلي والاندهاش برؤية الجمال بلسان حاله ومقامه بسراية المحبة الإلهية وفي اتحاد كماله صلى الله عليه وسلم بالمشاهدة لكمال الله تعالى بالتوحيد الحقيقي بلسان مقامه صلى الله عليه وسلم بسراية المحبة الإلهية .

الجزء الثالث من الكتاب في معرفة الذات الإنسانية وفي مقامات الحقيقة والسلوك فيها بسراية

فيما نبا برجال الكمال المحمدي ومقامه في حضر أحدية جمع الجمع بحقيقة حقائق التوحيد في مشاهدته بسراية المحبة الإلهية ،وفي الإرشاد إلى سراية المحبة الإلهيةوفي خطاب الكمال الإلهي للنبي صلى الله عليه وسلم وكمال حبه بالمحبة الإلهية في بناء كمال النبي صلى الله عليه وسلم وبناء مقامه عن أحواله جمالها وجلالها في كل شيء بسراية المحبة الإلهية [1].

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص٢

بنى منظومته كلها على قاعدة معاني آية المسيح وآية النور وآية الروح والكلام الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم { لا يزال عبدي ...} وهي إشارة إلى اسمه السميع والبصير والقدير ولم يزل متكلما فهي ثلاثة اسماء لذات الله جل وعلا .

من سنة الغفلة ورقدة الجهالة إلى اليقظة في طلب السلوك إلى الله تعالى بطريق الاستقامة وسراية المحبة الإلهية جلا وعلا بأحد معنيين : أحدهما ظاهر لأولي الظاهر وباطن لأهل الباطن المريدين ،فحقيقة المحبة محبة له وإنما منع القلب التي تحل فيه عن محبة الكمال الحقيقي إلى الكمال الخيالي توسخه بالدين الضلالي أ بوسخ الغفلة ، وأن المحبة لله كامنة في كل شيء لأنها خلقت لمحبة الله في إيجادها وبكمال تدين وكل كمال وجمال وجلال فحقيقة المحبة محبة له ، وكلما انفتحت النفس بقوة الحضور والمشاهدة إلى الله تعالى بفعل وبصفة من صفاته جل وعلا يسمى هو في حضرة تلك الصفة أو في حضرة ذلك الفعل أو في حضرة ذلك الاسم والحضرات الإلهية ولكن العقول ،وأهل التقى على أربعة أقسام :قسم هو أهل الظواهر الغافلون عن المكاشفة يعرفون الله تعالى بالتصديق والتحقيق بالحضرات الظاهرة من الأفعال والصفات ولكنهم في غالب أمورهم في غفلة إلا إذا تذكروا ذلك وعرفوه بها وهؤلاء عامة المتقين الغير مكاشفين .والقسم الثاني : عرفوا الشهود وهي الأكوان وشاهدوا بها المشهود والحضرات الظاهرية بروية حقيقة الوجود ،القسم الثالث : نظروا إلى المشهود أولا القسم الرابع : عرفوا المشهود ولم يرجعوا إلى الشهود[1].

القسم الرابع : عرفوا المشهود ولم يرجعوا إلى الشهود[2].

ومعرضة عن سامر الجفن راهب الفؤاد بمعنى مسلم النفس صدت ، ومعرضة ويحتمل أن يكون الواو هنا بمعنى رب معرضة تكن لم يرد بها محبوبته عن الخصوص بل كل من هي كذلك وإني كذلك حالي معها وحالها معي ويحتمل أن يكون ليس بمعنى رب بل أراد وفي كما ذكرتها

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي ص٤

[2] المصدر نفسه ص٤

وذكرت نفسي بها ومعها في حين اتصالي بها كذلك قول في حالي بها وهي معرضة عني ولعل الأول أصبح يقول أو رب معرضة صدت والصد القلبي والميل فإن كان أراد بها نكرة أرادهما معا وإن أرادها المحبة الإلهية والحضرة الإلهية كان بمعنى أحبت وأخرت وكذلك أراد بصدت أي أخرت واجبات التأخير لأمر يوجب التأخير .

الحضرة الإلهية والمشاهدة :[1]

وتناءت فكانت لذة العيش وانقضت بعمري فأبدى البين مدا لمدتي

وبانت فأما حسن صبري فخانني وأما جفوني بالبكاء فأوفـــــــت [2]

يقول الشارح : تناءت رؤية المحبة وجمال الحضرة عن نظري فكانت لذة العيش أي الحياة بمشاهدتها وانقضت المشاهدة وانقضت لذة الحياة بعمري { تلك اللحظات التي يعيشها في الحضرة الإلهية والمشاهدة وإن طالت فعندما تنقضي فإنه المحب لا يقوى على الصبر على تلك المدة حتى تكرر تلك الحال ، أي مع عمري كذلك تنقضي بانقضائها فأبدا البين مددا وأراد بأبدا أظهر ، وأراد بالبين الموت وإن كان معناه الفرقة وأراد بقوله مدا أي مددا وقوله لمدتي فاللام بمعنى إلي والمعنى وأبدا الموت مددا منه إلى مدة حياتي فإن قلت كيف يمد الموت بمدد وقد انقضى عمره قلنا أنه أراد مثل أنه قد انقضى عمره الذي يعرف فيه صحبة.[3]

وإن طال به المدا فهو في غررة الموت لا حيا مع الأحياء ولا ميتا مع الأموات ، وبانت عندي أي وفاقت رؤيته لها وليها فأما حسن صبري فخانني أي ذهب وفنى فلم يبقى مني شيء يصحبه وأما جفوني بالبكاء فأوفت الغاية والنهاية : وأراد بهذا أن التحلي و التخلي لا يكونان في كل لحظات وإن تخلى المرء مما هو غير الله وتجلى عليه في ذلك كمال كل شيء من

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي ص٥،

[2] المصدر نفسه ص٥

[3] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي ص٥

مكاشفات جمال حضرات بالمحبة من الله إليه وهي لذة الحيوة معدودة ذلك لا يدوم ولا سيما في ابتداء السلوك ومتى ذهب عنه ذلك الحال صار كأنه غير حي مع الأحياء المكاشفين ولا ميتا مع الذين يكاشفوا أبدا فافهم ، فإن لكلامه معاني ظاهرة ومعاني باطنة ، وقوله وخانني صبري أراد في الباطن خانه صبره أن يبقى على تلك الحالة والعين وفت للظاهر لأنه أن يقال حزنا على فراقه لتلك الحالة التي شاهده فيها جمال الحضرة الإلهية، واعلم أن لكل حضرة اسم من أسماء الله وصفة ولأن كل صفة تجلت عليه فهي حضرة تلك الصفة التي تتجلى على المرء في حال سلوكه لا تعرف أي حضرة تتجلى عليه وإن كان الابتداء في الترتيب بالمبتدئ بحضرات الأفعال فإن حضرات الأفعال كثيرة فلا يمكن أن يخصص اسم حضرة تجلت له باسم لأن ذلك لا يعرفه المفسر ولا الناظم للسلوك ولو قال حضرة كذا مثلا تجلت له حضرة اللطف فيمكن أن يكون فإن الحضرة الربانية مع أهل هذا العلم في اصطلاحهم الحضرة الرحمانية وغير الحضر الرحيمية وغير الحضرة القدسية .

فأما حضرات التجريد فكلها تسمى الحضرة القدسية وكل حضرة هي حضرة معنى اسمها وكذلك المحبة ولذلك نخصها بالمحبة الإلهية لا باسم غير ذلك لأن لكل حضرة محبة لأنه إذا تجلى على عبد بحضرة فقد أحبت أن تتجلى لله تلك فتكون تلك المحبة وتلك الحضرة كل منها منسوبة إلى تلك الصفة وليس المراد أنه لا يجوز تسميتها إلا كذلك شرعا وإنما المراد كذلك في اصطلاحهم مثلا لو شاهدت ربوبية الله تعالى في كل شيء مشاهدة حضور وأدهشتك عظمتها فيك وفي كل شيء فهي الحضرة الربانية والمحبة الربانية وكثير من الملائكة نظرهم إلى الحضرة الربانية لرؤيتهم لنفوسهم بذل العبودية ورؤيتهم إلى الله[1].

فلم يرى طرفي بعدها ما يسرني فنومي لصحبي حيث كانت مسرتي

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص٥؟

فلم يرى طرفي والطرف موضع الهدوب من العين ورادا فلم ير بصري بعدها شيئا بعد النظر إليه قوله : فنومي لصحبي يحتمل وجوها من المعاني أحدها أراد فوهبت نومي إلى صحبي الذي هو محل يقتضي أني وهبته ليقتضي وجعلته كلي يقظة تذكار أو شوقا إلى حيث كانت مسرتي أراد في الظاهر تلاقينا في ذلك الموضع وأراد في الباطن إلى حيث كانت مسرتي إلى حيث المشاهدة الإلهية بالصفات فاكتفى بذكر المحل عن ذكر ما يستعمل فيه والمعنى الثاني : فنومي لصحبي أي أجعل نومي كله من أول الليل إلى صحبي حيث كانت مسرتي إلى حين يبلغ مطلوبي فيكون هنا مراده بالنوم الراحة والليل ما دام في حال غير المشاهدة ومع المشاهدة ورؤيته جمال التجلي بظهور أنوار جمال الحضرة الإلهية والمحبة الإلهية وهو حيث كانت مسرتي أي هو جهتي التي كانت فيها مسرتي فقال : فنومي أي فراحتي وهبتها لصحبي أي مشاهدتها جمال المحبة وجمال الحضرة الإلهية ويحتمل فنومي تبعا لصحبي أي العين بصرت لتوجه بها حيث كانت مسرتي وهو تجلي المحبة والحضرات .

قال : وقد سخنت عيني عليها كأنها بها لم تكن يوما من الدهر فرت ، ويقول وقد سخنت عيني حزنا عليها إلى فراقي لها كأنها لم تكن يوما من الدهر وهي يوم اتصالنا قرت بها أي فرحت بها حتى جرت العين من شدة الفرح بدمع بارد ، والعرب تسمى دمع الحزن سخنا وحرا ودمع الفرح قرا أي باردا أو القر هو البرد كما أن فصل الصيف القوي الحرارة هو الحر فيقولون للدعاء بالشر والحزن أحر الله عينه وبالفرح والسرور أقر الله عينه وقد تستعمل أقر الله عينه أي أسكن دموعها .

فانسا نها ميت ودمعي غسله وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي

فأنساها إلى إنسان غيبته وأراد صاحبها ميت ودمعي غسل وأكفانه بياض ما ابيض من عيني حزنا لفرقتي ولذلك لقوله تعالى { وابيضت عيان من الحزن فهو كظيم }[1].

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص٦

وللعين والأحشاء أول هل أتى تلى لكا يدي الأسى وتالت تنيت

فللعين تلى الأسى وأراد منها بالتلاوة والذكر والأسى أصله الطيب ولكن هنا أريد العالم بحالي أي فللعين لما رآها أنها قد ذهبت أصلا تذكر قوله تعالى : { هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا }، ولما علم بأحشائي وتوقد نيراني مشوقا تذكر قوله تعالى :د سيصلى نارا ذات لهب } وأراد في الباطن أنه لما رآني الهوى وأنصاره أن اعتبر قد ذهب وفي أحشائي نيران المحبة تحرق كل من دنى منها منهم لم يطمع بعيني الظاهرة ولا بعيني الباطنة وذهاب العين الباطنة ذهاب صفاتها أن يرين لهما شيئا ولم يطمع بأحشائي أن تقر بها الآن أصلا لآثار محبة الله تعالى تحرق الشياطين وكل وسخ في النفوس لشدة عبيرها .

قال : كأنا خلقنا للرقيب على الجفا وإن لافقت لكن حشر وبرت

كأن خلقنا إلى العين والأحشاء وأراد بالأحشاء في هذا الموضع والموضع الأول الذي قبل هذا البيت إلى العين البصيرية وهي المقابلة إلى جهة الغيب وتجلي نور محبة الله تعالى والعينين الباصرتين ، إشارة إلى العين البصيرية والعين المدبرة وهما عينا النفس الناظرتان بغيبتها الباطنية إلى عالم المثال والناظرتان بالعينين الباصرتين إلى المحسوسات ويحتمل أن يكون أراد الأحباء والإشارة إلى عيني النفس والعينين الباصرتين.[1]

والغيب هو كل حاجب من المشاهدة للحضرة الإلهية من صفات النفس ومن طلبها للحظوظ مثل الجاه وكما أحبته من الأغيار أو ذكرته في حين المشاهدة حجبت المشاهدة في حين المشاهدة لا محالة ولو كانت أصل التجلي بذكر ذلك الغير لأن الغير إنما يكون سببا وفي حين التجلي عليه للمشاهدة فلا بد من ذهاب ذكره بعد ذلك لقوله تعالى : { ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه } اختص الله تعالى بحضرات الجمع .

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص٦ .

وأما في الابتداء فلا وهي الحضرة الإلهية قد نادت على نفسها بلسان الحال أنه ما دام وقيت من الأغيار ينظر عيناك الظاهرتان والباطنتان الى ظاهره دوني ولن أتجلى للرؤية ولا أحضر فيك وإن لا وقت إلي وإن كان رقيب وقت بالتجلي للرؤية وحضرت ثمرات الذات فأنا لم أصفوا من وجود إلى فناء

وكانت مواثيق الإخاء أجنة فلما تفرقنا عقدت وحلت

يريد بالإخاء وهي الصفاوة الصالحة هي من عيون محجوبة وليس حاجب بين الجلي والحضور إلا اشتغاله بالنظر إلى الرقباء .أو أن صفاوته أخية والأخية هوان يدفن عرق جبل في الأرض دفنا قويا بها يربط بها حبل خيله أو زمام مطيته أو مقود حماره حذرا أن يذهب يقول : ظننت أنها عروة قوية فلما تفرقنا عقدت حبل زمامي في تلك الأخية وحلت هي ذلك العقد فعلمت أني قد توسخت بشيء فرجعت إلى نفسي وهكذا أحال المراءة.

وتالله لم اختر مذمة غدرها وفاء وإن فاءت إلى خير ذمة

تالله لم اختر مذمة غدرها أي لم اختر غدرها لي حيث غدرتني بتقصيرها فيما يوجب صفاوتي الصالحة لتجليها على ناظري ولحضوري في إمراءة حاضري وإن يكون ذلك الغدر منها وفاء إلى هو وفاء لقصري لأن ذلك هو ذم عظيم منها لي وأما إن فاءت إليا رجعت إلى خير ذمة إلى خير عهد عهدته مني وقطع الكلام وترك الفهم للطالب .[1]

[1] عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي مصدر سابق ص٦.

المطلب الثالث : الصوفي الشاعر أبي مسلم البهلاني –النفس الرحماني

وقد برزت الرمزية والمصطلحات الصوفية بقوة عند أحد أعلام الإباضية وشعرائها والذي يعد من خير تتبع سير السالكين الإباضية طريق الحقائق واتضح أن عنصر الإلهام من مقبولات الإباضية من مصادر التشريع ، فمن بين الشخصيات العرفانية الشيخ العلامة أبي مسلم الشيخ ناصر بن سالم ابن عديم البهلاني لتوفر المصادر عنه لدى الكاتب واستلهم من سيرته الصوفيه العرفانية احتمال من يكون شيخه الذي سلك على يديه ووصل ما وصل إليه من نيل معارف الحقائق الإلهية ومن خلال كتاب النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني ،يقول[1] الشيخ سالم بن سليمان بن سالم بمن عديم ابهلاني في المقدمة الثانية للكتاب بأن الشيخ أبا مسلم رحل مع والده إلى زنجبار معاصر القطب الرب والحبر النوراني الشيخ الزاهد سعيد بن خلفان الخليلي قدس الله سره ورحمه واغترافه العلم من بحره الفياض ومن تعبيرات المترجم مؤلف السيرة لأبي مسلم في أذكاره العرفانية الصوفية التي لا تيسر على كل عالم في اللغة فهمه بل لمتذوق لتعبيرات الاصطلاح العرفاني ومنها هذا الذي عبر عنه، وأن الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي هو الشيخ المرشد لأبي مسلم البهلاني [2].

وقد زعم البعض أن أشعار الشيخ أبي مسلم تحتوي على بعض الشركيات في صفات النبي ص وصحبه ، فكان جواب الشيخ المفتي أحمد بن حمد الخليلي مفندا تعبيرات الشيخ البهلاني في النبي ص ، مع هذا فإنها لم تخرج عن كونها صفات بشرية ...وإن الوصول لمعرفة الدخول إلى آفاق وبواطن تلك النعوت والصفات لا بد من مواهب الكرامة من الله تعالى على العبد

[1] محسن بن جمعة بن محمد اللواتي رشحات التصوف في أوساط الإباضية ط١ ١١٤٣٥ هـ-٢٠١٤م، دار المحجة البيضاء ص٩٥.

[2] المصدر نفسه ص ٩٦ .

السالك بعد تخلقه بالأسماء الحسنى سواء الصفائية أو فعليه أو ذاتية فعندها لن يكون الأمر غريبا لأن الوصول إلى ذلك الفهم المعرفي العرفاني الذوقي فلا بد من فرش الركب واليدين والجبهة سجودا لله طويلا في جنح الله بمرافقة روح المرشد الواصل وصولا إلى سدة الكمال ومنبع المعرفة لروافد الخلافة المعرفية ذوقا وشهودا { ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا} { واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا } وهذا ما فعله العلامة أبي مسلم في النهاية حيث هجر الوظيفة وفرغ نفسه إن كان بعض الوقت للتأليف ولكن جل وقته للعبادة وخاصة في سجى الله فكان نتاج ذلك القبول من المولى عز وجل والتخلق منه بتلك الملكات التي تواصل بها مع الأسماء الحسنى وغيرها من أمور العرفان ، فلنضرب مثلا في التخلق فالحديث المبارك ص٩٧، يقول { تخلقوا بأخلاق الله } فلو تخلقنا بخلق اسم الكريم والله من صفاته الكرم ووهبنا بموهبة الكرم بعد التخلق ثم أطلق على المتخلق باسم الكريم فما الضير في ذلك أو الحليم أو الرحيم أو النافع وهكذا فإن كل تلك الأسماء هي أسماء الصفات والفعل لله فأين العيب ...مع هذا فالأمر أوسع معنى وبحارا من المعرفة في اكتساب مواهب الكريم في علم الأسماء بذاتيتها وصفاتيتها وفعليتها سبحانه لا شريك له ثم نرجع إلى القرآن الكريم ونعوت المولى لنبيه { إن أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسرجا منيرا } فإذا فكرنا بهذه النعوت وهي أسماء فالبشير بالتملك هو الله ومحمد بالخلافة أو التخلق كذلك النذير والداعي والسراج المنير كلها بالأصالة له سبحانه فهو الخالق لكل شيء بإيجاد أسمائه يهب من يشاء يتخلقها { وهذا هو المطلوب منا عباد الله هو الاتصاف بتلك الصفات وبحيث تتجلى في سلوكاتنا وهذا معنى الاتصاف يعني التحلي بأخلاق الله وتجليها في أفعالنا عملا لا قولا وتظاهرا ، }ولكن المشكلة تنشأ لانحصارها في المعلومات النقلية لآراء الرجال المدفوعة بدوافعها المختلفة فتمنع انطلاقاتنا الحرة حول الفطرة والتفكر ثم استلهام الكريم جل كرمه[1].

[1] محسن بن جمعة بن محمد اللواتي رشحات التصوف في أوساط الإباضية مصدر سابق ص٩٨

ملاحظة الباحث :فيما يخص التعبيرات العرفانية للشيخ الجليل العارف بالله سعيد بن خلفان الخليلي :الملاحظة الأولى : إن هذا العرف بالله وصل في سلوكه الصوفي أو العرفاني مقامات الاطلاع على حقائق ومقامات الإمكانية للرسول الخليفة وخلفائه في التمكين خشية أن يكون إطراءه دون ذلك المقام ، ثم إنه قد يتهم بالغلو ، علما فإن ذلك الإطراء من مقام التمكين له ص لن يكون مفهوما لدى العوام فالمعترض مأثوم والقابل في حيرة أو لا مبال فهو مغبون . والملاحظة الثانية أن قصيدته التي سماها العارف البهلاني ثمرات المعارف وطيبات العوارف هي من المقام المحمدي ، فإن معانيها العرفانية تحوي توصيفات لجانب من روح ذاته المقدسة وخلفائه في التمكين لا يصرح لها تصريحا تجسيديا بل بكلام رمزي أو تعبيرات عرفانية صوفية للمعاني يفهمها أصحاب المعاني الموهوبة .ص٩٩.لا ينالها إلا ذو حظ عظيم يتكتم أصحاب الوصول عن الإفصاح بها تجنبا لسوء الفهم كما عبر عن ذلك مولاي الإمام زين العابدين :

إني لأكتم من علمي جواهره

لكي لا يعلم ذو جهل فيفتتن

وقد تقدم في هذا أبو حسن

إلى الحسين وأوصى قبله الحسن

يا رب جوهر علم لو أبوح به

لقيل لي أنت ممن تعبد الوثن

ولأستحل رجال مسلمون دمي

يرون أبشع ما يأتونه حسن

وهناك دلائل على من أباح مثل الحلاج عندما لم يقدر التعبير بالتورية أبيح دمه [1].

عرف الشاعر أبو مسلم بأنه القاضي ابن القاضي وحفيد القاضي ،كان قد هضم أحكام الشريعة الإسلامية، ولازم العلماء العاملين والزهاد الورعين من أهل عمان حتى اكتمل لديه علم اليقين فظهرت عليه أمارات علم الحقيقة مبكرة فالتزم الأوراد وحضرات الذكر مع الخلوة وحمل المسبحة استعانة بها على عدد الأوراد وافتخر بحمل المسبحة حيث كانت عاد

لقد اختار أبو مسلم طريق الذكر في بداية السلوك إلى الله تعالى لأن الذكر هو المنزلة الكبرى للمسافرين بقلوبهم إلى محبوبهم منها يتزودون وفيها يتجرون وعليها دائما يترددون وإليها يأوون ،فتعبد الشاعر بشعره في حلقات الذكر وعلى طول الليالي حتى الفجر وهو واقف يناجي ربه ويرفع شكايته وحاجته ، لقد أحرق الشاعر نفسه الأمارة في بداية الطريق إلى الله فكان له إشراق النهاية باكتساب الكشف والإلهام[2].

وإذا كان مسمى الإنسان محمولا في طبيعتين مادية وروحية فلا شك أن الجانب الروحي قد مارس حضوره ونشاطه بوسائل مختلفة سواء عن وعي أو غير وعي مبحث الانسان .

وتتأكد علاقة الشعر بالتصوف عندما يحدثنا ابن عربي عن الواردات الإلهية التي يتلقاها المريد في أثناء عروجه المعنوي على سلم المجاهدات في وارد إلهي يعبر عن مرتبة من المراتب الوجودي و يقول ابن عربي :" رفع لك عالم التصوير والتحسين والجمال وما ينبغي أن يكون عليه العقول من الصور المقدسة والنفوس النباتية من حسن الشكل والنظام وسريان الضوء والنيل والرحمة في الموصوفين بها ومن هذه الحضرة يكون الامداد للشعراء [3].

---

[1] محسن بن جمعة بن محمد اللواتي رشحات التصوف في أوساط الإباضية مصدر سابق ، ص١٠٠

[2] فتحي شحاتة عطية تقديم سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي أبو مسلم البهلاني حياته وشعره تح" ط١١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، سلطنة عمان ص ١٤٩.

[3] أمين يوسف عودة تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية ،. ، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب بدار الكتب عمان . ص ١٣٨.

التعبد والتصوف : أولا شعر التعبد : المراد بشعر التعبد هو الشعر الذي أنشأه أبو مسلم من أجل التعبد به والتقرب إلى الله تعالى والتمسك به وقيام الليل بإنشاده في الذكر والمناجاة وخلوه الزم الشاعر بها نفسه في طريق السلوك إلى ملك الملوك والعبادة تجمع أصلين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع ، والعرب تقول طريق معبد أي مذلل والتعبد : التذلل والخضوع فمن أحببته ولم تكن خاضعا له لم تكن عابدا له ومن خضعت بلا محبة لم تكن عابدا له حتى تكون محبا خاضعا وفي القاموس المحيط : التعبد التنسك العبودية والعبادة والعبودة وهي الطاعة وفي لسان العرب العبودية والتذلل العابد الموحد والتعبد التنسك والعبادة : الطاعة ، والشاعر أبو مسلم الرواحي قد بدأ سلوكه إلى الله تعالى عن طريق التعبد بشعره قيام الليل بمناجاة ربه والتوسل إليه بالدعاء والثناء وتعديد نعم الله تعالى التي تجلى بها على عباده من خلال ذكر أسماءه الحسنى فكان الشاعر يتوسل إلى الله بالدعاء في نهاية كل مقطع من قصيدته التائية وهي الذكر الأول من أذكاره الثمانية والمسمى الوادي المقدس وقد خص كل اسم من أسماء الله الحسنى بمقطع خاص من القصيدة يتكون من إحدى عشر بيتا[1].

يقول في نهاية ذكره اسم الله المهيمن :

دعائي عريض و المهيمن حاكم وجل بلائي من أعادي الشريعة

وهيمنة الله احتوت كل ممكن فما قدر كشف الضر عن ذي بلية

تدارك بلائي يا مهمين وارعني بظلك واسمع يا مهيمن صرخـــتي

ويقول في نهاية ذكره لاسم السميع :

إلهي صرختي بالدعاء سمعته وليس دعاء لافتخار وسمعة

[1] فتحي شحاتة عطية تقديم سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي أبو مسلم البهلاني حياته وشعره تح" ط١١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، سلطنة عمان ص ١٦٧.

ولكن أحاطت بي بحور مصائب وأعظمها ذنبي وتسويف توبتي

سمعت ففرجها بروح وبرحمة وإن لم أكن مستأهلا للمثوبة.

ويقول في نهاية ذكره لاسم المجيب :

إلهي لم أيأس من الروح والوفا وإن ضاعف التقدير قدر بليتي

إلهي ندائي ماله عنك حاجز وقبل ندائي أنت تستر خلتي

إلهي أحسن بالإجابة إن أكن أسأت دعائي واجتهادي ورغبتي

والسلوك إلى الله تعالى طريقة النبيين والصديقين والعلماء العاملين ، لكن سلوك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبدؤه الترقي عن نفوس مطهرة كمالية إلى ما لا نهاية له من المقامات الإحسانية وأما سلوك غيرهم فمن نفوس أمارة ولوامة إلى نفوس كاملة صديقية والنهايات تختلف في الإشراق بحسب اختلاف البدايات فإشراق النهاية يكون بإحراق البداية[1].

لقد اختار أبو مسلم طريق الذكر في بداية السلوك إلى الله تعالى لأن الذكر هو المنزلة الكبرى للمسافرين بقلوبهم إلى محبوبهم منها يتزودون وفيها يتبحرون وعليها دائما يترددون وإليها يأوون فتعبد الثناء بشعره في حلقات الذكر وعلى طول الليالي حتى الفجر وهو واقف يناجي ربه ويتوسل إليه ويرفع شكايته وحاجته فأحرق الشاعر نفسه الأمارة في بداية الطريق إلى الله فكان له إشراق النهاية باكتساب الإلهام والكشف [2].

فاختار الشاعر أبو مسلم طريق التوجه إلى ربه بالأسماء الحسنى فأنشأ قصائده ليقف بها بين يدي الله في هذا الطريق ويبذل نفسه فيه ثم تدرج في الوصول فارتقى المتعبد درجة المحبين ، فبذل روحه متعلقا بحبل أسماء الله وفي هذا يقول الإمام القشيري " واعلم أن العابدين شهدوا

[1] أبو مسلم البهلاني حياته وشعره مصدر سابق ص ١٦٨.

[2] المصدر نفسه ص١٦٩.

أفضاله فبذلوا نفوسهم والعارفين شهدوا إجلاله فبذلوا له قلوبهم والمحبين شهدوا جماله فبذلوا له أرواحهم بل من كان له علم اليقين وجدوا أفضاله ومن له عين اليقين شهدوا جلاله ومن له حق اليقين شهدوا جماله [1].

وليس ما سبق كان السبب الرئيسي في كثافة شعر التعبد والتصوف عند أبي مسلم فالشاعر القاضي وابن القاضي وحفيد القاضي كان قد هضم أحكام الشريعة الإسلامية وتلاصق بالعلماء العاملين والزهاد الورعين من أهل عمان حتى اكتمل لديه علم اليقين فظهرت عليه أمارات علم الحقيقة مبكرة فلتزم الأوراد وحضرات الذكر مع الخلوة وحمل السبحة حيث كانت عادة القوم حمل العصا في أيديهم والتزين بالخنجر في أوساطهم ولا تزال حتى اليوم فتراه يقول مفتخرا بمظهره الصوفي :

حملوا العصي فكنت أحمل مسبحة كسرت رماحا أشرعت وعصيا

خانتهم عند الهياج عصيهم ولكم فصمت بما حملت عصيا.

سمي الشاعر الصوفي سلطان المتوسلين [2].

يرى الباحث أن إنشاد القصائد من أجل التعبد بها نهج جديد في مفهوم علماء البحث عن الحقيقة وذلك لكثافة أشعاره والتشدد في شروط التعبد عند أبي مسلم يشتمل على كثير من الأحوال والأذواق الصوفية [3].

مقومات الشعر التعبدي :

شعر المحبة الإلهية : المحبة الإلهية هي المنزلة التي فيها تنافس المتنافسون وإليها شخص العاملون وإلى علمها شمر السابقون وعليها تفاني المحبون وبروح نسيمها تروح العابدون ، فيها

[1] أبو مسلم البهلاني حياته وشعره مصدر سابق ص١٧٥.

[2] المصدر نفسه ص١٨٠.

[3] المصدر نفسه ص١٨٢.

قوت القلوب وغذاء الأرواح وقرة العيون وهي الحياة التي من حرمها فهو من جملة الأموات والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات والشفاء الذي من عدمه حلت بقلبه جميع الأسقام واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله هموم[1].وفيها يحقق درجات التصوف من المقامات والأحوال والأذواق فيقول في الخوف والرجا:

ملأت قلبي منك خوفا ورجا جعلت حسن الظن فيك معرجا [2].

مفهوم الشعر الصوفي :ومضمونه : الصوفية رتبوا درج الطريق إلى الله ترتيبا يبدأ بالتوبة ودرج الطريق تسمى عند الصوفية المقامات والمقام معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله عز وجل والمقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل ولابد للمسلم الصوفي أن يتحقق من تلك المقامات ولكل مقام بدئ ونهاية وبينهما أحوال متفاوتة [3].

والصوفية يعبرون عن أحوالهم وأذواقهم بأسلوب أدبي مميز بالوزن والقافية فالشعر الصوفي هو ذلك الشعر الذي قيل تعبيرا عن المقامات والأحوال والأذواق والمواجيد الصوفية ، وهو يتضمن مقامات وأحوال وأذواق رتبها أبو نصر السراج على النحو التالي :

المقامات : التوبة ، الورع ، الزهد ، الفقر ، الصبر ، التوكل ، الرضا .

الأحوال : المراقبة ، المحبة ، الخوف ، الرجا ، الشوق ، الأمن ، الطمأنينة ، المشاهدة ، اليقين

الأذواق : التصوف ، التقوى ، الحضور ، الحال ، الغيبة ، الذكر ، السخاء ، الشكر ، المناجاة ، الوجد ، الشرب ، السر ، السرور ، العبودية ، المعرفة .

فالمقامات مجالها المجاهدة والكسب ،والأحوال مواهب إلهية وآثار قلبية ومشاهد نورانية

[1] أبو مسلم البهلاني حياته وشعره مصدر سابق ص ١٩٣.

[2] المصدر نفسه ص ٢٠١.

[3] المصدر نفسه ص ٢٤٣.

والأذواق نواح خلقية لقد نظم الشاعر أبو مسلم شعره الصوفي بحسب الخواطر والمواقف في السلوك والمجاهدة وقد بدأ سلوكه بالتذوق عن طريق الذكر وتدرج في المقامات حتى وهبه الله الأحوال النورانية والآثار القلبية ولكن في منهج أبي مسلم لم تأت الأحوال والمقامات والأذواق مرتبة في شعره بل جاءت متناثرة بين قصائده فيقول عن مقام التوبة :

إلهي توبا قابل التوب إنني أقدم توبا خالصا من طوبـــــــتي

أقدمه كما ارتكبت من الخطأ وأنت إلهي عالم صدق توبتي[1].

ولم أخشى طردي قابل التوب خائبا وأنت خبير بابتهالي وأبتي

والتوبة أول منازل السالكين وهي كذلك أوسط المنازل وآخرها فلا يفارق السالك مقام التوبة إلى الممات فالتوبة هي بوابة العبد ونهايته[2].

إن أبا مسلم في نهاية المنتهى هو صفوة خلاصة تجارب المتصوفة العمانيين وعلى رأسهم الشيخ جاعد بن خميس وابنه ناصر بن جاعد وبطبيعة الحال معلمه الأول ، العالم الرباني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي وهي تجارب ماتحة من تجارب ابن الفارض وحجة الإسلام الإمام الغزالي لكنها في رأينا المتواضع تجارب تمثل يمين تيار المتصوفة وبالتالي فهي مختلفة عن تجارب يسار المتصوفة الكبار بشطحهم الصوفي المتمظهر في انسلاخ تجربتهم المتعالية على هشاشة الواقع المحسوس تصعيدا لها في الماوراء رؤية وسلوكا وتنظيرا وكتابة واستشفافا لتحتيات الواقع والماوراء وراء الواقع كما هو الحال لدى أبي يزيد البسطامي والشيخ الأكبر ابن عربي ومحمد بن عبد الجبار النفري والحسين بن منصور الحلاج وسواهم من كبار المتصوفة الممثلين لتيار اليسار الصوفي إن صح التعبير والمقابلة أما تيار التجربة المحافظة ين الصوفيين العرب التي مثلها كل من حجة الاسلام أبي حامد الغزالي وابن الفارض وهي التجربة التي أثرت على التجربة الصوفية

[1] أبو مسلم البهلاني حياته وشعره مصدر سابق ص٢٤٤.

[2] المصدر نفسه ص٢٤٥.

العمانية ابتداء من جاعد بن خميس الخروصي وابنه ناصر بن جاعد الخروصي والعلامة الرباني الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي لتصل ذروتها الحقيقية وانفتاحها الخلاق مع الشيخ ناصر بن جاعد وأبي مسلم الذين أفادا من اقامتهما[1] ، في زنجبار واطلعا بالتأكيد على التراث الصوفي الواضح تأثيره في مناخات أعمالهما .

وللتدليل على هذه الفرضية التي لا تبلغ إلي اليقين المعرفي ولا التأويلي شأو محاولة فرضها وإثباتها وفي هذه المقدمة تأكيد الأبيات الشعرية التي تحيل أقاصي معانيها إلى ما سبق ذكره[2] ، فكما سيتجلى في الأبيات اللاحقة لمحق تلك الأنا في ظلال كينونة الخالق سيكتشف ذلك عن أسباب موضوعية تتعلق باتحاد {أنا } المخلوق في ذات { الخالق} اتحادا صوفيا لا مفاضلة فه بين الخالق والمخلوق المتحد به لدرجة استحقاق المخلوق طوعا لماهية صفات الذات الإلهية بعد أن تجلى فيها كما تجلت فيه :

بل أنا نسبة إلى أثر الحق شهيد للحق بالانفـــــراد

وأنا من حيث انتسابي إليه يملك الحمد والثنا و المجاد

وهي مرتبة من مراتب كبار الصوفية يعلنها أبو مسلم في قصيدته هذه بكل شفافية التجلي الصوفي وغناه الماتح من ينابيع بدت لنا أبعد غورا من مدرسة أشياخه من المتصوفة العمانيين

وأنا من حيث انتسابي إليه كل نقص ووصمة في عدادي

وأنا من حيث انتسابي إليه منعش الروح باعث الأجساد [3].

---

[1] محمد الحارثي ،الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني ناصر بن سالم بن عديم الرواحي شاعر زمانه وفريد أوانه ١٨٦٠_١٩٢٠.ط١، ٢٠١٠لبنان ص٤٠.

[2] المصدر نفسه ص٤٢.

[3] الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني ناصر بن سالم بن عديم الرواحي مصدر سابق ص٤٣

فعلى سبيل المثال نجده في هده الأبيات يتعالى بل يجنح في الماوراء بعيدا عن مدرسة شيخه العالم الرباني سعيد بن خلفان الخليلي أو الشيخ جاعد بن خميس على سبيل المثال فهو يرى نفسه في صورة المتصوف الحق منعش روح وباعث أجساد وتلك خصيصة صرح بها كما نعلم جميعا إلا يختص بها سوء خالق مؤله ، لكنها حصيصة صرح بها أبو مسلم بأنه واحد من القلة الذين أتيحت لهم كما أتيح له التعبير عنها بطريقة لافتة وكما نلاحظ فهو لا يكتفي بإضفاء نزعة المتصوفة التي أشار إليها في بيت آخر لم يرضى أصحاب المذهب كثيرا عنه ، فتراه في الأبيات الثلاثة السابقة يؤكد أنه من حيث انتسابه إلى الله ممثل لكل نقص المثبت[1] ، جزئيته إلى كمال المبدع الكلي دون تحاشي وصف ذاته الوصمة التي يعلم قبل غيره أنها تنال من انتسب إليه وهو الله دونما شك أو ريب تأويل مخاتل [2].

والمدهش بل العجيب أنك تجد أبا مسلم في البيت الموالي يفصح عن المغزى الذي أراده بعدل تمام انتسابه مخلوق إلى خالقه وتكامل صفاتهما معا بحيث لا يعيبه القول بعد بلوغه لتلك المرتبة الصوفية المتعالية هيأة في اتحاد المخلوق بخالقه كما يرى ابن عربي صراحة دونما ليس محتمل أنه أضحى مساويا للإله في الحقوق والواجبات لدرجة أنه ينعش الروح ويبعث الأجساد .

يقول المحقق محمد الحارثي وفي اعتقادنا أن أبا مسلم بعد توسع مداركه المعرفية في زنجبار لم يعد وفيا لاشتراطات المدرسة الصوفية المحافظة التي نشأ عليها وإن حاول الإبقاء على بعدها المحافظ وأذكاره التي تضمنها النفس الرحماني مسايرة لشيخه سعيد بن خلفان الخليلي لكننا نكاد السقوط في الجزم بأنه اطلع على كتب كبار المتصوفة وتأثر بهم سواء في أذكاره التي يلمح الدارس المتفحص لأبياتها شطحة الصوفي الماورائي غير الملتزم بتلك المدرسة الصوفية المحافظة رغم محاولاته المتقصدة لعدم إظهارها في ظاهر أذكاره تلك لكنها تظهر وتفضح باطنها في أبيات متفرقة هنا وهناك .

---

[1] الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني ناصر بن سالم بن عدم الرواحي مصدر سابق ، ص٤٥.

[2] المصدر نفسه ص٤٦ .

وليس خفيا أن علماء الإباضية لا سيما المتأخرين منهم كما أشرنا آنفا لم ترضهم صيغة الهيولي المطلق في شطح مدائحه النبوية التي أطلق فيها لنفسه العنان قصصا ممتعا وأسرارا حول أساطير النشأة المحمدية من مذاهب الباطن[1].

وتأكيدا لما سبق فقد كان عالما وشاعرا متصوفا لم ينغلق في حدود المذهب الإباضي وإن ظل مخلص الولاء والوفاء له لكنه انفتح على ما ارتأى أنه إرث معرفي حق له الأخذ منه وإن كانت مصادره الفكرية اشتات مذاهب مناوئة لمذهبه وما دفعه لذلك في اعتقادنا الأكثر تواضعا [2].

من الاعتقاد ذاته هو بلوغه مرحلة تصوف لم يصلها أشياخه ليستثمرها خير استثمار في قصائده الاستنهاضية وليس غريبا أن ترى ذلك متجليا في قصائده أخرى تحيل إلى علو ومراتب المتصوفة على سائر خلق الله مما يؤكد ليس اطلاعه على بل تأكيده وتوكيده الواضح على ما قاله الشيخ الأكبر في فتوحاته المكية التي تجزم بتأثر أبي مسلم بها كما يرد في هذين البيتين :

سبحان من أورد الأرواح أبحره وهيم الأنفس الولهى إلى الله

سبحان من خص بالعرفان طائفة أفنتهم كلمات الله في الله[3]

الوجد الصوفي : وهذا وجه آخر للذات الشاعرة يبدوا مغايرا أو مناقضا للجانب السابق والمتمثل في المنزل العقلي والطبيعة العملية التي تناول قضايا العقيدة ولكنه يشكل بعد جديدا أو جانبا عميقا من جوانب تلك الذات دون أن يصيبها بالتناقض والفصام وحين نطالع عناوين القصائد المتتابعة في ديوان الشاعر مثل النفحة الفاتحة بالتوسل بأسماء الله ، الفاتحة ومقدس

[1] الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني مصدر سابق ص٤٧.

[2] المصدر نفسه ص ٤٩.

[3] الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني مصدر سابق ص٤٩.

النفوس والكلام الطيب والباقيات الصالحات وفرع الحياة المقدسة وطمس الأبصار عن رؤية ذات الجبار ، والوادي المقدس ن وخمر الله يتراءى لنا البعد الصوفي بمعناه العام[1] .

مهيمنا على وجدان الشاعر متمثلا في صدق التوجه إلى الله وتمام الارتباط به والشوق إلى حضرته كما تبين أثر الشعر العربي الصوفي جليا ومعاني شعراء الصوفية واضحة في تلك القصائد وغيرها على نحو ما نطالع في صدر قصيدته : حكمة الله جل جلاله :

سبق الإرادة سلم المرتاد فارتد لعلك سابق الرواد

نادتك ألسنة الحقيقة فالتفت نحو النداء ونحو ذاك النادي

***

أتراه يدعوك الحبيب لقربه فإذا اقتربت رماك بالإبعاد

لو تهت من نور الجمال بمشهد لرأيت سر اللطف بالأشهاد

إلى أن يقول :

فاخلع كثيفك التي لا تبغي لشهود حضرتنا مع الأشـــــــــهاد

واغسل بماء القدس عشر لطائف هي أنت من دنس الطباع الكادي

بل أن مصطلحات الصوفية ورموزهم تبرز واضحة في مثل قوله :

هو الله بسم الله ذاتي تجردت وهامت بمجلى النور عين حقيقتي[2].

---

[1] الموسوعة الميسرة التراث العماني تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العماني ، ديوان أبي مسلم البهلاني للشاعر ناصر بن عديم الرواحي ، القسم الأدبي عرض ودراسة صلاح رزق ، ص ٢١.

[2] المصدر نفسه ص٢٢.

في أدب أبي مسلم الرواحي الشاعر العماني الأصيل تتجلي العقيدة بكل صفاء ونقاء فأنت عندما تقرأ شعره تدرك لأول وهلة أنك مع شاعر مقتدر يتصف بالأصالة والقوة في كل بيت بقوله وما سر قوته وأصالته غير التوافق التام بين شخصيته وبين إبداعه أنت تشعر لأول قراءة بأنك مع أديب مسلم بحق يتجلى الإسلام في شعره بأحاسيسه الإسلامية الصادقة ومشاعره الدينية النبيلة ولغته المستوحاة من القرآن الكريم ومواقفه الإيمانية الرصينة وأفكاره المحمدية المستنيرة [1] ، ويغدوا الابتهال قسما هاما في ديوان أبي مسلم ولعه أكبر الفنون التي استقطب اهتمام الشاعر استجابة لدافع ذاتي وموضوعي بحكم ورعه وتقواه وزهده [2] ، شاعر مسلم بكل مواصفاته الأصيلة عقيدته دينية راسخة وسلوك محمديا ثابتا ورؤية إسلامية للكون والحياة والناس [3] .

وإذا عدنا إلى التراث الإسلامي فإننا نجد في أدبيات المتصوفة اهتماما بالدعاء والأذكار وضعوا لها آدابا وشروطا ينبغي أن يكون المرء عليها في حالة الدعاء حتى يستجيب الله لدعائه [4]، ولهذه الآداب تفاصيل توجد في الجزء الأول من إحياء علوم الدين للغزالي والجزء الخامس من نهاية الإرب للنويري كما تعظ بها كتب المتصوفة والرقائق وجملة هذه الآداب تبين كيف يحرص الصوفية على نقاء النفس حين تواظب على هذه الآداب فوصل النفس بالله واستحضار فقرها إليه ورهبتها منه ورغبتها فيه وانتظارها لفضله في ثقة ويقين كل أولئك ، من العوامل في صقل النفس وتطهير القلب وتربية الوجدان وانتظار الخير كله من الله وتهيئة النفس لذلك باب أصيل في بناء الملكات الأخلاقية ولا سيما إذا لاحظنا مخلصين أن الأمر بيد الله وأن العبد لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا هذه الأسباب كلها تجعلنا نفهم موقنين لماذا يصف الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه مخ العبادة من هذا المنطلق الإيماني نفهم لماذا يتجه شاعر مثل أبي مسلم إلى هذا

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان ١٩٢٠د. محمد بن صالح ناصر ط١، ١٤١٦-١٩٩٦، مسقط عمان ص ٢٢.

[2] المصدر نفسه ص ٢٣.

[3] المصدر نفسه ص ٤٥.

[4] المصدر نفسه ص ٤٩.

النوع من الشعر ولماذا يكرس له من ديوانه كل هذه القصائد بحيث تصبح الجزء الغالب عليه بل تصبح الروح الذي طبع أغلب أعماله الشعرية [1].

وقد دلت المقدمات التي يفتتح بها تلك القصائد على احتفاله بأدائها إذ كان يهيئ نفسه بالطهارة والوضوء والتبتل والخشوع والصلاة في جوف الليل فتنساب تلك الأبيات على لسانه دعاء يناجي بها ربه في تلك اللحظات الروحية الرفيعة تجيش بها عاطفته ويفيض بها وجدانه ويمتلئ بها قلبه وتخفق بها جوانحه [2] ، ولعل إحساس الشاعر أنه إنما يدعوا الله ويرفع إليه أكف الضراعة وهو ينشد تلك القصائد هو الذي أضفى عليها جوا حميما من الصدق والتجلي الروحي لا سيما في تلك المطولات التي يخصصها لأسماء الله الحسنى حيث يتكرر لفظ الدعاء أكثر من[3] مرة تعبيرا عن معاناته النفسية الصادقة وإحساسه الإيجابي الفياض فالابتهال عنده بالشعر وسيلة من وسائل التقرب إلى لا تختلف عنده عن دعائه بالنثر .

في رسالة الفكر الصوفي تعرض لشعر السلوك وبين نماذج من الشعراء منهم أبي مسلم الرواحي فقط من الجانب التنظيري الفكري أما موضوع بحثنا يتناول بعض الشعراء الإباضيين من المشرق " عمان " الذين عرفوا بشعر الابتهال والدعاء والذكر من الناحية العملية أي الممارسة الواقعية ، الشاعر العماني كان يكتب ويبتهل ويتذوق معنى الذكر ويستأنس بحضرة الإله من خلال الأسماء والصفات ، فلم تكن الكتابة الشعرية للابتهالات مجرد تأليف جاف يملأ الصحف ويستهوي القارئ بالزخم المعرفي بل كان تأليف روحاني واتصال رباني وتدبر وتفكر وتأمل .

وقد قال عن نفسه في مقدمة تخميسة لقصيدة شيخه وإمامه في هذا الاتجاه الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي " ولكني امرؤ حالفت خدمة الأذكار وأشربت حب الاغتراف من بحار الأسرار وعلمت أن لهذه الدعوة " سموط الثناء " أثرا ساطعا وبرهانا قاطعا أشهر من الشمس في كبد

---

[1] المصدر نفسه ص٥٠.

[2] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص٥٢

[3] المصدر نفسه ص ٥٣ .

السماء وأغزر بركة من [1] ، عيالم الدأماء فاستمسكت بحروفها وأخذت بجزئها وجعلت مع التخميس لرب العزة ولبست لها من أديم السحر ردائا [2].

وأبو مسلم يرتقي بهذا الفن الشعري رتبة في السمو الروحي أرقى من أن يكون شعرا ينشد أو يحفظ ،وإنما يتخذ هذه القصائد أورادا يقسمها بين اليوم والليلة فتصبح عنده عبادة قارة ورياضة روحية يصفي بها نفسه من أدران المادة وإطار الدنيا كلما أصابه شيء من غيارها [3] ، فهو سائل عائذ مخبت حتى أصبح الذكر حديثه وشغله فيما يقول والدافع إلى ذلك طمأنينة يجدها قرب الله إذا تستبد به قلق وأمن في حمى الله إذا أنزل به خوف ذلك ما يقرره بنفسه حيث يقول

سيدي سائل بأسمائك الحسنى على بابك العظيم الأجل

سيدي عائذ بأسمائك الحسنى دؤوب بحبلها متـــــــــدلي

سيدي عزني الوجود ملاذا وتعمت أمام وجهي ســـبلي

إن قصيده الابتهال عند أبي مسلم حاجة نفسية واستجابة ملحة لخواء روحي يشعر به عندما تدلهم أمامه الحوادث وتتحكم حوله حلقات الأزمات النفسية [4].

يقول زكي مبارك المدائح النبوية من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع لأنها لا تصدر إلا من القلوب المفعمة بالصدق والإخلاص

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق المصدر نفسه ص ٥٤.

[2] المصدر نفسه ص٥٥.

[3] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص ٥٥.

[4] المصدر نفسه ص٥٦.

ومن المحاور البارزة في قصيدة الابتهال عند أبي مسلم المديح النبوي وهو عنصر هام في الابتهال عند الشاعر أبي مسلم .لأنه في تصوره ركن أساسي لا يتم الذكر إلا به ، حيث صرح بذلك في مقدمة تخميسة لسموط الثناء [1] ، وأول ما يلفت النظر في تلك القصائد هذا الحب الجارف الذي يشعر به الشاعر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستخدم لذلك كل ما لديه من طاقة تعبيرية وتصويرية صادرا عن إيمان عميق وإعجاب شديد بنبي الله حتى صار حبه له حبا جبليا كما يقول[2]. .

أنوار حبك في قلبي قد انطبعت جبله كان ضياع الشمس في القمر

مازال حبك في قلبي قد انطبعت جبله كانطباع الشمس في القمر

مازال حبك في روحي يخامرها حتى تجردت عن عيني وعن أثري

ما للمحبة مقدار إذا ا اقتصرت الحق حبك غير مقتـــــــــــصر

تجردا من هنات كلها حجب لا وصل والمحبوب محجوب بذي الستر

أدعوك خلف حجاب الكون منبسطا في بسط حبك لم أخلص من الأثر

ذهلت عن كل شيء مذ علقت به أفرق بين الصفو والكـــــدر

لا أحسب الروح إلا أنها خلقت من الهوى فاختفت عن عالم الصور

وفي أخرى ..

عليل وما بي علة غير أنني سلوكي حب المصطفى صار علتي

عليل غليل غالني حب أحمد فما حيلتي ألا أمرت بغـــــــلتي

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص ٧٦.

[2] المصدر نفسه ص ٧٨.

فليت فنائي كان في فيء طيبة إذا فاه فوق القبر تهت بلهفـــــتي

قتلت قتيل العذل في دار حبه وقلت لقلبي اقبل وكبدي تفتي[1].

وبذلك شعر أبي مسلم في مديح النبي محمد صلى الله عليه وسلم على حبه العظيم وإعجاب لا يوصف وتراه يضفي عليه من الصفات العظيمة مصداقا لوصف الله سبحانه وتعالى لرسول الله صلى الله عليه وسلم " وإنك لعلى خلق عظيم " ولكنه ينأى أحيانا في هذا الاتجاه فيأتي بصفات يحتاج المرء في فهمها إلى فهم بعض مصطلحات الصوفية ..[2].

هو الجامع الأسماء جمع تحقق ومشكاة مصباح الصفات الجليلة

هو الجامع الأسرار في جيب سره هو المشرق الأسرار في أي وجهة

هو الكاشف الأستار عن ثير الهدى هو الباعث المبعوث بالحنفية

هو الأول المكنون في أبحر الحق هو الآخر المعقود في كل رتبة

هو الظاهر المعلوم قبل ظهوره هو الباطن الخافي بكل حقيقة

التوسل بالأبدال والأقطاب والأحباب والنقباء وغير ذلك مما هو معروف المتصوفة ، وقد أشار أبو مسلم إلى هذا بصراحة .

في قوله

بالسادة الأبدال والأقطاب بالسادة الأفراد والأحباب

وبرجال الغيب بالأنجاب بالنقباء أظهر الأحبـــــاب

بدرجات الأزكياء السالكين وبمقامات نفوس العارفين

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص ٧٨ .

[2] المصدر نفسه ص٧٩.

وبقلوب الأولياء الواصلين بالخلفاء منهم والمرشدين[1].

إنه أثر التصوف في هذه المواقف واضح دون أن نحدد هذا الأثر وأبعاده أهو أثر ينتمي إلى الإمام الحجة الغزالي كما صرح بذلك سعيد بن خلفان الخليلي في النواميس الرحمانية أم هو أثر يذهب أبعد من ذلك إن الذي يقطع الإجابة عن هذا السؤال عالم متخصص في هذا المجال.

يقول الدكتور محمد بن صالح ناصر ..معلقا على قول الشـــاعر

فذاك الكون لا أسلوا بزهرته عن فرط حبك يا من حبه وزري

وكيف تفدى بكون أنت علته لولاك ما أوجدت موجودة الفطر

يقول الدكتور . والواقع إني عاجز عن فهم قوله أنت علة الكون ولولاك ما أوجدت موجودة الفطر إلا بعرضها على ما جاء عن محي الدين بن عربي حيث يقول ..

اعلم أن الله لما خلق الخلق جعلهم أصنافا وجعل في كل صنف خيارا واختار من الخيار خواص وهم المؤمنون واختار من المؤمنين خواص وهم الأولياء واختار من هؤلاء الخواص خلاصة وهم الأنبياء واختار من الخلاصة نقاوة وهم أنبياء الشرائع المقصورة عليهم واختار من النقاوة شرذمة قليلة هم صفاء النقاوة وهم الرسل أجمعهم واصطفى [2] ، واحدا من خلقه هو منهم وليس منهم هو المهيمن على جميع الخلائق جعله الله عمدا أقام عليه قبلة الوجود وجعله الله أعلا المظاهر تعيينا وتعريفا فعلمه قبل وجود طيبة البشر وهو محمد لا يكاثر ولا يقاوم هو السيد ومن سواه سوقه [3]

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص٨٩.

[2] المصدر نفسه ص ٨١.

[3] المصدر نفسه ص.٨٢

وقد شرح الدكتور زكي مبارك هذه النظرية بقوله : إن الصوفية يتصورون ذاتا أحدية لا تتكثر إلا بالتعيينات والتعين الأول هو محمد وهو الحكمة الفردية وعنه تنشأ جميع التعيينات حتى الأشياء ومن أجل ذلك كان سيد جميع الناس وكان خاتم الأنبياء، وقد حام حول هذه النظرية كثير من أقطاب الصوفية ص٨٢، وقد أفصح عن هذه النظرية ابن مشيش وهو من أقطاب الشاذلية وصلاته معروفة جدا عن إتباع هذه الطريقة يقرأها ألوف المريدين صباح مساء حيث يذكرون أن محمدا أصل كل موجود يقول في هذه الصلاة .." اللهم صلي على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار وفيه ارتقت الحقائق وتنزلت علوم آدم بأعجز الخلائق وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه سابق ولا لاحق فرياض الملوك يزهر جماله موثقة وحياض الجبروت يفيض أنواره متدفقة ولا شيء إلا هو به منوط إذ لولا الواسطة لذهب كما قبل الموسوط .

والواسطة هو محمد ص و الموسوط هم الأشياء والناس[1]،وهذا يقضي بأن الذات الأحدية صدرت عنها الحقيقة المحمدية وأن تلك الحقيقة هي الواسطة بين الله وبين جميع ما ظهر من صنوف الموجودات ، وأبو مسلم عندما يتوسل بالنبي ص يضفي عليه صفات ما تعودنا أن نصفها على الله سبحانه وتعالى مثل غوث الوجود ونور الوجود وروح الوجود وإمام الوجود وعين الوجود وعز الوجود ويتوجه في دعوته إليه لما يتوجه بها إلى الله .

غوث الوجود أغثني ضاق مصيري سر الوجود استلمني من يد الخطر

نور الوجود تداركني فقد عميت بصيرتي في ظلام العين والأثـــــــــر

روح الوجود حياتي إنها ذهبت من جعلها بين سمع الكون والبصر

أنس الوجود قد استوحشت من زللي وإيناسي في وردي وفي صدري

[1] أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان مصدر سابق ص٨٣.

عين الوجود ترى بؤس ونازلتي وفي محالك إنقاذي من الضرر[1].

يستهل الشاعر كلامه بالتعريف بنفسه قائلا : ...أما بعد فأقول وأنا عبد الرحمن ناصر بن أبي نبهان ،ثم يستأنف كلامه بمخاطبة القارئ بقوله : اعلم أن الله خلق الملائكة لمحض السعادة وخلق الجن والإنس والشياطين للابتلاء ... والعبادة وخلق ساير الأشياء للدلالة والشهادة فقال جل وعلا { وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون } وقال تعالى :{ سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم } وقال تعالى { وإن من شيء إلا يسبح بحمده} وقال في مثل نور معرفته ومحبته وإشراقها في أعمال دينه وعبده الولي المخلص إليه بالحق { الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية } .

قافية الهمزة :في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم

وقال فيها :

نسب صانه الجمال الإلهي لسر به عليه انطواء

مسحت بالزكاة عليه يد الله فلا بدع منه ذاك الزكاء

إلى أن يقول :

تتجلى الأنوار في غرر القوم ولله في التجلي خفاء [2]

قافية الباء : فاتحة الدعوة المباركة

هي قصيدة ابتهال وثناء ودعاء ، وهي نظم لمعاني سورة الإخلاص يقول :

---

[1] المصدر نفسه ص٨٥

[2] ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي ، شاعر العرب ،ت: د: راشد بن علي الدغيشي ، شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني ،م١-ط١-١٤٣٦هـ-٢٠١٥م-الضامري –السيب – سلطنة عمان –ص١٥

الله الله هو الله أحد الله الله هو الله الصمد

سبحانه عن والد وعن ولد ولم يكن لذاته كفوا أحد

الله الله العزيز القاهر الله الله المحيط الفـــــــاطر [1]

قافية التاء: هو الله جل جلاله

هذه القصيدة تظهر فيها شخصية أبي مسلم الصوفية واستعماله لمصطلحات التصوف في التعبير عن حاله مع الله عز وجل فيقول :

هو الله بسم الله تسبيح فطرتي ولله إخلاصي وفي الله نزعـــــــتي

هو الله بسم الله ذاتي تجردت وهامت بمجلي النور عين حقيقتي

هو الله بسم الله ضاءت فأشرقت بأنوار نور الله نفس هويتـــــــي

هو الله بسم الله ذرات عالمي خواتمها بدء كعالم ذرتـــــــــــي

هو الله بسم الله هبت فشاهدت بروق جلال من أنا الله غيـــــبتي

هو الله بسم الله شاهدت اسمه فتاهت بإفناء الفناء أنيتـــــــــي

هو الله بسم الله فقري محقق غذائي وذلي باسمه عين عـــــــــزتي

هو الله بسم الله نور جلاله به احترقت آفات نفسي ونشـــــــأتي

هو الله بسم الله أسرار إسمه بها صعقت عني شياطين شهوتي

هو الله بسم الله تزكوا خواطري وتصدف إلا عن مراضيه لفتتي [2]

[1] الموسوعة الشعرية لأبي مسلم مصدر سابق ص٣٥

[2] الموسوعة الشعرية لأبي مسلم مصدر سابق ص ٨١.

هو الله بسم الله جردت وحدتي لوحدته إذ منه لي فيه وحدتي

هو الله بسم الله أنسي شهوده ولو غيبته العين مت بوحشتي

هو الله بسم الله أوقفت رؤيتي عليه وديني مخلصا نفي رؤيتي

إلى أن يقول :

هو الله بسم الله محق إرادتي مرادي وإثباتي لمحوي بغيتي

هو الله بسم الله نفذ مشيئتي ومالي بشيء جزء حول وقوة

إلى أن يقول :

هو الله بسم الله لو عارض الفنا حياتي لم تذهب حياتي بموتي

هو الله بسم الله في كل وارد له من يقيني فيه كل تثبـــــــت

هو الله بسم الله في كل خطرة له ملك مني يطير بسبحتي

هو الله بسم ملك عوالمي بتدبير سر الإسم في قهر قبضتي

ويقول :

هو الله بسم الله والفيض باسمه تجلى لعقلي كنه كل حقيقـــــة

هو الله بسم الله والفتح باسمه فتوحات عرفاني وكشفي استهلت

هو الله بسم الله والوهب باسمه أفاض على الوهب كل خفية

هو الله بسم الله والنور باسمه تشعشع نور الله في بشريتي [1]

[1] الموسوعة الشعرية مصدر سابق ص ٨٣.

رفع الحياة المقدسة :

الله حي لا يزال ولم يزل في ذاته وبذاته ولذاتـــــــه

لا شيء غير الله حي كائن للذات قام له وجود حياته

وحقائق الأسماء في اسم الحي إذ هو أول الأسماء في مرقاته[1]

القلائد الدرية في مدح خير البرية : الحقيقة المحمدية

أشمس أضاءت أم سنا وجه عزة وليل سجى أم حالك الفود أبدت

بريق الثنايا أم برق عارض فهيج بلبالي وشوقي ولوعـــــــتي

تمنيت من دهري أفوز بنظرة إليها فهل لي أن أفوز بمنيتي [2]

قافية الدال : درك المنى في تخميس سموط الثنا

في اعترافه بذنبه وسؤاله التوبة من ربه وفيه إخلاص دعائه وابتهاله وإيقانه بحصول أمانيه وآماله ، وفي تضرعه إلى معبوده لشكاية شؤم جدوده وبيان قطعه الأسباب واتصاله برب الأرباب طمعا في نيل جوده ،وفهي المقصد الأسنى وهو إظهار دين الله على يد قائم مولاه

في دعائه لنفسه بكونه قطب الملة الإسلامية وإليه المرجع في إقامة الشريعة المحمدية.

قافية اللام: النشأة المحمدية

بدأ المسير ولات سدرة منتهى بل قبل خلق العرش بالإجمال

ما زال من طور لآخر يرتقي حتى استوى بالهيكل الصلصال

[1] الموسوعة الشعرية مصدر سابق ، ص ٢٢٨.

[2] المصدر نفسه ص ٢٣١.

فجرى تناقله الطهارة الطهارة والصفا من آدم وإلى الذبيح التالي

حتى تجلى من عصيمة عصمة ملك الوجود وصفوة المتعالي[1]

الناموس الأسنى في أسماء الله الحسنى

باسمك الأعظم العظيم الأجل العلي الأعلى تعلق ذلي

باسمك الأعظم المقدس ذي النور البديع الرفيع وجهت كلي [2]

مقدمة في شروط الذكر :

على المعرج الأسنى من الذكر عولا فإشراق شمس السر فيه تهللا

وما هو إلا ذكر أسماء ربنا تعالى ولكن كن على الشرط أولا

فأوله التطهير للقلب من أذى المعا صي وثانيه التفرد في الخلا

وثالثه الإخلاص لله وحده وهذا ملاك الأمر فألزمه مقبلا

ورابعه استقبالك البيت في الدعا وخامسه كون الوضوء مكملا

وسادسه صوم الخميس محبب وفي سحر الزهراء للذكر فاعملا [3]

في سؤال تزكية النفس بواردات القدس

فتلهج يا الله في القصد مخلصا بسر اسمك الذاتي قدري جللا

أنلني يا رحمن أوسع رحمة فقد جل خطبي يا رحيم وأعضلا

---

[1] الموسوعة الشعرية مصدر سابق ص ٦٧٥.

[2] المصدر نفسه ص ٧٦١.

[3] المصدر نفسه ص ٨١٣.

و يا رب أصلح لي عبوديتي أكن مطيعا خضوعا خاشعا متبتلا

و يا مالكي ملكني النفس والهوى فلا ينزلا بي من معاصيك منزلا

و يا حي يا قيوم أحيي سريرتي فأشهد قيومية العلم و الولا [1]

في استمداد الأنوار العلمية والأسرار الحكمية

ألا يا خبير اكشف لسري غوامض الغيوب وكن للسر سري مؤهلا

و يا محيي الموتى فؤادي أحييه بأرواح أسرار لأسمائك العـــــلا

وبين لسري يا مبين معارفا شوارقها من مطلع اللطف تجتلى

و يا نور نور باطني وظواهري ضياء من النور المقدس مشعلا

و يا ظاهر اجعلني بنورك ظاهرا على كل مخفي الظهور وما انجلى

ونفسي سلم من كدورات وصفها وهبني طبعا يا سلام مكملا [2]

وقد ذهب الشاعر الصوفي أبي مسلم إلى حد بعيد في الشطح حيث يقول :

مصور نفسي اكشف لسري حقائق المعارف أحيا بالعلوم مسربلا

و يا مبدي الإبداع للسر مظهرا أفض من بحر العوارف جدولا

أعد لي من أرواح لطفك نفحة معيد حياة الجسم من عالم البلى

و يا أحد ارزقني اتحادا ونسبة بمن علة التوحيد كأسا مسلسلا

[1] الموسوعة الشعرية ص ٨١٤.

[2] المصدر نفسه ص ٨١٦.

بديع السما والأرض خص بصيرتي بإبداع سر في خفا سرك انجلى[1]

وفي تطهير النفس ...والاستغفار من موبقات الأوزار

ومطلعها :

عبيدك يا تواب جاءك عائدا تحمل ذنبا فاعف عما تحملا

لفتح خزائن النعم وانبساط فيوض الكرم

ومطلعها :

يؤوب احتياجي يا غني وفاقتي إليك فالنعماء بؤسي بدلا

و يا بر خولني ببرك نعمة فأغدوا بنعماء المليك مخولا [2]

قافية الميم : هو الله فاعرفه

هذه القصيدة تخميس لقصيدة الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي ،وقد توفي الشيخ أبو مسلم بعد فراغه من هذه القصيدة بثلاثة أيام وهي من البحر الطويل ،يقصد أنكل ما دعاك إلى غير الله فاتركه ،واعرف الله سبحانه وتعالى واعبده حق عبادته ،واترك ماعدا الله من أي مخلوق عاقل أو غير عاقل ، لأن الله هو الذي أضاء الطريق لك وبصرك بها فاتباعك غير الله عمى وضلال ،وبعد إخلاص عبادتك لله توجه إلى الله بالدعاء تجده كريما مجيبا ،وجاهد نفسك بل وحاربها لأن لا تميل إلى حظوظ الدنيا ولا تخضع لها ولا تستجيب لميولها وأهوائها وأرهقها بأنواع الطاعات [3]

هو الله فاعرفه ودع فيه من وما دعاك ولم يترك طريقك مظلما

[1] الموسوعة الشعرية مصدر سابق ص ٨١٧.

[2] المصدر نفسه ص ٨٢١.

[3] المصدر نفسه ص ٨٢٦.

عن الحق نحوا لخلق يدفعك العمى تقدم إلى باب الكريم مقدما

له منك نفسا قبل أن تتقدما

تجنب قيود الحظ فالحظ مرتهن وأرهق جنود النفس حربا ولا تهن

وفي ظلمات الطبع بالحق فاستبن وعرج على باب الكريم فسله من

مواهب نور العلم بحرا قليذما

الوادي المقدس وهي قصيدته الثابتة الطويلة التي بها أسماء الله الحسنى

ولقد نظم في أسماء الله الحسنى قصيدة كاملة قسمها إلى مقاطع وجعل كل مقطع مختصا باسم من أسماء الله الحسنى فيورد الاسم أولا ثم يحلل النعمة التي أسبغها الله على هذا العالم فوافقت اسمه ...مثلا المصور :

مصور أشكال الوجود معدل الذوات على ما شئت في أي صورة

إلهي زينت الظواهر مطلقا وأعطيت بالتخصيص نور السريرة

وميزت من بين البهائم خلقنا وزكيت بالإخلاص نفسا تزكت [1]

ويستمر هكذا يحلل تصوير الله في النفس وعندما ينتهي يختم المقطع بالدعاء وهو في مقطع المصور يدعو دعاء يتبين منه نفسه الطاهرة ويقتبس منه حكمة عالية:

إلهي كما أحسنت صورة ظاهري فأحسن بحب الله باطن صورتي

فإنك لم تنظر إلى حسن صورة ولكن إلى حسن القلوب المضيئة

[1] عبد الرحمن الخزندار ديوان أبي مسلم ،ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني ،شاعر زمانه وفريد أوانه–ت: –١٤٠٦هـ–١٩٨٢م

الباقيات الصالحات الصبّاحيّات

الباقية الأولى في التسبيح

الباقية الثانية في التحميد

الباقية الثالثة في التهليل

الباقية الرابعة في التكبير

الباقيات الصالحات المسائيات

الباقية الأولى في التسبيح

الباقية الثانية في التحميد

الباقية الثالثة في التهليل

الباقية الرابعة في التكبير

أبيات مرتبة على أحرف السورتين كهعص وحمعسق

في التوسل بأسماء الفاتحة :

باسمك يا الله أخلصت داعيا أزل حظ نفسي لاتدع منه باقيا

وخذني بنور الله عن بشريتي إلى عالم التقديس من شهواتيا

ومزق حجاب القبض بيني وبينما توليت عنه من بسيط حياتنا

وأشعل وجودي من بوارق فيضه بلامعة تمحوا ظلام صفاتيا

وحقق بلاهوتية الإسم ذلتي لتلبس ناسوتيتي العز واقيا

وجرد وجودي حيث لا أحديتي وجودا وجودا آمرا بك ناهيا

يفيض عليه اسم الجلالة فيضه فيسطوا جلالي قاهرا متعاليا

ومن عالم التقديس مكن مآخذي بتأثيره في عالمي حسب حاليا

ومن بسطة الألطاف هب بسره بسائط يفنى الكون وهي كما هي

وقوي شهودي بعد تحقيق ما أنا بما هو واكشف لي به جهل ما بيا

وجل به ظلمات جهلي وغفلتي فتسطع بالأنوار مشكاة ذاتيا [1]

والمتأمل في شعر أبي مسلم السلوكي التصوفي يرى ذلك الكم الهائل من الأذكار ،فكان أغلب شعره أذكار ومناجاه الإلهية والتضرع والتوسل لله عز وجل حيث يستغرق شعره السلوكي نصف ديوانه تقريبا وله قصيدة وهي المطولة التائية والتي بلغت ألفا وخمسمائة بيت وأربعة وتسعين بيتا ،في المناجاة الإلهية والتضرع للمولى سبحانه من خلال التوسل بأسمائه حيث يبتهل إلى الله سبحانه في خلوة روحية اختار لها الفن الشعري وسيلة متقربا بأسمائه [2]

إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي التي توجه الإنسان إلى الطريق الحق وإلى صراط مستقيم فرجل العقيدة يكون واضحا في طريقته قويا في شخصيته ساطعا في حجته لا يخاف من العواصف أن تزعزعه ولا من التيارات أن تجرفه ، وإن الناظر في شعر أبي مسلم يجد أن العقيدة متجسدة في شعره ممتزجة بدمه ولحمه [3] ، ...إن شعر أبي مسلم صورة صادقة عن عقيدته

[1] الموسوعة الشعرية مصدر سابق ص ١٢٢١.

[2] أثر الفكر الإباض ص ٢٢٢.

[3] ناصر بن سالم بن عديم البهلاني ت: صالح بن سعيد القنوبي ، عبد الله بن سعيد القنوبي العقيدة الوهبية ط٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، مكتبة مسقط ، سلطنة عمان . ص ٣٧ .

الإسلامية فإنما نبني على ما عرف عن الرجل من سلوك قويم وإيمان ثابت وانقطاع إلى الله في أمور دينه ودنياه[1].

عندما فرغوا قلوبهم له وحده أكسبهم حلاوة ذكره وأضاء وجوههم بنوره وأوقفهم بين يديه في دجى الليل وسامروه بكلامه فأفاض عليهم من لطفه وإنعامه حتى جعلهم على بساط الحضرة القدسية فيا نعم المكان اسكنهم وأسكرهم بحبه فيا له من شأن .

للصوفية آداب سلوكية تمثل في مجموعها قواعد يتبعونها ويقفون عند حدودها، وهي آداب وشروط ومراسم تحقق النموذج الأخلاقي في مستواه التأسيسي، وفي مظاهره العلمية وما تنطوي عليه من إلزام. وليست هذه الآداب بمعزل عن الشرع، ذلك لأنهم يرددونها للاقتداء والتأسي بما روي عن الرسول صلعم في أخلاقه وأفعاله وأحواله. أما آداب السلوك فما نجده في مظان التصوف ومصادره التراثية من نحو اللمع لأبي نصر السراج، والرسالة للقشيري، وقوت القلوب لأبي طالب المكي، والتعرف للكلاباذي، فضلا عن كتب ابن عربي ورسائله المتنوعة.

فمن ذلك آداب سلوك يترسمونها في العبادات المفروضة، وآداب يلتزمون بها في المعاملات، وآداب أخرى في الصحبة، وعند مجاراة العلم، وفي أوقات الطعام والاجتماعات والضيافات، وفي أوقات السماع والوجد، وفي اللباس والأسفار، وفي بذل الجاه والسؤال والحركة من أجل الأصحاب، وفي غير ذلك من الأحوال والمقامات تطالعنا لهم آداب في الأخذ والعطاء، وإدخال الرفق على الفقراء، وفي الذكر والجلوس للعلم، وفي الرفق بالأصحاب والعطف عليهم، وآداب تتعلق بالمريدين والمبتدئين، وبالخلوة والصداقة والمودة.

وتمثل هذه الآداب السلوكية منهجا عمليا في التربية الروحية التي تقوم عندهم على ما يطلقون عليه التخلي والتحلي بقصد تطهير النفس من الرذائل، وتصفيتها من الشوائب المعطلة للكمال

[1] العقيدة الوهبية ص ٣٨ .

الروحي وتحليتها بفضائل الإيثار والصدق والإخلاص والتوكّل والرضا والصبر والمراقبة، حتى ترسخ قدمها في هذه المقامات فتصير لها كالطبع والعادة.[1]

بالمراقبة والمحاسبة، وهي بإصرارها على تحقيق منتهى العبودية لله، تحقق منتهى التحرر من أسر ما عداه، وهي بالمجاهدة والتربية الروحية والسلوكية تنمي الإرادة القادرة بألطاف الله، وقهر الرذائل وتجاوز العقبات التي تعرض في طريق السلوك الذي يلتمس قدوته في الأشياخ المربين؛ لأنهم أقدر من المريد على معرفة الرعونات والتأتي للأداء.

إنّ خطاب أبي مسلم الشعري ليس بمعزل عن الدعوة إلى السلوك الصوفي موضوعا في الإطار إلَى تحقيق كثير من غايات العرفان والأخلاق. ويمثل الخطاب الشعري عنده نوعا أدبيا نعرفه في الشعر وفي النثر، وهو ما يعرف بأدب الضراعة والابتهال والمناجاة والدعاء. ولهذا النوع الأدبي ميراث في معاذلات الغزالي، وفي مواقف النفري ومخاطباته، وفي ابتهالات السهروردي الإشراقي للنور في هياكله، وفي العارف لابن سبعين، وفي إشارات أبي حيان الإلهية، وفي مناجاة ابن عطاء الله السكندري، وفي التائيات الشعرية لابن الفارض، وفي غير ذلك من نصوص التراث الصوفي.[2]

[1] عاطف جودة جاد نصر آداب السلوك الصوفي في خطاب أبي مسلم الشعري. كلية الآداب جامعة عين شمس/ مصر ص١.

[2] آداب السلوك الصوفي في خطاب أبي مسلم الشعري *أ. د. عاطف جودة جاد نصر الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية وآدابها. كلية الآداب جامعة عين شمس/ مصر ص٢.

المبحث الثالث: أثر التجربة الروحية في النظام الاجتماعي الإباضي

المطلب الأول : حلقة العزابة

العزابي أولا : متن العزابة أو ما يسمى أيضا مقدمة التوحيد أو عقيدة التوحيد ، عقيدة العزابة وكلها تفيد معنى واحد والمشهور هو عقيدة العزابة لأن هذا المتن من المتون التي لابد للعزابي أن يطلع عليها وبل يحفظها عن ظهر قلب عندما يكون في أيام التلمذة وكلمة العزابة في الأصل معناها التلميذ الذي تفرغ للعلم واعتزل الأشغال الأخرى ، ثم تطورت حتى أصبحت تفيد معنى أخر يخص كل عضو ينضم إلى القيادة الجماعية الإباضية في مختلف التجمعات[1] .

ونظام العزابة تطورت في عدة مراحل ..المرحلة الأولى : وهي التي سبقت نظام أبي عبد الله بن أبي بكر أي ما قبل القرن الخامس الهجري حيث كانت الحلقة عبارة عن مجلس علم يجتمع حول عالم فقيه يعلم التلاميذ شؤون دينهم ويحفظهم القرآن ويمثل هذه الحلقة أبو القاسم يزيد بن مخلد وأبو خرز يعلى بن زلتاف في النصف الأول من القرن الرابع الهجري ،وهي بمثابة التفاف المريدين حول الشيخ بغية أخذ العلوم وتقويم السلوك وتهذيب النفس.

أما المرحلة الثانية : والتي :جاءت بعد النظام المحكم الذي وضعه الشيخ أبو عبد الله محمد بن أبي بكر في بداية القرن الخامس الهجري إذ أصبحت الحلقة ذات نظام علمي وديني محكم له شروط وتقاليد صارمة لا يلتحق بها إلا من عرفت فيه الأستقامة والامتثال لتلك الشروط وأخذت تتوسع لتشمل الحياة الاجتماعية ولا تقتصر على حلقة العلم وحدها وبداية من النصف الأول من القرن السادس الهجري أصبح مقرا لهذا النظام[2]، وفي هذه المرحلة تم وضع أسس وضوابط لمن يلتحق بحلقة العزابة، أما المرحله الثالثة وهي المرحلة التي نشأت فيها قرى وادي ميزاب إذ أصبحت الحلقة أكثر اهتماما بشؤون البلدة ونظام الجماعة لا يقتصر على

[1] عقيدة العزابة أبي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر مقدمة الكتاب.

[2] محمد ناصر حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م مكتبة الضامري سلطنة عمان ص ٤٦.

العبادة والفقه وحدهما وإنما تجاوزتهما إلى مناحي الحياة كلها وقد تطور نظام الحلقة في ميزاب على يد بعض العلماء الأفذاذ مثل الشيخ عبد الرحمن الكرثي (ق٦هـ) والشيخين أبي مهدي عيسى وإسماعيل وأبي القاسم بن يحي الراوي (ق٩هـ) وقد ترك الشيخ أبو القاسم بن يحي وثيقة هامة حدد فيها تنظيم حلقة غرداية ثم جاء عهد الشيخ عمي سعيد الجربي الذي أمد النظام بنفس جديد وأعطاه بعلمه وتجربته صلاحيات واسعة مما جعل العزابة بوادي ميزاب يسمون مجلسهم الأهلي بجمع مجالس المدن باسمه تشريفا وتكريما واعترافا بفضله وعلمه وقد استمرت هذه المرحلة تتسع أو تتقلص حسب الظروف السياسية التي تمر بها قرى الوادي فوضعية الحلقة قبل الاحتلال الفرنسي كانت أكثر نفوذا من بعد دخول الفرنسيين ولا سيما في المجال السياسي [1]، أما المرحلة الرابعة : وهي المرحلة التي جاءت بعد الحركة الإصلاحية في بداية العشرينات من هذا القرن فقد أثرت حركة النهضة في العالم الإسلامي والجزائر بصفة خاصة على طبع هذا النظام أكثر تفتحا على الحياة المعاصرة فلم يعد مقتصرا على القيام بشؤون المسجد أذانا وإقامة وأوقافا بل أصبح بفضل جهود الشيخ الإمام الزعيم بيوض – حامل لواء هذا التطور ، أكثر وعيا بالحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية من منظور إسلامي واع لا يفرق بين مناحي الحياة ويرى التدخل في كل هذه الشؤون من واجبات المسجد وبدونها لا تكتمل رسالته الحقيقية التي أناطها به الإسلام فكان من أهم نتائج هذه المرحلة تمسك المجتمع الميزابي بالدين الإسلامي وباللغة العربية لغة القرآن .

أما عن المصطلح يقول الشيخ علي يحي معمر : اشتقت هذه الكلمة من العزوب أو المعزابة وهي تعني العزلة والغربة والتصوف و التهجد والانقطاع في رؤوس الجبال ويقصد بها في هذا الاستعمال الانقطاع إلى المصلحة العامة والاعراض عن حظوظ النفس والبعد عن مشاغل الحياة من أهل ومال وولد ، فإن العزابي لا يعطي لهؤلاء من جهده ووقته إلا القليل أما أعظم طاقتها

[1] محمد ناصر حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي، مصدر سابق ص ٤٧.

فيجب أن يصرفها في خدمة المسلمين دون مقابل يتقاضاه على عمله أو أجرا يرجوه منهم لأن أجره وحسابه على الله .

الحلقة : كلمة الحلقة استعمال ثاني يقصد به هيئة العزابة فهي مرادفة لها وهي مأخوذة من التحليق وهو الاستدارة وذلك أن العزابة في اجتماعهم الرسمية يجلسون على هيئة حلقة أو دائرة [1] ، ويتراوح عدد أعضاء الحلقة ..بين عشرة أو ستة عشرة ، وشيخ العزابة ..واحد ويختار أقدرهم وأعلمهم و أقواهم شخصية ، والمستشارون أربعة ويلزمون الشيخ ملازمة دائمة ،والإمام شخص واحد يقوم بصلاة الجماعة ويجوز أن يكون أحد الأربعة ، والمؤذن شخص واحد مسؤول عن تحري أوقات الصلاة والقيام بمهمة الآذان ويصح أن يكون أحد الأربعة

ووكلاء الأوقاف :يخصص عضوان للإشراف على الأوقات وعلى ميزانية الحلقة وضبط الواردات والصادرات وطريقة تنمية وإصلاح وتنمية الأوقاف وشرط أن لا يكون من الأغنياء الماكرين ولا من الفقراء المعوزين ولكن من متوسطي الحال المستورين ، أما المعلمون فهم ثلاثة أعضاء أو أكثر للإشراف على التربية والتعلم وتنظيم الدراسة ومراقبة التلاميذ في المحاضر وهي دور العلم أو في الأقسام الداخلية ، ويعين أربعة أو خمسة للإشراف على حقوق الموتى فيتولون الإشراف على غسلهم وتجهيزهم والصلاة عليهم ودفنهم ومراقبة تنفيذ وصاياهم وتقسم تركاتهم تبين الفرائض في أحكام الإسلام.

أما عن شروط العضوية فعلى المريد أن يكون حافظ لكتاب الله ، وأن يمر بمراحل الدراسة مرحلة ويستوفي الدراسة فيها[2].وأن يكون محافظا على الزي الرسمي للطلبة عندما كان في الدراسة وللزي الرسمي للعزابة عندما يدخل الحلقة أن يكون أديبا كيسا فطنا ذو لياقة ومهارة في تصريف الأمور ، أن يكون محبا للدراسة راغبا فيها مواصلا للتعليم والتعلم ، ألا يكون له

[1] علي يحي معمر مراجعة الحاج سليمان بن الحاج ابراهيم بابزيز العزابة .. الإباضية في موكب التاريخ ، ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م الضامري سلطنة عمان – ص ٧٩.

[2] المصدر نفسه ص٨١.

مشاغل دنيوية كثرة تحمله على كثرة التردد على الأسواق والاختلاط بالعامة والسوقية واختلاطا يزري بمقامه ويذهب بهيبته ، وعليه أن يغسل جسده بماء ويغسل قلبه بماء وسدر وهذه عبارة اصطلاحية يقصد منها أن يكون الإنسان نظيف اليد والبطن والعين من أموال الناس وأن يكون تنظيف القلب من جميع أمراض القلوب بأي أن يكون طاهر الباطن والظاهر ، ولقد شدد المشايخ في تنظيف المؤمن لقلبه لأن أدران القلوب أشد القذارة من أدران الأبدان ولذلك أوجبوا عليه أن يغسل جسده بالماء وأن يغسل قلبه بماء سدر ، وهي كناية تفيد الحرص الشديد على نظافة الباطن أكثر من نظافة الظاهر فإن من طهرت سريرته حسنت سيرته واستقامت أموره وكثرت محاسبته لنفسه ورعايته لسلوكه وفي ذلك النجاح[1].

وفي تعريف الشيخ أبي العباس : العزابي واحدهم عزابي استعملت لكل من لازم الطريق وطلب العلم وسير أهل الخير وحافظ عليها وعمل بها فإن حسن جميع الصفات سمي عزابيا وإن حافظ على السير والعمل فقط سمي به وإن حصل العلم دون السير والعمل والمحافظة عليها لم يسم بهذا الاسم واعلم أن لهذا الصنف سيما انفردوا بها وأحوالا عرفوا بها لا ينفصل عليهم فيها سواهم وذلك في تسميتهم وخطابهم ومؤاكلتهم ولباسهم وأوقات نومهم وقيامهم وأورادهم وصيامهم وعبادتهم وعندهم في ذلك قوانين يعتادونها وحدود لا يتعدونها وهذا الاسم مشتق من العزوب عن الشيء وهو البعد عنه فاستعير لمن بعد عن الأمور الدنيوية الشاغلة عن الآخرة ، وأول ما استعمل هذا اللقب في أبي عبد الله محمد بن أبي بكر رضي الله عنه لما أسس الحلقة ورتب قوانينها كما أن الحلقة اسم لجماعة تشمل على الشيخ يعلمهم العلم ويلقنهم السير ويبصرهم في الدين بحسب ما يفتح الله على كل واحد منهم يحصل البعض وإن أعياه الكل وكأنهم محلقون ولو أنهم مفترقون ،التلميذ اسم للواحد المبتدئ عند الدخول في الطريق سواء كان طالبا فنون أو مقتصر على الصلاة فقط [2].

[1] علي يحي معمر – العزابة مصدر سابق ص٨٢.

[2] طبقات المشايخ بالمغرب ، الشيخ أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ت ٦٧٠هـ _ ج١_تح ابراهيم طلاي –ص٤.

والختمة اجتماعهم لذكر الله والدعاء عند طلوع الشمس وعند غروبها بشيخ أو بغير شيخ وكأنهم يختمون به عمل الليل وعمل النهار ، أما المجتمع والجمع والميعاد . ألفاظ مترادفة على معنى واحد وهو أن يجمعهم الشيخ على وعظ يفيدهم أو لتذكير أمر مهم يكون شورى من إصلاح فساد أو تلافي فوات أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر فمع الاختيار أن يكون ذلك يوم الاثنين ويوم الخميس ، ويكون في أي وقت دعت إليه الحالة ليلا أو نهارا في أي يوم كان أول من رتبه أبو الحسن علي بن الخطاب بمكة ، والهجران والابعاد ، ألفاظ تترادف على معنى واحد وذلك متى أجرم واحد من أهل الطريق جرما أو ظهرت عليه خزية أو أتى بنقيصة في قول أو عمل أو تضييع فإنه يهاجره كل أهل الصلاح فلا يكلم ولا يحضر جماعة ص٥ولا يؤم ولا يؤكل ولا يجالس، وكانت خطة حالت بينه وبين أهل الخير فإن تاب واستغفر قبل منه ورجع إلى الجماعة وزال عنه شين ذلك الوسم وكان بقاؤه في وحشة الهجران بقدر عظم الجرم وصغره وتوبة المجرم وإصراره فمنهم من يتوب فيرجع في الحال ومنهم من يبقى ساعتين أو يوما أو أياما أو أعواما أو عمره ، إن عظم الجرم ودوام المجرم على الإصرار وترك الاستغفار .[1]

وذكر لمع من سيرة الحلقة وما ينبغي لأهل الطريق والعزابة أن يأتوا به ويعملوا به مما رتبه أبو عبد الله محمد بن بكر رضي الله عنه ، أول ذلك من سمي من أراد الدخول في طريق المبتدئين العزابي وذلك إذا اعتزل العوائق الدنيوية وأول ما يتخلى عنه حلق الشعر ولا يتركه يطول والعزابة من شعارهم عدم الظهور ومنها ألا يلبس ثوبا مصبوغا إلا البياض ولا بأس بعلم يعلم الطرفين والطراز ما لم يتفاحشا ثم إن اقتصر على عباءة أو ملحفة لم تشنه وكان أليق وإن كان ذلك على قميص كان أكمل ولا سبيل إلى اقتصاره على قميص أو قميص دون اشتماله والتحافه وارتدائه وإن اعتم فالتحف على ما جاء في الأثر ولبس لبس العمامة بضرب لازب لا بأس باستغنائه عنها وإن اقتصر على [2] العباءة أو اللحاف غطا رأسه وألقى الطرف الأعلى من

[1] طبقات المشايخ بالمغرب مصدر سابق ص٥

[2] الجواهر المنتقاة ، العلامة ابي القاسم بن ابراهيم البرداي تص أحمد بن سعود السيابي ط١، دار الحكمة لندن ٢٠١٤-ص٢٢٦

هدب الحاشية من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر أوقاف الختمات والنوم وعريف الطعام وغير المنفرد من العرفاء من حملة القرآن منهم من يكتب عليه طلبة القرآن ألواحهم ويصححونها عليه ويحفظونها وعريف على أوقات الدراسة ، يكون واحدا ويكون أكثر إنما [1]، هو على قدر الاحتياج إليه والمأمور ثلاثة طلبة القرآن وطلبة فنون العلم والأدب والعاجزون ولجميعهم أوقات يختص بها منها الشيخ يتعلق به الجلوس لطلبة فنون العلم في وقت معلوم ليأخذوا عنه ومنها الجلوس بإثر الختمة للجواب عن الأسئلة في أي فن كان وليذكر تلاميذه فيما حصلوا قبل ذلك من حضر وتختص غداة يوم الجمعة بذكر شيء عن التذكير والوعظ ومنها الاستفتاح وهو قيامه في ثلث الليل الآخر أو ربعه الآخر فيأتي إلى موضع الاستفتاح فيستعيذ ويبسمل ويقرأ فاتحة الكتاب ويبتدئ من حيث انتهى مجلس الاستفتاح من الليلة التي قبله ونية كل نائم منهم من يقرأ معه في المجلس ومنهم من يخرج فيقرآ وحده فإذا أذن مؤذن الصبح قطعوا القراءة ويدعون كالعادة من بعد العشاء ومنها أن يجمعهم يوم الجمعة وكذلك في يوم الاثنين والخميس فيحصن ويذكر ويورد أمثالا حكيمة وحكايات زهدية ثم يفحص جميع من حضر منهم ويسأل عن أحوالهم ويقلد

من العرفاء من حمدت أفعاله فاستحسن ومن عين عليه شيء من زاوية تكون موضع لتأديبهم ثم يجتهد الشيخ في عدد ما يجلد منها إذا قدم قادم من بلد قريب أو بعيد فلا يخلوا أن يكون عابر سبيل أو طالبا للإقامة والدخول في زمرة أهل الحلقة فيشاوروا الشيخ في كلا النوعين ويستأذن في شأنها فإن كان عابر سبيل فله حظ فيما فتح الله به من المأكول غير المدخر ولا يحق عليه ملازمة الأوقاف ولا شيء فيها يدخر من الفتوح وإن كان يريد الدخول في الحلقة استأذن الشيخ في شأنه ويبحث الشيخ عن أحواله فإن سمع منه نقيصة أو مذمومة فالطرد لا غير وإن لم يسمع إلا الخير فليدخل مع أهل الحلقة له مالهم وعليه [2]

[1] الجواهر المنتقاة- مصدر سابق ص٢٢٦.

[2] المصدر نفسه ص ٢٢٧. .

كل هذه التنظيمات والتي أثمرت السيطرة الروحية ناتجة عن تربية الإباضي تربية إسلامية روحية والانقياد لمبادئ المذهب الإباضي ، و تجسيد العقيدة الإسلامية عملا و سلوكا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : الحياة الروحية للمرأة الإباضية

إن تأمل سير الصالحين والصالحات ودراسة تاريخهم يحفز الهمم الفاترة، ويثير العزائم الخامدة فسير أولئك الأعلام تبقى منارات هداية للسالكين طريق الاستقامة لمن أراد السير على مناهجهم والاقتباس من نورهم ممن يأتي بعدهم [1] وسير الصالحات في المذهب الإباضي يبين أن المرأة الإباضية أسهمت في النضال المجيد والجهاد الحق لإحياء الإمامة الإسلامية العادلة بعدما استولى بنو أمية على مقاليد الحكم في العالم الإسلامي وحولوه من خلافة راشدة تتم برضى المسلمين واختيارهم لملك عضوض جائر لا يراعي للأمة مصلحة ، ولا يقيم لها قدرا فشاركت المرأة الإباضية الرجل في جهاده السياسي فكانت تلهب حماسه وتقوي عزيمته ، وتقوم بدورها في المعركة السياسية بكل ما استطاعت من أعمال ، ولا شك أن التضحية في سبيل الله بالنفس والمال وبذل كل ما في الوسع لخدمة الإسلام مرتبطة رباطا وثيقا بنقاوة الباطن والإخلاص لله بعيدا عن الرياء وحب الظهور فالمرأة الإباضية معروفة بالحياء والتحلي بالأخلاق الحسنة ، فكانت منهن من يتخذن بيوتهن التي لا يتطرق إليها الشك ولا يلاحظها جواسيس السلطة الجائرة لبني أمية مقرا للعلماء وطلبة العلم من أهل الدعوة ، يعقدون فيها الاجتماعات ويختبؤون فيها من السلطات الجائرة [2]،{وليس بعيد عنهم فسيرة لالة فاطمة نسومر الأمازيغية مزيج بين الزهد والعبادة وخوض غمار الحرب}ولم تتوقف تضحيات المرأة الإباضية عند حد معين فما كانت تتردد لحظة عن خوض غمار المعركة شاهرة السيف في وجه أعداء الله حينما يتطلب الموقف منها ذلك كما فعلت مريم زوج أبي حمزة الشاري ، حين قاتلت إلى جنب زوجها قتال الأبطال حتى استشهدت جنبه وهي ترتجز وتقول :

أنا الجعيـــــــــــــــــــدا وبنت الأعـــــــــــــلم

[1] بدرية بنت حمد الشقصية ، السيرة الزكية للمرأة الإباضية ، مكتبة الجيل الواعد ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م ص ٩.

[2] المصدر نفسه ص ١٤.

من سأل عن اسمي فاسمي مريـــم بعت سواري بسيف مُخذَمْ [1]

هذه الشجاعة وحب التضحية لا تكون إلا إذا خالط الإيمان بشاشة القلوب ، فكانت المرأة الإباضية تجاهد في معركتين : {المعركة الروحية }معركة جهادة النفس والارتقاء إلى درجات الكمال الإنساني بتزكية النفس وترويضها وتنقيتها من الأخلاق الذميمة وذلك بالاجتهاد في تطبيق الشريعة الإسلامية ، والمعركة الأخرى {المعركة السياسية} وهي مشاركة أخيها الرجل حتى في ساحات القتال إن لزم الأمر واقتضته الضرورة ، وهما معركتان ضد الظلم والشر من ظلم الإنسان لنفسه وظلمه لغيره ، ودون شك أن معركة النفس أعظم وأمر .

ومنذ بزوغ مذهب الاستقامة بالبصرة اهتم إماما المذهب جابر بن زيد وتلميذه أبو عبيدة مسلم بن أبي كرينة بالمرأة اهتماما كبيرا شأنها شأن الرجل فمدرسة الإمام جابر تسعى لتكوين أتباع مشربين بالعقيدة والإيمان صفتهم التقوي فعمل من تأسيس المذهب على تربية أتباعه تربية لإسلامية وتسلحهم بالعلم وذلك من خلال مجالس العلم التي تعقد على هيئة دروس لتعليم المرأة القرآن الكريم ، وأصول الفقه والعقيدة الصحيحة وكانت هناك دروس أخرى فكرية في أمور الإسلام المختلفة [2]، وكانت الواحدة منهن تنتهز كل فرصة للتعلم والتفقه في أمور دينها لتعبد الله على بصيرة ، حيث اهتم الأئمة الرستميين بتعلم المرأة فكان في كل مسجد من مساجد الدولة الرستمية قسم خاص للنساء ، يفصله عن قسم الرجال جدار مخرم يستر النساء ولا يحجب عنهن الصوت وتلاوة الإمام وكن يتقاطرن في وقت الصلاة إلى أقرب مسجد إليهن فيصلين مع الجماعة ويحضرن الدروس بين الصلوات في التفسير والحديث وسيرة الرسول ﷺ [3] وسير الخلفاء الراشدين وسير الصالحين من أهل الاستقامة وتاريخهم والأخلاق وعلاج الأمراض الاجتماعية ، حتى صقلت هذه الدروس المرأة الإباضية فأصبحت صالحة واعية

[1] السيرة الزكية للمرأة الإباضية مصدر سابق ص ١٥.

[2] المصدر نفسه ص١٨ .

[3] المصدر نفسه ص ١٩.

متعلمة يسيطر عليها دينها وعقلها لا غرائزها وأهواؤها وغدت مثلا للمرأة المؤمنة في جميع نواحي حياتها فهي تعمل بدين الله تطلب العمل وتشترك في مجالس العلم وندوات الاجتماع بأوفر نصيب وتسأل المشايخ وتستجيب لنقاش الطلبة وهي مع ذلك محافظة على سترها ولباسها ولم يمنعها إسلامها وحجابها من أن تصل إلى أرقى درجات التعلم حتى صارت منهن العالمات الصالحات الفقيهات وكان لسان كل واحدة منهن ينشد قول عائشة التيمورية :

بيد العفاف أصون عز حجابي وبعصمتي أسمو على أترابـــــــــي

وبفكرة وقادة وقريحة نقادة قد كملت أدابـــــــــــــي

ما ضرني أدبي وحسن تعلمي إلا بكوني زهرة الألبـــــــــاب

ما ساءني قدري وعقد عصابتي وطراز ثوبي واعتزاز رحـــــــابي

ما عاقني خجلي عن نيل العليا ولا سدل الخمار بلمتي ونقـــــابي

عن طي مضمار الرهان إذا اشتكت صعب السباق مطامح الركـــاب

ولقد اتسم المجتمع الميزابي بملمح تربوي مستقى من الشريعة الإسلامية ومصدره القرآن الكريم مع وجود نظام العزابة الذي وضع نظم وقوانين تحافظ على الأخلاق الإسلامية وتطبيق تعاليم الدين الإسلامي في واقع الإنسان .

فقام بإنشاء مجلس ديني من النساء العالمات الصالحات الورعات يختارهن العزابة بدون تحيز ولا تعصب بشرط أن تكون من كل عشيرة واحدة .

مؤتمر لا إله إلا الله : والذي يكتسي طابعا روحيا من خلال اسمه حيث تقوم بعقده المرشدات بوادي ميزاب ويكون في فصل الربيع ويكون الانطلاق من {قصر مليكة } بعد القيام بجلسة تمهيدية في مسجد الشيخ با عبد الرحمن الكرثي للاتفاق على تاريخ البداية ثم

الانتقال إلى{ قصر غرداية} ثم إلى{ بنورة } ثم {قصر بني يزجن } ثم {العطف} أما {القرارة }و{بريان} فهما ينسقان معا لبعد المسافة وفي أثناء هذا الاجتماع تلتقي المرشدات مع النساء الميزابيات في المسجد أو دار المرشدات التابعة للمسجد فتستهل أشغالها بتكرار كلمة الشهادة " لا إله إلا الله " ألف مرة ثم تلاوة سورة يس وتبارك والملك وسور الخاتمة ثم تقوم كبيرة المرشدات لكل بلدة بكلمة وعظ وتذكير وإرشاد أمام الحاضرات ، فهو يساهم في تربية المرأة تربية دينية صحيحة .

وإذا تردت امرأة من وادي ميزاب في المعصية ولم تُجدِ فيها الموعظة يتبرأ منها المجلس الديني النسوي في مسجد النساء ويتبرأ منها أقاربها فتسرع إلى التوبة ، وإن المرأة الميزابية بفضل التربية الدينية التي من أسرتها ومن هذا المجلس الديني الذي يتعهد النساء وينفخ فيها الروح الدينية الصحيحة والمبادئ الإسلامية السمحة جعلها متمسكة بدينها كل التمسك تخاف الله وتخاف من عاقبة عصيانه تراقبه في أعمالها ولا ترضى أن يخالف الدين أمامها[1] إمرأة فهمت العقيدة على أصولها واستوعبت معنى الإيمان وادركت عقوبة المعصية فجدت في تزكية نفسها ونأت بأخلاقها عن المعاصي وعبدت ربها بإيمان صادق ، إنها المرأة الإباضية

والمرأة الإباضية من بين نساء المسلمين ممن تمسكوا بالقيم الخلقية الإسلامية واجتهدوا في تربية النفس وجاهدو في سبيل التعلم و>لك لأجل العمل بالعلم وتجليه فيه حياتهن اليومية وسنورد أنموذج بسيط وفريد من نوعه لامرأة من المجتمع الميزابي في ممارسة حياتها الروحية .

الجلسة الروحية::جلسة نسوية مغلقة ليس لها يوم محدد أو شهر معين ، ولكنها تكون متخلله مشاغل الحياة ، فهي في مضمونها التذكير ومحاسبة النفس وعد الأخطاء التي تقع فيها كل واحدة، و ذلك بهدف تصحيح الخطأ والتوبة من الذنب سواء كان الذنب قديما أو حديثا،ويكون عدد أفراد هذه الجلسة حسب الرغبة ،أي بالاتفاق مع الحاضرات ،حيث تكون

[1] السيرة الزكية للمرأة الإباضية ، مصدر سابق ص ٢٣.

الجلسة بالبوح بمكنوناتها وأخطائها وتقصيرها في حق الله تعالى وظلمها نفسها والاعتراف الصادق ، حيث يتم والاعتراف والافصاح بغرض التوبة وتدارك الأمر قبل استفحاله ، وتكون الجلسة فيجو تعبدي يغلب على الحاضرات الخشوع ، و فيه الخوف من سخط الله والرجاء لغفران الذنوب والطمع في رحمة الله وعفوه ، ويتخلل هذه الجلسة التذكير بالله واليوم الآخر والجزاء ووعد الله ووعيده مع الإقرار و البكاء بدموع صدق وتوبة وصدق في الرجاء .

وتتميز هذه الجلسة بالصدق في نية الحاضرات والصدق في الطلب ، ومما توحي به هذه التجربة أن هؤلاء النسوة انشأن نظام حياتي خاص بهن تتم فيه مراقبة أعمالهن خاصة التي يشوبها الريب أو الموقنة بوقوعها في الزلل سواء أكان الخطأ صغير أو كبير وذلك من باب الأخذ بالأحوط عدم الغفلة فتكون بمثابت جلسة لمحاسبة النفس وكبحها وإلجامها وعدم ترك العنان لها تخوض في الأخطاء والذنوب سواء كانت صغيرة أو كبيرة بالإضافة إلى الشيطان والمؤثرات والمغريات الخارجية الأخرى فيحاولن بذلك الوصول إلى النقاء القلبي والصفاء الروحي ، كما أن هذه الجلسة تجتمع فيها كثير من المحاسن ، فهي أولا جلسة ذكر يذكرن بعضهن البعض ، لقوله تعالى :" وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ"[1].

الاجتماع للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لقوله تعالى : "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[2]

والصبر مع المؤمنين الذاكرين لقوله تعالى:" وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا "[3] والهدف من هذا كله هو المسارعة في التوبة إلى الله .

[1] سورة الذاريات الآية ٥٥.

[2] سورة آل عمران ١٠٤ .

[3] سورة الكهف الآية ٢٨.

تيمسيريدين : مرشدة وعضوة في الهيئة العرفية وهي تعتبر في المجتمع الإباضي امرأة ليست كغيرها من النساء ، تتوفر فيها شروط كثيرة حسن الأخلاق والعلم التقوى والورع وحب العمل الصالح مساعدة الآخرين .

تقول إحداهن : تيميسيريدين كلمة أمازيغية وهن الغاسلات و منطلقها في الدعوة خمسة عشر سنة منذ سنة١٩٨٢،حيث يبدأ المشوار بقراءة المختصر مما يسع جهله لبكير) ومظالم العباد ومهما كانت التزامات المجتمع لا بد أن يكون هناك جانب انحرافي (السلوكات المنحرفة) فتقوم بتقديم حصص في دار تيميسردين يكون فيها قراءة القرآن وحضور مجالس تلاوة القرآن باستمرار ...وقراءة مجموعة من الكتب وفهما ،إزالة الفجور كتاب الشيخ اطفيش ...أحاديث الترغيب

(والتكوين العصامي ديدن أغلب نساء ميزاب فإنك لو تغلغلت في أعماق المجتمع الميزابي النسوي تجد أغلبهن مكبات على تحصيل العلوم وثراء بيوتهم بمكتبات سهل للمرأة الطريق إلى التحصيل العلمي ، زد على ذلك تحفيظهن القرآن في سنوات مبكرة أي قبل الخمس سنوات ناهيك عن حب المرأة الميزابية للعلم ورغبتها في ترقي سلم العلوم كلها وخاصة علوم الشريعة التي يبدوا أن أغلب بيوت الإباضية في ميزاب متشبعة منها كما أنك لو جالست وخالطت المرأة الميزابية) تلحظ عليها الثقافة الدينية قولا وسلوكا .

الاهتمام بالجانب الديني للأنثى تعليمها أمور دينها من (أحكام الحيض ـ البلوغ – السن أو البنت قبل الزواج– العلم) وكل ما يلزم على البنت المكلفة بعد البلوغ من فقه وعقيدة

ويتطلب انخراط المرأة في هيئة العزابة الالتزام والصبر والشجاعة وأهمها التقوى والتزام شرع الله والسير على الصراط المستقيم وخلوها من خوارم المروءة وتكون متفرغة نظرا لكثرة مهامها وتعدد مجالاته ويرجع اختيار العضوة إلى الهيئة {هيئة العزابة} وأول ما يستشار هو الزوج ، ثم يتم الاختيار على حسب المواصفات وأهمها كذلك تحمل المسؤولية، حيث تلتزم الهيئة النسوية

بالذهاب إلى الأعراس للتهنئة وإلا تصبح مخالفة، حيث تقوم هذه الهيئة بالوعظ والإرشاد والتذكير بالله ،وكذلك تقوم بإصلاح ذات البين (اصلحوا بين أخويكم) من أزواج أو غيرهم من أفراد المجتمع ممن تمكن الشيطان من زرع الفرقة بينهم فيكون مهمة هذه الهيئة النسوية الإصلاح وفض الخلافات والمشاحنات ويكون ذلك حسب نبض المجتمع أو بطلب شخصي، ومهمة تيمسيردين العاملين على إصلاح ذات البين إرشاد المنحرفات (إرشاد عام) والإرشاد الخاص يكون اللقاء مع الشخص المنحرف كما تقوم هذه الهيئة باقتباس القرارات العرفية :وتعني بها ملاحظة سلوكات النساء في الأعراس ،وتعقد جلسة للرجال تعرض فيها الاقتراحات ثم تقدم للرجال لكي يتم مناقشة هذه القرارات .

ومن عاداتهم تقديم خطبة عمي السعيد في الأعياد عند النساء وكذا الرجال

منطلق هيئة العزابة تيميسردين في الصداق مثلا هو الكتاب والسنة حفظ الدين دائما و المنطلق من الشريعة في الكيفية باختلاف المكان والأعراف ، حيث أن لكل قصر من ميزاب عرف خاص به...فإذا زاد عنه يعاقب ...الطبل والأغاني وغيرها من وسائل الموسيقى ممنوعة نهائيا ،ويعاقب من خالف ذلك ومسموح لهم إقامة حفلات أدبية (الإنشاد الديني) بشرط قبل صلاة المغرب أو بعد العشاء وقبل العاشرة ليلا .

تربصات تعليم الصلاة: والأم هي التي تقوم بالتسجيل ويكون فيها التصنيف حسب القدرات الفكرية ثم يكون التكوين النظري ثم مرحلة التطبيق شهر رسمي أوحر حسب المجال والمستوى الفكري بعد التكوين النظري يكون التربص المغلق

دورات المقبلات على الحج: التعريف بالمناسك خاصة نواقض الإحرام

تربصات المقبلات على الزواج : المحور الشرعي والصحي والنفسي ،دورة سداسية ،موسم في السنة موسم الخريف والصيف

تعليم المرأة محو الأمية : محاربة الأمية

وأما عن طريقة تسيير الأعراس والمآتم (تيميسردين) يلتمس الحاضر ذاك الجو الروحي لأعراس ميزاب والذي لا يسمح فيه بإقامة حفلات ساهرة في أوقات متأخرة من الليل كما هو شرط خلوها من الغناء والموسيقى والصخب الذي لا يجلب إلا غضب الله ونفور الملائكة وتوافد الشياطين ، ولا بأس بالإنشاد حيث تتفضل أخوات بإنشاد مدائح دينية وكلمات نظيفة وأصوات شجية كذلك ، كما أن مواعيد الحضور والمغادرة مضبوطة وفي طريقة اللباس فللمرأة اختيار ما تشاء من الألوان والأشكال والحلي ولكن غير مسموع أن لباس كاشف لبعض أعضاء جسدها ورأيت المرأة الميزابية ملتزمة بذلك لأنها ترى فيه احتراما لنفسها قبل أن تراه احتراما للغير من النساء .

فهذه الاجتهادات والمساعي الحميدة والتي يرجع الفضل لهيئة العزابة ، جعلت من المرأة الإباضية أنموذجا فريدا يرتقي تدريجيا إلى درجات الكمال الإنساني .

المطلب الثالث: دورات المصابرة وتدبر القرآن الكريم

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أحكمت آياته المنزل على النبي ﷺ، وهو الكتاب المهيمن على سابقيه من الكتب ففيه شفاء للقلوب ، وهو مفتاح لكل مكروب وهو سلاح للخطوب وهو الذي حوى هداية البشرية ورسم سبل الاستقامة .

وإن التحرك بالقرآن الكريم دعوة عملية للتعامل مع آيات القرآن بشكل عملي تطبيقي فلا نكتفي بمجرد التلفظ به قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [1]، يتلونه حق تلاوته ليس وفق قواعد اللغة العربية وأحكام التجويد فقط بل ويفهموه فهما دقيقا ويراجعوا أنفسهم مع كل آية أين هم منها ؟ وماذا فعلت بهم ؟ وكيف هو تحركهم بها ، يقول صاحب مدارج السالكين :عن فوائد التدبر في القرآن ، وأما التأمل في القرآن : فهو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعلقه وهو المقصود بإنزاله لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر وقال الحسن : نزل القرآن ليتدبر ويعمل به فاتخذوا تلاوته عملا .

فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع فيه الفكر على معاني آياته فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها ومآل أهلها وتتل مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة ، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه وتشيد بنيانه وتوطد أركانه وتريه صورة الدنيا والآخرة والجنة والنار في قلبه وتحضره بين الأمم وتريه أيام الله فيهم ، وتبصره مواقع العبر وتشهده عدل الله وفضله وتعرفه ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وتعرفه النفس وصفاتها ومفسدات الأعمال ومراتب أهل السعادة وأهل الشقاوة وتعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم وأحوالهم وسيماهم .

[1] سورة البقرة الآية ١٢١.

وبالجملة تعرفه الرب المدعو إليه وطريق الوصول إليه وما له من الكرامة إذا قدم عليه [1]

القرآن للمؤمن هو الشفاء والهدي والرحمة وهو النور الذي يضيئ حياته الأولى والآخرة كما يؤنسه في قبره [2].

دورة التدبر: وهي أن يعيش الإنسان أياما مع القرآن الكريم قراءة وتدبرا وتفكرا واستشعارا ، حيث يقطع صلته مع كل ما حوله وتكون علاقته مع ربه خالية من أمور الدنيا فيترك كل أشغاله وأعماله ويرمي همومه خارجا ، وتكون نيته في الحضور خالصة لله عز وجل فهذه الأيام كأنها الاعتكاف مع اختلاف بسيط ، فهي عزلة عن الناس وخلوة مع الله وتفرغ للعبادة ، رغم كون الفرد مع جمع كثير من الناس لكن باختلاف أحوالهم وأهدافهم عن الناس الذين في الخارج (خارج دورة التدبر) .

يبدأ الشيخ بتلاوة آيات من القرآن وهو مدار الدورة كلها ويردد الحاضرون وراءه ، فبمجرد بداية التلاوة يشعر المخلص أنه في عالم جديد عالم يحي فيه قلبه باستشعار تلك الآيات بعد وقوعها في القلب فتكون شبه صحوة من غفلة فكم من حاضر حافظ للقرآن كله ومحافظ على ورده اليومي ومواضب على مراجعة القرآن وختمه وضبطه في عقله حتى لا ينساه ولد عنده إحساس جديد باستشعار آيات الله التي تتلى ويتلوها وكأنه يقرأها لأول مرة في حياته فتتشكل مجموعة من الأحاسيس المتناقضة بين الفرحة بتذوق كلام الله وفهم معانيه وبين الندم على ما فات من التقصير وإعراضه عن الذكر الكثير وهو ذكر القلب ليس فقط ذكر اللسان

ودورات التدبر وإن اختلفت مناهجها فإنها تصبوا إلى هدف واحد وهو تصحيح وتجديد العلاقة مع الله عز وجل من خلال قراءة كتابه المسطور قراءة تدبر وتأمل وتفكر واعتبار وبالائتمار لأوامر الله تعالى والانتهاء عن نواهيه عز وجل .

---

[1] مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لأبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، ابن قيم الجوزية ج١، دار الكتب العلمية ط١ بيروت لبنان ص ٤٨٦.

[2] دورة تدبر القرآن الكريم ، للشيخ مصطفى اتبيرن ، بأم البواقي ٢٠١٦

تركز دورات التدبر على التغيير وذلك بتغيير الإنسان من الداخل بتطهير باطنه وتنقية نفسه وتخليتها من العلائق ويكون ذلك بتغيير منهجه في التعامل مع القرآن الكريم فهو يمثل ركن ركين في دنياه ودستور حياة احتوى على حل كل مشكلات الإنسان المادية والروحية ، فالمسلم البعيد عن ذكر الله ترى حياته ضنك لقوله تعالى " ومن أعرض عن ذكري " فالقرآن الكريم سمي بالذكر ،فبه تنشرح الصدور وتشفى السقام وبه تحيا القلوب تلك الحياة الروحية التي بدأت مع سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وقويت بقوة مجاهداته وتعبده آناء الليل وأطراف النهار .

هذه الدورة ساهمت في تليين قلب كل من داوم على حضورها فتتغير النظرة إلى الدنيا ويقل الاهتمام والاغتمام بها ويبدأ في حساب نفسه وينطلق انطلاقة جديدة لمجاهدة نفسه ودعوة غيره .

ومن ثمرات دورات التدبر تحقيق حكمة التعارف بين الناس لقوله تعالى " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ."

يتعلم الإنسان كيف يتوجه إلى الله بالدعاء وكيف يشكر خالقه على كل تلك النعم .

يجد الإنسان مباشرة في فترة مراجعة ومحاسبة لنفسه ومعاتبتها قبل فوات الأون ...

يعيش أياما لا ينقطع عن الصلاة والدعاء والقيام .

وأغلب الآيات التي تقرأ في الدورة محارها تدور حول ...الخلق ...الرزق ...الذكر ...الوعد ...الحساب ...الجزاء ...الشكر ...التوبة ...الأوبة ..الجنة ...النار ...العذاب ...الرحمة ...

في دورات تدبر القرآن الكريم تحلق الأرواح إلى الكون المسطر وتهفوا القلوب إلى أنس آياته فتعيش أجواء روحانية تكسوا القلوب نضارة ورونقا .

ويعش الحضور جو من الأخوة ، كيف وهم ينامون ويقومن بالقرآن الكريم في سكناتهم وفي حركاتهم .

علما أن الرجوع إلى الله تعالى لا يحتاج إلى واسطة فأبوابه مفتوحة فقط وأنيبوا إلى الله قبل أن تقول نفس يا حسرة على ما فرطت ..

إن دورة التدبر هي نموذج من النماذج التي تتجلى فيها التجربة الروحية ، فذلك الفاصل الزمني الذي يقضيه الإنسان في رحاب القرآن يشكل نقطة حاسمة لمراجعة ما فات واستدراك بالعمل الصالح ما هو آت وهو خلوة جماعية للعيش في رحاب القرآن فرارا إلى الله تعالى ..

شعار دورات التدبر هو الارتقاء بالنفس البشرية والمقصود ليس الارتقاء المادي لأنه أجوف لا تصل معه الروح إلى السعادة التي هي غاية النفس البشرية .

عندما يمنح الإنسان نفسه بعض الوقت لتدبر آيات الله تتسلل تلك الآيات إلى ممرات الجسد لتكسبه مناعة يعجز الطب عن توفيرها فماذا إذا داوم عليها فيشكل عندئذ سورا منيعا أي غزو شيطاني أو جرثومي ، فالتلاوة بالقلب تشعر بحلاوته فتستعذب آياته ولا يستطيع مفارقته ولا يشعر بطول الوقت ولا يأتيه الملل .

إذن فالهدف نبيل والمنهج أصيل ، والأثر يتجلى في التغيير الذي يظهر على الأفراد المنخرطين وإن كانت تتفاوت درجة الاستجابة من فرد إلى آخر وحسب عدد الدورات وحسب قابلية الفرد ، تتعدد دورات التدبر بتعدد الدعاة كل له منهجه فتتنوع ويبقى الهدف الجامع وهو تربية الإنسان تربية قرآنية روحية بحيث تسعى إلى جعل هذا الإنسان يحيا بالذكر ويسعى بأن يكون ربانيا في سلوكه

"واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم " وهم الكين قال عنه الله تعالى " لا تلهيهم تجارة "

ودورات التدبر عند الإباضية كثيرة ومتنوعة سواء في الجزائر أو في عمان ونذكر البعض منها :

الشيخ داوود بوسنان فله نشاط في عمان وفي الجزائر ، ودورة الشيخ طالب الراشدي ، ودورة عايدة الحجري ، ودورة المصابرة للشيخ خالد العبدلي ، وقد أخذنا نموذجين واحد عند إباضية الجزائر والمتمثلة في دورة الشيخ مصطفى اتبيرن بأم البواقي .

ودورة الأستاذة ميمونة بن حميد الجامعية بسلطنة عمان ، منهج قويم لذكر الله تعالى

كيف نحصل على الذكر القلبي ؟ منطلق الذكر الكثير القلبي مع الخلق وذلك من خلال النظر والتفكر في الخلق (وهذا ما يسمى عند الصوفية بمعرفة بالدلائل والشواهد).

إن في خلق السموات ، ومن بين هذه الدورات الروحية دورات الشيخ داوود بوسنان في عمان

فاعلم أنه لا إله إلا الله لأن المعرفة بالله سبحانه وتعالى تولد الخشية وتفتح بابا لسلوك طريق التقوى ، ومن قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما إخلاصها قال أن تحجزها عن محارم الله ، لا إله الله أكبر حقيقة أوحى بها الله إلى أنبيائه المتقون هم الموفون بحق لا إله إلا الله ..جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، وقوله: ولم يصروا على ما فعلوا

... ليست مجرد كلمة تقال باللسان هي عهد يتلقاه القلب أيمانا وخشوعا ويترجمه اللسان [1]

قيام الليل : قيام الليل ركن هام في دورات تدبر القرآن لأن تعود الحضور على مداومة القيام

المزمل : الآيات قراءة السورة ..من الأول

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤) إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥) إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦) إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)

[1] دورة تدبر القرآن الكريم الشيخ دواود بوسنان ، بسلطنة عمان

يرتل القرآن في هذا الوقت أكثر رسوخا في القلب

إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)

قاعدة للتعامل مع القرآن الكريم في توقيته المناسب وهو جوف الليل والمزمل هو الذي يغطي نفسه عندما يأوي إلى فراشه ، الخطاب عام لان السورة تقدم منهجا صالحا لكل زمان ومكان وتقدم له منهجا لكي يستيقظ من غفلته ...تدعوا الذي يعيش في حالة من الركود لا ليغير أحواله ، ترتيل القرآن وفي هذا الوقت من الليل ،من أراد أن يتزود من علم القرآن ومن أراد أني قطف ثمار القرآن عليه أن يبذل الساعات ، ينقص منه قليلا وهو الثلث وبإمكانه ان يزيد عليه نصف الليل أو الثلث .

من أهم قواعد التعامل مع القرآن الكريم...المدة الطويلة ... لم يقتصر على الثلث وقام بالثلثين الله خيره بين النصف والثلث وبإمكانه أن يزيد على النصف النبي صلى الله عليه وسلم النموذج التطبيقي أو المثال الحي لتجسيد حروف القرآن في واقع الحياة الملموس .

القدوة والأسوة الحسنة مدحا وثناء وأسوة لكي نتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم

قام بالنصف والثلث وما يزيد على الثلث ، لقد كان لكم في رسول الله أسوة الذي يضع نصب عينه النبي ص وهو يريد القيام بإذن الله سيتحسن **قَالَ تَعَالَى:** ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [1]

[1] سورة الأحزاب الآية ٢١.

طائفة من الذين معك يشهد لهم الله كما شهد لنبيه ص بأنهم حققوا هذا الليل الطويل

كيفية التدبر :

قال تعالى "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" الحشر ٢١ في تأملنا لهذه الآية ومحاولة التفكر فيها وتدبرها ويتجلى أمامنا مشهد عظيم من مشاهد تعظيم الله وإجلاله بخشوع الجبال التي هي جمادات وهي شواهد كونية على قدرة الخالق ووحدانيته ، فما بال الجبال إن سمعت القرآن تخشع وتتصدع وهل الإنسان كذلك كيف والقلوب قست بعد أن عصت ولا سبيل لعلاجها من هذا الداء إلا أن تنغمس في رحاب القرآن الكريم ، بقراءة تدبر وتفكر ، فعندما ينزل القرآن في القلب فلن تجد العلائق والشهوات وملاهي الحياة مكان فيه، فبالقرآن تحيا القلوب التي أنهكتها الحياة الفانية ،والله سبحانه وتعالى أوصى المؤمنين بملازمة التقاة الصالحين المهتدين في قوله تعالى : **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [1].دورات المصابرة من التصبر مع الذكرين وهي محاولة علاج النفس بمشاركة الآخرين ، **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [2].

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ،لقد أفلح وفاز كل من كل من زكى نفسه فهذبها ونماها بالخيرات وعودها على التقوى والعمل الصالح ،وخسر وخاب من أغوى نفسه وأهملها ولم يهذبها وتركها تنغمس في المعاصي ولم يتعهدها بالطاعة والعمل الصالح

فبتزكية النفس تكون النجاة ويتحقق الفلاح وبضدها يكون الخسران المبين ، قد أفلح من زكاها :وهي محور تدبرنا .

[1] الآية سورة الكهف ٢٨

[2] سورة محمد الآية ٢٤

ففيها حث على إصلاح النفس وتطهيرها من الشرك والمعاصي وسائر أمراض القلوب والأخلاق الدنيئة ،والنفس من أشد أعداء الإنسان الداخليين لأنها تدعوا إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا وسائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانبها لذلك فهي تحتاج إلى عناية وتربية .

وهناك طريقتان للوصول إلى التزكية، التخلية والتحلية :الأولى يقصد بها تطهير النفس من العلائق والمساوئ والرذائل الثانية تحليتها بالفضائل والمحاسن والمكارم فالنفس هي مدار الأخلاق والتربية والقلب هو الوعاء الذي يستوعب كل تلك المؤثرات فهو يتأثر ويؤثر فإذا كانت النفس زكية كان القلب سليما .وتشخيص داء النفس يكون بالمراقبة ثم يكبح جماحها بالمجاهدة والتوبة التي بها يتذوق المؤمن حلاوة الانتقال من مرحلة التخلية إلى التحلية ، عدم اتباع هواها لأنها تميل إلى طلب الشهوات وحب الدنيا والعزوف عن طلب الآخرة ثم ملازمة الصبر والدعاء مع تقريعها وتوبيخها وعدم ابداء الرضا عنها ،شغلها بالذكر الكثير وخاصة وقت البكرة والأصيل قال الله تعالى :"الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ " [1]

فالمؤمن الذي يعيش مع الذكر وذاق حلاوة الذكر والأنس بالله تعالى يكون منشرح الصدر بأنواع الذكر منه الذكر باللسان ومنه القلبي ، فلا حياة ولا اطمئنان إلا في رحاب ذكر الله تعالى ذكرا كثيرا ، فبه تسكن الروح ويهدأ الروع وينشرح الصدر ويطمئن القلب والاطمئنان هو أعلى وأسمى مراتب النفس .

دورة الشيخ مصطفى اتبيرن:

وتعليم الآيات كما كان يعلم رسول الله ﷺ أصحابه

من أسماء القرآن : النور – الهدى – الرحمة – الشفاء – العظيم – الكريم – العزيز ولكي نرزق بركة القرآن علينا أن نفرغ الأوقات له لأن القرآن مصدر السعادة ويكشف الظلمات .

[1] سورة الرعد الآية ٢٨

كيف نحصل على النور : أول من حصل على نور القرآن هو محمد ﷺ وهو الواجب اتباعه لأنه الأسوة الحسنة لقوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[1]، ما أعظم التأسي بالنبي الكريم ﷺ فبه ينال رضا الله ومحبته والفوز في اليوم الآخر ، لقوله تعال قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [2] ، فحب رسول الله ﷺ والاتباع ليس بالادعاء ولكن بسلوك طريقه بالذكر الكثير ، اتباعه لأنه هو السراج المنير الذ أنار للبشرية الطريق بتبليغه الرسالة ، ودورة التدبر هذه هي دورة التأسي بالرسول ﷺ فما هو المنهج الذي سلكه الرسول ﷺ لكي يخرجنا من الظلمات إلى النور ، فالكثير منا يحبه ولكن يبتعدون عن منهجه ﷺ، ومنهجه مستخلص من كتاب الله وهو القرآن الكريم فالرسول ﷺ كانت له قراءة للقرآن تجعل الشياطين تنفر ، فقراءة القرآن تزيد المؤمن نور ،وحتى نتمكن من قراءة القرآن قراءة النور ونستمع للقرآن بالنور ونتمكن من قراءة القرآن كقراءة محمد ﷺ، يجب الاجتهاد في تغيير وإصلاح القلب لأن القرآن محله القلب ، والله تعالى يشهد للرسول ﷺ بأن هذا القرآن بكلماته وحروفه نزله على قلبه ، لأنه إن لم ينزل في القلب لا يحصل النور، ودليل نزول القرآن الكريم على قلب الرسول ﷺ قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [3].

فالخطاب هنا موجه للرسول ﷺ ، لأن قلبه مؤهل لنزول القرآن ويستحق أن ينزل فيه ، لأن القرآن لا ينزل في أي قلب [4]، فكانت حياته ﷺ كلها قرآن "كان خلقه القرآن " .

ومدار القرآن وتركيزه دائما على القلب لقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[5].

---

[1] سورة الأحزاب الآية ٢١.

[2] سورة آل عمران الآية ٣١.

[3] سورة الشعراء الآية ١٩٢-١٩٤.

[4] حضور دورة الشيخ مصطفى اتبيرن ...١١جوان ٢٠١٥...ام البواقي ...المدة ٧ أيام .

[5] سورة الشعراء الآية ٨٩ .

فمن أسماء القرآن " الكريم " و"الرسول ﷺ كريم " و "الأجر كريم" ، فلو كل الناس اجتمعوا على القرآن لما نفذ خيره ، يقول تعالى: ﴿فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [1] ، والقرآن حتى ينزل في القلب يشترط طهارة هذا القلب من الغل والحسد والحقد والمظالم والمعاصي حتى يكون وعاء لذاك النور ، وكذلك تطهير حاستي السمع والبصر التي ارتبطت ارتباط وثيق بالقلب فطهارتها تطهر القلب فالقرآن يربط بين السمع والبصر وأدوات الابتلاء هما السمع والبصر الكلام ترجمان لما في القلب والقلب وعاء لما استقبله من الحاستين فالحرص على عدم تلويث السمع والبصر وأن لا ينزل في قلبه إلا ما يرضي الله فبالحرص على تطهير القلب ينزل القرآن فيه إذا فمن طهر سمعه وبصره الله يطهر قلبه ، فالفؤاد معلق بأداتي السمع والبصر فهما قناتان والقلب وعاء فإذا كانت القناتان طاهرتين فالقلب يتطهر .

ومن أشد المنكرات التي تحجب نزول النور عن القلب والتي أمنا الله تعالى باجتنابها هي "مجالس اللغو" واللغو هو كل خوض في كلام زائد وكل كلام لا يزيد من رصيد الإنسان إلا إثما فالإعراض عن اللغو والاقبال إلى سماع ذكر الله هو السبيل لتطهير القلب ونزول النور فيه ،قال الله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣﴾ [2]

وفي مطلع سورة المؤمنون قال الله تعالى : قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ٣﴾ [3]، فبالإعراض عن اللغو يرزق العبد الخشوع في الصلاة وفي سماع القرآن الكريم ويزيده نور وهداية وشفاء وبركة القرآن الكريم وينال بذلك كرم الله عز وجل ، أما المصر على عدم الإعراض عن اللغو فيعاقب بمنع وصول النور إلى قلبه وهو "الوقر " وهو حاجز يمنع من نزول الآية في القلب ، فهو يسمع ولكن لا يحس بوقعها في قلبها .

[1] سورة الواقعة الآيتان : ٧٨ – ٧٩.

[2] سورة المائدة الآية ٨٣.

[3] سورة المؤمنون: الآية ١ – ٣

يقول أحد المشايخ ممن اعتادوا على حضور الدورات في الفرق بين دورة المصابرة ودورة التدبر فدورة المصابرة كونها ليلة واحد يعيشها المشاركون فهي بمثابت همسة في الآذان أو كرشة ماء أما دورة التدبر فهي زيادة على العيش في رحاب القرآن لمدة أسبوع كامل فهي تعتبر غسيل كامل مع تغير قناعات كثيرة بقناعات جديدة ، من بينها إعادة النظر في كيفية التعامل بالقرآن والتحرك به في كل نواحي الحياة وفي كل الحركات والسكنات ، كما تتغير النظرة للدنيا وينقص الاهتمام بها والعمل لها ويزيد الاهتمام بالآخرة والإعداد لما بعد الموت والحذر من الوقوع في الزلات والإصرار عليها بل علاجها بالمسارعة في التوبة والاستغفار وبالإنابة لله عز وجل .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

	برنامج دورة تدبر القرآن الكريم للشيخ مصطفى اتبيرن ١١ جوان ٢٠١٥..أم البواقي
الخميس ١١جوان	تعليم آيات القرآن الكريم كما كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابه رضوان الله عليهم
الجمعة ١٢جوان	كيف ينزل القرآن في القلب ؟وعلاقة السمع والبصر بالقلب وشروط حصول النور
السبت ١٣جوان	لماذا شرع الله تعالى قيام الليل، ما مصير الإنسان الذي يسهر في مجالس فارغة ولا يجتهد في قيام الليل ؟
الأحد ١٤جوان	كيف نصبر على البلاء ونتجنب وساوس الشيطان التي تؤدي إلى القنوط ، وكيف نتخلص من وسوسة العذاب الغيبية ؟
الإثنين ١٥جوان	جهاد النفس – التوبة من المعصية – الشكر- الصدق والإخلاص في الدعاء –الاعتبار من قصص القرن عن ابتلاءات الأنبياء وصبرهم على الضر وكيفية تعاملهم معه .
الثلاثاء 61جوان	قَالَ تَعَالَى:﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ الحديد: ١٦
الأربعاء ١٧جوا	العصيان وليد النسيان والنسيان وراءه الشيطان ، وضرورة التوبة والأوبة إلى الله تعالى قبل فوات الأوان .

الفصل الخامس

الفصل الخامس : المقاربة الصوفية بين أهل الاستقامة وأهل السنة

المبحث الأول : العقيدة وأثرها في التجربة الروحية

المطلب الأول : : تلازم الإيمان والعمل عند المذهبين

المطلب الثاني : المعاصي والكبائر وأثرها على النفس

المطلب الثالث : أسماء الله وتجلياتها الروحية بين المذهبين

المبحث الثاني : تطابق محاور التجربة الروحية عند أهل السنة والإباضية

المطلب الأول : محبة الله وتعظيمه

المطلب الثاني : الإنسان

المطلب الثالث: الدنيا

المبحث الثالث :نماذج المقاربة للتجربة الروحية الإباضية والسنية

المطلب الأول :أبو بلال مرداس بن حدير والأمير عبد القادر

المطلب الثاني : التقارب الروحي من خلال تفسير القرآن

المطلب الثالث : كتاب الإحياء و قناطر الخيرات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس : المقاربة الصوفية بين أهل الاستقامة وأهل السنة

المبحث الأول : العقيدة وأثرها في التجربة الروحية

المطلب الأول : : تلازم الإيمان والعمل عند المذهبين

منذ قامت دولة التوحيد على يدى خاتم أنبياء الله ورسله ، بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحي الله وتعتمد أول ما تعتمد على الكتاب والسنة وتتجه في الدرجة الأول إلى تربية الملكات وإعلاء الغرائز وتهذيب السلوك ، كي ترفع الإنسان إلى السمو اللائق بكرامته [1].

حيث يقول الشيخ الخليلي :[يجب أن ننظر في أركان هذه العقيدة وكيف تجعل الانسان يتفاعل معها هذا التفاعل بحيث تكون اعماله مترجمة لهذه العقيدة] [2] لأن الإسلام هو دين الله الذي أوحاه إلى محمد ﷺ، وهو إيمان وعمل ، والإيمان يمثل العقيدة والأصول التي تقوم عليها شرائع الإسلام وعنها تنبثق فروعه ، والعمل يمثل الشريعة ، والإيمان والعمل أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار ،أو ارتباط المسببات بالأسباب والنتائج بالمقدمات ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتي العمل مقترنا بالإيمان في أكثر آيات القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥ ﴾ [3] ويقول سيد سابق في وحدة العقيدة : هي عقيدة واحدة لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ

[1] السيد سابق العقائد الإسلامية ط١٠ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة ، ص ١٤

[2] من دروس تفسير سورة العصر للشيخ أحمد بن حمد الخليلي

[3] سورة البقرة الآية ٢٥.

وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [1].

وما شرعه الله لنا من الدين و وصانا به كما وصى رسله السابقين – هو أصول العقائد وقواعد الإسلام ، لا فروع الدين ولا شرائعه العملية فإن لكن أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها وأحوالها ومستواها الفكري والروحي[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴾ [3]

والشريعة ثابتة وأصولها محكمة من لدن حكيم خبير ولا تتغير بتطور الفكر الإنساني أو تغير المناهج وهكذا يبدوا بجلاء أن العقيدة إنما يقصد بها تهذيب السلوك وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى فضلا عن أنها حقائق ثابتة وهي تعد من أعلى المعارف الإنسانية إن لم تكن أعلاها على الإطلاق ، وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية حيث أن للدين سلطانا على القلوب والنفوس وتأثيرا على المشاعر والأحاسيس ولا يكاد يدانيه في سلطانه وتأثيره شيء آخر من الوسائل التي ابتكرها العلماء والحكماء ورجال التربية .

[1] سورة الشورى الآية ١٣.

[2] السيد سابق العقائد الإسلامية مصدر سابق ص١٠.

[3] سورة المائدة الآية ٤٨.

إن هذا اللون من التربية يضفي على الحياة ثوب الجمال والكمال ويظللها بظلال المحبة والسلام ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة وانقطع النزاع وحل الوفاق محل الشقاق وتقارب الناس وتآلفوا وسعى الفرد لخير الجماعة وحرصت الجماعة على إصلاح الفرد وإسعاده [1].

ومن ثم تظهر الحكمة واضحة من جعل الإيمان عاما خالدا ، إن هذه العقيدة هي الروح لكل فرد بها يحيا الحياة الطيبة وبفقدها يموت الموت الروحي وهي النور الذي إذا عمى عنه الإنسان ضل في مسارب الحياة وتاه في أودية الضلال،[2] قَالَ تَعَالَى:﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [3]، ولقد بلغ الإيمان ببعض الصحابة إلى درجة قال فيها : لو كشف عني الحجاب لما ازددت يقينا ،وفي حديث الحارث بم مالك الأنصاري رضي الله عنه ما يعطينا الصورة المشرقة لهذا الإيمان، فقد مر حارثة برسول الله ﷺ فقال : له رسول اللهﷺ :[4]

كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت مؤمنا حقا .

قال : انظر ماذا تقول .فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك ؟

قال : عزفت نفسي عن الدنيا . فأسهرت ليلي ، وأضمأت نهاري ، كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة وهو يتزاورون فيها وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاعفون فيها ، فقال : عرفت يا حارثة فالزم[5].

---

[1] السيد سابق العقائد الإسلامية مصدر سابق ص١١.

[2] المصدر نفسه ص١٢.

[3] سورة الأنعام الآية ٢٢ .

[4] السيد سابق العقائد الإسلامية مصدر سابق ص ١٣.

[5] المصدر نفسه ص١٤.

ولو كان الإقرار باللسان هو الإيمان لكان المنافقون مؤمنين ، حيث قالوا آمنا بأفواههم ، ومع أن الله تعالى نفى عنهم الإيمان بقوله : قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ * قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـٔاًۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [1]

و حقيقة الإيمان عند الإباضية : مقومات الإيمان أو مقامات الإيمان عند الإباضية وجمهور الإباضية متفقون على أن الإيمان يشتمل على ثلاثة مقامات حتى يستوي المؤمن إيمانه ويصبح كاملا وهذه المقامات تشتمل على الاعتقاد بالقلب والاقرار باللسان والعمل بالجوارح ، وهم يسمون الاعتقاد بالقلب المقام الأول وهو الذي تنطوي عليه القلوب اعتقادا بالتوحيد والإقرار باللسان أمر مطلوب وأساسي في الإيمان عند الإباضية تجنبا من الوقوع مع الذين ذمهم الله تعالى في قوله تعالى : قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فالإيمان عند هؤلاء لم يتجاوز حد اللسان ولم يخلص القلب[2]، والعمل بالجوارح عندهم هو الدليل والبرهان على صدق الاعتقاد وصدق اللسان إذ تحقيق الإيمان عندهم لا يكون إلا بالأفعال وقد ورد الشرح بذلك في قوله تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ ﴾[3] أي الصلاة التي قمتم بها أو أديتموها حيث كانت القبلة إلى بيت المقدس لم يضيع الله تعالى أجرها وثوابها هذا وقد جاء في مسند الربيع بن حبيب بروايته وسنده " الإيمان مئة جزء أعظمها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى من الطريق و التوحيد والعمل متلازمان لا يتم أحدهما إلا بالآخر واتفقت الأمة على أن الإيمان قول وعمل ونية لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ

[1] سورة الحجرات الآية ١٤.

[2] الإمام أبي المعين النسفي ت٥٠٨هـ-ت: جيب الله حسن أحمد التوحيد دار الطباعة المحمدية ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦م ص١١١

[3] سورة البقرة الآية ١٤٣.

وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾[1] فمن اتى بالتوحيد وترك العمل فهو فاسق ، ومن أتى بالعمل وضيع التوحيد فهو مشرك [2]، ومنهج الإباضية في الإنسانيات و مسألة الإيمان والإسلام ، فالإيمان عندهم التصديق لغة أما في الشرع فهو التصديق بالقلب والتلفظ باللسان والعمل بالأركان والإسلام في اللغة هو الاستسلام والإذعان وفي الاصطلاح عندهم هو مرادف للإيمان ولكنهم يجيزون إطلاق اسم المسلم على غير الموفي بشرط عدم إعطائه أحكام الموفي من الولاية والبراءة فلا يخرج العاصي الذي يأتي بالشهادتين من الإسلام أما الإيمان عندهم فهو قول وعمل ولا يطلقون على من أخل بالواجبات أو أتى المنهيات اسم مؤمن احتجاجا بما ورد من أحاديث في ذلك .

أما الكفر فينقسم عندهم إلى قسمين ، كفر شرك ، وكفر نفاق ويسمى عندهم كفر النعم فكفر الشرك هو الخروج من الملة بإنكار الوحدانية لله تعالى أو إنكار صفة من صفاته أو بإنكار شيء من كتبه أو بعض منها أو بإنكار نبي من أنبيائه من قامت الحجة على المكلف بأسمائهم في القرآن الكريم فضلا عن إنكار نينا محمد ص ورسالته فهذا حكمه عندهم القتل والسبي والغنيمة وعدم المناكحة والموارثة والدفن في مقابر المسلمين[3] والمقاطعة في الحياة الاجتماعية بمعنى البراءة منه فليس له عندهم إلا الاسلام أو السيف ما عدا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى والصابئون فتقبل منهم الجزية إن أتوا بها صاغرين ، وأما كفر النعمة فهو الإتيان بشيء من الكبائر أو الإخلال بما أوجبه الله على المسلم كترك الصلاة أو الصيام أو الحج مع الاستطاعة حتى حل الأجل سواء كان الإتيان بهذه الكبائر من قبيل الانتهاك أو الاستحلال إذ لا جهل ولا تجاهل في الإسلام وهذا القسم هو الذي يسميه أهل الحديث بالكفر دون الكفر وقد استدلوا على هذه

---

[1] سورة فصلت الآية ٣٠

[2] فضيلة الشيخ سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي نتائج الأقوال ج١، مختصر معارج الآمال ج٢نشر مدارج الكمال ط٣، ١٤٣٥-٢٠١٤م،مكتبة الضامري ج١مراجعة داوود بن عمر بابزيز الوارجلاني ، ص ٢٧

[3] مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه ٤٥-١٤٥هـ ١٤١٢هـ-١٩٩٢م ط١. ص ١٨٨.

التسمية بالعاصي بآيات كثيرة من القرآن الكريم وأحاديث كثيرة من السنة وحكم الكافر كفر النعمة أن يعامل معاملة المسلم الموفي ما عدا الولاية وذلك بتحريم دمه ما لم يظهر فسقه وتحريم ماله وتحريم سبي ذريته وأن يعاد مريضه وتشيع جنازته وأن يناكح و يوارث ويعطى حقوق المسلمين ولا فرق في ذلك بين أن يكون إباضيا أو غير إباضيا .فالعاصي عندهم عاصي كافر كفر نعمة ولو كان من الإباضية[1]

لقد نظم المذهب الإباضي شأنه في ذلك شأن المذاهب الفقهية الأخرى مسائل الحياة من عبادات ومعاملات شرعت بالكتاب والسنة ، ولقد أثبت الواقع العملي المعيش الصلة الوثيقة بين الأسس العقدية وبين الحياة العملية ، وذلك هو أسمى أهداف العقيدة الإسلامية حيث لا تبقى النصوص حبر على ورق ، بل تخرج من حيز التنظير إلى حيز التطبيق والممارسة وهذا عين ما حرص عليه الإباضيون فمن يدرس الجانب النفسي في سلوك هذه الجماعة يجد ترابط بين عقيدتها وسلوكها ذلك أن الإباضيين قد جدوا في مراقبة السلوك الأخلاقي لأفراد مجتمعهم وفي تطبيق تعاليم الدين مما جعلهم يربطون ربطا وثيقا بين القول والعمل وبالتالي بين الإيمان والإسلام [2].

ومن هنا فإن تصرفات الإباضية في حياتهم الفردية والاجتماعية قد انطلقت من عقيدة دينية راسخة على أصول ثابتة أساسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله [3]، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ...فلم تصح العبادات عندهم إلا بطهارة القلب التي تتبع طهارة البدن ذلك أن العبادة وما يناسبها من التوكل والخوف ونحو ذلك تستوجب أن يقف الإنسان أمام ربه بقلب مخلص متفرغ وسريرة طاهرة من النوايا الخبيثة ،فإذا ما تطهر القلب وخلصت النية وصدق الاعتقاد فإن ذلك سينعكس على المستوى الظاهر

[1] الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه مصدر سابق ص ١٨٨.

[2] سناء بنت مهنى الباروني ، البعد الحضاري لنماذج من الفقه الإسلامي ، ص ٢٢ .

[3] المصدر نفسه ص٢٣ .

المكشوف حيث تؤثر طهارة الوجدان في طهارة النيات ذلك أن المربي إذا ما حرص على أن يطهر قلبه فإنه حتما سيحرص على طهارة جسمه وبذلك تكون الطهارة على المستوى الأول روحية وفي المستوى الثاني مادية عينية وباجتماعهما تصح العبادات عند الإباضية .

إن المؤمن وحده وهو الذي يقيس بمقاييس إيمانه بين ما تنجذب إليه نفس الإنسان في هذه الحياة من منافع وهمية عاجلة لا تعدوا لذة الجسم الفاني وما تتطلع إليه من سعادة روحية في الدنيا والآخرة ونعيم مقيم ولذة سرمدية في الحياة الأخروية فلا يرى المنافع العاجلة تساوي شيئا ولو راقت للنفس وصفا رونقها بجانب ما أعد للمؤمنين المتقين في دار الخلود مما لا يدخل في الحساب ولا يتصوره ذو لباب لهذا كان للإيمان أبلغ الأثر في انقلاب الأحوال وتحول المقاييس في نفس الإنسان حتى يرى ما كان يحيا من أجله ويتفانى في سبيل تحصيله لا وزن له زلا يستحق أن يلتفت إليه بجانب ما يجب أن يجعله نصب عينيه من سمو روحي وارتقاء سلوكي مثلما حصل مع سحرة فرعون الذين كانوا قبل إيمانهم لا يدركون قيمة لهذه الحياة إلا بقدر ما ينعمون به فيها من منافع مادية فانية ولذلك قلوا لفرعون ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ [1] ولكن عندما أشرقت بصائرهم بنور الإيمان واطمأنت أرواحهم إلى الحق اليقين تبددت لهذه الصورة القائمة التي كانوا يتصورون بها الحياة [2] : فردوا على تهديده لهم بقولهم{ لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض فإنما تقضي هذه الحياة الدنيا }[3].

والذي يقطع رحلة هذه الحياة الدنيا إنما يسلك قفراة موحشة مندرسة المعالم مظلمة الجوانب ،ما له فيها من مبصر بقصد السبيل ومواطئ الأقدام واتقاء الأخطار إلا الإيمان الذي هو نور في النفس ونور في الحياة ، فبه يتخلص المرء مما يتهدده من نفسه من

[1] سورة الشعراء الآية ٤٢ .

[2] أحمد بن حمد الخليلي ، برهان الحق ، دراسة معمقة في تأصيل العقيدة الإسلامية ودرء الشبه عنها بالأدلة العقلية والنقلية ، ج١، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، الكلمة الطيبة مسقط عمان ، ص٩ .

[3] سورة طه الآية ٧٢ .

شهواته ورغباته وعواطفه وغرائزه ومما يتهدده من بيئته ومجتمعه ومحيطه القريب والبعيد من المغريات على الضلال التي تؤثر على النفس وتزلزل أركانها لتستجيب لأركان الهوى وتنقاد لداعي السوء وتفلت يدها عن الاستمساك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها [1]، ومن الواضح لكل ذي بصيرة أن انحراف السير في خطر هذه الحياة إنما نهايته التردي في مهاوي الهلاك في الدار الآخرة فإن المصير هناك مرهون بالمسير هنا ، وكل يحصد ما زرع ويجزى بما عمل لهذا كان الإيمان صمام الأمان ومقعد النجاة والسعادة في الدارين[2].

إيماننا القول والتصديق مع العمل فالقول مر فصدقه وكن عملا

س بما عليك من الإيمان مفترض والنفل إن تستطع فافعله مبتهلا

الإيمان في اللغة هو التصديق ، كما قال تعالى حكاية لما قاله أولاد يعقوب لأبيهم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧﴾ [3]، فإنهم أرادوا به أنه غير مصدق لهم ،واشتقاقه في مأمن من تكذيبه إياه أما الإيمان شرعا فهو تصديق بالغيب الذي جاءت به رسالات الله وقد جمع أصول ذلك حديث جبريل عليه السلام إذ جاء تفسير الإيمان فيه"أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وباليوم الآخر خيره وشره من الله " على أن هذا التصديق المطلوب شرعا بهذه الحقائق الغيبية ليس تصديقا ذهنيا فحسب لا يكون له أثر على أفعال المصدق ، وإنما هو تصديق يتغلغل في أعماق النفس حتى تتفاعل معه تفاعلا تاما في القول والعمل والفعل والترك والأخلاق والسلوك ، بحيث تتجاوب حياة المؤمن كلها مع إيمانه تجاوبا تاما فيتجسد إيمانه في جميع أحواله وجميع أقواله وأعماله تجسدا تاما يتراءى للناظرين [4].

---

[1] برهان الحق مصدر سابق ص٨ .

[2] نفس المصدر ص٩ .

[3] سورة يوسف الآية ١٧ .

[4] أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م ، ص ٩٨.

الإيمان هو إذعان النفس للحق على سبيل التصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح قال الإمام نور الدين السالمي :

وإنما الإيمان قول وعمل ونية فهو على هذا استقل [1]

وقد وردت صفات المؤمنين في كتاب الله عز وجل في مواضع عديدة منها الخشوع في الصلاة والإعراض عن اللغو وتأدية الزكاة وحفظ الفرج من الزنا والمحافظة على الصلوات والتأثر بالقرآن وغيرها وهي تدل على الترابط بين التصديق القلبي والممارسة للإسلام وقد جاءت كلمتا الإيمان والإسلام مترادفتان وبمعنى واحد في مواضع عديدة [2]، وأجمع العلماء بأن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان وأوردوا أدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة [3]، أما من السنة قوله ﷺ لوفد عبد القيس : آمركم بالإيمان بالله وحده أتدرون ما الإيمان ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا الخمس من المغنم ، وقد عقد البخاري في صحيحه باب ليدلك على تلازم الإيمان والعمل بعنوان : باب من قال إن الإيمان هو العمل " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ؟ أي العمل أفضل ؟ فقال : إيمان بالله ورسوله قيل ثم ماذا ؟ قال : الجهاد في سبيل الله : قيل ثم ماذا ؟ قال : حج مبرور [4]، و الإيمان باليوم الآخر مرتبط بقضية الحياة بعد الموت ، وهو أكثر الاركان حساسية وخطورة بحيث يتميز على أساسه المؤمنون من الملحدون وهو أخطر يوم يمر بالبشر فيه تكشف الأعمال وتوضع الموازين ويتقرر مصير كل إنسان وتحدد نهاية المرحلة الطويلة التي مر بها وهو

[1] عبد الله بن سلمان بن عبد الله الريامي ، دلائل الاعتقاد عند الإباضية ،ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، الضامري ، السيب ، عمان، ص ١٠٣.

[2] سورة يونس ص ٨٤.

[3] شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد مصدر سابق ، ص ١٠٥.

[4] عاشور بن يوسف كسكاس ، العقيدة القضية الكبرى في حياة الإنسان ، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وزارة الأوقاف سلطنة عمان . ص١٠٧.

المستقر الأخير له وهذه الحقيقة الكبرى أساس من أسس التصور الإسلامي للكون والحياة ولهذا الركن الكبير بلا ريب أبعد الأثر في السلوك الإنساني فهو يربي فيه الشعور الحقيقي بالمسؤولية لأنه ينتظر ذلك اليوم ، والإيمان باليوم الآخر يغرس الأخلاق الفاضلة في المؤمن فالحلم والأناة والتضحية والصبر على الشدائد [1]والسمو بالنفس عن الدناءات كل ذلك وراءه أجر عظيم عند الله ، وكذا الإيمان بما أعده الله تعالى من وعيد شديد لكل من خالف أمره واتبع هواه ، يربي في المؤمن عزيمة صلبة ، تجعله قادرا على ضبط دوافع النفس وصامدا أمام نداءات الغريزة فيكون ذلك حصانة له من الفواحش والموبقات ويتسامى بنفسه عليها فيوجه طاقاته آنذاك إلى الإصلاح ونشر فضائل الأخلاق ، وهذا أبو حمزة الشاري يصف أصحابه بالتقى والعفاف مبرزا أثر الإيمان بالجنة والنار في نفوسهم التي أصبحت تتطلع إلى ما عند الله وتؤثر ذلك على زخارف الدنيا فيقول :" كلما نهى أحدهم بآياته من ذكر الجنة بكى شوقا إليها وإذا أمر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأنها زفير جهنم في أذنه[2].

ويطلق الايمان على الاستقامة في العقيدة والاستقامة، في العمل يعني ذلك أن الايمان يطلق على العقيدة الصحيحة مع العمل الصالح والقول الصادق [3]

هذه حقيقه الايمان في القرآن الكريم والسنه المطهرة ، وبهذا ينتفي الإشكال الذي يطرا على النفس عندما يقرأ الإنسان الآيات القرآنية التي يستوحي منها أن الإيمان هو عقيده وعمل و الآيات ،التي يستوحي منها ان الإيمان هو مطلق العقيدة ، في القرآن الكريم فهناك آيات من كتاب الله سبحانه وتعالى تدل على أن المؤمن ، من جمع بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح وآيات تدل على أن المؤمن ، هو من آمن بما يجب الايمان به أي بما يجب التصديق به من هذه الآيات أولا ، قول الله سبحانه وتعالى في وصف عباده

[1] العقيدة القضية الكبرى في حياة الإنسان مصدر سابق ص ٩٠.

[2] المصدر نفسه ص ٩١.

[3] محاضرات الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان .

المؤمنين عندما وعدهم بالفلاح في سورتهم التي صدرها بهذه الآيات ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾[1] إلى قوله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴾ [2] ، الله سبحانه وتعالى بين صفات المؤمنين هنا قد افلح المؤمنون وبين أن الإيمان هو بجانب كونه عقيده هو عمل أيضا الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون إلى آخر الآيات، ومن ذلك ايضا قول الله سبحانه و تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [3].

وقد أخرج عبد الرزاق عن طائفه من العلماء منهم سفيان الثوري والاوزاعي ومالك وغيرهم أنهم كانوا يقولون الايمان قول وعمل، والمقصود بالقول هنا ما يترجم العقيدة فليس المقصود مجرد قول بالسان من غير أن يكون معناه راسخ في النفس ، وإنما المراد بالقول ما يترجم العقيدة الراسخة في النفس وكذلك روي نحو ذلك عن الامام الشافعي وأخرج ابو القاسم اللالكائي عن الإمام البخاري أنه قال أدركت نحو ألف من علماء السلف كلهم كانوا[4] يعتقدون أن الايمان قول وعمل ولم يكونوا يحصرون الايمان في مجرد الاعتقاد فحسب من غير التفات إلى جانب العمل ، وذكر الحافظ عن كثير في تفسيره عن جماعه من علماء السلف أنهم أجمعوا على هذا القول ، فإن السلف كانوا يعتبرون الايمان قول وعمل ومعنى ذلك أن الإيمان عقيده يترتب عليها العمل ولم يكونوا يعتبرون الإيمان مجرد تصديق بأمور من غير أن يتفاعل الإنسان ومن غير أن يترجم هذا التصديق

[1] سورة المؤمنون الآية ١-٣.

[2] سورة المؤمنون الآية ١٠.

[3] سورة الحجرات الآية ١٥.

[4] سلسلة محاضرات الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان .

إلى واقع محسوس في سلوكه ومعاملاته مع الناس وعبادته لربه سبحانه وتعالى وإنما كانوا يعتبرون الإيمان ما رسخ في النفس من الاعتقاد الحق الذي يؤدي إلى التمسك بحبل الله تعالى المتين وعدم التفريط فيما أمر به أو فيما نهي عنه ، وهناك آيات أخرى تدل على خلاف ذلك حسب ظاهرها ، منها قول الله سبحانه وتعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقد تكرر ذلك كثيرا في القرآن عطف العمل الصالح على الإيمان والأصل في المتعاطفين أن يكون بينها تغاير، ومن ذلك أيضا قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾[1] وأحسن ما جمع به بين هذه الآيات هو ما قاله العلامة ابن تيميه بأن الآيات التي يذكر فيها الإيمان من غير ذكر للعمل الصالح فالإيمان فيها بمعني القول والعمل والآيات التي يذكر فيها الإيمان مقرونا بالعمل الصالح فالإيمان فيها بمعني العقيدة والتصديق بأركان الإيمان التي جاء بها حديث جبريل عليه السلام ، وقد سمى الله سبحانه وتعالى العمل الصالح إيمانا، وجاء في أحاديث رسول الله ﷺ ما يدل على أن الإيمان هو عمل بجانب كونه عقيدة، فقد جاء في حديث أبي هريره رضي الله عنه الذي أخرجه الشيخان عنه ﷺ أنه قال (الإيمان بضع وستون شعبه أعلاها كلمه لا اله الا الله و أدناها إماطة الأذى من الطريق والحياء شعبة من الإيمان) .

فانظروا كيف جعل رسول الله ﷺ الإيمان يتجزأ إلى شعب ، إلى قول لا إله إلا الله هذا القول الذي لابد من أن يقترن بعقيده متمكنة في النفس وإلا كان نفاقا إذا لم يكن مقترنا بعقيده وإلى أعمال حتى الأعمال التي يراها الناس من الأعمال التافهة كإماطة الأذى من الطريق .

[1] سورة الأنعام الآية ٨٢.

والأخلاق من الإيمان وكذلك الخلق جعله رسول الله ﷺ من الإيمان حيث قال (والحياء شعبة من الإيمان) وجاء في رواية لمسلم عنه ﷺ أنه قال (الإيمان بضع وسبعون شعبة) وهذا يدل على أن العدد لا يفيد الحصر بل جاء في رواية اخري (الإيمان مائه شعبة) في هذا ما يدلنا على أن الاعمال الصالحة من أجزاء الايمان .

وبهذا يكون معنى الإيمان عند الفريقين قول وعمل ، فالأقوال تترجمها الأعمال ، فلا يكفي المسلم اعترافه بوحدانية الله عزو وجل وهو في نفس الوقت معرض كل الإعراض عن الإتيان بما هو مأمور به من عبادات وطاعات وأعمال صالحة هي ذخر له يوم تبلى السرائر ويرى كل عمله ، فالاستقامة في الدين هي طاعة الله سبحانه وتعالى على أحسن وجه وتكون بأداء العبادات والإخلاص فيها وتكون بالاستجابة لأوامر الله عز وجل وبالانتهاء عما نهى عنه ، فأينما كان القول مقترن ومتوافق مع العمل كمل الإيمان وثبتت الاستقامة على الدين .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : المعاصي والكبائر وأثرها على النفس

يقول الشيخ أبو مسلم عن المعصية العصيان هو الخروج عن الطاعة ويقال لمن فارق الجماعة : فلان شق العصا ، والعصا جماعة الإسلام ، فشق العصا مُخالفة جماعة الإسلام والطاعة ما قارنه الأمر من توحيد وغيره ، والمعصية ما قارنه النهي من شرك وغيره والكفر ما قارنه العقاب من شرك وغيره .

والذنب منه صغائر ومنه كبائر ومنه ما لا ندري أصغير أم كبير ، فقال بعض المرجئة : لا وجود لها وأن كل ما عصي الله به كبيرة نظرا إلى عظمة الرب جل جلاله لا إلى الفعل الذي عصي به ، وهو المشهور عند أئمة المذهب ، وهو اللائق بأصولهم المبنية على التحقيق والاحتياط ، وفاقا لابن عباس رضي الله عنهما حيث قال :" ليس فيما يعصى الله به صغير " وحمله بعض الأصحاب[1] على خلاف ظاهره ، وهو أن المراد توقير المعاصي والترهيب منها ، لا عدم وجود الصغائر ، كما في كلام محمد بن محبوب : ما دون الكبائر هي الذنوب التي بين العبد[2] وبين الله تعالى ، مثل الغمزة والهمزة والنظرة وما كان أهله يتدينون بالتوبة والاستغفار منه ، فذلك هو اللمم ، وكل قائم بالقلب من ذكر المعصية والهم بها ، ونية العمل بها من غير شتم المؤمنين ولا الوقوع في أعراضهم فهو كذلك من اللمم ونسيان الاستغفار منه لا يضر صاحبه .

يقول الشيخ أبي مسلم : وقال بعض قومنا[3] : ضابط الكبيرة كل ذنب يصح وصفه بالعظم على الإطلاق ، ولذلك أمارات منها إيجاب الحد والإيعاد عليها بالعذاب

---

[1] من الأصحاب أي من علماء الإباضية .

[2] نثار الجوهر مصدر سابق ص ١٥٠

[3] من قومنا بعض من علماء أهل السنة .

ووصف فاعلها بالفسق نصا ولعنة ، وكل ما خرج عن ضابط الكبيرة فهو صغيرة ، وعلم ذلك أن الذنوب قسمان : كبائر ، وصغائر .[1]

وعرف بعضهم الكبائر بأنها ما توعد عليه بخصوصه في الكتاب والسنة كالقتل والزنا ، وقال آخرون : الكبائر ما فيه حد كالقذف ، وقال آخرون ، كل ذنب ، ولا صغيرة عندهم نظرا إلى عظمة من عصي به تعالى وشدة عقابه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : الكبائر ما ذكره الله في سورة النور من أولها إلى قوله تعالى:﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١ ﴾[2]، فأوجب الله لهم الفلاح بالتوبة من جميع هذه الذنوب بقوله:﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ﴾[3] ، وقال ابن مسعود: الكبائر ما ذكره الله في سورة النساء إلى قوله تعالى:﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ٣١ ﴾[4] .

والصغائر معفو عنها إلا إن كابر وأصر عليها وحينئذ تكون كبيرة ، وغفران الصغائر باجتناب الكبائر وقيل : إن الصغائر خفية في غيب الله إذ لو بينت لارتكبها الناس وقيل : الصغائر معلومة وهي ما لم تكن من المظالم كاللطمة دون ما يجب فيها الأرش ، وإن آثرت فكبيرة .

ومن الكبائر سوء الظن بالمسلمين ، وتتبع الضغائن ، ومن لم يعتن بأمور المسلمين فيما يلزمه ولم تكن من همه فليس منهم ، ومن قال : لا أرضى بما علي من الحق مثلا برئ منه بمخالفته الشرع ، ويجب لعن مقر بكبيرة كزنا وقتل ، والبراءة منه إلا من تاب علنا .

ومن المكفرات إرسال النظر في المحرمات ، وقد أوصى رسول الله ﷺ الفضل بن العباس فقال له : " لا تشرك بالله شيئا وإن قُتلتَ أو أُحرقتَ حيا ، واحذر ترك الصلاة ، وأطِعْ

---

[1] نثار الجوهر مصدر سابق ص ١٥١.

[2] سورة النور الآية ٣١.

[3] سورة المؤمنون الآية ١.

[4] سورة النساء الآية ٣١.

والديك فقد أمر الله بالإحسان إليهما ، ولو أمراك بالخروج مما تملك ، ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح الشر ، وإياك والفرار من الزحف ومن الطاعون ، ولا تنازع الأمر أهله " .[1]

ويقول الشيخ أحمد الخليلي في مسألة البراءة من الكبائر: ...هذا ولم يكن أصحابنا وحدهم الذين قالوا بالبراءة من أصحاب الكبائر ، فإن فيهم من علماء الأمة من تنبه لهذا كما نجد هذا فيما قاله الفخر الرازي في "المحصول " في معرض حديثه عن الإيمان ، وبيانه للتنافي بين الإيمان والفسوق ، وقد استدل بثمانية أوجه نقتصر منها على الثالث والرابع :

فقد قال : " الثالث : قوله تعالى **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾[2] ، ثم أن الله أمر الرسول ﷺ في آخر هذه الآية[3] أن يستغفر لهم ، والفاسق لا يستغفر له الرسول ﷺ حال كونه فاسقا ، فدل على أنه غير مؤمن .

الرابع : أن قاطع الطريق يخزى يوم القيامة ، والمؤمن لا يخزى يوم القيامة ، فقاطع الطريق ليس بمؤمن ، أما الأول فلأن الله يدخله النار يوم القيامة ، وكل من كان كذلك فقد أخزى ، أما الأول فقوله تعالى في ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾[4] ، وأما الثاني فلقوله تعالى حكاية عنهم : **قَالَ تَعَالَى:** ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ ﴾

---

[1] نثار الجوهر مصدر سابق ص ١٥٢.

[2] سورة النور الآية ٦٢.

[3] أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ، حكم البراءة من مرتكب الكبيرة ، ط١٤٣٨،١هـ/ ٢٠١٧، الكلمة الطيبة مسقط- سلطنة عمان ص ٥٨.

[4] سورة البقرة الآية ١١٤.

[1]،ولم يكذبهم فدل على صدقهم فيه ، إنما قلنا إن المؤمن لا يخزى يوم القيام لقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٨ ﴾ [2] ، وأقره على هذا الأصفهاني في شرحه " الكاشف عن المحصول " .

وينوه الشيخ الخليلي بعد عرضه لعلماء من غير الإباضية وتوافقها مع أقول العلماء الإباضية بأن مما لا يجب أن يفوت ذكره أن البراءة من صاحب الكبيرة لا تعني بحال إخراجه من ملة الإسلام ، ولا حرمانه من حقوق المسلمين ما عدا الولاية في الدين إلى أن يتوب ، فهو معصوم الدم ، لا يستباح قتله إلا بإحدى ثلاث هي : الردة عن الإسلام ، أو الزنى بعد الإحصان ، أو قتل النفس المحرمة بغير حق ، وهو معصوم من المال فلا يستباح ماله ، وإن زنى أو قتل من أجل مراعاة حرمة التوحيد ، ولا يمنع التناكح والتوارث بينه وبين أهل الإسلام ، ويبادل السلام ، ويشمت إذا عطس ، ويدفن إن مات في مقابر أهل التوحيد ، ويوارى بطريقة المسلمين ، وإنما تبقى البراءة منه إن لم يتب ، فرضا لازما ، أداء لحق الله تعالى وحفاظا على نظام الدين ، وغيره من حرمات الحق وتمييزا بين البررة والفجرة[3] .

وعن الكبائر يقول ابن القيم أنها العقبة الثالثة التي إن ظفر(الشيطان) به فيها زينها له وحسنها في عينه وسوف ،وفتح له باب الإرجاء ، وقد قال له : الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال ، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله: "لا يضر مع التوحيد ذنب ،كما لا ينفع مع الشرك حسنة" قَالَ تَعَالَى:﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ

[1] سورة آل عمران الآية ١٩٢.

[2] سورة التحريم الآية ٨.

[3] أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ، حكم البراءة من مرتكب الكبيرة مصدر سابق ، ص٦١.

وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴾[1]، حيث تنقسم الذنوب إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ ﴾[2] ، وأما ما يحكى عن أبي إسحاق الإسفرائيني أنه قال : الذنوب كلها كبائر وليس فيها صغائر ، فليس مراده أنها مستوية في الإثم ، بحيث يكون إثم النظر المحرم كإثم الوطء في الحرام وإنما المراد أنها بالنسبة إلى عظمة من عصي بها كلها كبائر [3].

الإيمان والمعصية لا يجتمعان وبين الرسول ﷺ أن المعصية تنافي الإيمان عندما يرتكبها الإنسان فقد قال ﷺ : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مومن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وبين عليه أفضل الصلاة والسلام أن الأعمال التي تحدث من الإنسان حتى انفعالاته و الأعمال تخرج به عن الطريق السوي تعد من أعمال الجاهلية وهي تنافي الإيمان ودليل ذلك ما جرى بين صحابيين جليلين من صحابه رسول الله ﷺ وهما أبو ذر الغفاري و بلال الحبشي فقال أبو ذر لبلال رضي الله عنهما (يا ابن السوداء) اشتد غضب رسول الله ﷺ من ذلك وقال له (طفح الكيل طفح الكيل طفح الكيل إنك امرؤ فيك جاهليه لا فضل لابن البيضاء على ابن السوداء إلا بالتقوي) ولم يجد أبو ذر رضي الله عنه طريقا ليكفر به خطيئته إلا أن يضع خده على التراب وطلب من بلال الذي ناداه بابن السوداء أن يضع قدمه على خده .

والله سبحانه وتعالى عندما أمر بأوامره ونهى عن نواهيه ما كان يريد بذلك إلا مصلحه الخلق فإن مصلحتهم إنما هي بامتثال الأوامر والازدجار عن النواهي ومفسدتهم انما هي

---

[1] سورة النساء الآية ٣١ .

[2] سورة الشورى الآية ٣٧ .

[3] أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، ابن قيم الجوزية مدارج السالكين ٤٨٦ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، دار الكتب العلمية ط١ بيروت لبنان ج ٤٨٦ بيروت لبنان ج١، ص ٣٤٢.

بالتعدي على حرمات الله سبحانه وعدم المبالاة بما يصدر منهم والأفراد والأمم في ذلك سواء فعندما تكون المعصية بين الفرد وربه ،سبحانه وتعالى لا يطلع عليها غيره يكون أثرها راجعا إليه بنفسه ،أما عندما تكون المعصية، متفشيه ظاهره بينه فإن آثارها تنعكس على الجميع والشواهد في كتاب الله كثيره ألا ترون أن الله سبحانه وتعالى:

﴿ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ ﴾ [1]هذه هي العاقبة التي حاقت بأولئك الذين ارتكبوا المعاصي واولئك الذين سكتوا عن هذه المعصية وجاملوا فيها ولم تمتعض نفوسهم ، لما يحدث من تعدي حدود الله وارتكاب نواهيه

لزم على الإنسان الخوف والرجاء وإذا أطلقوا المعصية في مقابلة الكبيرة فهي معصية لا تدرى أكبيرة عند الله أو صغيرة ولأنه لا يعلم لعله قصر فيها أو اختلت فترد عليه ويعذب على الفرض ولا يدرى بم يختم له ، أو بمكان المعصية فيجب عليه الانقلاع عنها ورجاء الرحمة على الانقلاع والعبادة وخوف الأنباء خوف عقاب وخاتمة ، ويقطع المشرك بقبول توبته ويرجوا ويخاف فيما بعد من عمله كالموحد في توبته وإن غلب الرجاء أو الخوف نافق ، أو لا ينعر القلب منهما [2] ، لأن الله سبحانه أخبر بهلاك الآيس والآمن ولا إياس ولا أمن عند وجود الرجاء والخوف ، ولا يتصور خوف أو رجاء بدون الآخر ويكفي ذكر أحدهما وإنما يذكرونهما معا لمزيد البيان وليذكروا العدل بينهما [3].

فلما كانت هذه الشروط معلقة مقرونة بالتسمية بالإيمان تبين أن ذوي الكبائر من أهل التوحيد ليسوا بمؤمنين ولما كانوا غير مؤمنين ثبت أنهم كافرون وليس بين الاسمين اسم ولا

---

[1] سورة الأعراف الآية ١٦٥.

[2] الشيخ محمد بن يوسف اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، ت: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش ط٢، دار البعث قسنطينة، ص٣٠ .

[3] عبد الرحمن عميرة ،الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي ج١ –ج٢ در الجيل بيروت ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م ص ٣١.

بين الحكمين حكم وقال ﷺ لا يزني الزاني وهو مؤمن " وقال " ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة " [1].

وفضيلة الإيمان التي ذكروها قد حرمها أهل الكبائر أنفسهم ومنعوها إياها ولو أنهم أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف وعملوه ونهو عن المنكر وتركوه لكانوا لتلك الفضيلة حارزين ولا سمها مستحقين لأن هذه الأسماء التي يسمي الله بها أولياءه من المؤمنين والمتقين البارين والمهتدين فإن هي من مجازاتهم على إيمانهم وبرهم وتقواهم كما أن الأسماء التي سمى بها أعداءه من الكافرين والظالمين والفاسقين والضالين والفجار مجازاة لهم على أفعالهم وفجورهم وظلمهم فجعل تسمية كل واحد من الفريقين مجازاة لهم على أفعالهم [2].باعتبار أن الإباضية يشددون على قضية تلازم القول والعمل والمعتقد بمعنى أن الإباضي بحكم تشدده في مبدأ : أن مرتكب الكبيرة أو المعصية إذا لم يتب يدخل النار " يجعله حساسا ويحمل روح الزهد ومفارقة بهرج الحياة حتى وهو يعيش ويتفاعل مع الحياة [3]

وخلاصة القول في تعريف الكبيرة كما جاء في كتاب "الكبائر " : الكبائر هي ما نهى الله ورسوله ﷺ عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات في سورة النساء الآية ٣١، والتوبة من كل معصية واجبة على الفور وحتم لازم على كل

[1] عبد الرحمن عميرة ،الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي ج١ –ج٢ ، در الجيل بيروت ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م. ص٨٠

[2] المصدر نفسه ص٨١.

[3] التصوف في عمان مدارسة مع فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي أجراها خميس بن راشد العدوي ، مجلة الفلق الالكترونية ، دار الغبيراء ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠١٤م- بهلا- سلطنة عمان ص ٣٣ .

عاص لا يجوز تأخيرها سواء أكانت صغيرة أو كبيرة وأنها من مهمات الإسلام وقواعد الدين المتأكدة عند أهل السنة تابعة بالكتاب والسنة [1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] شمس الدين الذهبي أبي عبد الله محمد الدمشقي ، الكبائر ، أ عبد الفتاح منصور ، دار التراث العربي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٥.

المطلب الثالث : أسماء الله وتجلياتها الروحية بين المذهبين

عندما نتحدث عن الذات الإلهية فإنما نتحدث فيه عن ذات متصفة بصفات مسماة بأسماء والملاحظ أن بعض صفات الذات الإلهية يتصف بها الإنسان كالسمع والبصر والكلام والعلم والإرادة والقدرة والحياة ، كما أن بعض الأسماء الحسنى لله عز وجل يمكن أن يتصف بمعانيها الإنسان كالكرم والجود والصبر والشكر والعدل والرحمة ، ومن ههنا كان التخلق عند أهل السلوك إلى الله عز وجل يعني فيما يعنيه التخلق بما ينبغي التخلق به من أسماء الله الحسنى على اعتبار أن لله المثل الأعلى فمهما تخلق الإنسان بأسمائه فذلك ارتقاء [1].

إذا أردت أن يسهل عليك الجلال فقابله بضده وهو الجمال فإنه ينقلب جمالا في ساعته وكيفية ذلك كأنه إذا تجلى باسمه القابض في الظاهر فقابله أنت بالبسط في الباطن وإذا تجلى لك باسمه القوي فقابله أنت بالضعف أو تجلى باسمه العزيز فقابله بالذل في الباطن

يقول سعيد بن خلفان الخليلي :

فإن شئت وصلا فكن واقفـــــــا على الباب لا يُرتـــــــــــجُ

وقم بافتقارٍ وذل وقـــــــــــل فقير على بابكم أعـــــــرج [2]

يخاطب الشيخ سعيد من أراد الوصل والقرب من الله تعالى ونيل محبته ورضاه ، بأن يقم مفتقرا إلى الله تعالى بكل صدق وذل طارق باب الكريم لعلك بذلك تنال الوصل.

والشيخ أبو مسلم البهلاني ينحوا نحو شيخه ناصحا من أراد سلوك الطريق وطرق باب الكريم فيقول :

---

[1] سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار السلام ،ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مصر ص٣٤٠.

[2] شريفة اليحيائي مصدر سابق ، ص ٧٤.

تَقَدمْ إلى بابِ الكريم مقدما له منك نفسا قبل أنْ تَتقَدَما

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[1] وقوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2] فهذه الآيات وغيرها تدل على أن الله يبين للخلق غاية البيان الطريق التي توصلهم إليه وأعظم ما يحتاج الخلق إلى بيانه ما يتعلق بأسماء الله وصفاته حتى يعبدوا الله على بصيرة لأن عبادة من لم نعلم صفاته أو من ليس له صفة أمر لا يتحقق أبدا فلابد أن تعلم من صفات المعبود ما تجعلك تلتجئ إليه وتعبده حقا [3] ،عندما نتحدث عن الذات الإلهية فإنما نتحدث فيه عن ذات متصفة بصفات مسماة بأسماء [4]، و ميزان السير إلى الله هو الوصول إلى مقام الإحسان الذي ورد في الحديث الصحيح " أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك " وهو الذي يعبر عنه بمقامي المشاهدة والمراقبة فالمراقبة : أن تستشعر أن الله يراك ، والمشاهدة أن تعبده كأنك تراه [5].

إنه لعلامة على حياة القلب أن يستشعر صفات الله فيحس أن الله يراه ويسمعه وذلك مقام المراقبة ، وإنه لعلامة على شفافية القلب أن يخرق نور البصيرة هذه الأكوان ثم إذا هي تحس وكأنها تشاهد الله عز وجل ، ولا وصول لهذين المقامين والقلب مريض فأمراض

[1] سورة النساء الآية ٢٦.

[2] سورة النحل الآية ٨٩.

[3] محمد بن صالح العثيمين سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل القول المفيد على كتاب التوحيد ، د خالد بن علي بن محمد المشيقح ، ج١، دار العاصمة ، ص ١٦.

[4] سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس مصدر سابق ص٣٤٠.

[5] المصدر نفسه ص٣٢٥ .

القلب تحجب الأنوار وما لم يستنر القلب لا يستشعر ، كما أنه لا وصول إلا بكثرة ذكر وتأمل فالذكر والفكر هما طريقا الوصول إلى المراقبة والمشاهدة [1].

اسم الله أفضل العبادات لأن الله تعالى جعل لسائر العبادات مقدارا ووقتا وزمانا ولا يجعل لذكر هذا الاسم مقدارا ولا قتا ولا زمانا وحض على الإكثار من ذكره فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [2] وقال: { والذاكرين } وقوله تعالى : قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[3]، وقال رسول الله ﷺ { الذاكرون الله كثيرا والذاكرات هم السابقون والفائزون } [4].

واعلم أن هذا الاسم قد تقدم الكلام عليه أولا في قسمه بنور ما سمع عن علمه وما فتح الله به من إلهامه وفهمه وإنما الحكمة في تذكار ذكره والحث على كثرة الذكر به دون غيره وذلك لمحبة الله له وتعظيمه عنده وعلو مقداره وتخصيص فضله وإظهار شرفه على سائر أذكاره لينفع التفكر في معاني أسراره التي تشرق على القلوب والأبدان شموس أنواره وترسخ معرفة ذاكره ويشتد له حبه وتكمل خصوصيته ويزداد به قربه ، فإن من علامة محبة المحبوب ، كثرة ذكره ومن علامة المزيد كثرة شكره ، ومن علامة التوفيق اجتناب نهيه وامتثال أمره ، ومن علامة الرضى الاستعمال في الأوقات الفاضلة بصالحات بره وغلبة خيره على شره .

وفي ذلك قال الشاعر :

كرر على الذكر من أسمـــــائه واجلوا القلوب بنوره وســـــــــنانه

---

[1] المصدر نفسه ، ص ٣٥٢.

[2] سورة الأحزاب الآية ٤١.

[3] سورة الأنفال الآية ٤٥.

[4] اسم الله الأعظم ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، تحق أحمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبة ، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة النافذة ، مصر، ص ٧٤.

ودر الكؤوس على النفوس فإنها تصبوا على المشروب من صيهابـــــه[1].

اسم به الكون استفاد ضيـــاءه في أرضه وفضائه وسمـــــــــــــائه

حارت عقول القوم عند صفاته نادت قلوب الخلق عند ضـــــــيائه

وإذا تجلى للقلوب جلالـــــــه شعرن بسر سنانه وبقـــــــــــائه

قرت قلوب المتقين بقـــــربه وعلت على عليائه وعلاتـــــــه

عز اسمه للعارفين مكـــــــررا معروفة المعروفة من آلائـــــــــــه

فذكر هذا الاسم أفضل من جميع العبادات وأقرب للمناجاة لا للصلاة ولا غيرها من أنواع الطاعات وقد ورد في الحديث عن الله عز وجل أنه قال :{ أنا جليس من ذكرني } وقال : { أنا عند ظن عبدي بي إن ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني وحده ذكرته وحدي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه : **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾[2]، ودليل تفضيله على الصلاة من نفس الآية **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [3] وإنها كذلك وهي معظم الذكر ولكن ذكر الله أكبر منها ومن كل عبادة[4] ولذكر الله أكبر ، ومن ذكره باسمه المفرد { الله } ودعاه بإخلاص أجابه ، قال الله تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [5] ، ومن ذكره بالشكر ذكره

[1] المصدر نفسه ص٧٥.

[2] سورة البقرة الآية ١٥٢.

[3] سورة العنكبوت الآية ٤٥.

[4] اسم الله الأعظم ابن عطاء الله السكندري مصدر سابق ص٧٩.

[5] سورة البقرة الآية ١٨٦.

بالمزيد وما من عبد ذكره بذكر إلا ذكره بما يقابله عوضا له ، فإن ذكره العرف بمعرفته ذكره بكشف الحجاب لمشاهدته ، وإن ذكره المؤمن بإيمانه ذكره برحمته ورضوانه ، وإن ذكره التائب بتوبته ذكره بقبولها ومغفرته ، وإن ذكره العاصي باعتراف زلته ذكره بستره وأناته وإن ذكره الفاجر بفجوره وغفلته ذكره بعذابه ولعنته ، وإن ذكره الكافر بكفره وجرأته ذكره بعذابه وعقوبته ومن هلله أجله ومن سبحه أصلحه ومن حمده أيده ومن استغفر غفر له ومن رجع إليه أقبل عليه فإن أحوال العبد كلها أربعة أحوال : أن يكون في طاعة فيذكره برؤية المنة في توفيقه لها ص ٨٠، ومنها أن يكون في معصية فيذكره بالستر والتوبة ، ومنا أن يكون في نعمة فيذكره بالشكر ، ومنا أن يكون في شدة فيذكره بالصبر .

وفي ذكر الله تعالى خمس خصال : رضى الله تعالى ، ورقة القلب وزيادة الخير ، وحرز من الشيطان ، ومنع من ركوب المعاصي ، فما ذكره الذاكرون إلا بعلمه لهم ، وما أطاعه المطيعون إلا بتوفيقه لهم ، وما أحبه المحبون إلا بتخصيص محبته لهم وما خالفه المخالفون إلا بخذلان لهم [1]، وللذكر ثلاث مقامات : ذكر باللسان وهو ذكر عامة الخلق ، وذكر بالروح وهو لخاصة الخاصة وهو ذكر العارفين بفنائهم عن ذكرهم وشهودهم على ذاكرهم ومنته عليهم ، والذاكر لهذا الاسم المفرد حالات : حالة الوله والفناء وحالة الحياة والبقاء وحالة النعم والرضا ، فأما الحالة الأولى من الوله والفناء وهو الذي يقتصر على ذكره ولا خاصة في بدايته دون غيره من الأسماء ويجعله نجيا ويحقق ذكر الهاء فيه حين يذكره ومن داوم على ذلك محي ظاهره وأمحق باطنه فكان في ظاهره كالمجنون والموله أسحق عقله عنه لا يقبل أحد ويفر الخلق منه ولا يسكن إليه لأجل ثبوت الوله الذي كسى ظاهره وسر الاسم الذي هو ذاكره [2].

[1] اسم الله الأعظم ابن عطاء الله السكندري مصدر سابق ص ٨١.

[2] المصدر نفسه ص٨٣.

ولأبي مسلم في فن التائيات باع لا يطاول، ونفس لا يبارى، فقد ساق تائيته في الذكر وفي الأسماء الإلهية في خمسمائة وسبعة وتسعين بيتا بعد الألف ولا نعرف في فن التائيات الصوفية نصا بلغ هذا العدد، فلابن الفارض تائيتان تعرف إحداهما بالكبرى، وتعرف الأخرى بالصغرى، وهما في مجموع أبياتهما دون تائية أبي مسلم بكثير، وتطلعنا الدراسة الصوفية على ما وضع البهلاني في شعره من شروط للذكر بوصفه عمدة الطريق عنده وعند الصوفية، وقد بين هذه الشروط الستة المتمثلة في: طهارة القلب، والتفرد في الخلاء، والوضوء، والإخلاص، واستقبال البيت، وصوم يوم الخميس، وذلك في لاميته وهي من الذكر الثالث الموسوم بعنوان: المعرج الأسنى، ومن ذلك قوله:

على المعرج الأسنى من الذكر عولا فإشراق شمس السر في تهـــللا

وما هو إلاَّ ذكر أسماء ربنا تعالى ولكن كن عل الأولا

فأوله التطهير للقلب من أذى المعاصي وثانيه التفرد في الخلا

وثالثه الإخلاص لله وحده وهذا ملاك الأمر فالزمه مقبلا

ورابعه استقبالك البيت في الدعا وخامسه كون الوضوء مكملا

وسادسه صوم الخميس محبب وفي سحر الزهراء للذكر فاعملا[1]

وقد احتج الصوفية للذكر وآدابه بنقول من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعدوه ركنا من أركان السلوك في الطريق، وهو عندهم كما بين القشيري في الرسالة على ضربين: ذكر اللسان، وذكر القلب؛ وبذكر اللسان يصل العبد إلى ذكر القلب إذ التأثير له، والذاكر بلسانه وقلبه هو الكامل في وصفه في حال سلوكه.

[1] عاطف جودة جاد نصر الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية وآدابها آداب السلوك الصوفي في خطاب أبي مسلم الشعري. كلية الآداب جامعة عين شمس/ مصر.

ومن خصائصه: أَنَّه غير مؤقت، إذ الإنسان مأمور بذكر الله، لذلك يبدو الذكر القلبي مستداما في عموم الحالات. وقد أشار الامام الغزالي في "منهاج العارفين" إلى آداب الذكر الماثلة في استشعار حياء العبودية وهيبة الربوبية، وإزالة حجاب الغفلة. فقد ذكرنا الله مع غنائه عنا، ونحن نذكره مفتقرين إليه وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾[1] ، وتتنزل السكينة على الذاكر، وإليها الإشارة في قوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أما الخوف الناشئ عن الذكر فغالب على العُبّاد لشعورهم بالتقصير، وهو للمبتدئين في الطريق وإليهم الإشارة في قوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[2]

ويضيف الصوفية إلى أحوال الذكر ودرجاته ما يومئ إلى درجة منه تفنى بموجبها الهمة عن الذكر، ويقوم مذهب البهلاني على الذكر بالأسماء الحسنى على حد ما بين ذلك في تائيته التي سبق أن أشرنا إليها، وفي قصيدته اللامية من الخفيف والعروض والضرب الصحيحين الموسومة "بالناموس الأسني في أسماء الله الحسنى" .

وديوان البهلاني كله موقوف على الذكر بمعناه الصوفي، وقد نظم الذكر بالأسماء إلهية، وكشف عما ينقدح للذاكر من مواجيد وأذواق وعلوم وأسرار وأحوال ومقامات في قصائده وسموطه، وضم إلى ذلك قصائد في المناجاة والابتهال والضراعة والدعاء.

ويحار المرء في التمثيل بأبيات من تائيته المطولة، لتنوع معانيها وكثرة لطائفها، ودقة مبانيها، وعمق أغوارها الصوفية، غير أن هذه الحيرة لا تحول دون التمثيل بمتفرقات من تائيته توخينا فيها آيتي سورة الحشر من قوله تعالى قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ

[1] سورة العنكبوت الآية ٤٥.

[2] سورة الرعد الآية ٢٨.

ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ [1]، فمن ذلك اسمه تعالى "الملك"، أداره البهلاني على أحد عشر بيتا (١٥٥ . ١٦٥) ترسم فيها تكرار تركيب مؤلف من وصف المجرور بالحرف من نحو، إلى الملك الأعلى، إلى الملك الغلاب، إلى الملك القهار. وفي الأبيات إشارتان من إشارات الصوفية، إشارة إلى ما تعارفوا على تسميته: "بعالم الميثاق أو عالم الذر" وإشارة إلى مقام تمحيص المحبة. وذلك قوله:

إلى الملك الأعلى الذي أنا مؤمن بتوحيده في عالمية ذرتي

إلى الملك الأعلى الذي أنا مخلص له الدين حبا لا لنار وجنة

والذكر باسم الله (القدوس) مداره عند البهلاني وعند الصوفية على التنزيه عن شوائب النقص في حق الذات الإلهيَّة، وذلك لاستيفائها الكمال المطلق، فهو تقديس عن العلة والمعلولية وهو تقديس لا تحصره النسب، وتنزيه عن أن يحيط العقل بواهبه ومفيضه، وعن الأمثال، والأضداد، والشركاء، والانفصال، والاتصال، والاتحاد، من غير قول بالتعطيل، ويختم البهلاني تقديساته بأن يكون لحقيقته وهمته ومقاماته ومشاهده ويقينه وصفاته نصيب من هذا الاسم الإلهي، إذ مدار الأمر على التخلق بالأسماء الإلهيَّة، ومن ضراعاته ودعائه الذي يلتمس فيه التخلق بهذا الاسم قوله:

بسر اسمك القدّوس قدّس حقيقتي وحقق بتقديسات وجهك هِمّتي

وقدس مقاماتي وقدس مشاهدي وقدَس يقيني فيك من كل شبهة

وقدّس صفاتي كي تليق نزاهتي بتسبيح تقديسات نور الألوهة

ومآل اسمه تعالى السلام إلى عدة معان ذكرها أبو مسلم منها معنى التقديس والتنزيه من العيوب والسلامة من عوارض النقص وآفاته، وتسليمه الخليقة موجوديتها، وتسليمه إياها

[1] سورة الحشر الآيتان ٢٣-٢٤.

من الشر المطلق غير شر تضمن خيرا خفيا. أما اسمه تعالى المؤمن فتشع دلالته بالأمان من المكر والاستدراج والإملاء، ومن غوايات النفس ووساوس الشيطان واتباع الهوى ، وعلى هذا الحذو من النظم يذكر ويدعو بالمهيمن، والعزيز، والجبار، والمتكبر، وبسائر الأسماء الحسنى[1].

إن الذكر بالأسماء الحسنى عند أبي مسلم الشاعر الصوفي والعالم الرباني الإباضي يفضي بنا إلى مسألتين تتعلقان بالتصوف، الأولى: تمييز الصوفية في الأسماء الإلهيَّة بين أسماء الجلال وأسماء الجمال، والثانية معرفة مراتب الأسماء الحسنى من العالم. ويقرر الصوفية فيما يتعلق بالمسألتين أن من عرف حقائق الأسماء فقد أعطي مفاتيح العلوم. ومذهبهم في الأسماء الإلهيَّة أن أسماء الجمال كالرحمن والرحيم والسلام والباسط والغفور تنتج الأنس، وأن أسماء الجلال كالجبار والمنتقم والمتكبر والمذل تنتج الهيبة، وحقيقة الأمر أن الجلال والجمال وصفان لله، أما الانس والهيبة فوصفان للإنسان، فالجلال للقهر، والجمال للرحمة. هذا هو المذهب العام عند الصوفية المسلمين، وقد نبه إليه ابن عربي في كتاب الجلال والجمال من مجموع رسائله، ونقل هذا المذهب منبها إلى أن الجلال لله معنى يرجع منه إليه، والجمال معنى يرجع منه إلينا، ولهذا الجمال عند الصوفي المحقق أمران هما: الهيبة والأنس، كما أن له علوا يسمى جلال الجمال، وهو الذي يقارنه منّا الانس، وله دنو تقارنه منا الهيبة، لنكون على الاعتدال، والجمال مباسطة الحق لنا، والجمال عزته عنا، فنقابل بسطه في جماله بالهيبة، وذلك لتجنب الوقوع في سوء الأدب عند المباسطة، وأما معرفة مراتب الأسماء الحسنى فتؤول إلى أنها هي المفاتح ولابن عربي في هذا السياق طرح لم يسبق إليه إدارة على ربوبية الأسماء وما تحت حكمها من الحقائق، وعلى مانعته

[1] ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحي المنعقدة خلال الفترة من ٣ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٦ يناير ٢٠٠٣م حتى ٥ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٨ يناير ٢٠٠٣مسلطنة عمان – وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

بأمَّهات الأسماء وبناتها، أما أمَّهات الأسماء فهي الحي، والعالم، والمريد، والقادر، والقائل، والجواد، والمقسط، وهي بنات اسمين هما المدبر، والمفصل.

فالحي رب الأرباب والمربوبين، وهو الإمام، ويليه في الرتبة العالم، ويلي العالم المريد، ويلي المريد القائل، ويلي القائل القادر، ويلي القادر الجواد، وآخرهم المقسط فإنه رب المراتب وهي آخر منازل الوجود، ويضيف العرفان الصوفي إلى ما سبق بيانه أمرين، الأَوَّل: أن الأسماء الإلهيَّة تطلب متعلقاتها ليكون لهذه الأسماء تأثيراتها، والثاني: أن كل اسم إلهي يتضمن الأسماء كلها، ويحتوي عليها مع وجود اللطيفة التي يقع بها التمييز.

ويصور ابن عربي هذه الحضرات الأسمائية في عرض بديع في نهاية الباب الرابع من المجلد الأوّل من الفتوحات بقوله: "فلما لجأت الأسماء كلها إلى هؤلاء الأئمة ولجأت الأئمَّة إلى اسم الله، لجأ باسم الله إلى الذات من حيث غناها عن الأسماء... فأنعم المحسان الجواد، وقال: قل للأئمة يتعلقون بإبراز العالم على حسب ما تعطيه حقائقهم، فخرج إليهم الإسم الله وأخبرهم الخبر فانقلبوا مسرعين فرحين مبتهجين[1].

نلاحظ الشيخ أبي مسلم والملقب "بسلطان المتوسلين" أبدع في ابتهالاته الشعرية وفي انتقاء الأحوال المناسبة والتضرع إلى الله بالأسماء (أسماء الله) وجعلها عمدة لتوسلاته وأذكاره ولا يخفى على القارئ الكريم المنهج القويم الذي اتبعه الشيخ الأكبر ابن عربي في استخدامه للأسماء الحسنى ومدى تفاعله معها في حياته الروحية ومن يرجع لمؤلفاته سيجد كلام من العجب يريح القلب ويسحر اللب ، ويمكن القول بأن ابن عربي بلغ درجة متقدمة في الاتجاه الروحي لم يبلغها أحد قبله ، وذلك ما حير المحللون في تفسير

[1] ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحيالمنعقدة خلال الفترة من ٣ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٦ يناير ٢٠٠٣م حتى ٥ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٨ يناير ٢٠٠٣مسلطنة عمان – وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

تلك الظاهرة الفريدة التي غلبت على اتجاه ابن عربي وأغرقته حتى وصفه ابن رشد حين قابله –وكان بلغ الثالثة عشرة –أن معرفته بلغت سلوكه[1].

ويتحدث أبو يزيد عن الكرامات من حيث تصدر من أسماء الله الحسنى فيقول :حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء الأول الآخر الظاهر الباطن وكل فريق له منها اسم فمن عنها رصد ملابستها فهو الكامل التام

فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته

وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في السرائر

وأصحاب اسمه الأول شغلهم بما سبق

وأصحاب اسمه الآخر متربصون بما يستقبلهم

فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره[2].

ويتحدث أبو يزيد عن الكرامات من حيث تصدر من أسماء الله الحسنى فيقول :حظوظ كرامات الأولياء على اختلافها تكون من أربعة أسماء الأول الآخر الظاهر الباطن وكل فريق له منها اسم فمن عنها رصد ملابستها فهو الكامل التام

فأصحاب اسمه الظاهر يلاحظون عجائب قدرته

وأصحاب اسمه الباطن يلاحظون ما يجري في السرائر

وأصحاب اسمه الأول شغلهم بما سبق

وأصحاب اسمه الآخر متربصون بما يستقبلهم

[1] محمد إبراهيم الفيومي ، ابن عربي صاحب الفتوحات المكية مصدر سابق ص ٥٢.

[2] سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي مصدر سابق ص١٦٥

فكل يكاشف على قدر طاقته إلا من تولى الحق تعالى تدبيره[1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1] سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي مصدر سابق ص١٦٥ .

المبحث الثاني : تطابق محاور التجربة الروحية عند أهل السنة والإباضية

المطلب الأول : محبة الله وتعظيمه

المحبة هي ذلك الشعور الصادق الذي منبعه القلب و قد تعبر عنه الكلمات وتخطه السطور نثرا وشعرا لكن ليس ثمة شيء يمثله كالفعل والسلوك ، فالمحبة محور تدور في أفلاكه أشياء كثيره جميلة كالوفاء والإخلاص والرعاية والاهتمام والصدق والإعانة والمواساة والمؤازرة والتعاون ، كما أن المحبة أنواع ومراتب ، فتأتي في المرتبة الأولى محبة العبد لله تعالى حتى يحبه الله عز وجل ، ثم محبة النبي صلى الله عليه وسلم وهي المرتبطة أشد الارتباط بحب الله قال الله تعالى قَالَ تَعَالَى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾[1]

ومما لا شك فيه أن روابط المحبة تتقوى بالإيمان ، والآية فيها وجوب محبة الله، وعلاماتها، ونتيجتها، وثمراتها فقال﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ يعني أن من ادعى لنفسه وصول هذه المرتبة العالية، والرتبة التي ليس فوقها رتبة فلا يكفي فيها مجرد الدعوى أو القول ، بل لابد من الصدق فيها، وعلامة الصدق اتباع رسوله ﷺ في جميع أحواله، في أقواله وأفعاله، في أصول الدين وفروعه، في الظاهر والباطن، فمن اتبع الرسول ﷺ دل على صدق دعواه محبة الله تعالى، وأحبه الله وغفر له ذنبه، ورحمه وسدده في جميع حركاته وسكناته، ومن لم يتبع الرسول ﷺ فليس محبا لله تعالى، لأن محبته لله توجب له اتباع رسولهﷺ ، فما لم يوجد ذلك دل على عدمها وأنه كاذب إن ادعاها، مع أنها على تقدير وجودها غير نافعة بدون شرطها، وبهذه الآية يوزن جميع الخلق، فعلى حسب حظهم من اتباع الرسول ﷺ يكون إيمانهم وحبهم لله، وما نقص من ذلك نقص.

إن أعظم مطلب في الإسلام أن تكون حبيبا لله تعالى وأن تكون قريبا من الله عز وجل وأن تكون من أحبابه ومن أوليائه ، أما عوامل محبة الله فهي تحصل بأمور من أعظمها

[1] سورة آل عمران الآية ٣١.

نفعا وأجلها فائدة وقربى وزلفى من الله عز وجل هو القرآن الكريم ، لأنه دستور الحياة وهو الكتاب العظيم الذي وصى به ﷺ فلا نجاح للأمة ولا فلاح إلا بتلاوته وتدبره والعمل به ، ومن العوامل التي تقرب العبد من الله سبحانه وتعالى هو تلاوة القرآن والعيش في ظلال القرآن و تدبر القرآن وتكرار القرآن والعمل بالقرآن لأنه حبل الوصال بين العبد وربه ، ثم التجرد عن الدنيا و الزهد فيها قال ﷺ : ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس فمن أجل ما يقرب العبد من ربه أن يخرج حب الدنيا من قلبه فإذا خرج حب الدنيا من قلبه وأسكن حب الله في قلبه أحبه الله وحب الله لا ينال إلا أن تكون عبد لله والعبودية معناها الخضوع والذل والاستسلام لله سبحانه وتعالى وميزة السلف الصالح أنهم تجردوا من حب الدنيا فكانت الدنيا في أيديهم ولم تكن في قلوبهم ولذلك أحبهم الله سبحانه وتعالى .

إن المحبة بصفة عامة هي منبع نجاح كل العلاقات ومحبة الله سبحانه وتعالى هي قوام وأساس علاقة العبد مع ربه وهي المفتاح لأداء العبادات وعلاقة العبد مع أخيه ومجتمعه وعلاقته كذلك بالكون المحيط به والمسخر له، لذلك وجب على المسلم المؤمن الذي يسعى لنيل رضا الله تعالى أن يكون قلبه مشغولا بمحبة الله عز وجل أولا ثم محبة الرسول ﷺ ، وجدير بالمؤمن أن يحب الله سبحانه وتعالى محبه تفوق محبه كل شيء وجدير به أن يحب رسول الله ﷺ محبه تفوق حبه لنفسه ولجميع الناس وذلك لأن الحب ينشأ غالبًا عن أمرين اثنين: فإما أن يحب الإنسان غيره لاعتقاده عظمة ذلك المحبوب، وتفوقه عليه وإما أن يحبه لبسط يده إليه بالإحسان وعلى كلا الأمرين فإن الله سبحانه وتعالى هو أحق بأن يحب أكثر من كل شيء ذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي سخر هذا الوجود بأسره من أجل الإنسان ، فخلقه هذا الكون دليل عظمته فهو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، هو الذي لا يخفي عليه شيء في الارض ولا في السماء ، هو خالق هذا الوجود هو الذي سخر كل ذرة من

ذراته فلا تخرج عن أمره هو الذي يحيط بهذا الوجود علمًا وحكمًا وهو القاهر من كل ما عداه ، فهو سبحانه وتعالى لا يكتنف عظمته، ولا يحاط بقدرته وبجانب ذلك سخر هذا الوجود لمصلحة الإنسان فمن أحق منه بالمحبة .

واذا كان من شان الانسان المحب أن يسارع في هوي محبوبه حتي يذوب هواه في هواه فان الانسان الذي يحب الله ورسوله لا بد من ان يترجم هذا الحب بطاعة الله وطاعه رسوله صلي الله عليه وسلم ولا بد من ان يتفاعل هذا الانسان مع كل امر من الله تعالي او من رسوله صلي الله عليه وسلم ولذلك يقول الحق سبحانه ((وما كان لمومن ولا مؤمنه اذا قضي الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)) ويقول تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]ولا شك أن المسلم و المؤمن الحقيقي هو الذي يحب الله ويحب رسوله ﷺ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[2] .

ومحبة الله تعالى لا تنزل إلا في القلب السليم الخالي من العلائق وحب الدنيا والميل إلى شهواتها . ولو استطردنا في ذكر لفظة" الحب " أو " المحبة " واستعمالها في التصوف الإسلامي لرأينا أن رابعة العدوية كانت صاحبة الفضل على من جاء بعدها من صوفية المسلمين الذين اصطنعوا لفظة "الحب"

في غير ما تردد أو إبهام ولو نظرنا فضلا عن هذا إلى أقوال بعض الصوفية الذين عاصروا رابعة لتبين مقدار الأثر الذي تركته هذه المرأة في الحياة الروحية الإسلامية [3].

[1] سورة النساء الآية ٦٥.

[2] سورة آل عمران الآية ٣١.

[3] ابن الفارض والحب الإلهي مصدر سابق ص ١٤.

وفي القرن الثاني الهجري تتأكد فكرة حب الله من خلال شخصية التفت حولها القلوب والعقول هي شخصية رابعة العدوية التي ظهرت في البصرة داعية بدعوة جديدة هي دعوة التقرب إلى الله عن طريق حبه وهي تنادي بهذا الحب لأنها ترى أن الله أهل لأن يحب أولا لأنه مصدر النعم التي لا تنقطع[1]

يعرف بعض العشاق من الصوفية المحبة بأنها : الميل الدائم بالقلب الهائم وإيثار المحبوب على جميع المصحوب وموافقة الحبيب في المشهد والمغيب ، ومحو الحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته ، وأول منزل يطؤه المحب للترقي منه إلى العلا " النفس فإذا اشتغل بسياستها ورياضتها إلى أن انتهى إلى معرفتها وتحققها أشرقت عليه أنوار المنزل الثاني وهو القلب فإذا اشتغل بسياسته .

غزل الصوفية الذين اتخذوا من الشعر أداة يستعينوا بها على بث حبهم للذات الإلهية ووصف أحوالهم ومقاماتهم في طريق هذا الحب وزعيمهم عمر بن الفارض الذي يعد شعره في الحب الإلهي أرقى وأسمى ما وصل إليه الغزل الصوفي العربي من دقة الوصف ورقة الشعور وخفة الروح [2].

من خلال تاريخ التصوف الإسلامي يظهر أن الحياة الروحية في الإسلام كانت في أول عهدها بالظهور عبارة عن هذا الزهد الذي أخذ يقوى ويشتد سلطانه على نفس الزهاد والعباد [3].

الله عزو جل الذي لا إله إلا هو خالق كل شيء، هو المعبود والمحبوب وأول مطلوب هو المعرفة بالله التي من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير وتربي ملكة المراقبة وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها

[1] الحب الإلهي ابن الفارض، مصدر سابق ص ١٤ .

[2] المصدر نفسه ص ١٣٩.

[3] المصدر نفسه ص ١٣٩.

.[1] قال ابن القيم :" الله هو الإله الحق ومعبودهم الذي لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره ، فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه في ربوبيته ولا في ملكه لهم أحد فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغي أن يجعلوا معه شريكا في إلهيته كما لا شريك معه في ربوبيته وملكه [2].

ويقول النبي ﷺ ، في حديث أخرجه أيضا الشيخان من طريق انس رضي الله عنه ، أن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام قال : [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار] ، النبي صلي عليه وسلم ذكر في هذا الحديث علامات كون المسلم وصل إلى مرتبه الإيمان كون الإنسان رقى إلى ذروة الإيمان

هذه العلامات أولها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وذلك بأن يستولي حب على نفسه ، استيلاء تاما وأن يستولي بعده حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسه استيلاء تاما فلا يزاحم هذين الحبين حب آخر ولو كان المحبون الآخر أقرب قريب فإن النبي صلى الله عليه وسلم يقول أيضا ، لا يؤمن أحدكم حتي أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين ، وفي رواية أخري والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده ، هذا الحب لله سبحانه وتعالي ولرسوله صلى الله عليه وسلم لا يعني به الحب العاطفي الذي لا يلبث إذ يثور حتي يفور انما هو حب عقيده مكتبه راسخه في النفس مسوليه علي جميع شعابها إذ لو كان هذا الحب حب عاطفي لا يمكن أن يحب الانسان ربه سبحانه وان يحي نبيه صلي الله عليه وسلم وهو بجانب ذلك يمنع عن السلوك الذي يودي الي ثواب الله سبحانه الذي يحسد

[1] العقائد الإسلامية سيد سابق .مصدر سابق ، ص ١١.

[2] عمر سليمان الأشقر شرح ابن القسم لأسماء الله الحسنى ، ط١١٤٨٢هـ-٢٠٠٨، دار النفائس _عمان –الأردن.

طاعه هذا الانسان لربه وطاعته لرسوله عليه الصلاة والسلام ولكن هذا الحب ليس حبا عاطفيا وانما هو حب عقيده [1]

(الله عز وجل هو أولى بالمحبة من كل أحد ،و النبي صلي الله عليه هو أولى بالحب من جميع، الناس) ، ولا ريب أن العاقل يدرك من أول وهله أن الله سبحانه وتعالى هو أولى بالمحبة من كل أحد وأن النبي صلى الله عليه وسلم هو أولى بالحب من جميع الناس فإن الحب منشأه أمران أما أن يحب أحد غيره من أجل تعظيمه أي عظمه ، ذلك المحبون بحيث يرى فيه صفات العظمة، وتستهويه هذه الصفات وتشد انتباهه إليه وتحوز على إعجاب نفسه به ، وأما ان يكون منشأ هذا الحب اكرام المحبون لمن أحبه بحيث يسدي إليه معروفا ويصنع في حقه جميلا [2] فيستهويه ذلك ويستولي على عواطفه وعلى أحاسيسه فيدفعه ذلك إلى أن يحبه هذا الحب إن كان ناشئا عن اي سبب من السببين فالله سبحانه وتعالى أولى به ومن ثم ، من بعده الرسول صلى الله عليه وسلم أولى به من سائر الناس[3].

كذلك لو جئنا الي ناحيه الكرم فان كرم الانسان كرم نسبي محدود جدا وكرم الله تبارك وتعالي كرم لا حدود له فالكون كله هبه من الله تبارك وتعالى لمخلوقاته سخر لهم هذا الكون الواسع الأرجاء المترامي الأطراف ورتبه هذا الترتيب ونسقه هذا التنسيق ، والجانب النفع للمحب من قبل محبوبه ثم أن جئنا أيضا إلى الجانب الآخر هو جانب النفع لهذا المحب من قبل محبوبه ، فإن الله تبارك وتعالى وحده ، هو الذي سخر للناس ما ينفعهم يعني ذلك عندما يذكر الله تبارك وتعالى صفاته لهم ، ويذكرها بطريقه التشويق إلى عبادته والترغيب في هذه العبادة بسبب آلائه الواسعة التي لا يمكن ان تحيط بها عقول

[1] تفريغ محاضرة أحمد بن حمد الخليلي

[2] تفريغ محاضرة للشيخ أحمد بن حمد الخليلي عن المحبة .

[3] محاضرة الشيخ أحمد الخليلي المرجع نفسه .

البشر ، فالله تعالى يعرفنا نفسه بقوله (الله الذي خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر كلم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) وعندما يأمرنا الله بعبادته يذكرنا ايضا بهذه النعم العظيمة اذ يقول (يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون) ويقول الحق سبحانه وتعالي عندما يقيم علينا الحجه بانه اله واحد وينعي علي المشركين الذين اتخذوا الهه اخري من دون الله، والتعظيم يأتي بمعنى الإجلال والتكبير ويأتي بمعنى التفخيم والتبجيل ولتعظيم مقام الله لا بد من معرفة الله وأصل الدين معرفة الله يقول الشيخ نور الدين السالمي :

معرفة الباري من العقول فكيف بالسماع و النقول

ولا يجوز جهلها لجاهل طرفة عين عند ذي الدلائل[1].

إن التعظيم القلبي لأسماء الله يجعلنا نشعر بالافتقار والله عظيم لا يحتاج منا إلى تعظيم وإجلال ، فهو العظيم سبحانه عظمة مطلقة ولكننا نحن المحتاجون المفتقرون نحن الضعفاء المقصرون والاحتياج لله ،وحده حبا ورجاء وخوفا وبهذا الاستشعار نبصر طريق الإخلاص القلبي لله في عبادته وحده تقربا ودعاء وطاعة ،[2]والتركيز على تعظيم مقام الله الخالق من خلال كتاب الله والخالق الكريم عندما يتحدث عن نفسه فإنه يتحدث لكي

[1] التحرك بالقرآن مناجاة الرحمن ، قصص وعبر ، ت:أحمد بن حمد الخليلي ، إ: رقية بنت عبد الله بن سعيد الصقرية مكتبة الضامري _ السيب – سلطنة عمان _ ٢٠١٦م. ص ٢٥

[2] التحرك بالقرآن مناجاة الرحمن ، قصص وعبر ، ت:أحمد بن حمد الخليلي ، إ: رقية بنت عبد الله بن سعيد الصقرية مكتبة الضامري _ السيب – سلطنة عمان _ ٢٠١٦م. ص ٢٦.

يصل إلى قلبك وفي تعظيم مقام الله آيات كثيرة فلو تدبرنا القرآن حق التدبر لوجدنا أن القرآن كله في الحديث عن الله تعالى وعن أسمائه وصفاته وقدرته وعظمه[١].

وهذا نجده جليل في قصص القرآن ففي أو وصايا لقمان الحكيم لابنه بدأ بتعظيم مقام الله قبل جميع الطاعات فإذا ما نشأ في النفس تعظيم مقام الله ووقر فيها تأتي الطاعات طوعا وحبا وتقديرا لجلال الله تعالى ويقول الله تعالى على لسان لقمان الحكيم لقمان ١٦ .لقمان ١٧، عندما تعظم مقام الله فإنك بلا شك ستلحقها بالطاعات من العبادات من صلاة وأمر بمعروف ونهي عن منكر[٢].

عندما نستشعر أن الله هو الصمد السيد الذي له مطلق المجد السيد الذي دان له السؤدد عندها سيعظم الله في قلوبنا ، عندما ندرك أن الله هو الأحد الواحد في صفاته الواحد في أفعاله الواحد في ملكوته هو وحده الذي بيده الكمال المطلق[٣]، وإن تعظيم الله يؤدي إلى حبه ، ومما أثار انتباهي في تمكن الحب الإلهي في نفوس المحبتين من أولياء الله الصالحين ما سطرته قريحة شاعر العلماء وعالم الشعراء أبو مسلم البهلاني حيث قال:

أيها العاذل ذرها تنهمي تلك أحشائي فدعها تتقد

لا تظن الحب شيئا هينا ليس في الحب قياس يطرد.

أنت خلو وأنا صب شج فإذا حدثت عني قـــل وزد

فاترك اليوم ملامي إنـــه يترك الشيء إذا لم يفـــــد [٤]

ويقول الشيخ ناصر في شرحة لهذا البيت من تائية ابن الفارض :

[١] التحرك بالقرآن مناجاة الرحمن مصدر سابق ص ٢٩.
[٢] المصدر نفسه ص ٣٣
[٣] المصدر نفسه ص ٣٤.
[٤] المصدر نفسه ،ص ٣٥ .

فَلَمْ أَرَ مثلي عاشقاً ذا صبابةٍ ولا مِثْلُها معشوقةً ذات بهجةِ

يقول الشيخ : فلم أر مثلي محتاجا قويا عظيما ذا صبابة أي صاحب محبة شديدة بالغة ، ولا مثلها أي المحبة الإلهية وجمال الحضرات الإلهية ، والأعمال الإيمانية ، وجمال الطاعة لله تعالى محبوبة ذات بهجة وسرور ، والبهجة نظارة أشجار البستان ، وشدة زهرته[1].

واعلم أن المحبة التي يحبُ المرء بها محبة الله تعالى له هي هي لا غيرها فهي تُحَبُ هي ، وهي تُطلْبُ هي وهي تحب معرفة الله تعالى ، والعلم به وهي المعبر عنها بالحضرة الإلهية ، أي معرفة الله تعالى لا غيره ، ولا لوم على شفقة حبها ، ومتى اتصفت بها النفس طلبت الزيادة أيضا من المعرفة إذا صحبتها قوة المحبة الإلهية وطلبت الإخلاص لله تعالى بالأعمال الإيمانية وأحبت الاجتهاد في تعليمها وإنما هي تطلب الزيادة فتكون هي والزيادة هي إلى ما شاء الله تعالى ولذلك صارت محبة المرء التي من محبة الله أشد كل محبة حبا لمحبة الله .[2]

المتأمل في شرح الشيخ يلتمس عمق التجربة لكل من صاحب التائية{ابن الفاض }وشارح التائية {الشيخ ناصر } وقدرة الشارح على فك شفرات التائية الصوفية البحتة والتي لا يفقهها إلا من ذاق واستغرق في المحبة الإلهية ، وفي هذا يقول د. وليد خالص {محقق الكتاب} هذا تأويل من الشيخ يدل على رسوخ قدم في علم الحقيقة وإغراقه في المحبة الإلهية.

فبهذه الأمثلة القليلة يتبين أن محور "محبة الله " مشتركة بين المذاهب والعلماء والشعراء لأن الخالق واحد والكل يتوجه إلى بالعبادة والطاعة وطمعا في رضاه ومغفرته ونيل محبته

[1] كتاب إيضاح نظم السلوك مصدر سابق ، ص ٩٣ .

[2] كتاب إيضاح نظم السلوك مصدر سابق، ص ٩٤.

ولا يزيد اختلاف الوسائل والمناهج إلا ثراء للتجربة الروحية الإسلامية انطلاقا من دستور حياة البشرية ومورد الضمآن وهو القرآن الكريم واسنة النبوية الشريفة .

فالذات الإلهية هي منبع المحبة والحب الإلهي الذي أبدع العلماء والشعراء في وصفه ودونوا توسلاتهم وابتهالاتهم وتضرعهم حبا وقربة فإن جفت أقلامهم وخوت محابرهم فلن يوفوا حق وصفه لعظمة جلاله سبحانه وتعالى .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : الإنسان

الإنسان هو الخليفة في الأرض وهو المخلوق المميز عن سائر المخلوقات وهو المكلف بحمل الأمانة ، واعلم أن في الإنسان قوى ثلاثة : قوة ناطقة ، وقوة شهوانية ، وقوة غضبية ، فينبغي لمن شرفه الله تعالى بحب العلم أن يعتني بتكميل النفس الناطقة التي فضله الله تعالى بها على سائر الحيوانات وشارك بها الملائكة فيجعلها هي المسلطة على القوتين الأخريين لتكون منزلتها في البدن بمنزلة الراكب للفرس فإن الفارس ينبغي أن يكون هو المسلط على الفرس لاستعلائه فيمضي بها أين يشاء ويعقها إذا شاء فكذلك ينبغي أن تكون القوة الناطقة هي المستعلية على باقي القوى ، تستعملها كما تحب وتكفها حين تحب ومن كان كذلك استحق أن يسمى انسانا حقيقة [1]واعلم أن الرياضة للنفس تكون بالتلطف والتنقل من حال إلى حال ولا ينبغي أن يؤخذ أولا بالعنف ولكن بالتلطف ثم يمزج الرغبة والرهبة ويعين على الرياضة صحبة الأخيار والبعد عن الأشرار ودراسة القرآن والأخبار وإجالة الفكر في الجنة والنار ومطالعة سير الحكماء والزهاد .ص٥٨.وكان الثوري يأكل ما يشتهي ثم يقوم إلى الصباح ويقول أطعم الزنجي ولده ، ومازال المحققون يلطفون بنفوسهم إلى أن ملكوها فقهروها

واعلم أنه إذا علمت منك النفس الجد جدت وإذا عرفت منك التكاسل طمعت فيك كما قال الشاعر :

ويعرف أخلاق الجواد جواده فيجهده كرا ويرهقه ذعرا [2] .

[1] جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي تحق، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول الطب الروحاني ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،مكتبة الثقافة الدينية، ص٥٧.

[2] المصدر نفسه ص٥٩.

وقال أبو يزيد : ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك[1].

فإن الناس على قسمين ، قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم قال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك قال تعالى :{ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى ، وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن هي المأوى } فالنفس تدعوا إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعو عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى والقلب بين الداعين يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة وهذا وضع المحنة والابتلاء وقد وصف الله سبحانه وتعالى النفس في القرآن بأحوالها الثلاثة المطمئنة والأمارة واللوامة[2] ، وما يعيشه الإنسان من تقلبات هذه النفس وأحوالها ويتيه بين أطماعها ويسعى لإرضائها وتحقيق رغباتها اللامتناهية حينا ويعارضها حينا آخر ، والإنسان هو المكلف بالعبادة وهو المخلوق العابد ، والنفس هي مدار المجاهدة والتربية والتزكية ، وهي التي تعتريها احوال عديدة وتتقلب بين هواها وهوى الشيطان ،و من عيوب النفس توهم النجاة فمن عيوب النفس أنه يتوهم أنه على باب نجاته يقرع الباب بقنوت الأذكار والطاعات والباب مفتوح ولكنه أغلق باب الرجوع على نفسه بكثرة المخالفات فكيف ينجوا العبد من عيوب نفسه وهو الذي أطلق لها الشهوات أم كيف ينجوا من اتباع الهوى وهو لا ينزع عن المخالفات[3] ، ومن عيوبها إذا بكت تفرجت ، ثم استروحت ومداواتها ملازمة الكمد مع البكاء حتى لا يفزع إلى الاسترواح فهو أن يبكي في الحزن ذلا ولا يبكي من الحزن تروح من بكائه ومن بكاءه في الحزن يزيده البكاء كمدا وحزنا ومن عيوبها استكشاف الضر ممن لا يملكه رجاؤه في النفع ممن لا يقدر عليه واهتمامه

[1] الطب الروحاني مصدر سابق ص٥٩.

[2] محمد سيد كيلاني ، الإمام عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم من كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ج١، مكتبة دار التراث القاهرة ، ص ٩١

[3] مجدي فتحي السيد عيوب النفس للإمام عبد الرحمن السلمي ٣٣٠هـ -٤١٦هـ، ، دار الصحابة للتراث ، ص ٦.

بالرزق وقد تكفل له الرزق ومداواته الرجوع إلى صحة الإيمان بما أخبر الله في كتابه " وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [1]وقوله تعالى: ﴿ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾: [2] ويصبح له هذا الحال إذا نظر إلى ضعف الخلق وعجزهم فيعلم أن كل من يكون محتاجا لا يقدر على قضاء حاجة غيره ومن يكون عاجزا لا يمكنه أن يصلح أسباب غيره فيسلم من هذه الخطيئة ويرجع إلى ربه بالكلية ، ومن عيوب النفس الفتور في الطاعة [3]،فإن الناس على قسمين قسم ظفرت به نفسه فملكته وأهلكته وصار طوعا لها تحت أوامرها وقسم ظفروا بنفوسهم فقهروها فصارت طوعا لهم منقادة لأوامرهم ، قال بعض العارفين : انتهى سفر الطالبين إلى الظفر بأنفسهم فمن ظفر بنفسه أفلح وأنجح ومن ظفرت به نفسه خسر وهلك قال تعالى :{ فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى }فالنفس تدعوا إلى الطغيان وإيثار الحياة الدنيا والرب يدعوا عبده إلى خوفه ونهي النفس عن الهوى والقلب بين الداعين يميل إلى هذا الداعي مرة وإلى هذا مرة وهذا موضع المحنة والابتلاء وقد وصف سبحانه وتعالى النفس في القرآن بثلاثة صفات المطمئنة والأمارة واللوامة[4].

فان شرف الانسان بتشريف الله له وتفضيله اياه علي غيره من الكائنات الموجودة في الارض وبما اودع فيه من الملكات والطاقات التي توهله للخلافة في الارض والسيادة في الكون ومن المعلوم ان تكوين الانسان تكوين عجيب فهو يجمع بين الروح والجسم والعقل والقلب والضمير والغريزة ولكل منها طبعه وخصائصه وضروراته ومطالبه فضلا

[1] سورة يونس الآية ١٠٧.

[2] سورة هود الآية ٦.

[3] مجدي فتحي السيد عيوب النفس للإمام عبد الرحمن السلمي مصدر سابق ص ٧.

[4] إغاثة اللهفان مصدر سابق ص ٩١.

عن كون افراد الجنس الانساني متشابكه مصالحهم متداخله معاملاتهم وهذا كله يستوجب ان تسيطر علي حياه النوع الانساني قوه تنظم العلاقة بين جوانب الانسان المتنوعة في نفسه والمصالح المختلفة المشتركة بين بني جنسه وليست هنالك قوه ترشح لهذه المهمة اعظم من العقيدة السماوية التي ينبثق منها المنهج السليم لسلوك الانسان في حياته[1].

والناس في العبادة منزل : غافل يعبده على العادة ، وتائب يعبده على الرهبة ، وزاهد يعبده على الرغبة وصديق يعبده على المحبة [2]

فحقيقة خلق الله تعالى للإنسان هو أن يكون خليفة عابدا لله ﷻ يستمد قوته واستقلاليته من خلال ربه الذي خلقه فسواه ولكي يحقق هذا الإنسان هدفه في هذه الحياة سخر الله له كل هذا الكون[3]قال الله تعالى ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[4] ،فالإنسان سيد الكون وفضله الله تعالى على سائر الموجودات لقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾[5].

ما الإنسان هو الخليفة في الأرض وهو الذي يسعى للارتقاء بنفسه إلى مرتبة الكمال الإنساني فلم تختلف المذاهب في كونه محور أساسي في التصوف الإسلامي فله أدوار كثيرة في قضية التصوف فهو الباحث عن التصوف كعلم وهو المنظر له وهو الذي

[1] جواهر التفسير ج١ مصدر سابق ص ٩١.

[2] منصور بن ناصر بن محمد الفارسي ت:عيون الآثار سعود بن عبد الله بن حمد بن حمود الفارسي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ط ١ ، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م سلطنة عمان ، ص ٨٦ .

[3] سيف بن سالم الهادي ، مواعظ المنابر ، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، خزائن الآثار ص ١٠٩.

[4] سورة الذاريات الآية ٥٦.

[5] سورة الإسراء الآية ٧٠.

يسعى بمجاهداته ورياضاته لتزكية نفسه وهو المريد وهو السالك وهو الواصل ، وهو الذي يعيش التجربة الروحية الإسلامية من داخلها وخارجها ظاهرها وباطنها .

الإنسان في نظر الإسلام كائن لا هو بالملاك ولا بالحيوان ، وإن كان قادرا في بعض حالات الهبوط أن يصبح أسوأ من الحيوان ، وفي بعض حالات الارتفاع أن يسمو بروحه إلى مستوى الملائكة الطهر [1].

فالناس مختلفون في أشياء كثيرة ولكن بينهم مشترك واحد هو المعبود ، ...وحينما ندخل المسجد نجد عباد الله جالسين معا ، عقول كلها مختلفة في السن والثقافة والفكر والمركز الاجتماعي ولكنها كلها منسجمة في عبادة الله: ركع معا، وتسبح معا ، وتسجد معا [2].

وتتفق كل المذاهب الإسلامية حول فكرة الإنسان الكامل والتي تنطلق من الاقتداء بخير البرية ونور البشرية وسراجها وهو النبي ﷺ الذي رسم معالم الهداية ومثلها في شخصه واهتدى بهدي الله وكان أنموذج لا يتكرر والذي أبهر الأعداء بأخلاقه العالية أخلاق القرآن وتحققت فيه نظرية الكمال الإنساني ، والتي اتخذها الصوفية والسالكين الطريق إلى الله هدفا يصبوا إليه كل من يريد الارتقاء إلى مدارج الكمال الإنساني، فنلاحظ التنوع والثراء المعرفي وتنوع المصطلحات حول هذا الإنسان حتى في التسمية فهناك من أطلق عليه اسم "الإنسان الكامل " ومنهم من سماه "الدرة البيضاء" ومنهم من سماه "الحقيقة المحمدية " ومنهم من سماه " بالنور المحمدي " ونجد هذه التسميات متداولة عند علماء الإباضية وعلماء أهل السنة .

[1] محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام ط٩، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، دار الشروق ، بيروت ، ص ٦٩.

[2] محمد متولي الشعراوي ، الله والنفس والبشرية ط١/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م الحرية للنشر –مصر ص ٢٥.

المطلب الثالث: الدنيا

إن نظرة الإسلام للحياة الدنيا نظرة فريدة؛ لأنها تخلق إنسانًا متوازنًا يُدرك أن الحياة الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، وأن الآخرة هي خير وأبقى؛ لذلك قال تعالى عن الدنيا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[1]

كما وضع القرآن الكريم المعيار الحقيقي أمام الإنسان عند تطلُّعه للدنيا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [2]

فالدنيا في المنظور الإسلامي ما هي إلاَّ مزرعة الآخرة، وهي كذلك مجرَّد طريق يعبر عليه الإنسان لوِجْهَته الحقيقيَّة، وهو ما قاله رسول الله : "كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ.

يقول المحاسبي في معنى الدنيا : الدنيا منها ظاهر وباطن ، ومنها عرض ومنها جسم ولها أول ولها آخر ولها شاهد ولها غائب : فأما الباطن منها اتباع الهوى الذي بطن في النفوس واتبعته القلوب ، مثل الكبر ، والغل ، والحسد ، والرياء ، وسوء الظن ، واعتقاد سوء الضمير والمداهنة ، وحب المحمدة ، وحب جمع المال ، والتكاثر ، والتفاخر ، وحب الشرف والظاهر منها : الدينار والدرهم ، والثوب ، والدار ، والخادم ، والمركب ، ومثل هذا وأشباهه من متاع ظاهرها الذي يشين صاحبها ، ويقطع به عن الآخرة [3] ، فما أخذت من الدنيا للدنيا فهي الدنيا المذمومة ، وما أخذت من الدنيا للآخرة فهي الدنيا المحمودة ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من طلب الدنيا حلالا مكاثرا

---

[1] سورة آل عمران الآية ١٨٥.

[2] . سورة العنكبوت الآية ٦٤.

[3] أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٣هـ، تحق عبد القادر أحمد عطا الوصايا ، النصائح ، القصد والرجوع إلى الله ، بدء من أناب إلى الله ، فهم الصلاة ، التوهم ، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ص ٢٤٨.

مفاخرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسألة ، وصيانة لنفسه ، جاء يوم القيامة كالقمر ليلة البدر "فإذا كان أخذه منها للتكاثر والتفاخر وإقامة الجاه والقدر ، والعلو والمباهاة ، وجمع الفضول لخوف الفقر ، فهي الدنيا المذمومة ، وإذا كان أخذه لها من طريق المباح فيما لا بد منه ، وفيه الفضل وصيانة الدين فهو من الدنيا ، وليس بمذموم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" حبب إلي من دنياكم ، النساء ، والطيب ، وجعلت قرة عيني الصلاة " ، فهذا مما لا يضر ، ولا ينقص من الزهد ، ولا يسمى دنيا مذمومة ، وإنما ذم الله عز وجل من الدنيا فضولها [1].

يقول العارف بالله عبد الرحمن السلمي : إياك وحب الدنيا وأقلل من مخالطة أبناء الدنيا فإنهم يحملوك على طلبها والتكثر منها والاشتغال بها عن الله تعالى ، والله تعالى قد نهاك عنها وعرفك حالها بقوله تعالى {اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد }الحديد ٢٠ وعليك بصحبة الزهاد في الدنيا ومخالطة الصالحين والراغبين في الآخرة والتاركين حظوظهم عن هذه الدنيا الفانية ، طلبا بذلك رضى الله عنك والدار الآخرة ، فإن الله تعالى أخبر عن الفريقين فقال **قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [2].

جعل عاقبة طالبي الدنيا [3] من أي وجه كان المحبين لها والراغبين فيها نار جهنم خالدين فيها وجعل عاقبة طالبي الآخرة والساعين لها سعيا مشكورا ، والسعي هو حسن الإقبال على الله والقيام بين يديه والرغبة فيما عنده فشكر الله لهم سعيهم وبلغهم أفضل

[1] أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٣هـ، تحق عبد القادر أحمد عطا ، ص٢٤٩.

[2] سورة الإسراء الآيتين ١٨،١٩.

[3] مجدي فتحي السيد عيوب النفس للإمام أبي عبد الرحمن السلمي ٣٣٠-٤١٦ ،ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م دار صحابة التراث طنطا ص ٤٦.

مطالبهم ومرادهم ، وهو مجاورته:{ إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر } .

وقلل من الدنيا ما أمكنك إلا مقدار الكفاية منها ، فإنها تشغلك عن طاعة ربك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم { يكفيك منها ما سد جوعتك ، ووارى عورتك ، وإن كان بيتا يواريك كفاك فلق الخبز وماء الجر ، وما فوق الإزار حساب عليك }[1].

قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[2] فحب الدنيا والاطمئنان ونسيان الآخرة يترتب عليه كسب يستحق به صاحبه دخول النار وبأدنى تأمل يستطيع الإنسان أن يعرف كسب أهل الدنيا الذي يستحقون به النار ، إن طالب الدنيا لا يهمه إلا قضاء شهواته ولذاته والوصول إلى أطماعه دون قيود ولا ضوابط فهو وراء المرأة والخمرة والكسب الحرام واللعب واللهو والزينة والخر والجاه وكل ما يعتبره لذيذ أو مبهجا أو نافعا أو رافعا ، وقد عرف الله عز وجل الدنيا في أكثر من مكان في كتابه ولم يحرمها كلها لأن الكثير مما يدخل في الدنيا لابد منه لإقامة الحياة البشرية ولكن الموقف من الدنيا عامة ومن كل مفرد من مفرداتها يجب أن يكون منضبطا بضوابط الشرع ومن ههنا يجب معرفة حقيقة الدنيا[3] ، والمواقف منها ومن مفرداتها قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[4]

[1] لإمام أبي عبد الرحمن السلمي عيوب النفس مصدر سابق ص٤٧ .

[2] سورة يونس الآية ٧.

[3] سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار السلام ،ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مصر مصدر سابق ، ص ٢٤٩.

[4] سورة الحديد الآية ٢٠.

{آل عمران ١٤} والإنسان بطبيعته يميل إلى الدنيا وإلى مفرداتها قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾﴾ [1]، والله عز وجل إنما طالب أن تكون الآخرة همه وأن يقف من الدنيا على حذر وألا يكون كل همه الدنيا وشهواتها وأن يضبط موقفه من كل مفرد من مفرداتها على ضوء التكليف ، ويحقق مبدأ التوازن بين أن يعيش في هذه الدنيا لأجل تحقيق الحكمة من خلقه وهي عبادة الله تعالى وأن لاتكون هي كل همه ، بل همه رضا الله في الدنيا ليحقق الفوز في الآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [2]، فالاستكبار في الأرض والفسوق عن أمر الله كل ذلك أثر من آثار كون الدنيا هي الهدف الوحيد للإنسان ولذلك كان ضبط النفس على أمر الله في شأن الدنيا ومعالجة النفس من أهم ما يطالب به الإنسان ولعل هذه النقطة بالذات من أهم الفوارق بين أهل الكفر وأهل الإيمان[3].

بيان ذم الدنيا : الآيات الواردة في ذم الدنيا وأمثلتها كثيرة وأكثر القرآن مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم إلى الآخرة بل هو مقصود الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يبعثوا إلا لذلك ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر على شاة ميتة فقال :" أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا : من هوانها ألقوها ، قال : " والذي نفسي بيده الدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء " ابن ماجة والحاكم والترمذي .

" الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر مسلم وقال أيضا :" حب الدنيا رأس كل خطيئة "ابن أبي الدنيا والبيهقي في شعب الإيمان .

---

[1] سورة الأعلى الآية ١٦،١٧.

[2] سورة الأحقاف الآية ٢٠.

[3] سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ٢٥٠.

فقال زيد بن أرقم : كنا مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا شراب فأتى بماء وعسل فلما أدناه من فيه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرون على مسألته ثم قال : ثم مسح عينيه فقالوا : يا خليفة الرسول ما أبكاك ؟ قال : كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيء ولم أر معه أحد فقلت يا رسول الله ما لذي تدفع عن نفسك ؟ قال : هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها إليك عني ثم رجعت فقالت : إنك إن أفلت مني لم يفلت من بعدك " البزار والحاكم [1].

يقول الشيخ أحمد الخليلي عن الحياة الدنيا : " على الإنسان أن يكون مستبصرا جدا في الحياة الدنيا متمسكا بتقوى الله تبارك وتعالى ، وأن لا يعبر خضمها إلا على سفينة التقوى التي تبلغه القصد ، فإنه خضم رهيب متلاطم الأمواج ن متعاظم الأعاصير فالإنسان تتنازعه في هذه الحياة الدنيا أمور شتى ، فهو واقع بين شهواته المتنوعة ونزعاته المتعددة ونزواته المختلفة ، وكل منها – والعياذ بالله –يجري إلى الردى إن لم يكن مستبصرا آخذا من تقوى الله تبارك وتعالى بالعروة الوثقى [2].

موقف الإباضية من الحياة الدنيا لا يختلف عن موقف أهل السنة ونظرتهم لها هي نظرة القرآن الكريم ، بأنها درار اختبار وأن الآخرة هي دار القرار ، وأن الدنيا هي محطة عبور لما بعد الموت والحساب .

[1] سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس مصدر سابق ص٢٥١.

[2] معالم الفكر التربوي ج٢، مصدر سابق ص ٢٠.

ويقول العلامة الشرياني[1] رحمه الله في كتابه غاد ورائح : إنما مثل الدنيا كفلاة مملوءة بالحطب والعشب يجب عليك أن تأخذ منه بقدر حاجتك وبقدر ما تستطيع حمله ، فإذا زدت زاد التعب وإن خففت خف التعب [2].

وعن خطورة التمسك بحب الدنيا والركض وراء ملذاتها يقول الشيخ جاعد :

ألا إن من سلمى السلامة تركها إلى أهلها قصدا لما هو أنفع

بلى لعب هذي وللخلب مَنْصَبٌ بها ولها وفيها إلى الجهل رتع [3]

فالشيخ الرئيس يرى أنه من السلامة في الدنيا ترك الدنيا فإنها دار الغرور وماهي إلا ملهاة للإنسان تجعله يغفل عن عبادته ويضيع دنياها في اللهو والسعي لتحقيق ملذاتها الفانية ويذهل عن آخرتها التي فيها مآله وفيها يتقرر مصيره ويكون في الجزاء فما هي إلا دار فناء .

وللشيخ أبي مسلم نظرات عميقة وتأملات مهمة ن ووقفات مركزة هادفة في الدنيا وأحوالها وطبيعتها ، أنتجت تلك الحكم والأقوال التي سارت سير الأمثال واتخذت طابع التقريرات والقوانين الحياتية ، فإن مراثيه مليئة بهذه الأقوال عن الدنيا باعتبار أن الموت

---

[1] هو الشيخ الأديب محمد بن علي بن سعيد بن علي بن خلفان بن سعيد الشرياني المولود في شهر محرم عام ١٣٤٩للهجرة الموافق ل١٩٢٩م بمحلة الخضراء من ولاية بهلا ، تعلم القرآن الكريم في الثامنة من عمره بمدرسة الخضراء مع الشيخ الفاضل سلمان بن ناصر بن سعيد الشرياني ، وفي التاسعة من عمره ختم القرآن قراءة وكتابة على أحسن حال ومما أنعم الله به عليه كان حافظا ذكيا عبقريا وفي العاشرة من عمره ابتدأ يعلم القرآن حتى سن الثالث عشر وختم على يديه العديد من الأولاد في ذلك الوقت ثم ترك تعليم القرآن وأخذ يقرأ اللغة العربية عند الشيخ / ثابت بن سرور الغلابي بجامع بهلا حتى أخذ نصيبه من اللغة العربية ثم انتقل إلى الفقه فقرأه كان قاضيا وأديبا له ديوان شعري بعنوان : مرآة الزمان في حياة قابوس وعمان ، وديوان الشرياني ، وديوان : شمس البيان في الأحكام والأديان ..توفي في الثاني من شعبان لعام ١٤١٩هـ/ الثاني من شهر ديسمبر ١٩٩٧م ، محمد بن علي بن سعيد الشرياني ، غاد ورائح في الأدب والحكم والنصائح ، ١٤١٥هـ/١٩٩٣م، ص ٦.

[2] محمد بن علي بن سعيد الشرياني ، غاد ورائح في الأدب والحكم والنصائح ، ١٤١٥هـ/١٩٩٣م، ص ٢١.

[3] نفائس العقيان مصدر سابق ص ١٥٨.

والفناء المحتم من عيوب الدنيا التي أسرت الناس وخلبت ألبابهم فركنوا إليها ونسوا آخرتهم ، وهي لفتة وتذكير يبين أن الدنيا نضارة يفنيها الموت وزخارف منطوية على السم والعسل ، وأن هذه الدنيا لم تخفي عن الناس دسائسها ، ولا تأخذهم خلسة ، فهي واضحة في طبيعتها ، بينة في أفعالها لكن الإنسان هو الذي لا يرعوي ولا يحتاط لنفسه منها ، وهي ليس في نيتها الإبقاء على أحد .[1]

كان الشاعر أبي مسلم ينعى على الانكباب على الدنيا رغم أنها تسعى إلى الإبادة والإفناء ، ويلوم على الحرص على جمع حطامها ، وملذاتها صائرة إلى الهباء ، ويدعو إلى التخلي عن التدافع على هبات الدنيا ، فهي تمني وتعد وما تعد إلا غرورا فيقول :

ماذا يغر المرء من محياه في دنياه وهي قرارة الأكدار

يتساقط المغرور في لهواتها تفريه بالأنياب والأظفـــار

ورغم هذا فالناس يتكالبون عليها فتأمل ما يقول الشيخ أبي مسلم عن الدنيا :

كشفت سرائرها ومادت جهرة بعيوبها في سائر الأعصار [2]

لم يبق شيء من شؤون صروفها في نحت أثلتنا على الإضمار

ثم يقول :

تجري إلى شهواتها سعيا على أنقاض ما هدمت من الأعمار

نصبت حبالها وأنذرت الردى وكأننا صمم عن الإنـــــــذار

[1] بحوث ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية م: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني ص ١٤٩.

[2] المصدر نفسه ص ١٥٢.

بعد هذه الأبيات يرسل كلمات شاردة وأمثال سائرة وحكما نادرة تبصر المرء وتنبهه إلى ما يجب تبنيه وتمثله في الحياة للانفلات من قبضة الدنيا الفتاكة :

شر الغرور سكون ذي بصر إلى عيش تمزقه الأخـــــــــطار

عبر تلونها الصروف وأنفس تفنى وآثار على آثـــــــــار

هل زاد عيشك ذرة عن هذه لو كنت في الدنيا على استبصار [1].

[1] بحوث ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية مصدر سابق ص ١٥٢.

المبحث الثالث :نماذج المقاربة للتجربة الروحية الإباضية والسنية

المطلب الأول :أبو بلال مرداس بن حدير والأمير عبد القادر

في الوقت الذي كان الخوارج المتطرفون يقومون بثوراتهم وحركاتهم ضد الأمويين وولاتهم ويتعرضون من جراء ذلك للقتل والتشريد ويواجهون السخط والاستنكار من قبل السكان كانت هناك جماعة انبثقت بعد معركة النهروان واتخذت من مدينة البصرة مقرا لها، وآثرت السلم وعدم اللجوء إلى السيف أو العنف لفرض آرائها، وقد تزعم هذه الجماعة أبو بلال مرداس بن أدية التميمي، وكونت هذه الجماعة البذرة التي أنتجت بما عرف فيما بعد في التاريخ الإسلامي بالفرقة الإباضية، وكان زعيم هذه الفرقة – قبل أن تُعرَف بالإباضية – هو أبو بلال مرداس بن أدية التميمي، وهو مرداس بن حدير ويكنى بأبي بلال، ينتمي إلى قبيلة تميم التي كان يتزعمها الأحنف بن قيس وقد شهد معركة صفين مع الإمام علي هو وأخوه عروة وفارقه مع أهل النهروان بعد التحكيم وكان من العدد القليل الذين نجوا من القتل في معركة النهروان ،قال عنه ابن الأثير: (كان مرداس عابدا مجتهدا عظيم القدر وكان لا يدين بالاستعراض ويحرم خروج النساء ويقول لا نقاتل إلا من قاتلنا)[1].

ويظهر أنه لم يكن مرتاحا لما حدث من خلاف وفتنة بين المسلمين وصعق لِما حل بأصحابه من قتل وتشريد على أيدي إخوانه المسلمين ورأى أن القتال بين أتباع العقيدة الإسلامية أمر لا يصح، فانسحب مع نفر من أصحابه وأقام بالبصرة تحت حماية الأحنف بن قيس الذي كان يمتاز بحكمته وسداد رأيه، وفي ظل هذه الحماية أخذ أبو بلال ينشر آراءه وأفكاره مؤثرا طريق النقاش والإقناع ، بدلا من طريق الحرب الذي سلكه الخوارج، فدعا أتباعه ألا يجردوا سلاحا ولا يقاتلوا أحدا إلا إذا تعرضوا للعدوان

[1] ابن الأثير: الكامل في التاريخ – الجزء الثاني ص.٥١٧ – ذكر أحداث سنة ٥٩ هـ

فأنكر قتل المخالفين واستعراض الناس على طريقة متطرفي الخوارج، وكان مما ساعده في نشر أفكاره هو تسامح زياد بن أبيه والي العراق في ذلك الحين معه ومع جماعته لأنهم لم يحاربوه كما فعل الخوارج. وقد أنكر الخوارج قعود أبي بلال وجماعته عن الثورة ضد ولاة الأمويين فلقبوهم – احتقارا – بالقعدة، أما أهل البصرة فكانوا يسمونهم الحرورية[1]، نسبة إلى حروراء[2].

نشط أبو بلال في البصرة لنشر دعوته وأفكاره وكان يعقد المجالس والمناظرات لإقناع الناس بآرائه، فانضم إليه عدد كبير من الناس وازداد عددهم حتى بنوا مسجدا خاصا لهم بالبصرة وبلغ من حسن سيرته أن جميع الفِرق التي خرجت على الدولة الأموية تتولاه بما فيهم الأزارقة والنجدات والشيعة والمعتزلة، ولعل ذلك يعود إلى أن تلك الفِرق جميعا كانت هي التي تسمى بالمحكمة قبل أن تنقسم.

كان أبو بلال ملازما للإمام جابر بن زيد حتى قيل أنه ما كان يصبر على فراقه فقد كان من تشوقه إليه أنه يخرج من عند جابر بعد العشاء ويأتيه قبل صلاة الصبح فيقول له جابر لقد شَقَقْتَ على نفسك فيرد عليه أبو بلال : والله لقد طال ما همت نفسي بلقاك شوقا إليك حتى أتيتك. وهذا يبين مدى الصلة الفكرية والروحية التي كانت تربط أبا بلال بالإمام جابر ويذكر مؤرخو الإباضية أن أبا بلال كان لا يبرم أمرا إلا بمشورة الإمام جابر.

وعندما تولى عبيد الله بن زياد إمارة العراق سنة ٥٥ للهجرة اتبع سياسة جديدة مختلفة عن سياسة والده تجاه القعدة فاشتد في طلب الخوارج واستعمل القسوة مع كل المعارضين

[1] عوض خليفات: نشأة الحركة الإباضيةمصدر سابق ص ٦٥ .

[2] حروراء قيل هي قرية بظاهر الكوفة ، وقيل موضع على ميلين منها وسبب تسمية الإباضية بالحرورية هي محاورة علي رضي الله عنه إياهم بحروراء ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٢.

سواء كانوا من القعدة أو من الخوارج ورفض الشفاعة في أي واحد منهم، ورغم كل هذا كان أبو بلال يقول كلمة الحق ولم يخش في الله لومة لائم.

يقول الدرجيني[1] (ثبت عندنا من طريق صحيح أن أبا بلال رحمه الله كان في المسجد الجامع فسمع زيادا يقول على المنبر: والله لآخذن المحسن منكم بالمسيء والحاضر بالغائب والصحيح بالسقيم، فقام رحمه الله فقال: قد سمعنا ما قلت ،وإنك تزعم أنك تأخذ المطيع بالعاصي وما هكذا ذكر الله إذ يقول﴿ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ۝٤١﴾[2] ، كان من نتيجة ذلك أن سُجن أبا بلال قبل أن يُقتل أخاه عروة ثم أُطلق سراحه وربما كان سبب ذلك خوفه من إثارة بني تميم التي كان لها آنذاك وزن كبير في البصرة، ولكن هذا العفو لم يشمل أتباعه فاستمر في مطاردتهم وملاحقتهم ولم يفرق بين الرجال والنساء فقد ذكر المؤرخون أنه أتى بامرأة من أصحاب أبي بلال اسمها البلجاء (أو البثجاء) كانت مجتهدة في العبادة وكانت تذكر تجبر ابن زياد وسوء سيرته فقال لها أبو بلال: إن هذا الجبار قد ذكرك فتغيبي. قالت: (أخشى أن يلقى أحد مكروها بسببي. فأخذها ابن زياد فقطع رجليها ويديها ثم رمى بها في السوق[3].

واستمر ابن زياد في اضطهاد كل مخالفيه سواء كانوا من المحاربين أو من القعدة وكان يبث العيون والجواسيس لتعقبهم وملاحقتهم ثم حبسهم أو قتلهم، وتمشيا مع هذه السياسة اضطر أبو بلال وأصحابه إلى التخفي فكانوا يعقدون اجتماعاتهم سرا للنظر في أمورهم وقد ذكر الدرجيني أنهم كانوا يأتون إلى المجالس متشبهين بالنساء أحيانا ومنتحلين صفة الباعة المتجولين أحيانا أخرى.

---

[1] الدرجيني: طبقات المشايخ بالمغرب – الجزء الثاني ص. ٢١٥.

[2] سورة النجم الآيات -٣٧-٣٨-٣٩-٤٠.

[3] ابن الأثير: الكامل في التاريخ – الجزء الثاني – ذكر أحداث سنة ٥٩ هـ ، مصدر سابق ، ص.٥١٧.

كان من نتيجة الاضطهاد الذي مارسه عبيد الله بن زياد ضد المسلمين أثره الكبير في نفس أبي بلال فقرر أن يترك البصرة إلى مكان آخر أملا أن يأمن شر ابن زياد وأن يدعو إلى فكره في مكان آخر فقال لأصحابه: (إنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للفضل مفارقين للعدل. والله إن الصبر على هذا لعظيم، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا من قاتلنا). فخرج من البصرة وهو يقول:

إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

من كان يرجو بقاء لا نفاد له فلا يكن حبه الدنيا له شجنا

تقوى الإله وخوف النار أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمنا

سار ومعه أربعون رجلا من أتباعه حتى نزلوا بآسك، وقد أعلن أنه وأصحابه لن يخيفوا أحدا أو يجردوا سيفا ولا يقاتلوا إلا من بدأهم بالقتال. ولكن ابن زياد لم يرتض هذا العمل من أبي بلال فأرسل إليه جيشا مكونا من أربعة آلاف رجل بقيادة عباد ابن أخضر فقتلهم جميعا وكان ذلك في سنة ٦١ هجرية. وكان يقول قبل قتله:

ماذا نبالي إذا أرواحنا خرجـــت ماذا فعلتم بأجسادي وأوصـــالي

نرجو الجنان إذا طارت جماجمنا تحت العجاج كمثل الحنظل البالي

إن امرؤ باعني ربي لموعـــده إذ القلوب هوت من خوف أوجالي[1].

كان لمقتل أبي بلال صدى عميق في نفوس أصحابه وآثار نقمة شديدة ضد ابن زياد فقد كان بسلوكه وعمله واستشهاده المثل الأعلى لأتباعه فرثاه كثير من الشعراء منهم عمران ابن حطان الذي قال فيه:

[1] الحارثي: العقود الفضية في أصول الإباضية –ص.١١٧

يا عين ابكي لمرداس ومصرعه يا رب مرداس اجعلني كمرداس

تركتني هائما أبكي لمرزأتي في منزل موحش من بعد إيناس

أنكرتُ بعدكما قد كنت أعرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

وقال أيضا

لقد زاد الحياة إلي بغضـــــا وحبا للخروج أبو بـــلال

أحاذر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت العوالي

فمن يك همه الدنيا فإنـــي لها والله رب العرش قـــال

ولو أني علمت بأن حتفي كحتف أبي بلا لم أبـــــال

التجربة الصوفية الجهادية لأبو بلال مرداس بن حدير : يعيش الإنسان في هذه الحياة الدنيا وهو يصارع عدوان ، الأول منه داخلي ، والثاني عدو خارجي أما العدو الأول فهي النفس التي بين جنبيه وهي بالنسبة له لبنة إذا بنيت بنيانا صحيحا وقومت بمقومات الشريعة الإسلامية وأشربت العقيدة الاسلامية الصافية ، صلحت وبها تصلح حياة الفرد ، أما العدو الخارجي بل الأعداء فهم كثر ومحيطون بالإنسان كالهوى والشيطان والبيئة بصفة عامة، بالإضافة إلى الفساد السياسي وجور الحكام وظلمهم للرعية وغلبة دنياهم على دينهم، وتواطأ بعض من العلماء معهم ، وسنتحدث عن شخصية كابدت الجهاد بنوعيه : جهاد النفس وجهاد البغاة من الحكام وأتباعهم، فعاش معاناة روحية وشعور باغتراب اجتماعي، وحب وتضحية يصل إلى درجة فناء النفس في مرضاة الله الواحد الأحد{الشراء }، ولعل هؤلاء الشراة ولأول مرة ربما هم أصحاب تجربة صوفية ، تحمل في طياتها التصوف الملي الممتزج بالجهاد القولي والعملي ، المبني على وصية النبي ﷺ ،والتي نقلها إلينا أبو سعيد الخدري عندما جاءه رجل فقال : أوصني :

فقال سألتَ عما سألتُ عنه رسول الله ﷺ ، من قبلك : أوصيك بتقوى الله ، فإنه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فإنه رهبانية الإسلام ، وعليك بذكر الله ، وتلاوة القرآن ، فإنه روحك في السماء ، وذكرك في الأرض ، وذلك من باب قوله ﷺ :لا تمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموه فاصبروا [1].

وبلال بن مرداس بن حدير كان مثالا في الصبر في البداية والتزام الحذر والحيطة وعدم الاستعجال في مقاتلة بغاة بني أمية مع استنكاره للقتل واهراق الدماء ، ولكن اقتضت الضرورة وتأزم الوضع وتطاولت السلطات الجائرة والفاجرة لبني أمية جعل من أبو بلال أنموذج للمجاهد الزاهد العابد فكانت نهايته الاستشهاد برفقة أصحابه بيد الغدر لبني أمية الذين نكلوا بهم وهم ساجدين لله تعالى فلله دره من بطل أنموذج فريد للتجربة الصوفية الجهادية .

والإباضية لم يتحملوا ظلم الولاة وعسفهم غلا أنهم بجانب ذلك ما كان لهم أن يحدثوا فتنة شعواء تزيد الحليم حيرة والعدو عداوة والمتربص فرصة وهذا هو الاتزان في المبدأ والوسطية في المعتقد ولذلك سالموا وقت السلم بتغيير المنكر بقلوبهم ، وحاربوا وقت الحرب بتغييره بأيديهم فأُزهقت في سبيل الله أرواحهم وهم في كل ذلك يمرون بتجربة روحانية عالية راضون بقضاء الله وحكمته ، وإن الظروف التي مروا بها أثمرت لديهم تلك التجربة النفسية الجهادية ، من هؤلاء القادة أبو بلال مرداس بن حدير الذي خرج على الظلم والجور في القرن الأول ويوجد ممن سار على دربه الكثير من قادة أهل الحق

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث ، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان ، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا، ٢٠٠٧، ص ١١٠.

والاستقامة [1]، ومواقفه الأخلاقية واستشهاده البطولي وأصحابه ينم عن تجربة روحية صادقة .

وهو أبو بلال مرداس بن عمر بن حدير التميمي ، عرف بالزهد والتقوى وحسن السيرة ، شهد معركة صفين ، وأنكر التحكيم ، واشترك في النهروان ، وكان يدعوا إلى القعود بعد النهروان ، مفضلا الدعوة والنقاش والحوار ،أخذ أبو بلال ينشر آراءه وأفكاره ، بالإقناع مبتعدا عن الحرب والاستعراض ، ومنتقدا لهما ، وبسبب سيرته الحسنة واعتداله المرن ، اعتبرته بعض الفرق واحدا منها وإن كان لا يمكن البرهنة عن تجربته الصوفية بالمصطلحات الصوفية المعهودة ، التي ظهرت فيما بعد ، فلا بد من النظر إلى أحداث الواقع التاريخي ولو باختصار لمعرفة تلك التجربة الروحانية على أنها قد تقع في أي زمان ، ومع أي طائفة مع وجود أسبابها ومقتضياتها ، إلا أنها تختلف من حيث الدواعي والمنطلقات السياسية والعقدية ، التي يكون الإنسان بها مأجورا أو موزورا .

الإطار النفسي لتجربته الصوفية : مرت الأيام واقتنع الناس بآراء أبي بلال وفي نفس الوقت اتهمه البعض الآخر بالقعود عن محاربة الظلم والظالمين ، ولاريب أن هؤلاء الخوارج أذاقوا دولة بني أمية طعم العذاب في حروبهم لها طيلة تلك الفترة ومن حين لآخر مما حدا بأبي عبيد الله بن [2]، زياد سنة خمس وخمسين للهجرة إلى نهج سياسة مخالفة لسياسة والده بسبب خوفه من ظهورهم عليه ، فأراد اجتثاث هذا الأمر من أساسه ، فأمعن في المطاردة والتنكيل وإيقاع الفتنة بينهم وبث العيون والجواسيس لتتبع تحركاتهم ، وأدرك أبو بلال أن الاستعراض لا يجوز والبقاء بأيدي الظلم والظالمين لا يجوز إذ هو من باب إلقاء النفس إلى التهلكة مصداقا لقوله تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث ، قسم أصول الدين ومقارنة الأديان ، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ، الجامعة الإسلامية العالمية ، ماليزيا، ٢٠٠٧، ص ١٠٩.

[2] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي مصدر سابق ص ١١١.

يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾[1] ،وقد علم أنه مطلوب لابن زياد ، وقد آلمه ما فعله ابن زياد بإحدى مجتهدات القعدة [2]، وعلم أن مصيره كمصيرها لو بقي مكانه ، ولذلك ترك البصرة هاربا من شر ابن زياد وفارا بدينه مع أربعين من أتباعه وقد نزل آسك وهو يعلن بأنهم لن يخيفوا أحدا أو يجردوا سيفا ، ولا يقاتلوا إلا من بدأهم بالقتال ، فيقول لأصحابه" إن والله لا يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانفين للعدل مفارقين للفضل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ، ولكنا نشذ عنهم ، ولا نجرد سيفا ، ولا نقاتل إلا من قاتلنا " وقد برز زهده الروحي ورغبته في الدار الآخرة ، إلى تذكر إخوانه من أهل النهروان ، رمز التضحية والفداء ، وسؤال الله عز وعلا أن يلحقه بهم وقد استجاب له دعاؤه إذ يقول:

أبعد ابن وهب في الوفاء وفي التقى ومن خاض في تلك الحروب المهالكا

أحب بقاء أو أرجى سلامة وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكـــــــــــــا

فيا رب سلم نيتي وبصيرتي وزدني التقى حتى ألاقي أولئـــــــــــــك

لقد بلغت التجربة الروحية عنده وأصحابه أوجها ، بسبب المعاناة والظلم ولم يرو في الأفق من حل سوى الشراء والتسابق إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وربما تلك هي

---

[1] سورة البقرة الآية ١٩٥.

[2] كانت البلجاء امرأة من بني يربوع عاشت بين البصرة والأهواز ، ومن مجتهدات الإباضية على م>هب أبي بلال بل اشتهرت بالزهد والنسك ، وكانت تحرض على ابن زياد ، وت>كر تجبره وسوء سيرته، وكان زياد وابنه قد اتبعا أسلوبا قاسيا مرعبا تجاه من يدعوا إلى الحق والعدل ص٣٦ ومما جاء عن البلجاء الخزامية أن غيلان بن خرشة الضبي لقي أبا مرداس بن حدير فقال له : إني سمعت البارحة الأمير عبيد الله بن زياد يذكر البلجاء وأحسبها ستؤخذ ، فمضى إليها أبو بلال ، فقال لها : إن الله قد وسع على المؤمنين في التقية فتغيبي واستتري ، فإن هذا المسرف على نفسه الجبار العنيد قد ذكرك فقالت : إن يأخذني فهو أشقى بي ، أما أنا فأخشى أن يلقى أحد بسببي مكروها ، فوجه إليها عبيد الله بن زياد فأوتي بها ، فقال لها : إنك حرورية محلوقة الرأس ، فقالت له : ما أنا كذلك ، قال لأصحابه : لأرينكم منها عجبا اكشفوا رأسها فمنعتهم فقال : لأكشفن أحسن بضعة منك قال : قال لقد سترته حيث لم تستره أمك ، قال ما تشهدين علي ؟ قالت : شهدت الله عليك ثلاث شهادات بقوله : ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ، والظالمون والفاسقون وشهدت على نفسك ص ٣٧، لأن أولك لزنية وآخرك لدعوى فعض لحيته وأمر بقطع يديها ورجليها ورمى بها في السوق فنالت شرف الشهادة وكان ذلك عام ٦١هـ في الصرة ، السيرة الزكية للمرأة الإباضية ، ص ٣٨

إرادة الله تعالى بهم ليبدلهم دارا خيرا من دارهم ، ونعيما أخرويا خيرا من نعيم قومهم الدنيوي [1]،هذا وقد أرسل إليهم ابن زياد[2] رغم مسالمتهم جيشا يتكون من ألفين من الفرسان المدربين فانهزموا أمام أربعين ، بعد أن أقام أبو بلال عليه الحجة أثناء الحوار الدائر بينه وأبو زرعة وفي ذلك يقول عيسى بن فاتك التميمي :

فلما أصبحوا صلوا وقاموا إلى الجود العتاق مسومينا

فلما استجمعوا حملوا عليهم فظل ذوو الجحافل يقتلونا

إلى أن يقول :

أألف مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعين

كذبتم ليس ذاك كما زعمتم ولكن الخوارج مؤمنونا

هم الفئة القليلة غير شك على الفئة الكثيرة ينصرونا

بعد هذه الهزيمة لم يتركهم ابن زياد ،إنما أرسل إليهم جيشا آخر قوامه أربعة آلاف جندي بقيادة عباد بن علقمة المازني فدار القتال بينهم ، بعد الحوار لإقامة الحجة حتى حان وقت صلاة يوم الجمعة " فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة ، فدعونا حتى نصلي وتصلوا صلاة الجمعة قالوا : لك ذلك فرمى القوم أجمعين بأسلحتهم وعمدوا للصلاة فأسرع عباد ومن معه ، وأبو بلال وأصحابه بين راكع وساجد وقائم في الصلاة وقاعد حتى مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعا ، ولنقف هنا حتى نستجلي عمق

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي ص١١٢ .

[2] ابن زياد من أهل الطائف ، أسلم في عهد أبي بكر ، ولاه علي بن أبي طالب رضي الله عنه لإمارة فارس ، امتنع عن معاوية ثم ألحقه معاوية بنسبه لما تبين له أنه أخوه من أبيه {أبي سفيان } فكان عضده الأقوى ،ولاه بعد ذلك أمر الكوفة والبصرة وسائر العراق ، واشتهر بالظلم والجور ، فلم يزل في ولايته إلى أن توفي وخلف من بعده ابنه عبيد الله بن زياد ، فرحات بن علي الجعبيري البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ص ٤٣.

تلك التجربة الروحية فمع أن الحرب قائمة يفكر أبو بلال في الصلاة ، وكأنه يكشف له أن نهايتك ستكون في أثناء صلتك واستغراقك في مناجاة الله ، وكأن صليل السيوف ، وطيران الرؤوس ، وتناثر الجثث لم تشغله عن الصلاة ، فإن لم تكن هذه تجربة روحية فريدة من نوعها ، فماذا نسميها يا ترى ، لقد مات هو وأصحابه " بين راكع وساجد بعد أن اتفقوا على الهدنة لأداء الصلاة وما أعلاها شهادة أن يموت الانسان وهو أقرب ما يكون إلى ربه [1] .

وما همه أن حمل رأسه إلى الخليفة طالما أنه باع نفسه مخلصا لله قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧ ﴾[2] ويأبى إلا أن تكون موتته ومن معهم وهم منشغلون في صلاتهم بربهم حيث المناجاة والقرب ، ومن يدري ما نوع تلك المناجاة في تلك اللحظة العصيبة ، وأصبح أبو بلال مضرب المثل في الشراء وهذا دليل على أنها تجربة صوفيه من نوع آخر إنهم ينظرون إلى الآخرة كما ينظر أحدنا للدنيا ، إنهم يحلمون بعالم ملؤه العدالة والسكينة والخلود ، فإما أن يتحقق في الدنيا بأمر الله ، وإما غدا إن الموت هو الفاصل بين العالمين ولابد من عبوره لأجل الوصول إلى الراحة الأبدية ، إنهم غائبون عن عالمنا المادي مما يرونه من أحقية في تطبيق تعاليم العالم الأخروي عالم المثالية أو ليست هذه هي رهبانية الإسلام في الجهاد [3]

إنه شعور داخلي نفسي ، له ظروفه وأسبابه ، ولا يمكن لأحدنا أن يعرفه إلا بالمنازلة و المواقعة التي تثمرها العقيدة الصحيحة ودورات الزمن وظروف الحياة وتقلبات الدهر أي وفق ما تقتضيه سنن الله مع وجود الإيمان قوة أو ضعفا ، وما كتبه الله تعالى أزلا من ابتلاء لبني آدم وقبول الإنسان قدر الله خيرا كان أو شر ، بالتوكل عليه سبحانه في طريق

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي مصدر سابق ص ١١٢

[2] سورة البقرة الآية ٢٠٧.

[3] البعد الصوفي في الفكر الإباضي مصدر سابق ص.١١٤.

الحق، ومن غير شك أو اضطراب وهذه كلها تمثل بشكل عملي ما اصطلح عليه الصوفية على تسميته بالمقامات الصوفية تتصل بتربية الضمير وتطهير القلب ليشرق بنور الله ملتحقا بالرفيق الأعلى فسنة التدافع جارية إلى قيام الساعة .

لم تكن تجربة أبي بلال الصوفية الجهادية فرارا من الواقع ويأسا من الحياة بقدر ما هي تلبية لنداء الضمير الباطني الروحي الذي أراد الدنيا لنشر الحق فاختارته الأخرى لبلوغه القمة في الإخلاص والورع والتقوى ، بشهادة أهل زمانه إنه في حال خروجه يبلغ من رآه من الناس قائلا: إننا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروع أحد ولكن هربا من الظلم ولسنا نقاتل غلا من يقاتلنا ولا نأخذ الفيء إلا أعطياتنا وكأني به يترسم حديث النبي صلى الله عليه وسلم :" لا تمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموه فاصبروا.

لقد كان المنزع الروحي بتذكر الآخرة عند أبي بلال عاليا ، مما يدل على أن الرجل كان في حالة شهود وكشف فقد بلغ من الزهد والورع والتقوى والحرص على مرضاة الله تعالى مبلغا عظيما وهناك مشهدين عظيمين يدلان على أن الرجل كان كثير التذكر والصلة ، بالله إذ يغشى عليه في الأول ، وبتعبير الصوفية يفنى عن وجوده في عالم شهوده عندما رأى موقفا ذكره بما توعد الله به عباده الظالمين ، فغشي عليه ، لأنه يعلم أن وعد الله ووعيده نافذان لا محالة ، فالله لا تبدوا له البدوات ، ولا يغير ما كان معلوما عنده ، أو كتبه أزلا على عباده ، من خلود أهل الدارين ، وأما الموقف الثاني فيدلنا على وفائه بالعهد فيقدم على الموت بنفس مطمئنة وهو راض بقضاء الله وقدره إذ الموت معه هو الحياة في حقيقتها إذا كان في مرضاة الله ووفق أمره وتحت لوائه جل وعلا .

المشهد الأول : عندما خرج مع صاحب له فبينما هو يسير في الطريق إذ مر بحدادين فنظر إليهم فغشي عليه ، ولم يزل به الرجل يرش الماء على وجهه حتى أفاق ثم سار فبينما هما يسيران استقبلتهما امرأة جسيمة بهية عليها من الكسوة والهيئة ما الله به عليم

فلما نظر إليها غشي عليه ولم يزل يرش على وجهه الماء حتى أفاق ، ثم سار حتى استقبلهما رجل على برذون في نزهة وهيئة عجيبة وخلفه غلمان فلما نظر إليه غشي عليه فلم يزل يرش على وجهه الماء حتى أفاق فقال : يا أبا بلال رحمك الله ما هذا ؟ أما المرة الأولى فقد علمت أنك عاينت النار ، فحدثني عنك حين رأيت المرأة والرجل فقال : أما المرأة فإني رأيت عظمها وحسنها وما هي فيه من الهيئة ذكرت تقلبها في النار فكان ما رأيت ، وأما الرجل فإني كنت أراه كثيرا يشهد مجالس المسلمين فذكرت سوابق الشقاء وفي هذا ما يدل على أن الرجل يعيش بجسده في الدنيا وروحه تتقلب بين الرجاء والخوف إلى أن لحق بعالمه الأخروي .

والموقف الثاني عندما سجن ابن بلال رأى حارس السجن شدة اجتهاده وحلاوة منطقه وغير ذلك من الصفات والمذهب الحق ما جعلته يسمح له أن يذهب إلى أهله وقت الليل ثم يعود قبل الصباح فوافق أبو بلال إلا أن الخليفة غير سياسته وخطته مع القعدة فقرر أن يقتل كل من الحبس ، وقد أخرج السجان مرداسا إلى منزله كما كان يفعل وأتى مرداس الخبر فلما كان السحر تهيأ للرجوع فقال له أهله اتق الله في نفسك فإنك إذا رجعت قتلت فقال : ما كنت لألقى الله غادرا ، فرجع إلى السجان فقال : إني علمت ما عزم عليه صاحبك فقال : أو علمت [1] ،ورجعت ؟ ماذا يمكن أن نسمي هذه المواقف وغيرها إن لم تكن حياة روحية وتجربة نفسية راقية يبرهن من خلالها الإنسان على حب الله بطريقة علمية يضحي بنفسه من خلالها وفاء لدينه ومبدئه وطاعة لربه جل وعلا ، وكأنه وصل إلى مستوى كشف له من خلاله حقيقة الوجود وزواله وحقيقة الآخرة وبقائها فتساوى في نظره العالم الدنيوي بآلامه وأفراحه في سبيل العالم الأخروي فهان عليه ما يلقاه في الدنيا إذ قلبه وروحه وفكره متعلق بحب الأخرى ، وهذه المرحلة هي قمة التجربة الروحية { مرحلة الإحسان } على أن الأقدار المنبنية على سنن الله في

[1] سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي مصدر سابق ص١١٧

الحياة هي التي ساقت له تلك المواقف ، فتعامل معها بما تحمله نفسه من إيمان وتقوى وورع وخشية [1]، هذا أنموذج فريد من المذهب الإباضي امتزجت فيه الحياة الروحية المفعمة بالإيمان والمشربة بالعقيدة الاسلامية الصافية ومبادئ الإباضية الذين سلكوا طريق الاستقامة بالحياة الجهادية فكانت الثمرة هي الاستشهاد ، والقادة الذين سارو على نهج أبو بلال كثيرون ممن كانوا في قمة الزهد والتقوى والورع والتضحية بالنفس لأجل إقامة العدل وتطبيق أحكام الله عز وجل فمنهم الإمام الزاهد محمد بن عبد الله الخليلي وحياة التقوى والزهد والورع والتقشف .

قال العلامة الشيخ خلفان بن جميل السيابي في كتابه (سلك الدرر الحاوي غرر الأثر) يصف الإمام الوارث بن كعب فقال:

وقام بالحق وولى وعزل وأظهر الدين وساوى وعدل

والمسلمون كلهم بسيرته راضون سامعون عند دعوته

وهو إمام ثالث قد كانا ممن أنار عدله عمـــــــا

وفضله في الدين أمر شاهر صح لنا بنقله التواتـــــــر

له كرامات كفلق الفجر أو غرة على جبين الدهر

قد خلدت تاريخها الدفاتر ونوهت بذكرها المحابـــــــر

[1] البعد الصوفي في الفكر الإباضي مصدر سابق ، ص ١١٨

والإمام الوارث بن كعب[1] وسيرته الحسنة في فترة الامامة زهدا وورعا وتقوى الله وإقامة العدل والحكم بما أمر الله وكرامته التي تفصح عن كونه من أولياء الله والذي دفع حياته ثمن لإنقاذ المساجين من السيل وقال العلامة أبو إسحاق: معلقا على هذا الموقف من الإمام بقوله :(فأين هذه الكمالات الإنسانية وأين هذه المهمة ، هذا هو الإمام الوارث بن كعب الخروصي الذي قدم روحه فداء لأناس حكم عليهم بالسجن.وأبو حمزة

[1] الإمام الوارث بن كعب الخروصي هو أول إمام من بني خروص بويع سنة تسع وسبعين ومائة(١٧٩هـ ت١٩٢) بعد عزل محمد بن أبي عفان ، حيث بايعوا الإمام الوارث على ما بويع عليه أئمة العدل وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والشري في سبيل الله وإظهار الحق وإخماد الباطل والجهاد في سبيل الله وقتال الفئة الباغية وكل فرقة امتنعت من الحق حتى تفيء إلى أمر الله لا يستحلون منهم غنيمة مال ولا سبي عيال ولا يسموا بالشرك أهل القبلة ما بينوا الشهادتين ، فقام وارث بالحق ما شاء الله والمسلمون عنه راضون وله مؤازرون وعليه مجتمعون ولمن امتنع من طاعته مفارقون ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، الشيخ نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ج١-٢، مكتبة الاستقامة ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م ص١١٣، وما ذكره بعضهم في سبب اختيار المسلمين للوارث تحتمل صحته، وإن صح فالظاهر أنذلك كان في وقت الجبابرة من بني الجلندى قبل ظهور المسلمين عليهم ، فتكون تلك الحالة منقبة للوارث محفوظة له منذ مدة من الزمان فظهرت ثمرتها في أوانها برغبة المسلمين في تقديمه، كان الإمام الوارث مثالا في الذكاء حيث يراه الناظر من عينيه وترتسم النجابة على محائله وهبه الله أدبا في القول وخفة في الروح وزهدا في العمل وورعا في المأكل والمشرب وازدانت بإمامته حلق العلم ، كانت إرادته قوية لنشر العلم ورغبة عظيمة في نشر الفقه سمعته العلمية جذبت إليه طلاب العلم من مسافات بعيدة ووفد العلماء إليه حيث ناقشهم وناقشوه إلى جانب قيامه بالحكم بين الناس وتسييره أمور الدولة كان يهتم بالمساجد ودور العلم فيها[1]،ويعد الوارث ثالث إمام تمت بيعته في عمان في القرن الثاني الهجري ، د صالح بن أحمد من أعلام عمان صور مشرقة من حياة الرعيل الأول ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، وزارة التراث القوي والثقافة ، سلطنة عمان ، ص١٣،

حيث ذكر ابن زريق أن الإمام الوارث بن كعب كان يلازم الخلوات في الشعاب والفلوات قبل بيعته بالإمامة ، وكان حينما يخلوا بنفسه يسمع صوتا ولا يرى شخصه وهو يقول : أبشر يا وارث ، [1] كان يسكن قرية هجار من وادي بني خروص وكان يرى الرؤيا في نومه تدل على ظهور الحق على يده وأنه كان ذات يوم يحرث في زرع له فسمع صوتا يقول له أترك حرثك وسر إلى نزوى وأقم بها الحق ، ثم ناداه ثانية وثالثة بذلك فقال الوارث ومن أنصاري وأنا رجل ضعيف ؟ فقيل له أنصارك جنود الله ، فقال إن كان كذلك حقا فليكن مصاب مجزى هذا ينبت ويخضر من الشجرة التي أصله منها فغرسه في الأرض فنبت شجرة لومي ويقال أن هذه الشجرة موجودة في هجار إلى الآن ، كان سبب وفاته أن أمطارا غزيرة هطلت فسال وادي نزوى سيلانا عارما أخبر الإمام عن الوادي أنه لربما يلحق المحبوسين فأمر الجند بإطلاقهم ولكن الجند تخوفوا أن يذهبوا إليهم فيدركهم الوادي فقال الإمام أنا أذهب إليهم ، فهم أمانتي وأنا المسؤول عنهم أمام الله[1] ، ولكن الأجل المحتوم أدركهم بوصول الوادي عندما غمرتهم المياه فاجتاحتهم فتوفاه الله ومن معه ، إن هذه الحادثة تبين مروءة هذا الإمام العظيم وحرصه على أداء أمانته ووفائه لواجبه حيث قال المؤرخ حميد بن حميد بن زريق :

قضى ليلا بسيل عم نزوى فما أبقى إلى سيل عبابا

صور مشرقة من حياة الرعيل الأول مصدر سابق ص ٢١.

الشاري،وكثيرين هم أمثالهم الذي باعوا حياتهم واشترو آخراهم ، يقينا منهم أن بأن وعد الله حق وأن الكرامة هي الموت على الاستقامة ، والإمام الجلندى بن مسعود[1]

هكذا كان شأن الأئمة في عمان الذين خدموا الإسلام وأقام العدل وعملوا بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهم صور مضت من صور أئمة الهدى، وهو موقف بطولي لا يقوى عليه إلا رجال صادقين في عهدهم عاملين بعلمهم وإيمانهم ، قال الله تعالى :﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[2].

ونجد هذه الصورة البطولية تتكرر في كل جيل وفي أخلاق أولئك الذين مضوا على طريقهم ، فيعود هذا الوصف نفسه لتلك البطولات ومظاهر العبودية من الورع والتقوى والتضحية والجهاد في سبيل الله على لسان الشاعر الكبير أبي مسلم البهلاني إذ يقول :

تراهم في ضمير الليل صيرهم مثل الخيالات تسبيح وقرآن

وفي قوله :

أكبوا على القرآن شربا لمائه فأصدرهم والكل ريان هائم .

[1] الجلندى بن مسعود أحد التلاميذ النجباء الذين تخرجوا من مدرسة الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة فقد وهو أول إمام بويع بعمان، يعد الأب الحقيقي لهذه الروح الثائرة ، فكان ممن بايعه و أحد أبطال ثورة طالب الحق يحي بن عبد الله ،الذي ثار على الدولة الأموية لما انحرف أغلبية ملوكها عن سيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وهكذا فإن الإمام الجلندى و طالب الحق وأنصاره ،الذين تخرجوا من مدرسة أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة كان هدفهم الأول والأخير هو إزالة ضربت أطنابها الفساد السائد ثم العودة بالأمة الإسلامية إلى منهج القرآن الكريم قولا حسنا وعملا صالحا أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي الأفوي ، قصص وأخبار جرت في عمان،ط٢١٤٣٥هـ-٢٠١٤موزارةالتراث والثقافة ،سلطنة عمان ص ٩٦ ، الإمام الجلندى أراد بأمته أن تعيش في ظل الأخلاق القرآنية حيث جسد هذه الفكرة الحيوية في سلوكه وسقاها بدمائه الزكية لما سقط شهيدا ١٣٣هـ .

[2] سورة الأحزاب الآية ٢٣.

الأمير عبد القادر المجاهد الصوفي:

أصل الأمير عبد القادر وعائلته :

يعود أصل الأمير عبد القادر وأسرته للأدارسة الذين نزحوا عن المغرب الأقصى والأوسط والأندلس ويعتبر السيد عبد القوي الأول ، أول أجداد الأمير الذين نزحوا عن المغرب الأقصى ، واستقر بقلعة بني حماد قرب سطيف من أعمال الجزائر ، وذلك بعد أن اشتدت الفتن واضطربت الأحوال في مراكش ، وقد اشتهرت سلالة الأمير وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد ، فكانوا بذلك موضع تقدير واحترام من طرف الجميع ، يرجع إليهم في كل صغيرة وكبيرة ، وبالتالي استطاعت أسرة الأمير أن تبسط نفوذها على القبائل النازلة في نواحي الغرب الجزائري المتاخمة للمغرب ، وخاصة في عهد السيد محيي الدين والد الأمير عبد القادر الذي اشتهر بالعلم والتقوى وشدت إليه الرحال من الضواحي والأمصار لتلقي العلوم والأذكار وكان يمثل شيخ الطريقة القادرية في الجزائر[1].

صفاته : كان الأمير رجلا معتدل القامة ، عظيم الهامة ، ممتلئ الجسم ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، أسود الشعر ، كث اللحية ، أقنى الأنف ، أشهل العينين يخضب بالسواد [2]، وكان عاكفا على شهود صلاة الجماعة في أوقاتها يلازم صلاة الفجر في المسجد القريب من داره لا يتخلف عن ذلك إلا لمرض، كثير التهجد والخلوات ، كثير الصدقات يبر بالعلماء والصالحين والفقراء برواتب شهرية ، وينتصب لقضاء حوائج العباد ، عاملا

[1] عبد الرزاق بن السبع الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ٢٠٠، ص ١١.

[2] الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ، ت عاصم ابراهيم الكيالي المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ج١، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص ٢٣.

بتقوى الله في السر والعلن يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب ، ويعتزل خلاله الناس كلهم ، وكانت له خلوة يتحنث فيها بدمر ، كان الأمير حليما زاهدا[1] .

وقد ترجم له ابنه الأمير محمد :

هو فرع الشجرة الزكية ، وبدر العصابة الحسنية ، إنسان غير السادة الأخيار وعقد جيد القادر الأبرار صدر الشريعة بل تاجها بدر الحقيقة بل معراجها ، نخبة آل بيت اشتهرت بالشرف أوائلهم وأواخرهم وأشرقت في أفق سماء السعادة فضائلهم ومفاخرهم ، من عجزت عن حصر أوصافه الأقلام ، وتباهت بوجوده الليالي والأيام ، وتزينت الطروس بغرر مزياه ومدائحه ، وتلت النفوس آيات الحمد والإخلاص في صحائفه ، واسطة عقد الشرف المقتنى ، وغصن شجرة المجد ، كعبة القاصدين ، حرم الخائفين ، ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد بن المختار بن عبد القادر بن خدة بن أحمد بن محمد بن عبد القوي بن علي بن أحمد بن عبد القوي ابن خالد بن يوسف بن أحمد بن بشار بن أحمد بن محمد بن مسعود بن طاووس بن يعقوب بن أحمد بن أحمد بم محمد ابن باديس بن عبد الله الكامل بن لحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء بضعة خير الأنام عليه أفضل وأكمل السلام .

ولد قدس الله سره في رجي سنة ألف ومائتين واثنين وعشرين ولد يوم الجمعة ثلاث وعشرين {رجب ١١٢٢هـ-١٨٠٧م}**عاش خلال** القرن الثالث عشر، ببلدة القيطنة التي اختطها جده بأيالة وهران من أعمال الجزائر ثاني أنجال والده ووالدته السيدة الزهراء بنت السيد عبد القادر بن دوخة الحسيني تربى في حجر والده وفي مدرسته حفظ القرآن وأخذ العلم على أهل العرفان [2].

[1] العربي دحو ديوان الأمير عبد القادر ط٣تالة ٢٠٠٧ ص ٢٤.

[2] ديوان الأمير عبد القادر مصدر سابق ، ص ٢٥.

قام بأمر الجهاد ستة عشر سنة يحارب الدولة الفرنسية ويحمي دينه ووطنه ، وأظهر من الشجاعة والبسالة في كل مجال ، وكان يباشر القتال بنفسه ويتقدم أصحابه في المواقف فيرجع وقد ألبسته مخرقة من الرمي بالرصاص ولم يصبه سوى جرح بكتفه وآخر بأذنه ومات تحته عدة خبول[1].

وأهم المصادر التي أسهمت في تكوين شخصية الأمير عبد القادر العلمية خصوصا جانبها العقائدي " الشفاء للقاضي عياض " وكتاب " الإحياء للإمام الغزالي " والرسالة للإمام محمد بن أبي زيد القيرواني " و " الملل والنحل للشهرستاني " و" الفتوحات المكية ، وفصوص الحكم ، وترجمان الأشواق لمحي الدين بن عربي " و" وتهذيب الإخوان لابن مسكويه " [2]

فقد نظم فيه الأديب الكبير أحمد فارس الشدياق مطولة شعرية مح فيها الأمير مبرزا شمائله وعلمه الغزير :

هو الشهم الذي شهدت له ومناقب محمودة وشمائـــــــــل

هو ذاك المولى الممدح سعيه هو ذاك الفرد الذي أفعالـــــــه [3]

هو المهيب لدى الملوك نزاهة كل البرية بالفعال الفاخـــــــر

مرضية ومحامد ومآـــــــــثر عند الإله عند كل مفاخـــــــر

أمدوحة البادي وفخر الحاضر والنازح الصيت الكريم الطاهري [4]

[1] ديوان الأمير عبد القادر مصدر سابق ص٢٦ .

[2] المصدر نفسه ص ١٧.

[3] المصدر نفسه ص ١٩.

[4] المصدر نفسه ص ٢٠.

وأبرز الخصال التي كان الأمير يعتز بها ، ثقته بنفسه ، وإيمانه العميق بعدالة القضايا التي دافع عنها ، هكذا هي سيرة هذا البطل السياسي والعالم الرباني التي أبهرت العالم شخصيته وما جمعت من أوصاف ترتقي به إلى صفات الكمال الإنساني ، وأبرز .

مقاربة بين فكر الأمير عبد القادر وأقوال بعض العلماء الإباضية في قوله : وأهل طريقنا ما ادعوا الإتيان بشيء جديد وإنما ادعوا الفهم الجديد في الدين فالتجديد في نظره هو تجديد الفهم الديني وتجديد الوعي والإصلاح ، القائم على العودة إلى جوهر الدين وأصوله وقواعده[1]، وهو نموذج حي ومشرق ضرب أروع مثل على أن الصوفية ليسوا بالقوم الكسالى أو المتواكلين الهاربين من معترك الحياة إلى بطون الزوايا والخلوات ، فارين من المواجهة فحياة الأمير عبد القادر متوازنة بشقيها الجهادي والتعليمي ، ويذهب المفكر الإسلامي الإباضي المعاصر الشيخ أحمد بن سعود السيابي إلى القول بأن الصوفية لم يضيفوا شيئا جديدا ، فكل ما يتعبدون به هو من الإسلام والشريعة السمحة وإن وضعوا فهوم ومناهج خاصة بعلم التصوف فيبقى منبعها الإسلام وموردها العقيدة ودستورها القرآن الكريم و قدوتهم في ذلك الطريق هو الرسول محمد ﷺ .

الأمير عبد القادر الجزائري شخصية عربية إسلامية من المغرب العربي {الجزائر } اجتمعت فيه كثير من المآثر في زمن من الدهر غاضت فيه رحم العروبة أن تأتي بمثله وابتلي فيه العالم العربي برزايا التخلف وكل أنواع الاستعمار، فعرفت الجزائر مناضلا وطنيا وبطلا صنديدا ومقاتلا شجاعا قاوم الجيوش الفرنسية النظامية المدربة أحسن تدريب والمجهزة بأحدث وسائل التجهيز العسكري والحربي حينئذ فأظهر صلابة قوية وخبرة عسكرية مع حداثة عهده بالحرب وأحرز كثيرا من الانتصارات العسكرية والسياسية على العدو ولكن الظروف والملابسات الاجتماعية والاقتصادية لبلاده وللأوضاع الدولية

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ، دار النشر الإلكتروني ،كلية التربية عين شمس ، ص٥٨.

وكذلك تآمر الدول الاستعمارية حالت دون انتصاره انتصارا نهائيا فوضع السيف بعد سبعة عشرة عاما من الجهاد والمواجهة مع العدو وتناول القلم يستعيض به عن السيف في نوع من الجهاد محققا للحديث الشريف ومعايشا به بأن مجاهدة النفس والهوى هي الجهاد الأكبر بعد جهاد العدو الذي يعد جهادا أصغر متنقلا من مرحلة عسكرية وحربية إلى مرحلة ثقافية وفكرية روحية من التعليم والإرشاد والتربية تعد في حقيقة الأمر جبهة المواجهة الحقيقية مع العدو حيث أن تكوين النفس الفكري والأخلاقي والروحي هو السبيل الحقيقي إلى الاستقلال والطريق الوحيد إلى التحرر ويمكن أن نعتبر تصوف الأمير نوعين ،فقد مارس التصوف النظري والعملي وحياته الصوفية وممارساته الروحية الإيجابية ، وقد آمن بأن التصوف الإسلامي طريقا لتجديد الفهم الديني ، وأسلوبا للحياة يمتزج فيها العمل بالنظر والنظرية بالتطبيق [1]،شخصية نادرة اجتمع فيه وتوحد الظاهر والباطن والفكر والتطبيق والمعتقد الحق والسلوك القويم وهو يحارب جبهتين في وقت واحد جبهة الجهاد مع العدو في الخارج وجبهة الجهاد مع النفس في الداخل .

كان زاهدا في دنياه لا يتعلق بحطامها ويجهد نفسه في الابتعاد عن ذلك ، طعامه بسيط ، لباسه كذلك ، يقوم الليل مصليا ومسبحا ولا أفضل عنده من الصلاة والصوم وتحاشيا للتردي والخطيئة[2].

مفهوم التصوف عند الأمير عبد القادر : هو جهاد النفس في سبيل الله أي لأجا معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية لا لشيء آخر من غير سبيل الله ، وإن كان كل صوفي يعرف التصوف كما قال ابن خلدون : بما يتفق مع حاله فإن هذا التعريف الأخير للأمير يتفق مع وقفته التاريخية في الجهاد ضد العدو وضد النفس فهو دائما الفارس الذي يخوض المعارك وفي الخارج مع العدو وفي

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي مصدر سابق ، ص٥.

[2] المصدر نفسه ص ١٩.

الأمارة والصوفية في نظره هم هؤلاء الذين عليهم أن يكونوا في جميع أحوالهم وتصرفاتهم حاضرين مع الله تعالى ، ومن هنا يحذر الذين تكون عبادتهم مشوبة بأغراض نفسية وحظوظ شهوانية { هنا يلتقي مع الشيخ الإباضي ناصر بن سالم بن عديم الرواحي المعروف} حيث يجب أن تكون العبادة خالصة لوجه الله تعالى ويسمي الصوفية بالعارفين وأهل الله ص٥٦، فالتصوف في نظره إخلاص العبادة لله تعالى ومراقبته في السر والعلانية ومن هنا يعتبر الصوفية هم سادات طوائف المسلمين ، والتوجه إلى الله تعالى بمنهج التصوف في نظر الأمير وعامة الصوفية هو التوجه إليه بعد التحقق بمرتبتي الإسلام والإيمان وعبادة الله بمرتبة الإحسان تطبيقا للحديث النبوي الشريف الذي يجعل درجات الإيمان ثلاث مستويات هي الإسلام والإيمان والإحسان ، ولا يقنع الأمير إلا باجتياز التربة الصوفية وممارسة المجاهدة الروحية بعد أن يكسر حجاب التقليد ويصير غير مقلد ولا مقيد وهو في هذه الحالة يدرك عن الله بفهمه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بالتفهم الرباني فتصير وارداته الإلهية ومواقفه الصوفية ودقائقه نفثات روحية وإلقاءات سبوحية وبعلوم وهبية وأسرار غيبية من وراء طور العقول وظواهر النقول خارجة عن أنواع الاكتساب والنظر في الكتاب، ومن هنا يتبين لنا أن التجربة الصوفية عند الأمير عبد القادر والتي اختارها في طريقه لا تعتمد على التلقين والتعليم والاكتساب ولا تتم بالجدل والمناظرة ولكنها طريقة التحقيق التذوقي والممارسة القلبية والتصفية الوجدانية [1]ويخاطب الأمير عبد القادر المقلد قائلا : إذا كنت مقلدا فليس كلامي معك إذ إنه لمعرفة طريق الحق على الناظر أن ينظر بعين الإنصاف ويرمي التقليد والتعصب والاعتساف ، وهذا منهجه في التصوف ، اذ هو المنهج الروحي الذي سلكه الأمير عبد القادر ويرى أنه منهج الخاصة وليس منهج العامة فلا يستطيع سلوكه إلا من أوتي مواهب وملكات روحية معينة ، وقد أفاض أساتذة التصوف من قبله كالقشيري وأبي

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي .مصدر سابق ص ٥٨ .

حامد في توضيحها وتفسيرها " إنها مجاهدات ومكابدات لا يستطيعها إلا من رزق التأييد والتوفيق الإلهي بعد بذله الرخيص والغالي والنفيس وقطعه كل العلائق وإخلاصه في صدق التوجه إلى الله تعالى فلا يبقى أمام من يريد الحصول على الكنوز إلا كسر الأقفال فيظفر بما وراءها كما قال الأمير[1].

التطور الروحي للأمير عبد القادر : مرحلة التلقي والقراءة والاطلاع نظريا على كتب ومؤلفات التصوف ، فقد تميزت المرحلة الأولى بذهابه إلى المشرق مع والده لأداء فريضة الحج حيث جالس علماء الصوفية وأخذ عنهم وهي رحلة الاتصال بشيوخ التصوف والأخذ عنهم وممارسة رياضاتهم الروحية ومجاهداتهم النفسية { حيث أخذ عن الإمام أبي البهاء ضياء الدين النقشبندي السهروردي } فقد تردد عليه كثيرا واستمع دروسه في التوحيد والتصوف وكذلك عن نقيب الأشراف السيد محمود الكيلاني القادري ، ثم تلتها مرحلة العود إلى الجزائر ونشره الطريقة القادرية والتف حوله المريدون والدعاة وكان هؤلاء هم رجال الكفاح ضد العدو ص٥٩،ثم تأتي المرحلة الأخرى من رحلة تصوف الأمير عبد القادر ، وما تميز به من صفات أهل التصوف كالفتوة لاتصافهم بصفات وأخلاق النبلاء فهم لا يحملون السيف إلا لمقاومة الظلم والأعداء ودفع الاضطهاد وتحرير البلاد مترفعين عن استعمال الغدر أو نقض العهد وهي ميزات أساسية كان يتمتع بها أساتذة التصوف وكذلك كان يتمتع بها الأمير عبد القادر طول حياته وبشهادة أعدائه قبل أصدقائه ، وقد امتاز اتجاه التصوف الذي اعتنقه الأمير بأنه تصوف أقرب إلى روح الشريعة الإسلامية وجوهرها بل هو التصوف الثوري الصحيح الذي يدفع بالمسلم إلى معترك الحياة وإثرائها والضرب فيها بسهم وافر حيث يجعل العبادة وعمل المعروف والدعوة إلى الخير ودفع الظلم والتكسب من الحلال والكدح في الأرض عبادة يتصف بها القائمون بها بالصلاح قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] وفي ظل هذه العقيدة التي

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ص٥٩.
[2] سورة آلا عمران الآية ١٠٤.

تجمع بين العبادة النظرية أي العلم والعبادة العملية أي السلوك أو السلوك بنوعيه الأصغر والأكبر يتقلد الأمير ذروة الفتوة والمرابطة بمعناها الإنساني النبيل ويقول :

يا عبد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تلعـــــــب

لوكان يتعب خيله في باطل فخيولنا وقت الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغبار الأصيب [1]

ثم تأتي مرحلة الأسر { في فرنسا } التي أتاحت له فرصة للخلوة والعبادة بعد أن ضاقت عليه الأرجاء فضل متمسكا بوقد الصبر وقدة الشوق للخلاص من الأسر وتحويله من محنة إلى محنة ككثير من الصوفية ليمكن أن يصبر إذا أحسن الصوفي استغلاله وتحمله بالصبر الجميل وقد أشار إلى هذه المرحلة التي سماها خلوة وما كان يقاسيه من الضيق يقول :

دخلت مرة خلوة فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت علي الأرجاء وفقدت قلبي وإذ المعرفة نكرة والأنس وحشة والمطايبة مشاغبة

والمسامرة مناكرة فكان نهاري ليلا وليلي ويحا وويلا ، وأي قربة أردتها بعدت بها فلم يبق معي من أنواع الصلاة إلا الصلاة فكان هذا الابتلاء ، وقد أتاحت له هذه الخلوة فرصة للتأمل الصوفي والتفكير الهادئ العميق فكان يقضي أوقاته مستغلا بالذكر والدعاء وكانت ترد عليه الواردات في الوقائع مشيرة وآمرة وصابرة ، وكانت هذه المرحلة من التأسي الصوفي هامة له حيث كانت إعداد المرحلة الأخيرة والتي سيصل فيها إلى ذروة التصوف وامتازت بالإنتاج الأدبي والفكري والصوفي الغزير والعميق ، أما عن المرحلة

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي مصدر سابق ص ٦٠ .

الأخير من تجربة الأمير عبد القادر الروحية فهي مرحلة خصبة وغنية ففيها تعمق في علوم القوم من دقائق الحقائق وعوارف المعارف ، ما يؤذن بسمو مقامه وعلو قدره إذ كان يصوم شهر رمضان على الكعك والزبيب معتزلا عن القريب والغريب وله خلوة يتحنث بها في قصره[1] .

يقول الأمير محمد ابن عبد القادر في تحفة الزائر : وما تم له الارتقاء إلا في غار حراء لأنه انقطع فيه أياما عديدة إلى أن جاءته البشرى ووقع له الفتح الرباني وانفتح له باب الواردات واستظهر من القرآن العظيم آيات ومن الحديث النبوي أحاديث صحيحة ، حيث قال الأمير عبد القادر : إن الله تعالى قد عودني أنه مهما أراد أن يأمرني أو ينهاني أو يبشرني أو يحذرني أو يعلمني علما أو يفتيني في أمر استفتيته فيه إلا ويأخذني مني مع بقاء الرسم ، ثم يلقي إلي ما أراد بإشارة آية كريمة من القرآن ثم يردني إلي فأرجع بالآية قرير العين وقد تلقيت والمنة لله تعالى إلى نحو النصف من القرآن بهذا الطريق .

فإذا أردنا معرفة مراحل المجاهدة عند الأمير عبد القادر الجزائري على ضوء هذا التعريف بالمجاهدة عند الصوفية عامة فسنجد أنها نفس المراحل التي يمر بها كل الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة ، وإن كان الأمير يستخدم مصطلحات جديدة تتناسب مع العصر وتتواءم مع فلسفته الصوفية ومنهجه في التربية الروحية التي يختطفها لنفسه فهو يسمي المجاهدة بالهدى ، إن الهدى أنواع والموصوفون بالهدى أنواع فمهتد وأهدي وأعظم هدي فالمهتدي الذي حصل على الهداية بالدليل العقلي والبرهان والأهدى هو الذي حصل على الهداية بتصديق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان وأعظم هدي هو الذي حصلت له الهداية بالكشف والعيان وترتيب هذه المجاهدات عن الأمير عبد القادر من

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي مصدر سابق ص ٦١ .

الأدنى إلى الأعلى .وهو يؤكد في كثير من مواقفه أن أهل الله هؤلاء الذين تابعو الاستقامة على الكتاب والسنة وأن اتباع قول وعمل وحال أعظم جهاد للنفس[1].

المقامات والأحوال في تجربة الأمير الروحية ، حيث يقول : المقامات والأصول أو طريق الحق كما يسميه فهو يبدأ بالهجرة التي تمثل له الأساس الأول ظن فهي الهجرة إلى الله القلبية وهي الأساس والأمر الذي عليه المعول ، وهي بحصول الزاجر الإلهي والعزوف عما كان عليه من المخالفات للأوامر الإلهية فإذا استطاع السالك السائر في ميادين النفوس قطع تلك العقبات المعنوية يصل إلى العلم بالله تعالى فيصح أن يقال سار إلى الله ، وقد اعتبر الأمير أن النفس مطية السالك في سيره إلى الله تعالى إذ أنه لولا وجود النفس ما سار سائر إلى حضرة الحق ولا وصل إليها فهي الحجاب على البعد وهي موصله إلى ربه ووسيلته إليه فالسفر الروحي لا يكون إلا بمفارقة النفس الأمارة بالسوء ومزايلة الإيمان العلي ، فيقول الأمير عبد القادر :

ففارق وجود النفس تظفر بالمنا وزايل ظلال العقل إذ أنه الحبس

أما القرب فهو قرب النوافل بأن يشهد العابد نفسه حال العبادة[2] ، بل وفي غيرها من سائر الأفعال والإدراكات أنه بالله أي أنه يشهد الحق تعالى قدرته وسمعه وبصره وجميع قواه وأعضاءه الظاهرة والباطنة فلا يرى فعلا له ولا لغيره ولا إدراكا إلا بالله وهذا المقام يسمى بقرب النوافل ثابت ذوقا ووجدانا ، وقرب الفرائض وهو مستوى من القرب أعلى من النوع السابق وفي هذا المقام يشهد العابد نفسه وقواه الباطنة وأعضاءه الظاهرة آية الحق والحق تعالى المصرف لها المؤثر بها فيسمع بسمع العبد ويبصر ببصره ويتكلم بلسانه ويشبه القرب الأول قرب المأخوذ عن نفسه أو المجذوب الذي لا يشعر بماله ولا يدرك

[1] بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي مصدر سابق ص ٦٥ .

[2] المصدر نفسه ص٦٨ .

أخذه ويشبه القرب الثاني قرب الواصل الممكن في حاله المدرك يجري عليه من طريق إلهي وتجليات رباني[1].

مسكين من لم يذق طعم الهوى :

أوقات وصلكم عيد وأفـــــــراح يا من هم الروح لي والروح والراح

يا من إذا اكتحلت عيني بطلعتهم وحققت في محيا الحسن ترتـــــــاح

دبت حمياهم في كل جوهـــــرة عقل ونفس و أعظـــاء وأرواح

فما نظرت إلى شيء بدا أبـــدا إلا وأحباب القلب دونه لاحـــوا[2].

تلتقي شخصية الأمير عبد القادر الجزائري الجهادية وأبو بلال مرادس بن حدير البطل الشهيد في نقاط كثيرة وصفات عديدة كالتضحية في سبيل الله ، والشجاعة ، والإقدام على مواجهة البغاة بكل عزم وتوكل ، فالأمير عبد القادر كانت يتقدم أصحابه في القتال ، وتقوى الله عز وجل رغم تباعد الزمان والمكان إلا أن الذي استوقفني من خلال استقرائي لحياة البطلين هي تلك النزعة الجهادية الممزوجة بالروحانية المفعمة بالإيمان وحب الله ورسوله والتضحية بكل شيء لأجل أن يعم السلام والعدل ، فأبي بلال وأصحابه شأنه شأن الأمير وأصحابه في السلم وفي الحرب ن فكلامها عاش تجربة صوفية جهادية .

والتجربة الصوفية تجربة سلوكية وعرفانية يحاول من خلالها المتصوف الارتقاء والمعراج على حد تعبير ابن عربي إلى العوالم العلوية وهي في جوهرها محاولة لتجاوز التجربة الدينية العادية التي تقنع بالعادي والمألوف من مظاهر التصديق والإيمان وتقتصر على مجرد الوفاء

[1] بركات محمد مراد ، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوف، مصدر سابق ، ص ٧٢.

[2] ديوان الأمير عبد القادر الجزائري جمع وتحقيق ، د العربي دحوا ط٣، تالة ٢٠٠٧،مصدر سابق ص١١٤.

بمتطلبات الشريعة والوقوف عند حدودها ورسومها ، فالصوفي يتجاوز حدود الإيمان إلى الدخول في تخوم الإحسان الذي يعني أن تعبد الله أنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك [1]

[1] سامية بوعجاجة ، البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر / مجلة العلوم الإنسانية / جامعة محمد خيضر ، بسكرة / العدد ٣١/٣٠، ص ٣٥٢.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : التقارب الروحي من خلال تفسير القرآن

تفسير العلامة الإمام عبد الحميد بن باديس مقابلته بتفسير سماحة الشيخ العلامة المفتي أحمد بن حمد الخليلي ، وهل يتأتى لأي إنسان أن يقدر على قراءة كل القرآن ويفهمه ويفسره أيمها تفسير لو لا أن منحهم الله البصيرة والصفاء الروحي.

أولا تفسير الإمام عبد الحميد ابن باديس :

تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه والتفهيم تابع للفهم ، فمن أحسن فهمه أحسن تفهيمه، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه وإن كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس[1] كان للشيخ عبد الحميد بن باديس ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها ، يرفده بعد الذكاء المشرق والقريحة الوقادة والبصيرة النافذة – بيان ناصع وإطلاع واسع وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع جديد في علم الاجتماع ورأي سديد في عوارضه وأمراضه يمد ذلك كله شجاعة في الرأي وشجاعة في القول لم يرزقهما إلا الأفذاذ المعدودون في البشر[2]، وله في القرآن رأي بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم وهو أنه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته وهو رأي الهداة والمصلحين من قبله ، حيث كان يرى حين تصدى لتفسير القرآن أن في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم وإضاعة لعمر الضلال لذلك آثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد وعكف على تفسيره إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة [3].

---

[1] تفسير ابن باديس، للعلامة عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبيرط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١، ص ٦

[2] المصدر نفسه ص١١.

[3] المصدر نفسه ص ١٢.

هذا هو العنوان الذي كان يضعه الأستاذ الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله لما يكتبه بقلمه البليغ في تفسير بعض الآيات القرآنية الجامعة ويجعله فواتح لأعداد مجلة الشهاب وهي لمع لامعة في التفسير يتمنى قارئها عند كل جملة منها لو أن الشيخ أتم تفسير القرآن كله كتابة كما أتمه درسا على تلك الطريقة وبذلك التحليل ، إذ يرى أسلوبا مشرق الجوانب بنور العلم لا يفوقه في الروعة إلا حسن فهم كاتبه للقرن[1].

ومنهج الإمام عبد الحميد بن باديس في تفسير القرآن ومعرفة معانيه هو منهج الراسخين في العلم من أئمة السلف الذين لا يرتاب في كمال علمهم ، وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم [2].

وحاجة العباد إلى التذكير أعظم ما يحتاجون إليه وأشرفه وألزمه ، فإن سعادتهم الحقيقية في هذه الحياة بإنارة عقولهم وزكاة نفوسهم واستقامة سلوكهم وفي الحياة الأخرى بنعيم الجنان وحلول الرضوان إنما هي بإيمانهم بربهم وشكرهم له [3].

الإمام ابن باديس هنا يربط بين الذكر والشكر والإيمان ويجعلها جسرا يعبره المسلم إلى سعادة الدار الآخرة ، وأن دلائل وجوده ووحدانيته عز وجل وقيوميته وآثار فضله وإحسانه ورحمته ماثلة في الكون بادية للعيان داعية إلى الشكر هادية إلى الإيمان ، لكن العقول كثيرا ما تكون مغلولة بقيود أهوائها ، محجوبة بحجب غفلتها فتعمى عن تلك الدلائل والآثار فتكفر كفر جحود وعناد أو كفر عصيان وطغيان ويكون تورطها في كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود [4].

---

[1] تفسير ابن باديس مصدر سابق ص ٢٠.

[2] المصدر نفسه ص ٢٢.

[3] المصدر نفسه ص٤٩،ج١.

[4] المصدر نفسه ص ٤٩،ج١.

فكان تذكيره بآيات القرآن يتلوها ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي ، ممتثلا في ذلك كله أمر ربه تعالى بقوله ﴿نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥﴾[1].

فالقرآن وبيانه القولي والعملي من سنة النبي ﷺ بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين ومن حاد في التذكير عنها ضل وأضل [2].

وللعبد حالتان :حالة يعالج فيها شؤون الحياة من أمر نفسه وأهله وما إلى رعايته من مصالحه أو مصالح غيره فيمارس فيها الأسباب ويباشر فيها ما تقتضيه بشريته وهو في هذه الحالة متعبد مأجور ما جرى فيها على حدود الله وقصد بها امتثال شرعه ، وحالة ينفرد فيها لربه ويخلص من هم ذلك كله بالفكر والاعتبار ودوام المراقبة والإقبال ، وهذه الحالة الثانية هي أشرف وأفضل حالتيه وهي أساس الاستقامة في الحالة الأولى وأصل الكمال فيها .

كانت هاتان الحالتان للنبي ﷺ كما كانتا لغيره وقول ﷺ :" إنه لغيان على قلبي فأستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة"إشارة إلى الحالة الأولى التي يكون فيها قائما بمصالح الأمة [3]

وناهضا بأعباء الرسالة ومباشرة الشؤون العامة والخاصة ورآها دون الحالة الثانية التي يكون فيها متفرغ القلب للرب وما كان ذلك الغين إلا الاشتغال بأمور الخلق في الحالة الأولى الذي يحجب عن كمال مشاهدة الحق التي في الحالة الثانية[4] .

و أشرف حالتي الإنسان وهي حالة انفراده بربه وتوجهه بكليته إليه وخلوص قلبه له وتلقه به إنما تحصل على أكملها لتالي القرآن العظيم ، فإن أفضل ما فيه وهو قلبه يكون

[1] سورة ق الآية ٥٤.

[2] تفسير ابن باديس مصدر سابق ص٥١.

[3] المصدر نفسه ص٦٩.ج١.

[4] المصدر نفسه ص٧٠.

قائما بأفضل أعماله وهو التفكر والتدبر في أفضل المعاني وهي معاني القرآن الكريم ، وأن ترجمان ذلك القلب وهو لسانه يكون قائما بأفضل أعماله وهي البيان بأفضل أعماله وهو القرآن .

الذكر القلبي : فالتالي للقرآن المتدبر لآياته يكون متفكرا في مخلوقات الله وما فيها من حكم ومن نعم وفي معاني أسمائه وصفاته وفي مظاهر رحمته وإحسانه وبطشه وانتقامه وفي أسباب ثوابه وعقابه وفي مواقع رضاه وسخطه [1]

الذكر اللساني : وهي التي اشتمل عليها القرآن من أفضل الأذكار اللسانية من تهليل وتكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد واستغفار ودعاء ، وعلى الأسماء الحسنى والصفات العلى للرب تبارك وتعالى فتاليه يكون ذاكرا بهذه الأذكار كلها .

الذكر العملي : إن تلاوة القرآن بالتدبر تثمر للتالي التوبة والإنابة والرجاء والخوف وذلك كله مما يكون له خير داع إلى الاستقامة ولو بعض الشيء في سلوكه العملي [2].

قراءة القرآن أفضل أعمال اللسان وتدبر معانيه أفضل أعمال القلب والقرآن موعظة ترقق القلوب القاسية ، والقرآن شفاء لأدواء النفوس في عقائدها وأخلاقها وأعمالها ،وهو هدى ودلالة على كل ما يوصل إلى سعادة الدنيا والأخرى [3].

أن المذنبين مرضى القلوب فإن القلب هو المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله فكل معصية يأتي بها الجسد هي فساد في القلب ومرض به وأن الله تعالى قد جعل دواء أمراض القلب تلاوة القرآن [4].

---

[1] تفسير ابن باديس ص ٧٦.

[2] المصدر نفسه ٧٧ .

[3] المصدر نفسه ٨٠ .

[4] المصدلا نفسه ٨٢ .

والقلوب تعتريها الغفلة والقسوة والشكوك والأوهام والجهالات وقد تتراكم هذه الأدران كما تتراكم الأوساخ على المرآة فتطمسها وتبطل منفعتها وقد يصيبها القليل منها أو من بعضها ولا تسلم القلوب على كل حال من إصابتها فهي محتاجة دائما وأبدا صقل وتنظيف بتلاوة القرآن .

وقد أرشد النبي ﷺ " فيما رواه البيهقي والقرطبي في التذكار :" إن القلوب تصدأ كما يصدق الحديد " قالوا يا رسول الله فما جلاؤها؟ قال : تلاوة القرآن[1].

ومن كلام الإمام ابن باديس : ...وإذا نظرنا إلى قصورنا وخطورة مقام الكلام على كلام الله تعالى أحجمنا ، وإذا رأينا فضل الله وثقتنا به وحسن قصدنا إن شاء الله تعالى في خدمة كتابه –أقدمنا ...

كان الإمام يبدأ تفسيره بخطب كان لها أثر على النفوس لأن أساس كلامه هو كيفية التعامل مع القرآن الكريم حيث يقول : فإن القرآن كلام الجبار وسيد الأذكار فيه من العلم ما يفتح البصائر ومن الأدب ما ينور السرائر ومن العبر ما يبهر الألباب ومن الحكم ما يفتح للعلم والعمل كل باب وهو القول ، والحكم العدل فمن استهدى بغيره ومن سلك غير نهجه زل ، ومن اتبعه كان على الصراط المستقيم [2]

تفسير الشيخ أحمد الخليلي وهو :جواهر التفسير :

للقرآن أثر خالد في حياة الإنسان. ولمفسّر القرآن دور كبير في إضفاء روح القرآن على سامعه أو تاليه، وتختلف منازل المفسرين في ذلك حسب المواهب والفتوحات الإلهية

وقد حظي الشيخين الإمام عبد الحميد ابن باديس رحمه الله والشيخ المفتي أحمد بن حمد الخليلي في هذا المجال بسمات جعلت من دروسهما في تفسير القرآن ومضات من النور

[1] تفسير ابن باديس ص٨٢ .

[2] المصدر نفسه ص٩٥ .

الإلهي وإشعاع روحي تغمر الحاضرين وتشيع في قلوبهم هداية القرآن للحيارى والغافلين عن معاني كلام رب العالمين ، ونور القرآن، وروح القرآن، وطمأنينة لن يجد لها القلب نظيرا في غير القرآن ، ونكهة وسحرا ، ويجعل الشباب يلتف حولها للاغتراف من معينهما العذب .

فالشيخ أحمد الخليلي سمى تفسيره " جواهر التفسير "، أنوار من بيان التزيل " فأجاد في تبيين مقاصد القرآن الكريم العقدية والأخلاقية وكل ما شمله من مجالات الحياة

والإمام سمى تفسيره " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير " وبين فيه أسرار القرآن الكريم وأهدافه وغاياته السامية التي أرادها الله لعباده الذين هم مستخلفون في هذه الأرض .

هذا التناغم والتجاذب في عنواني الكتابين ينم عن تقارب فكري وعقدي ، فكلا الرجلين يحملان نفس السمات والصفات الشخصية ويلتقيان في الأهداف التي يسعون جاهدين لتحقيقها ، فالإمام عبد الحميد ابن باديس رجل رباني عالم بما يدور حوله يعيش مشاكل مجتمعه اليومية ويحمل هموم الأمة الإسلامية جمعاء ، حارب البدع ، حارب الاستعمار حارب انحراف الصوفية ، كان يعمل رحمه الله على عدة جبهات ومع هذا فكان له الوقت الأوفر لجمع الناس حوله في جلسات إيمانية يسقيهم من ترياق وحي الله المنزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم لأنه له رؤية صائبة وهي أن علاج على الأدواء ، لا يتم إلا بالرجوع إلى المنبع الصافي الذي جعله الله سبحانه وتعالى دستور حياة الأمم ، ومصباح يهتدي به الضال ودواء تعالج به الأسقام ، وبه تطمئن القلوب وترتاح ، وهو المنطلق لبناء أمة متماسكة اللبنات وبه تقوم الحضارة الإسلامية ويعلوا صوت الحق ويزهق الباطل وبالتمسك بمنهاج القرآن يحقق المسلم التوازن بين الدنيا والآخرة ، بين القول والعمل ، بين الاعتقاد القلبي والسلوك الخارجي .

أما الشيخ المفتي فمازالت خطبه تعلوا المنابر وأقواله تسيل المحابر ، فلطالما عرف بأنه رجل يحمل هم الأمة الإسلامية ومن داعة الوحدة الإسلامية ورؤيتها لا تختلف عن رؤية الإمام عبد الحميد بن باديس كون القرآن الكريم هو الحل لكل مشاكل المسلمين ، النفسية منها والاجتماعية والعقدية وكذا الاقتصادية ، فكانت حلقات التفسير التي كان يلقيها ارتجالية تنم عن حافظة قوية وعقل مدرك لما يقوله وقلب مشرب بالإيمان والعقيدة الصافية ، وإني لأعجب لهذا الرجل الذي يحفظ القرآن عن ظهر غيب ويفقه تفسيره ، وإنك لو رأيته أمامك وجالسته وكلمك وكلمته ستدرك حتما أنك لست في هذا العصر ، وأنك تعيش في زمن الصفاء والأصفياء والأولياء الصالحين الذين حوت سيرهم كتب التاريخ والرقائق ، تلك الروحيانية التي تشع من عينية وصفاء القلب الذي انعكس على ملامح وجهه ، وعلمه الغزير في كل العلوم ، وأخلاق القرآن بلا مبالغة التي تلمسها في معاملته للناس، والتواضع الغير معهود في الشخصيات المرموقة في الدين والدولة ، رجل صقله القرآن ، فأصبح يرى بنور الله وتواضع لله فرفعه إلى درجات القبول ، فيقول عن سبب تأخر الأمة الإسلامية : وعندما أخذ المسلمون- وفي مقدمتهم العرب- ينأون عن القرآن وهدايته ويتبعون السبل المتفرقة كانت النكسة الأليمة التي أصيبت بها الإنسانية كلها، إذ أخذت الجاهلية بزمام قافلة البشرية تقودها إلى حافة الانتحار، والمسلمون أنفسهم من ضمن الركب ، بل المسلمون صاروا بانحرافهم عن طريق القرآن من أشد الناس شقاء وأتعسهم حالة، وألبسهم للذل وأوغلهم في التخلف ولا غرو فقد أفلتوا سبب العز من أيديهم، وتفرقت بهم السبل بضلالهم عن سبيل الله، واستولت على عقولهم الظلمات لتعاميهم عن نوره المبين، فاختلف نتيجة ذلك عندهم الموازين، وتبدلت المقاييس، فأصبح المعروف عندهم منكرا والمنكر معروفا، والحق باطلا والباطل حقا، والفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة، والعز ذلا والذل عزا لأنهم لم يأخذوا بموازين القرآن ولم يستخرجوا منه مقاييس الأمور، وإذا تلي عليهم القرآن وذكروا بآياته خروا عليها صما

وعميانا، واستعاضوا عن صوت القرآن أصوات القيان ومزامير الشيطان، وقصرت عند كثير منهم تلاوته عند حدوث المصائب وقد تفتتح به برامج الإذاعة المسموعة والمرئية وتختتم وما يدور بين الافتتاح والاختتام معظمه حرب على القرآن وهدم لما شيده، كما تفتتح وتختتم به الحفلات التي كثيرا ما تكون مجانبة لأمره بعيدة عن هديه.[1]

يقول الشيخ أحمد الخليلي :عن تفسيره :هذا ومما هو جدير بالذكر انني لا أتقيد في التدوين بنصوص عبارات الدروس وإنما أحافظ علي روحها ومضمونها ذلك لأن مجال التدوين يختلف عن مجال الإلقاء الارتجالي، فلا مناص عن تهذيب العبارات واختصارها بحسب ما يمكن وكان القاء أول درس من هذه الدروس بعد صلاه المغرب من ليله الاربعاء السادس من المحرم الحرام عام ١٤٠٢ هـ ومن الله التوفيق وعليه التكلان، والقرآن الكريم الذي أنزله الله على نبيه ﷺ هو منبع هذا الخير كله ومطلع هذه الهداية التي أشرق نورها على قلوب الناس فبدد منها الظلمات واستأصل منها الضلالات فمن تمسك به فقد استمسك بالعروة الوثقي التي لا انفصام لها، فهو كلام الله رب العالمين لقوله تعالى : ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[2]، ونجد من خلال تلاوتنا له ما يدلنا على عظمه محتواه وعلى القصد من إنزاله فالله تعالى يقول ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾[3] .

وإذا كان الصحابي الجليل ابن مسعود(رضي الله تعالى عنه) يري أن تلاوة القرآن مع ترك العمل به مؤديه بصاحبها إلى الوعيد الذي جاء في قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤﴾[4] ، فما بالك

[1] مقدمة الشيخ أحمد الخليلي لكتاب جواهر التفسير ج١، "**الجزء الأول "شبكة الدرة الإسلامية**
aldura@aldura.net www.aldura.nt

[2] سورة فصلت الآية ٤٢.

[3] سورة البقرة الآية ٢.

[4] سورة طه الآية ١٢٤.

بأولئك الذين يحفظون عناوين الأغاني المائعة والقصص الماجنة أكثر مما يحفظون أسماء سور القرآن،

وقد كان اصحاب رسول الله ﷺ أسبق الناس إلى الخير لذلك كانوا سباقين في دراسة القرآن وتفهم معانيه، والعمل بما فيه وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه(أنهم كانوا يتعلمون من القرآن عشر آيات لا يغادرونهن إلى غيرهن إلا بعد أن يتقنوا ما فيها من العلم والعمل) وقد أعانهم على فهم معاني القرآن توقد أذهانهم وصفاء سرائرهم وطهارة وجدانهم وعمق فهمهم ، مع ما يتصفون به من ملكة في البيان تعينهم على الفهم وكان النبي ﷺ بين ظهرانيهم يرجعون إليه فيما أشكل عليهم من ألفاظ الكتاب فيفصل لهم المجملات التي يقتضي الحال تفصيلها ويضع بين أيديهم القواعد التي تمكنهم من فهم سائر القرآن بالرجوع إليها فلذلك كان أصحابه رضي الله عنهم أعلم الناس بمعاني القرآن وبمجمله ومفصله وناسخه ومنسوخه ومطلقه ومقيده وخاصه وعامه،

وانفراد الله سبحانه بالربوبية والألوهية يقتضي أن لا يستمد منهج الحياه إلا منه ولا ريب أن ذوي الفطرة السليمة إذا قرع مسامعهم قول الحق سبحانه (**الحمد لله رب العالمين**) وتصوروا معناه داخلت قلوبهم هيبه تحف منها نفوسهم وترتجف منها أوصالهم لما يدركونه من عظمه الخالق سبحانه الذي يخضع لجلاله كل كائن في الوجود ويذل لكبريائه كل عزيز وعظيم ، فلا عجب إذا تلي ذلك بوصف الرحمن الرحيم لإضافة الطمأنينة على هذه القلوب الواجفة وانزال السكينة على هذه النفوس المضطربة عندما تشعر بأن هذه الربوبية هي ربوبيه رحمه وإحسان.

هذا وبما ان القرآن الكريم أنزله الله ليكون هدي للمؤمنين فان كل كلمه منه تشع منها الهداية وبإمكان تاليه أن يستفيد بكل ما يتلوه في تهذيب نفسه وتربيه ضميره وذكر صاحب المنار أن حظ العبد من وصف الله تعالى بالربوبية أن يحمده تعالى ويشكره باستعمال نعمه التي تتربى بها القوي الجسدية والعقلية فيما خلقت لأجله مستشعرا عظم

المنة من الله سبحانه تربيه نفسه وتربيه من يوكل إليه تربيته من أهل وولد ومريد وتلميذ واستعمال نعمته بهداية الدين في تربيه نفسه الروحية والاجتماعية وان لا يبغي كما بغى فرعون فيدعي أنه رب الناس وكما بغي فراعنة كثيرون ولا يزالون يبغون بجعل أنفسهم شارعين يتحكمون في دين الناس بوضع العبادات التي لم ينزلها الله تعالى وبقولهم هذا حلال وهذا حرام من عند أنفسهم أو من عند أمثالهم فيجعلون أنفسهم شركاء الله في ربوبيته قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاؤُا شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾[1] وفسر النبي ﷺ اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله بمثل هذا[2] .

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾[3] : في هذه الآية الكريمة تقرير لحقيقه هامه جاء القرآن الكريم ليقررها بكثير من آياته وهي كليه من كليات العقيدة الإسلامية الصحيحة وضرورة من ضرورات الفكر الإنساني الذي تصدر عنه التصرفات والأعمال وتقوم على أساسه حياة الإنسان فإن الإيمان باليوم الآخر ليس هو من الأمور الهامشية التي لا صلة لها بعمق الفكر ولا أثر لها في واقع الحياة ولكنه ركيزة أساسيه في بناء الحياة الفكرية والعملية ولذلك نجد الإيمان به يأتي رديف الإيمان بالله في الذكر سواء في آيات الكتاب أو في أحاديث الرسول ﷺ خصوصا عندما يستدعي الحال تأكيد أمر أو نهي فكثيرا ما يأتي في القرآن(لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أو ما يفيد مفاد هذا التعبير في حال التأكيد كما أنا نسمع كثيرا في حديث رسول الله ﷺ(من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليفعل كذا) أو (من كان يومن بالله واليوم الآخر فلا يفعل كذا) وفي ذلك ما يكفي برهانا أن الإيمان باليوم الآخر كالإيمان بالله في عمق أثرهما في سلوك الإنسان وقوه تأثيرهما في توجيه ميوله ورغباته وضبط غرائزه ونزعاته وهذا لأن الإيمان بالله يعني الإيمان بالمبدأ والإيمان باليوم الآخر يعني الإيمان بالمصير وهل تبقي للإنسان قيمه أن جهل المبدأ والمصير.

---

[1] سورة الشورى الآية ٢١.

[2] الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، جواهر التفسير من أنوار بيان التنزيل ج١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م. ص٥.

[3] سورة الفاتحة الآية٤.

كان الإمام عبد الحميد بن باديس صاحب دعوة للإصلاح والتغيير فأخذ ينشرها عن طريق النوادي والمدارس ودروس الحضارة الإسلامية وتفسير القرآن الكريم والحديث التي أخذ يلقيها على طلابه ومريديه في الجامع الكبير وفي الجامع الأخضر في مدينته قسنطينة ، مواصلا ليله ونهاره يبث روح النهضة العربية الإسلامية في الجزائر داعيا قومه في الوقت نفسه إلى الله وإلى تغيير نفوسهم حتى غير الله ما بهم وانسجاما مع هذا المبدأ اتخذت الثورة الجزائرية[1] من قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴿١١﴾ ﴾[2]، شعارا لها لأن ابن باديس ربط فكرة القضاء والقدر بفكرة الأسباب والقوانين الطبيعية وحرية الإنسان وقدرته على تغيير واقعه، وكان من الدعاة المصلحين الذين كان لهم أثر عظيم في نهضة الأمة الذي جعل إشعاعه ينفذ إلى أعماق الشعب والضمير .

التناسق الذي لاحظته في عنواني الكتاب : جواهر التفسير ومجالس التذكير

التناسق والتوافق في الفكر الإصلاحي للشيخين وأثر الحركة الإصلاحية التي ظهرت في المشرق في التفسير ، وهي الحركة الإصلاحية التي أرسى قواعدها جمال الدين الأفغاني وتزعمها محمد عبده ، وقد تركت هذه الحركة آثارها بارزة في تفسير القرآن حيث كان الأستاذ محمد عبده يلقي دروسه التفسيرية في الأزهر الشريف وكان تلميذه الكبير السيد محمد رشيد رضا يقوم بدور تدوينها ونشرها في مجلة المنار، وليس بخافي تأثر كل من العالمين .

[1] الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، جواهر التفسير من أنوار بيان التنزيل ج١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م ص ٧.

[2] ورة الرعد الآية ١١.

يقول الشيخ أحمد الخليلي معترفا بفضل المدرسة الإصلاحية فيقول :

وإذا كان الاعتراف بالفضل لأهله فضيلة ، فإننا نعترف للمدرسة الإصلاحية بفضل السبق في معالجة المشاكل المعاصرة على ضوء القرآن الكريم والوقوف في وجه التيارات الفكرية الوافدة من الغرب وتفنيد مزاعم المستشرقين وتلامذتهم ضد الإسلام ومكافحة الخرافات والأوهام التي سيطرت على عقول المسلمين آنذاك [1]، ومما لا يحتاج إلى بحث أن الشيخ أحمد الخليلي يعتبر مجدد ومصلح الإباضية خاصة المعاصر والأمة الإسلامية عامة ، وإني أراه في دعوته إلى الله وإلى وحدة الأمة ونبذ الخلافات التي طائل منها والعودة إلى منبع العقيدة الصافي وتجديد العقيدة الإسلامية وفقا لمنهج القرآن الكريم فهو أنموذج يتكرر لشيخنا الإمام عبد الحميد بن باديس ، فكلاهما متأثر بالفكر الإصلاحي ورواد النهضة في الشرق الشيخين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده .

كما يتفق كثير من الباحثين والمؤرخين أن منهج ابن باديس في الإصلاح ما هو إلا امتداد لحركة الشيخ محمد عبده ، كما كان لتلميذ محمد عبده المخلص محمد رشيد رضا ، تأثيره الواضح في منهج ابن باديس الإصلاحي ، هذا التأثير بدا واضحا في ثنايا الترجمة الشاملة التي خصه فيها، مستعرضا فيها جوانب مضيئة من حياته شارحا الأسباب التي هيأت له ليكون نسيج وحده في هذا العصر فقها في الدين وعلما بأسرار التشريع وإحاطة بعلوم الكتاب والسنة ، ثم يوضح ابن باديس ما للسيد رضا من آثار على الحركة الإصلاحية الحديثة فيقول فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى في العالم إصلاحا وهداية بيانا ودفاعا كلها من آثاره .[2]

---

[1] جواهر التفسير ج ١، مصدر سابق ، ص ٣٩.

[2] فهمي توفيق محمد مقبل ، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث ، ١٣٠٧هـ.١٣٥٩هـ/١٨٨٩م،١٩٤٠م .

تفسير الشيخ أحمد الخليلي للآية ٥من سورة البقرة :

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾[1]،الهدى و الفلاح الفلاح هو النجاة ، ولذلك فسر المفلحون هنا بالمنجحين كما في تفسير ابن جرير ويعني ذلك أنهم بلغوا الهدف المقصود وأدركوا الضالة المنشودة وهي الفوز لرضوان الله الذي تترتب عليه النجاة من أليم عقابه والخلد في بحبوحة ثوابه [٢] .

ومفهوم الفلاح في تفسير الشيخ أحمد الخليلي : يدخل في هذا كله ترك الكذب والزور ، وتزكية النفس من سائر الرذائل كالشره والطمع ، والجبن ، والهلع ، والبخل والجور والقسوة ، وما نشأ عن هذه الصفات من الأفعال الذميمة وارتكاب الفواحش والمنكرات والانغماس في ضروب اللذات ، وجميع ما سماه القرآن عملا صالحا من العبادات وحسن المعاملة مع الناس ، والسعي في توفير منافعهم الخاصة والعامة مع التزام العمل والوقوف عند ما حده الشرع القويم والاستقامة على صراطه المستقيم ، وجملة القول أن الإيمان بما أنزل على النبي ﷺ ، هو الإيمان بالدين الإسلامي جملة وتفصيلا ، فالإيمان به إيمان والإسلام به لله إسلام ، وإنكاره خروج من الإسلام ، وهو الذي يجب أن يكون معقد الارتباط الإسلامي وواسطة الوحدة الإسلامية [٣].

والشيخ يهدف إلى تحقيق مقاصد التفسير الأساسية ، وهي : إيضاح ما انبهم من هداية القرآن ، وبيان موضع العبرة من قصصه وأمثاله ، ومحط الحكمة من تشريعاته وأحكامه .

النزعة الروحية لتفسير الخليلي والتي تتجلى في بناء الإنسان معنويا وروحيا وتهذيب أخلاقه وفقا لأخلاق القرآن والتي تمثلت في شخص الرسول ﷺ من خلال تبيان مفاهيم الآيات وإبراز العبر والحكم وتوضيح الأحكام الشرعية التي تشكل على قارئ كتاب الله فهمها فالتفسير يسهل على الإنسان فهم كلام الله ويشير الشيخ في معرض تفسيره للآيات أن الكثير من المفسرين نحوا نحوا آخرا بتفسيرهم وابتعدوا عن المقصد الحقيقي منه

[١] سورة البقرة الآية ٥.

[٢] جواهر التفسير ج ٢، مصدر سابق ص٢١٨.

[٣] المصدر نفسه ص ٢١٦.

وجعلوا من هذه التفاسير محط اختلاف بينهم وانشغلوا بما لا يخدم مصلحة الأمة الاسلامية.

تفسير الإمام عبد الحميد بن باديس للآية ٩٦من سورة مريم :قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[1]

الإيمان – وهو التصديق الصادق المثمر للأعمال –والأعمال الصالحة وهي المستقيمة النافعة المبنية على ذلك الإيمان – هما اللذان جعلهما الله سببا في تحقيق جعل هذا الود لما قاله تعالى في هذه الآية فيعم ذلك كل أهل الإيمان والعمل الصالح .

الود: تكسب مودة الناس بأسباب متعارفة بينهم ، منها القرابة ، ومنها الصداقة ومنها صنائع المعروف وآثر الإحسان ، أما الود الذي وعد الله به الذين آمنوا وعملوا الصالحات فسببه جعل من الله له في قلوب العباد لهم دون تودد منهم ولا توقف على تلك الأسباب ، فيودهم من لم يكن بينه وبينهم علاقة نسب أو صداقة ، ولا وصل إليه منهم معروف ، فهذا نوع من الود خاص يكرمهم الله به ، وينعم عليهم به الرحمن[2] .

أفادت الآية الكريمة أن على المسلم أن يتمسك بالإيمان والعمل الصالح والاتباع للنبي ﷺ ولو كان في قوم انفرد بينهم بذلك وحده ولا يستوحش من انفراده بينهم فحسبه النبي ﷺ ومحبته وكفى بهما أنسا، وليثق بأنه –إن صدق ومد الله في عمره – يكون له ود وقبول في عباد الله وأنس بمن يحبهم ويحبونه لله ، وتلك المحبة النافعة الدائمة الضلة المتينة الجامعة التي تجمع بين أهلها في الدنيا والآخرة .[3]

نلاحظ أن كل من الشيخين ينطلق من واقعه المرير في تفسيره وما تعانيه الأمة من أمراض من فرقة وهزيمة نفسية وتخلف حضاري .

إصلاح المجتمع والأمة لا يتم إلا بإصلاح النفس والقلوب وذلك لا يتأتى إلا بالرجوع إلى القرآن الكريم دستور حياة البشرية ، وهذه القاعدة الروحية التي يبني بها المجتمع

---

[1] سورة مريم الآية ٩٦.

[2] الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير م ١، دار الرشيد – الجزائر –ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص ٣٧٤.

[3] المصدر نفسه ص٣٧٩.

حضارته بشقيها المادي والمعنوي ترتكز على النفس وما يشوبها من أمراض وعلل ، والقارئ المتمعن لتفسير الإمام عبد الحميد بن باديس يلتمس الاهتمام الكبير بتربية الإنسان تربية روحية لأن هذا المبدأ يجعله يتحدى الواقع الذي يعيشه ويواجه الصعوبات ويعمل على تغييرها وهو مطمئن أن التوفيق سيكون حليفها لأنه مشدود الصلة بخالقة ويعيش حياته الروحية بإخلاص وفقا لما قرره القرآن الكريم على لسان رسول الله ﷺ .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : كتاب إحياء علوم الدين قناطر الخيرات

لا يخفى على الكثير أن حياة أبو حامد الغزالي تجلت فيها معالم تجربته الروحية بعمقها وكان لها ثمار كثيرة من بينها كتاب إحياء علوم الدين وهو كتاب ألفه الإمام الغزالي في فترة خلوته وانعزاله عن الناس وفي أيام عبادته وقربه من الله تعالى، رغم ما صدر من الاستنقاص من قيمته من الناقدين والحاقدين ، إنه ثمرة من ثمار القرب و نهاية سلوك الطريق إلى الله بعد رياضات ومجاهدات وهو من خير ما يتخذه المريد من الذخائر حيث كان أبو الحسن الشاذلي يقرأ هذا الكتاب ويدرسه لتلاميذه[1]، وقد حوى على مبادئ في تزكية النفس وتبيين آفاتها وكيفية الارتقاء بها إلى المقامات المحمودة وإلى مراتب العلى ، كما بين فيه مكانة الدنيا وحذر من الاغترار بملذاتها وعاقبة من يجري وراء شهواتها ، وبين كيف يكون التعامل معها وكيف يكون إيثار الآخرة على الدنيا والعمل على نيل المطالب العالية وهو دليل المريد ومورد السالك والكتاب بأجزائه الكثيرة قد حوى محاور كثيرة هي خلاصة تجربة الإمام أبو حامد و من بين ما يلزم الإشارة إليه هو الباب في بيان حقيقة الزهد يقول: اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر [2] المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل ، وكأن القول لظهوره أقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مرادا لعينه ، وإن لم يكن صادرا عن حال سمي إسلاما ولم يسم إيمانا والعلم هو السبب في حال يجري مجرى المثمر ، والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلنذكر الحال مع كلا طرفيه من العلم والعمل : أما الحال فنعني بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه ، إذن فكل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد

[1] ابن عطاء الله السكندري تح: د عبد الحليم محمود، لطائف المنن ط٣، القاهرة- دار المعارف ٢٠٠٦

[2] إحياء علوم الدين أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، ص ٩٢٣

ولكن في الآخرة ، ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد في الدنيا ، ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالعدول إلى شيء هو أحب منه وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال ، والذي يرغب عن كل ما سوى الله تعالى حتى الفراديس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق والزهد عبارة عن ترك المباحات التي هي حظ النفس ، وهو عبارة عن رغبة عن الدنيا عدولا إلى الآخرة ، أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا[1]، ثم يوضح لنا أن الزهد درجات وأقسام فيقول: اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث :هي :

الدرجة الأولى :وهي السفلى منه أن يزهد في الدنيا وهو لها مشته وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفتة ، ولكنه يجاهدها ويكفها ، وهذا يسمى المتزهد ، وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد ، والمتزهد يذيب أولا نفسه ثم كيسه والزاهد أولا يذيب كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعات لا في الصبر على ما فارقه والمتزهد على خطر فإنه ربما تغلبه نفسه وتجذبه شهوته فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير.

الدرجة الثانية :الذي يترك الدنيا طوعا لاستحقاره إياها بالإضافة إلى م اطمع فيه كالذي يترك درهما لأجل درهمين ، فإنه لا يشق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وبزهده ويظن في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه ، وهذا أيضا نقصان .

الدرجة الثالثة :وهي العليا : أن يزهد طوعا ويزهد في زهده فلا يرى زهده ، إذ لا يرى أنه ترك شيئا ، إذ عرف أن الدنيا لا شيء فيكون كمن ترك خزفة وأخذ جوهرة ، فلا يرى ذلك معاوضة ، ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله تعالى ونعيم

[1] إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ،ت: د: بدوي طبانة ، ج١-دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.ص ٩٢٤.

الآخرة أخس من خزفة بالإضافة إلى جوهرة ، فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كمال المعرفة [1] ومثل هذا الزاهد آمن خطر الالتفات إلى الدنيا ، كما أن تارك الخزفة بالجوهرة آمن من طلب الإقالة في البيع .

ومثل من ترك الدنيا للآخرة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب المعمورة بالمشاهدات والمكاشفات ، مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه ، فألقى إليه لقمة من خبز فشغله بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى نفذ أمره في جميع مملكته ، أفترى أنه يرى لنفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ما قد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى ، يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع ، والدنيا كلقمة خبز إن أكلت فلذتها في حال المضغ وتنقضي على القرب بالابتلاع ثم يبقى ثقلها بالمعدة ثم تنتهي إلى النتن والقذر [2].

أما انقسام الزهد بحسب المرغوب فيه هو أيضا ثلاثة :

الدرجة السفلى : زهد الخائفين أن يكون المرغوب فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ، ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كما وردت به الأخبار ، فهذا هو زهد الخائفين وكأنهم رضوا بالعدم لو أعدموا ، فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد العدم .

الدرجة الثانية : زهد الراجين أن يزهد رغبة في ثواب الله ونعيمه واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين ، فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له .

[1] إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ص٩٢٨ .

[2] المصدر نفسه ص٩٣٠.

الدرجة الثالثة : زهد المحبين وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه ، فلا يلتفت قلبه إلى الألآم ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى ، وهو الذي أصبح وهمومه هم واحد ، وهو الموحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى ، لأن من طلب غير الله تعالى فقد عبده ، وكل مطلوب معبود ، وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه ، طلب غير الله من الشرك الخفي ، وهذا زهد المحبين وهم العارفون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه .[1]

فالحاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ، ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا فقصر أمله لا محالة ، لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء ، فإن من أراد شيئا أراد دوامه ، ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو ممكن في هذه الحياة ، فإذا رغب عنها لم يردها ، ولذلك لما كتب عليهم القتال: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [2] ،أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال المنافقين ، أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بنيان مرصوص ، وانتظرواّ إحدى الحسنيين ، وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستنشقون رائحة الجنة ويبادرون إليه مبادرة الضمآن إلى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله أو نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على فوت الشهادة ، قال بشر رحمه الله : الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذه إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة وقال قاسم : الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فبقدر ما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ولعمري هي

[1] إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ٩٣٠.

[2] سورة النساء الآية ٧٧.

أغلب الشهوات على الأكثر وهي المهيجة لأكثر الشهوات ، وقال الفضيل : الزهد في الدنيا هو القناعة ، وهذا إشارة إلى المال خاصة ، وقال الثوري : الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات، فإن من يميل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ، ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها[1] .

فهذه التفاتة إلى محور من محاور الكتاب وبعض مما قاله حجة الإسلام عن الزهد في الدنيا .

أما كتاب قناطر الخيرات لصاحبه أبوطاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي[2]، فهو كتاب في مقاصد التشريع وفلسفة الأخلاق وتزكية النفس وتهذيبها ، ألفه سنة ٧٣٨م- ١٣٣٧م

لقد ترك الإمام الجيطالي ثروة كبيرة من الجهاد العلمي الجاد المثمر في مؤلفاته القيمة العميقة، هي من أرفع الجهود العلمية وأخصبها ويجد القارئ في كتاب القناطر هذا صورة جلية لهذه الآفاق الرحبة التي يرتادها هذا العالم الكبير في ميادين المعرفة الإسلامية في تدفق وعمق ودراية .

وكانت الأمة المسلمة في هذا العصر الذي عاش فيه الجيطالي أوضاعها متدهورة في شتى النواحي وعصر أستفحل الشر ، وأشتد كيد الشياطين و أحمرت فيه حدق الجهلاء – وكان من أشد الحاجة إلى مثل هذه التصانيف القيمة التي أبرزتها قلوب أحياها الإيمان، ونفوس رباها القرآن وإن الجيل المسلم الذي نرجوه لهذه الإمة المسلمة، والذي يحقق الوجود الإسلامي في الأرض، ويعلن فيها تحرير الأنسان من الطواغيت والأصنام

[1] إحياء علوم الدين ، مصدر سابق ص٩٣١.

[2] نشأ الإمام المجتهد القدوة أبو طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي

نشأ في مدينة (جيطال) وهي مدينة فسيحه تقع بين (أمسين) و(إينر) على ربوتين متقابلتين، تحيط بها من جميع الجهات غابات كثيفة من شجر التين والزيتون .

ولا يعرف تاريخا محددا لمولده والمؤرخ الوحيد الذي يمدنا بترجمة وافيه للإمام الجيطالي هو أبو العباس الشماخي رحمه الله في كتابه الجليل (السَّيَرْ) وهو ينقل فيه صورا متناثرة من حياة الإمام، وينتهي إلى تحديد وقت وفاته بسنة خمسين وسبعمائة للهجرة النبوية في جزيرة جربة بتونس ، وتوفى رحمه الله بجربة سنة سبعين وخمسمائة.

والأوهام، لا بد أن يفيء إلى مثل هذه الظلال الوارفة من التوجيهات الإسلامية النظيفة، والتي صدرت عن دعاة مؤمنين مخلصين صادقين كالجيطالي رحمه الله ..

ذلك أن الجيطالي رحمه الله – لم يكن من أصحاب الكلام المولعين بالنظريات يتفننون في عرضها ويتأنقون في إيرادها، وبالمجادلات الفارغة يشغلون بها أنفسهم والناس، ولكنه كان مسلما مؤمنا، وحمل ثقل الرسالة العظيمة في ركن من بلاد الإسلام في وقت نجمت في للجاهلية قرون صلبة ، فأنتدب نفسه لحمل راية الإسلام فكان من دعاته المخلصين الذين عاشوه (حركة) ثم عبروا عنه (بيانا)، كما لا يفوتنا ذكر أن الجيطالي في حياته تعرض لمشاكسات الجهلاء ومضايقاتهم، فجاز ذلك كله بقلبه الكبير وعلمه الغرير، وأبتلى بكيد السلطان ووحشة سجنه، فصبر لذلك حتى عافاه الله ، وتعرض للشيطان وهو يسخر أولياءه فيمنعونه من إحقاق الحق وإنكار المنكر فغادر بلدة (فرسطاء) التي أقام بها تسع سنوات مؤثراً نصره دين الله عن ألفة الدار، وجمال الحق عن أنس الجار، وقصد جزيرة جربة ليرفع فيها راية الدعوة في مسجدها الكبير بقية عمره معلما ومذكورا ومربيا ومصنفا ..

ولقد كان الجيطالي من أهل المجاهدة والتقوى والإخلاص – تجد ذلك واضحا في كتبه التي تسفر فيها الروح الشفافة المجنحة، التي تلحق في آفاق من التقوى والورع والعبادة الخالصة التي لا يخالطها رياء ،ولا يفسدها هوى، ولا تنازعها رغبات الدنيا، ان بصيرا بطريق الآخرة، سالكا لها عالما بها، ودعاه ذلك إلى تدبر أمره وواجبه نحو إخوانه المسلمين فألف فيما ألف قناطر الخيرات ليبصرهم الطريق، وليهديهم السبيل، ولينصح لهم في دنياهم فيسلك بهم النهج القويم إلى آخرتهم .

وقد نال كتاب القناطر – كغيره من كتب الجيطالي – شهرة كبيرة في مكتبة المذهب الإباضي العامرة بالمؤلفات الكثيرة، ذلك أنه يبدو فريدا في منهجه وطريقة تأليفه، واتجاه

مؤلفه الواضح فيه إلى رسم مخطط متكامل لحياة الإنسان المسلم كما يحددها التصور الإسلامي ويوجه إليها، دنيا وآخرة . فهو كتاب شامل يجمع إلى بيان أسرار العبادات ومهمات مسائلها نظرات قيمة في التربية والأخلاق ، ولمحات بارعة في فلسفة التشريع الإسلامي ومناهجه الذي أختصه لتنظيم الحياه والمجتمع ..

وكان الجيطالي في عصر تحكمت فيه النظرة المذهبية الضيقة – حين توزعت الدنيا سلطان المسلمين فكثرت الممالك وتعدد الحكام وتفرقت الأمة – كان الجيطالي فيما يكتب رائدا من رواد الأخوة الإسلامية الصحيحة التي يبنيها العلم الواسع والاجتهاد الدقيق رائدا من رواد الأخوة الإسلامية الأصيلة التي تتشبع بها كتبه كانت نتيجة الحق الواحد الذي يسع المسلمين الصادقين مهما تناءت بها الديار، ومهما باعدت بينهم الأصقاع ، وقد أوضح الجيطالي ذلك من منهجه في التأليف فقال:" وأنا أستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم ، وطغى به القلم في كتابنا، وإنما ألفناه من كتب شتى ، وأكثره من كتب قومنا" .

و أننا نستطيع أن نؤكد أن الجيطالي كان بمعزل عن المؤثرات الغريبة عن التصور الإسلامي وأنه كان في كل ما يعرض له من نظرات وآراء لا يحتكم لغير العقيدة الإسلامية الصحيحة وموازينها الأصلية : الكتاب والسنة والآثار الصحيحة عن الصحابة رضوان الله عليهم..[1]

ونلاحظ تجوزا من المؤلف رحمه الله في الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة وبعض الأحاديث الموضوعة في كتاب القناطر، ومعظمها مما نقله عن الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين، وهو في بعض الأحيان يورد الحديث منها ويقول : ذكره الغزالي في كتابه وروى الغزالي ...وقد سلك الجيطالي رحمه الله هذا المسلك على بينة منه ، وهو يوضح رأيه في ذلك في

[1] موقع الاستقامة ، مرجع سابق .

نهاية قنطرة الصوم فيقول: ((أعلموا – أرشدكم الله – أني إنما أوردت الأحاديث المتقدمة في فضل صلاة الأيام والليالي وغير ذلك من أحاديث فضل العلم والتعلم، وما أورت من الأحاديث هاهنا في فضل رمضان وغيره من صوم الأيام المتقدمة ، وما سنورده من الفضائل إن شاء الله، وإن كان أكثرها غير مستفيض عند أصحابنا ولا موثوق بصحتها ،فإني إنما فعلت ذلك لحديث رأيته في آثار أصحابنا عن أبي عبيده مسلم رحمه الله ، وذلك أنه قال : بلغني عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : ((من بلغه حديث في الرغائب والفضائل في العمل فأجتهد فيه – قال : فإن كان الحديث على نحو ما بلغه كان له أجر : أجر حفظه الحديث وطاعته فيه ، وأجر عمله به . وإن كان الحديث على غير ما بلغه كان له أجره على نحو ما بلغه، لأن الله لا يضيع أجر المحسنين، فلا يذهب أجر اجتهاده لله ونصيحته لربه ما لم يكن اجتهاده في بدعه)).

وقال الشيخ أبو عبيدة – رحمه الله – فيما وجدت عنه : أعلم أن المسلم إذا رزقه الله نفس طيبه مستقيمةً على طاعة الله، كلما بلغه شيء يتقرب به إلى الله أجتهد فيه فيكون مأجور على نحو ما تقدم .

قال : وإذا للإنسان نفس خبيثة مل العمل لله، واستثقل العبادة ، فكان أكثر همه في الجدال والمراء ، فإذا بلغه حديث فيه الرغبة في العمل عارضه بالقياس وقال : إن هذا ليس صحيحاً لأن رأيه وما يوافق هواه ليس فيه العمل بطاعة الله تعالى، ثم قال: ((وأيضاً فإني وجدت في كتب فقهاء قومنا أنهم استسهلوا في نقل أحاديث الرغائب والمواعظ وقالوا : لأن ذلك حث على طاعة الله تعالى ودعاء إليه ، ورووا في ذلك حديثا عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : ((من قال عني خيراً قلته أو لم أقله فأنا قلته)) ورووا عن أبي هريرة عنه عليه السلام أنه قال : ((ما بلغكم من قول حسن قلته أو لم أقله فأنا قلته)) قالوا : وإنما تشدد الأئمة من أهل العلم في أحاديث الأحكام التي بُنيت

عليها قواعد الاسلام ، التي فيها الأوامر والنواهي، والحلال والحرام، والحدود والفرائض. ولعمري لكذلك ينبغي أن تكون ...))

ميزة أخرى ترفع من قيمة هذا السفر الجليل، هي أنه جاء متأخراً عن جهود سابقة في ميدانه، فقبس منها ما لمحته من نظرات، وما توصلت إليه من آراء وحقائق، فكان جامعاً لأشتاتها ومؤلفا لشواردها ، فقد كانت كتب خاصة ألفها أصحابها في المباحث التي تتعلق بعلم طريق الآخرة وتقويم السلوك وتهذيب الأخلاق، من هذه الكتب كتب المحاسبي، وكتب أبي طالب المكي، وكتب الغزالي : إحياء علوم الدين وغيره، وأدب الدنيا والدين للماوردي، وتبيين أفعال العباد لأحمد بن بكر وغيرها ، أفاد الجيطالي من كل هذه الكتب وقبس منها وأشار إليها[1].

يقع في ثلاثة مجلدات قسمها الجيطالي إلى سبع عشرة قنطرة إذ شبه الفرائض بالقناطر التي يمكن للسالك عليها العبور للوصول إلى السعادة الأبدية والدافع إلى تأليفه هو فساد أحوال عصره واندراس معالم الدين ، وامتلاء الضمائر بحب الدنيا وعماء البصائر عن طريق الآخرة فخشي الانسلاخ من الدين كله فدعاه ذلك إلى وضع هذا الكتاب ، كتاب جامع لعلوم الدين والدنيا والآخرة ومهذب للخواطر دالة على علو درجة مؤلفه في العلوم سالم من الطعن فيه بأدنى خدش وكلوم شاهد له بالفوز بالحظ من علم اليقين والكشف كما نطق به فحوى كلامه [2].

البعد الأخلاقي للقضاء والقدر حيث فرق الجيطالي بين أصول والأخلاق وجعل منهما حقيقة واحدة هذا ما يلاحظه القارئ في قناطر ولا شك أن هذا المنحى الذوقي في

[1] أبوطاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي ، مقتبس من مقدمة قناطر الخيرات – الجزء الأول ، ت: د. عمرو خليفة النامي ، موقع الاستقامة .

[2] خضير بن بكير بابا وعمر، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي ٧٥٠هـ- ١٣٤٩م تق أحمد بن عمر أوبكة . محمد ناصر بوحجام ط١/ ١٤٣٠-٢٠٠٩، ص ٧٧

النظر إلى حقائق الدين قد استخلصه الجيطالي ممن سبقه من علماء الإسلام وعلى رأسهم الإمام أبو حامد ص ٣٣٦.الغزالي ت ٥٠٥ هـ- الذي ترك أثرا بارزا في الفكر الاسلامي من بعده الرعاية ق ٩هـ — ١٥م وعن حديث الجيطالي عن القضاء والقدر لم يقف عند المسائل التي أثارها المتكلمون وما دار حولها من جدل فحسب بل تجاوز ذلك إلى أبرز ثمرات الإيمان بالقضاء والقضاء في سلوك الإنسان ومعاملاته والجمع بين القضاء والقدر وبين الطلب والحذر[١]، أجاب الجيطالي عن هذا الإشكال مبينا أن القدر والطلب لا يتنافيان فقد يقدر الله وصول أمر إلى شخص بعد الطلب فلا يصل إليه إلا بعد الطلب لأن الطلب من القدر والأحرف بين الأمر المطلوب وبين الطلب فكلاهما مقدورات ولا تنافى بينهما كما أن التوكل والكسب لا يتعارضان ويعلل ذلك لأن التوكل محله القلب والكسب محله الجوارح ولا يتضاد شيئان في محلين ، فالتخلي عن الأسباب بدعوى التوكل حسب رأي الجيطالي مراغمة للحكمة وجهل سنة الله تعالى يقول فمن ظن أن الطلب والاكتساب والأخذ بالحزم والاحتراز يناقض التوكل فقعد في بيته وأغلق عليه بابه متوكلا على ربه بزعمه كان عن العقل خارجا وفي ظلمة الجهل والجاه[٢].

ومن ناحية أخرى فإن كتاب قناطر الخيرات هو عبارة عن وجه آخر لكتاب إحياء علوم الدين بكل ما يحويه من مواضيع ، فالجيطالي قرأ كتاب الإحياء قراءة أعاد بها صياغة الكتاب في حلة جديدة ونلاحظ أن عنوان الكتاب لا يقل أهمية في معناه من عنوان الإحياء فهو يشتمل على موضوعات هامة متعلقة بحياة الإنسان والتي تفيده في الحال والمآل ، والعنصر الذي يهمنا هنا ويخدم بحثنا هو القنطرة المسماة بقنطرة النفس والتي تعنى بباطن الإنسان.

[١] الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي مصدر سابق ص ٣٣٦

[٢] المصدر نفسه ص ٣٣٨ .

بالدرجة الأولى والذي ينعكس على ظاهرة إن تمت التنقية والتزكية ، وهو مسلك كل الصوفية وكل العلماء الربانيين الذين عرفوا بالورع والتقوى ، واخترت نقلها من كتاب الجيطالي "قناطر الخيرات "حتى يتبين للقارئ الكريم المطلع على كتاب إحياء علوم الدين لشيخنا حجة الإسلام أبو حامد الغزالي أن الذي بين يديه هو كتاب الإحياء في باب النفس ولا شك أن الجيطالي لم ينطلق في إعادة كتابة مواضيع الإحياء من عدم، بل ناتج لتأثره بمسلك الغزالي وخوضه غمار التجربة وإن سكت عنها بعض من علماء و الإباضية ونفاها البعض هروبا من إقحام الجيطالي في قضية التصوف ، فإنها تبدوا جلية وعميقة لدى القارئ المتفحص لكل قنطرة من قناطر الجيطالي ،حتى في تسميتها قناطر إشارة إلى الطريق الموصل إلى الآخرة بعد الاغتراف من بحر العلوم اللدنية و الفيوضات النورانية .

فلننقل بعض ما أورده الجيطالي في هذا المحور : يقول قال الله تعالى " إن النفس لأمارة بالسوء " وقال ﷺ" أعدا عدوك نفسك التي بين جنبيك ، ثم أهلك ، ثم عيالك " ، وروى أن أعرابية دعت لرجل فقالت : كتب الله كل عدو لك إلا نفسك فأخذه بعض الشعر فقال :

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعـــــــي

كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

فإذا كانت النفس أضر أعداء الإنسان وبلاؤها عليه أشد بلاء يجري به الزمان فحقيق على الإنسان أن يشتغل بمعالجتها وقمعها عن الانهماك في شهواتها وأن يسيء الظن بها في كل جميع حالاتها لأن حسن الظن [1]، بها ذريعة إلى تحكيمها وتحكيمها داع غلى سلاطتها وفساد الأخلاق بها وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال :

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ص٢.

العاجز من عجز علن سياسة نفسه [1]، والثاني أنه عدو محبوب والإنسان أعمى عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " حبك الشيء يعمي ويصم " كما قال الشاعر :

فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

فإذا استحسن الإنسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع لها على عيب يدنسها فإذا كان كذلك فما أوشك أن توقعه في فضيحة وهلاك وهو لا يشعر إلا إن علمه الله برحمته وإنما كانت أشد الأعداء لأنها لا يمكن التجرد عنها وإلا يقهرها لمرة فيشتغل بغيرها لأنها مطيته التي يقطع بها مسافة العمر ولا مطمع له في الموافقة على الطاعة والخير لأنها مجبولة على اتباع الشهوة التي هي معدة كل شيء فحياة الإنسان مقرونة بحياتها وموته متعلقة بموتها كما قال القائل :

لقد هممت بقتلها من أجلها كيما تكون خصيمتي في المحشر

ثم ارتجعت فقلت روحي روحها فإذا هممت بقتلها لم أقـــــــدر

فلما كان حال النفس هكذا كان الإنسان محتاجا إلى أن يلجمها بلجام التقوى [2]

فهذه النفس دابة جموح ومطية صعبة إذا أسرفت عليها في التأديب أهلكتها وأهلكت نفسك وإن أهملتها أضرت بك وصرعتك فتحتاج إلى طريقة بين طريقتين ، تربية وتغذية بقدر ما تحتمل من فعل خير وترك شر ، فإن قيل فما الحيلة في تذليل هذه الدابة حتى تنقاد بلجام التقوى فاعلم أن العلماء قالوا إنما يذلل النفس ويكسر هواها بثلاثة أشياء أحدها منع الشهوات بالصوم وغيره فإن الدابة الحرون تلين إذا نقص من علفها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم :" معاشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ص٣.

[2] المصدر نفسه ص٣.

يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء "، والثاني حمل أثقال العبادة عليها فإن الحمار إذا زيد في حمله مع نقصان علفه تذلل وانقاد ، والثالث : الاستعانة بالله والتضرع إليه أن يعينك ، فإذا واضبت على هذه الثلاثة انقادت لك النفس الجموح بإذن الله تعالى فحينئذ تبادر أن تلجمها وتملك أمرها وتأمن من شرها [1]، ولكنك تعلم أن كل خطير وكبير يحتاج في اجتلابه إلى طلب كثير وتعب كبير وجهد شديد وهمة عالية ونفس عن دناءة الأخلاق آبية لن من طلب عظيما خاطر بعظيمة وإن المكارم على حسب احتماله المكاره ولله در القائل :

لا تحسبن المجد تمر أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبـرا

لا يدرك العلم بطال ولا كسيل ولا ملول ولا يلقاه من نظـــرا

وليس يدركه إلا فتى يقظ قد كابد الجد والدؤب والسهـــــــر ا

يقول أحد شيوخ الإباضية المعاصرين ، " محمد الهنائي " أن الإباضية لم يعتنوا بجانب السلوك مثلما اعتنى بها القوم لأن القوم تحدثوا عن أدبياته وأن ما كان موجود عندهم عبارة عن مادة علمية جافة ليس لها روح في حين أن القوم جعلوا للسلوك أدبيات لتربية المريد فجعلوا لها رونقا ، وجرت على ألسنتهم هذه السلوكيات والأدبيات فكان للتصوف لذة تنتشي البواطن بسبب هذه المصطلحات ..كالحب الإلهي والخمرة وغيرها كثير حيث تكون تربية المريد حول هذا ثم أن القوم عندما أرادوا تكوين علم فتح لهم الله في ذلك [2].

نستخلص من خلال ما سبق أن الجيطالي متأثر بالغزالي حتى النخاع ، وأنه سلك نفس مسلكه ، ولا يمكن لأي أحد أن ينكر ذلك وليس هذا بجديد عند الإباضية فقد سبقه

[1] قناطر الخيرات مصدر سابق ص ٤.

[2] لقاء مع الشيخ محمد الهنائي

الشيخ ناصر الشارح لتائية ابن الفارض والذي اتفق الكثير من العلماء أن شرحه لتلك التائية نابع من عمق تجربته الروحية وتأثره بتصوف ابن الفارض .

والملاحظ على علماء الإباضية تمسكهم بمبادئ المذهب في بعض المواضع كما نلاحظ تساهلهم في مواضع أخرى ، فالجيطالي برغم تأثره بالمدرسة الإحيائية إلا أنه بقي محافظا على مذهبه .

الشيخ جاعد ولقب بالرئيس – وهو لقب انفرد به بين جميع علماء الإباضية في كل زمان ومكان ، لا ينازعه فيه أحد ، لتقدمه على أهل زمانه بالعلم والفضل والشرف ، وكان شيخا راسخا في العلم ، أميرا في قومه بني خروص ، وفي تركيزه على علم الحقيقة حيث أفاض الشيخ ناصر في الحديث عن علم الحقيقة وبيان أحكامه وذلك محاولا منه لإتمام نقص قد وقع فيه – حسب قوله– السابقون من علماء مذهبه[1]، ألا وهو تركيزهم على علم الشريعة وإغفالهم لعلم الحقيقة – باستثناء والده – فهو الوحيد – حسب قوله – الذي حاول الجمع بينهما ، لذا فقد أكثر المؤلف من الاستشهاد بنظمه في قسم علم الحقيقة ، وابن أبي نبهان في اهتمامه بالحديث عن علم الحقيقة متأثر بمنهج أبي حامد الغزالي الذي يعتبر من أشهر علماء الإسلام الذين حاولوا الربط بين علمي الحقيقة والشريعة ، والذي حاول جاهدا ترسيخ علم السلوك والروحانيات والتصوف العلمي في العديد من كتبه وأهمها "كتاب إحياء علوم الدين وقد أثر فيمن بعده تلميذه الخليلي وقد امتد الأثر إلى أبي مسلم الرواحي تلميذ الخليلي [2].

[1] إبراهيم بن يحي بن حمدان العَبري ، الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم، للخروصي ناصر بن أبي نبهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ص ٨٥.

[2] إبراهيم بن يحي بن حمدان العَبري ، الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم، للخروصي ناصر بن أبي نبهان ، رسالة إحياء علوم الدين ، مصدر سابق مقدمة لنيل درجة الماجستير ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨ ص ٨٦ .

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خاتمة :

يتضح مما سبق ذكره من محاور تدور حول محاولة البحث عن معالم التجربة الروحية في المذهب الإباضي، أن المذهب الإباضي مدرسة سلوكية منذ نشأتها إلى يومنا هذا ، ولها في ذلك مناهج وأساليب مختلفة باختلاف الآراء والأفكار والأشخاص والمجتمعات ومن خلال تمسكها بمضامين الإيمان والأصول التابعة له منه ، انطلاقا من قولهم أن الإيمان تصديق وقول وعمل ومن خلال التتبع لسير مؤسسيها والبعض من أئمتها وعلمائها من خلال استقراء حياتهم الدينية والاجتماعية وكذا من خلال إنتاجهم الفكري ، وحتى داخل المجتمع فنجد التطابق بين الشخصية النظرية والواقعية وذلك انطلاقا من الفهم الحقيقي لمعنى الإيمان وعلاقته بسلوك الإنسان والفهم الصحيح لأركان الإيمان وحسن التعامل معها ، فالتجربة الروحية الإسلامية ليست حكرا على المذهب الإباضي ولا يختص بها أهل التصوف فحسب ، لأن الرسالة المحمدية جاءت للناس كافة ، وهو القدوة في الكمال الإنساني وهو مصدر التجربة الروحية الإسلامية والذي اقتفت أثره وتتبعت خطاه كل المذاهب رغم اختلاف أفكارها ومناهجها فمهما تعددت الطرق المحمودة فهي موصلة إلى الغاية السامية ذلك أن الهدف كان ولا يزال واحدا ، هو تحقيق الحكمة من خلق الإنسان أي عبادة الله سبحانه وتعالى، وحمل الأمانة ، والسير بمقتضى الشريعة في الطريق إلى الله لتحقيق رضا الله تعالى والقرب منه وهذا لا يتأتى إلا إذا اجتهد المسلم بتنقية القلب وتزكية النفس والانقطاع عالم الغَروروراء وترك الجري الشهوات بكل أنواعها دون أغفال حياته المعيشة، فحكمة الله في خلقة هي هذه مع تحقيق شرط التوازن في عدم إغفال الحياة مع العمل للآخرة .

وخلصت في نهاية هذا البحث أن التجربة الروحية الإسلامية في المذهب الإباضي ثرية ومتنوعة فمنها ماهي فردية ومنها الجماعية ، فالفردية هي التي تتبعنا بعض ما كتب وسير وشواهد من بعض العلماء المعاصرين وما ذكر وما هو موجود حاليا من نماذج العلماء الربانيين الذين يمثلون مدارس للتربية والتزكية والسلوك تهتم بباطن الفرد كما لا تهمل ظاهرة أي الجمع بين الشريعة والحقيقة ، حيث تركز في تربيتها للنفس على اليوم الآخر ولكنها لا تنس نصيبها من

الدنيا ،انطلاقا من كتاب الله وسنة النبي ﷺ فالعزلة والخلوة عند أقطاب الإباضية لم تكن إلا فترات عابرة لأن العلماء الإباضية الربانيين كانوا ممن يحملون هموم الأمة الإسلامية ومن من انشغلوا بقضايا المجتمع سواء العقدية والأخلاقية أو السياسية ، ونستطيع أن نسميهم أقطاب التصوف الإباضي ، كالشيخ جاعد الذي يعتبر المنظر لعلم السلوك أو التصوف وابنه الشيخ ناصر وتلميذه المحقق سعيد بن خلفان الخليلي وبعد الشيخ أبي مسلم البهلاني ،هؤلاء اقتبسوا نور التصوف السني من أقطاب التصوف كالإمام الغزالي وابن الفارض وحتى ابن عربي لا يبدوا ذلك صريحا في مؤلفاتهم لكن المسكوت عنه كثير ، أو ربما لقلة الاطلاع على مؤلفات علماء الإباضية في التصوف ، التي تملأ خزائن المكتبات دون تحقيق .

وبالمقابل فالتجربة الروحية عند أهل السنة نحت نفس المنحى إلا أنها اشتملت على عناصر لا نجد لها أثر عند الإباضية ، وذلك في مفهوم العزلة والخلوة فبعض الإباضية لم يمارسوها ، ولا يقرون بها ولا يقولون بالانقطاع عن الناس إلا ما ثبت كما وجد في سير علماء غير الإباضية

باستثناء مسألة الأربعينية التي مقتبسة من مشكاة الرسول ﷺ والتي قال بها وعمل بها العلماء في رياضاتهم ومجاهداتهم حيث تخصص هذه الأيام والتي تقدر بأربعين ليلة للخلوة والابتعاد عن الناس لا يكون إلا الذكر والدعاء والتسبيح وقراءة القرآن والأوراد ، فالإباضية يقرونها ويعملون بها فهناك من علماء الإباضية في عمان من دخلها وأتمها حتى فتح وأفاض الله له من نوره ، كما يلتقيان في الهدف من التجربة ، ولاحظنا التأثير والتأثر فالإباضية تأثروا بعلماء وصوفية وأخذوا منهم وسلكوا مسلكهم واقتفوا اثرهم في الطريق إلى الله لكنهم كانوا أكثر حذر ، فما رأيناه عن الشيخ ناصر بن جاعد الذي شرح تائية ابن الفارض شرحا إن دل على شيء إنما يدل على روحانية الشيخ ناصر بغوصه في تلك التجربة لكن ما لاحظته أن العقيدة الإباضية جعلته يتوقف في بعض ما يذكره الناظم في شرح التائية ويشرح ويقولبها في قالب إباضي ، وكذلك الشيخ اسماعيل الجيطالي صاحب كتاب قناطر الخيرات الذي هو عبارة عن نسخة لكتاب أبي حامد الغزالي الإحياء ويذكر أنه تأثر به وسلك مسلكه .

هذا يثبت أن الأصل واحد والتجربة الروحية لا تفرقها المذاهب، لأن موردها واحد وهي العقيدة الإسلامية ، بل تجمعها تحت هدف واحد هو تحقيق الكمال الإنساني ، فالمعبود والمحبوب واحد والقدوة هو النبي ﷺ فما المانع أن تختلف المناهج والوسائل المقربة لله سبحانه وتعالى مادامت بضوابط مشروعة ، وهذا النص يثبت الانجسام بين المذهبين للدكتور اسماعيل بن صالح الأغبري حيث قال :في ص ٩٠" إن الصلات الثقافية بين المدرسة الإباضية والمدرسة السنية لم تنقطع ، وإن كان هذا التلاقي والتلاقح الفكري لا يعني ذوبان أي منهم في الآخر ، وإنما يدل على إمكانية إفادة كل منهم من الآخر ، إنه خلاف لا يفسد الود ولا يعكر الصفو فقد استمر الإباضية يطالعون ويعلقون على كتب غيرهم في جميع العصور فالعلامة سعيد بن أحمد الكندي له تعليقات على تفسير الرازي وكتاب إحياء علوم الدين للغزالي ، أما العلامة الجيطالي ت٧٥٠هـ فقد كان وثيق الصلة بكتب حجة الإسلام الغزالي الشافعي خاصة كتاب { إحياء علوم الدين } فنقل منه وأخذ عنه وهذا يتضح من خلال كتابه { قناطر الخيرات } ، كما أن العلامة خلفان بن جميل السيابي قد تأثر بالمسلك الصوفي للغزالي ولعل كتابه سلك الدرر الحاوي غرر الأثر خير شاهد على ذلك ، والإمام نور الدين السالمي قد أثنى على كتاب إحياء علوم الدين لكنه نبه إلى أن هذا الكتاب قد احتوى على أمور ينبغي إعادة النظر فيها "

نتيجة الإباضية كغيرهم من المذاهب عاشوا التصوف ومارسوه ا عن طريق العبادات والأذكار والتمسك بقيم الإسلام وتعاليمه وفضائله وكان التصوف عنده تصوف فردي وتجارب روحية فردية واحيانا ثنائية.

وقد تجلى بقوة التصوف العرفاني عند إباضية عمان عند كثير من العلماء والذين خاضوا التجربة الصوفية بكل حذافيرها وفي أرقى معانيها بل الاستغراق فيها .

أما عن إباضية المغرب فقد اقتصرت التجربة الروحية على المجتمع ككل بدءا من حلقة العزابة ونظمها ومبادئها الروحية التي تهتم ببناء الإنسان باطنا وظاهر ولا شك أن مصطلح العزابة لا دلالة واضحة ، فنظام العزابة وإن لم اتعمق في البحث إلا أنه عبارة عن منهج لتقويم السلوك وتهذيب الأخلاق انطلاقا من أصول العقيدة ومبادئ الإباضية ، ومن خلال معايشة المجتمع

الإباضي تبرز ملامح التصوف أو السلوك في أغلب أفراده وليس التصوف إلا الأخلاق الحسنة والعمل بمبادئ الشريعة الإسلامية ، المجتمع الميزابي له مسحة صوفية وزهدية وتربية خلقية تتضح معالمها لكل من عايش هذا المجتمع من الداخل ولا يكتفي بالسماع من بعيد وليس الخبر كالمعاينة .

مع الإشارة بأن إباضية المغرب لم نعثر لهم على مؤلفات في التصوف لأسباب من بينها ضياع الكثير من كتب الإباضية المغاربة وهذا راجع إلى عومل كثيرة منها السياسية والتاريخية واكتفت بعض المصادر بتلميحات باستثناء الجيطالي صاحب قناطر الخيرات رغم العمل الذي قام به في إعادة كتابة كتاب الإحياء إلا أنهم اكتفوا في تصنيفه ضمن كتب الآداب رغم أن المسألة واضحة وقد أشرت إليها في البحث أن الجيطالي سلك مسلك الغزالي .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع :

١. إباضية اليوم وأين يوجدون من مختصر تاريخ الإباضية أبي سليمان الباروني مكتبة الضامري السيب سلطنة عمان ط٣ ، ١٤٢٣،٢٠٠٣.

٢. الإباضية بين الماضي والحاضر أحمد بن سعود السيابي تح زاهر بن سعود بن سيف السيابي ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م الضامري.

٣. إبراهيم الحسني ،أعمال ملتقى التصوف الإسلامي العالمي في الفترة ما بين ٢٢-٢٤ ربيع الآخر الموافق ل ١٦-١٨- ١٤٢٤هـ-١٩٩٥م – جمعية الدعوة العالمية الإسلامية – طرابلس ط١، دار الكتب الوطنية ، طرابلس .

٤. إبراهيم بحاز نظام العزابة وأثره في المجتمع الميزابي

٥. إبراهيم بن يحي بن حمدان العَبري ، الإخلاص بنور العلم والخلاص من الظلم، الخروصي ناصر بن أبي نبهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨.

٦. إبراهيم محمد طلاي ، من تاريخ الجزائر ، مزاب بلد كفاح ، مطبعة الافاق ، غرداية.

٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ – الجزء الثاني – ذكر أحداث سنة ٥٩ هـ.

٨. ابن الصغير أخبار الأئمة الرستميين ت: د محمد ناصر –ابراهيم بحاز ، دار الغرب الإسلامي

٩. ابن عباد النفزي الرندي ،إعداد ودراسة ، محمد عبد المقود هيكل ، مراجعة ، عبد الصبور شاهين الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري .
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ،أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ،ج١، دار الفكر.
إسماعيل بن صالح الأغبري الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا ، ،ط١،١٤٣٤هـ،٢٠١٣م، وزارة الاوقاف ١٤٣٤هـ،٢٠١٣م.

١٠. ابن عطاء الله السكندري تح: د عبد الحليم محمود، لطائف المنن ط٣، القاهرة- دار المعارف ٢٠٠٦.

١١. أبو العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي . كتاب السير .

١٢. أبو العلا عفيفي ، فصوص الحكم ، للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي ت ٦٣٨هـ —،، دار الكتاب العربي بيروت ج١.

١٣. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني ، مدخل إلى التصوف الإسلامي .

١٤. أبو حامد الغزالي —جواهر القرآن ت: محمد رشيد رضا القباني —دار إحياء علوم الدين –١٤٠٥هـ–١٩٨٥م–لبنان.

١٥. أبو سليمان محمد بن عامر بن راشد المعولي الأفوي ، قصص وأخبار جرت في عمان،ط٢١٤٣٥هـ–٢٠١٤موزارةالتراث والثقافة ،سلطنة عمان .

١٦. أبي العباس أحمد بن سعيد الدرجيني ، طبقات المشايخ بالمغرب، ت: وطبع إبراهيم طلاي .

١٧. أبي زكريا يحي بن أبي بكر ت:اسماعيل العربي ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، المعروف بتاريخ أبي زكريا ، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

١٨. أبي سعيد محمد بن سعيد الكدمي ، كتاب الاستقامة .

١٩. أبي طاهر إسماعيل بن موسى الجيطالي ، قناطر الخيرات ، ج١،ط٣١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م، دار النهضة مسقط ، سلطنة عمان.

٢٠. أبي طاهر اسماعيل بن موسى الجيطالي تحق بكلي عبد الرحمن بن عمر ، قواعد الإسلام ، كتاب قواعد الاسلام مكتبة الاستقامة ط ٤ _ ١٤٢٢_١_٢٠٠١.

٢١. أبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ت ٢٤٣هـ، تحق عبد القادر أحمد عطا الوصايا ، النصائح ، القصد والرجوع إلى الله ، بدء من أناب إلى الله ، فهم الصلاة ، التوهم، ط١، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.

٢٢. أبي عبد الله بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية ،مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ،ط١–ج١–دار الكتب العلمية — بيروت —لبنان .

٢٣. أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيامه ،شرح محب الدين الخطيب ، ط١، ١٤٠٠هـ، ج١،المطبعة السلفية – القاهرة.

٢٤. أبي عبدالرحمن السلمي ،تح :د أحمد الشرباصي ،الطبقات الصوفية.

٢٥. أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي ، شرح شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ط١١٤٣٥هـ-٢٠١٤م مكتبة الملك فهد – الرياض .

٢٦. أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، المعارف ، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، دار الكتب العلمية بيروت .

٢٧. أبي نبهان ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨.

٢٨. أجزمي سامعون جزولي الهجرة في القرآن الكريم ، ، مكتبة الرشد ، شركة الرياض ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م السعودية .

٢٩. أجوبة المحقق الخليلي ، للإمام العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ١٦٣١-١٦٦٧م ط١، مكتبة الجيل الواعد تقديم الشيخ احمد بن حمد الخليلي تحقيق بدر بن عبد الله الرحيم ماجد بن محمد الكندي ، أحمد بن حمود البوسعيدي ، أحمد بن سالم الحوسني ، خالد بن محمد العبدلي ، ياسر بن سالم المعمري ج١.

٣٠. أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ القسنطيني أبي العباس أنس الفقير وعز الحقير ت ٨١٠هـ ١٤٠٧-١٤٠٨م، ت: محمد الفاسي – أدولف فور ، المركز الجامعي للبحث العلمي _ الرباط.

٣١. أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان ، حكم البراءة من مرتكب الكبيرة ، ط١٤٣٨،١هـ/ ٢٠١٧، الكلمة الطيبة مسقط-سلطنة عمان.

٣٢. أحمد بن حمد الخليلي برهان الحق ص ٤٦٧، ج٢ ط١-١٤٣٧هـ-٢٠١٦م- الكلمة الطيبة-مسقط- سلطنة عمان .

٣٣. أحمد بن حمد الخليلي كتاب العقل بين جماح الطبع وترويض الشرع ، ، محاضرات ألقاها بجامعة السلطان قابوس .

٣٤. أحمد بن حمد بن سلمان الخليلي ، أماكن انتشار الاباضية .

٣٥. أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .

٣٦. أحمد بن سعود السيابي الجواهر المنتقاة ، العلامة ابي القاسم بن ابراهيم البرداي ط١، دار الحكمة لندن ٢٠١٤بي القاسم بن إبراهيم البرادي .

٣٧. أحمد بن سعود السيابي تح زاهر بن سعود بن سيف السيابي الدعوة عند الإباضية بين الماضي والحاضر ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م الضامري سلطنة ، السيب ،عمان .

٣٨. أحمد عبد الرحيم السائح ،السلوك عند الحكيم الترمذي: ومصادره من السنة، دار السلام-مصر ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٩. أحمد علي الإمام ، الصحبة والصحابة رسالة تأصيلية في تحقيق عدالة الصحابة وذكر فضائلهم .

٤٠. إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ،ت: د: بدوي طبانة ، ج١-دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

٤١. إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ،ت: د: بدوي طبانة ، ج٢-دار إحياء الكتب العربية- القاهرة.

٤٢. الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، سليمان باشا الباروني ، مراجعة محمد علي الصليبي ط١، ٢٠٠٥، دار الحكمة لندن

٤٣. الإسراء إلى المقام الأسرى-كتاب المعراج-محي الدين بن عربي،تح: ، د:سعاد الحكيم -ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م-دندرة-بيروت -لبنان

٤٤. اسم الله الأعظم ابن عطاء الله السكندري ، القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد ، تحق أحمد عبد الرحيم السايح ، توفيق علي وهبة ، ط١، ٢٠٠٦، مكتبة النافذة ، مصر.

٤٥. إسماعيل بن صالح الأغبري ، الإباضية بين حراسة الدين وسياسة الدنيا ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،مكتب الإفتاء ، سلطنة عمان

٤٦. آسين بلاثيون ، ابن عربي حياته ومذهبه -ترجمة – عبدالرحمن بدوي –الأنجلوا – القاهرة- ١٩٦٥.

٤٧. أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج سالم بن حمود السيابي.

٤٨. أضواء قرآنية في سماء الوجدان محمد فتح الله كولن ، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م ، مصر العربية ، ترجمة اورخاز محمد على

٤٩. -السيد الرئيس الشيخ جاعد بن خميس الخروصي -نفائس العقيان ديوان أبي نبهان ج: خميس بن جاعد الخروصي ت: إبراهيم بن سعيد –ط١-١٤٣٨هـ-٢٠١٧م–ذاكرة عمان –سلطنة عمان .

٥٠. -الشيخ متولي الشعراوي –معجزة القرآن –المختار الإسلامي للطباعة والنشر ١٧٠٧-القاهرة.

٥١. الإمام ابن قيم الجوزية ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ت:إبراهيم سليمان الشيخ – ط١-١٤١٠هـ-١٩٩٠م-دار الصحابة للتراث –طنطا –مصر .

٥٢. الإمام أبي المعين النسفي ت٥٠٨هـ-ت: جيب الله حسن أحمد التوحيد دار الطباعة المحمدية ط١، ١٤٠٦-١٩٨٦م.

٥٣. الإمام أحمد المسند ،ح ١٢٣٨١، كتاب الإيمان والرؤيا ، باب ما قالوا في صفة الإيمان ، أنظر ابن أبي شيبة ، المصنف ت: حمد بن عبد الله الجمعة ، محمد بن ابراهيم اللحيدان ط١، مكتبة الرشد ناشرون ١٤٢٥÷/ ٢٠٠٤م، الرياض ، المملكة العربية السعودية ج١٠

٥٤. الإمام عبد الوهاب لشعراني ت: أحمد عبدالحليم السايح ، الطبقات الكبرى ج١، ط١٤٢٦،١هـ-٢٠٠٥م- ، مكتبة الثقافة الدينية

٥٥. الإمام نور الدين السالمي ،تح أحمد بن حمد الخليلي، شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد .

٥٦. الإمام نور الدين السالمي و وآراؤه في الإلهيات ،مبارك بت سيف بت سعيد الهاشمي ، الضامري للنشر والتوزيع ،سلطنة عمان .

٥٧. الإمام نور الدين عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي مشارق أنوار العقول ج٢.

٥٨. الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ، د، بركات محمد مراد ،كلية التربية عين شمس.

٥٩. الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري ، ت عاصم ابراهيم الكيالي المواقف الروحية والفيوضات السبوحية ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ج١، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، م.

٦٠. أمين يوسف عودة تأويل الشعر وفلسفته عند الصوفية ، عالم الكتب ، دار الكتب عمان ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

٦١. أيمن حمدي ، قاموس المصطلحات الصوفية ، دار قباء القاهرة ٢٠٠٠م.

٦٢. بحوث ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحي ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية م: سلطان بن مبارك بن حمد الشيباني.

٦٣. بدرية الوهيبي ندوة "التصوف في الأدب والفكر العُماني"١٢-٠١-٢٠١٠م...سا ١٩:٥العرفان والفكر الإباضي والشعر السلوكي في الصوفية العمانية .

٦٤. بدرية بنت حمد الشقصية ، السيرة الزكية للمرأة الإباضية ، مكتبة الجيل الواعد ط١، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٦٥. بركات محمد مراد الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي ، دار النشر الإلكتروني ،كلية التربية عين شمس

٦٦. بكير بن سعيد أعوشت أضواء إسلامية على المعالم الاباضية .

٦٧. بكير بن سعيد أعوشت الاباضية في مرآة علماء الاسلام ، ١٩٩٥ – ١٤١٥ .

٦٨. بكير بن سعيد أعوشت ، دراسات إسلامية في أصول الإباضية ،ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار التضامن القاهرة .

٦٩. بكير بن سعيد أعوشت ، رجال خالدون في ذاكرة الإسلام .

٧٠. بوداود بومدين ،تجارة بني ميزاب تجسيد للمنهج الاسلامي في إدارة الأعمال الخارجية .

٧١. بي حفص عمرو بن جميع ، تحق عمر بن آمحمد بازين عقيدة العزابة ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م، الجزائر.

٧٢. تبغورين بن داوود بن عيسى الملشوطي كتاب أصول الدين تح ونيس عامر .

٧٣. التصوف في عمان مدارسة مع فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي أجراها خميس بن راشد العدوي ، مجلة الفلق الالكترونية ، دار الغبيراء ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠١٤م- بهلا- سلطنة عمان .

٧٤. التصوف في عمان مدارسة مع فضيلة الشيخ أحمد بن سعود السيابي أجراها خميس بن راشد العدوي ، مجلة الفلق الالكترونية ، دار الغبيراء ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠١٤م- بهلا- سلطنة عمان.

٧٥. تفسير ابن باديس، للعلامة عبد الحميد بن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبيرط١، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج١.

٧٦. تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوارد ومسائل الاحكام والاديان ،سعيد بن خلفان الخليلي تح حارث بن محمد بن شامس .

٧٧. -تهذيب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩١م، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ، ج٦.

٧٨. التواتي بن التواتي ،كتاب الفقه المقارن -الفقه المالكي والفقه الإباضي- دراسة تقابلية بين المذهبين من حيث الأصول والفروع —ج١- ط٢٠٠٩م-رويغي — الأغواط- الجزائر

٧٩. جاعد بن خميس الخروصي ،مخطوط شرح منظومة حياة المهج .

٨٠. جاعد بن خميس الخروصي تحقيق شرح حياة المهج ، ت: زهران بن زهران الريامي ، مبارك بن راشد الحجري ،١٤١٨هـ-١٩٩٧

٨١. جامع أركان الإسلام للخروصي

٨٢. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تاريخ الخلفاء ،ط٢-١٤٣٤هـ-٢٠١٣موزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية—.

٨٣. جواهر صفة الصفوة ، أحمد سالم باديلان ، دار طونق ط١، ١٤١٥ .

٨٤. الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ،حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ج٧، دار الفكر ١٤١٦هـ-١٩٩٦م — بيروت — لبنان .

٨٥. حسن بن سعيد بن علي بن مسعود الشقصي الرستاقي، منهج الطالبين وبلاغ الراغبين .

٨٦. حصاد الندوة التي أحياها المنتدى الأدبي تكريما للمرحوم العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي ، ١٧-١٨ذي القعدة ١٤١٣هـ-٩مايوا ١٩٩٣م،ط٢١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.المنتدى الأدبي .

٨٧. حموا بن عيسى الشيهاني ،الفكر العقدي عند الشيخ بيوض وآثاره في الإصلاح ،ط١،الخلدونية ، ٢٠١١ م.

٨٨. الحوار الاباضي المالكي ، صولة الغدامسي وأبي العباس أحمد بن سعيد الشماخي ، تح العربي بن علي بن ثاير .
٨٩. خالد محمد خالد ، كما تحدث الرسول ، دار العلم للملاين ١٩٨٤.
٩٠. خالد محمد خالد موسوعة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ،إنسانيات محمد ص عشرة أيام في حياة الرسول ص كما تحدث الرسول ص ، ط١٤٢٩،١٠هـ- ٢٠٠٨م .
٩١. الخصيبي محمد بن راشد ،شقائق النعمان ج١.
٩٢. خضير بن بكير بابا وعمر، الإمام اسماعيل الجيطالي وفكره العقدي ٧٥٠هـ-١٣٤٩م تق أحمد بن عمر أوبكة . محمد ناصر بوحجام ط١/ ١٤٣٠-٢٠٠٩.
٩٣. خميس بن سعيد بن على بن مسعود الشقصي الرستاقي ج١ سالم بن حمد بن سليمان الحارثي نهج الطالبين و بلاغ الراغبين .
٩٤. دليلة خبزي ، رسالة ماجستير في أصول الدين في الآراء الكلامية لابي يعقوب الوارجلاني .
٩٥. ديوان الأمير عبد القادر الجزائري جمع وتحقيق ، د العربي دحوا ط٣، تالة ٢٠٠٧ .
٩٦. ديوان سعيد بن خلفان الخليلي ، تح عادل بن راشد بن علي المطاعني ، ط١ .
٩٧. الردّ على جميع المخالفين لأبي خزر يغلا بن زلتاف الوسياني الحامّي تح د. ونيس عامر.
٩٨. روح الجهاد وحقيقته في الإسلام ، محمد فتح الله كولن ، تر احسان قاسم الصالحي ، دار النيل مصر.
٩٩. زكريا بن خليفة المحرمي الإباضية تاريخ ومنهج ومبادئ.
١٠٠. زكي مبارك ، الأخلاق عند الغزالي .
١٠١. زيانة بنت خلفان الحارثية ، الإمام جابر بن زيد وتأسيسه الفكر الإباضي .

١٠٢. سالم بن راشد بن سعيد البوصافي ، الشيخ حمد بن حميد الصوافي ، مدرسة نفسية – تربوية –اجتماعية .

١٠٣. سالم بن راشد بن سعيد البوصافي ،ط٢، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م،تق أحمد بن حمد الخليلي ، الشيخ حمود بن حيد الصوافي مدرسة نفسية –تربوية –اجتماعية .

١٠٤. سالم بن مسعود بن سليم الصوافي ، إمام العلم والعمل ، الشيخ الرضي حمود بن حميد الصوافي ، سيرة حياة ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣.

١٠٥. سامي صقر عيد أبو داود ،الإمام جابر بن زيد وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، ط١، ٢٠٠٠م-مطابع النهضة –الأردن.

– أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الإمام الحافظ أبي بكر الخطيب المنتخب من كتاب الزهد والرقائق تحق د عامر حسن.

١٠٦. سامية بوعجاجة ، البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر / مجلة العلوم الإنسانية / جامعة محمد خيضر ، بسكرة / العدد ٣٠/٣١.

١٠٧. سحر سامي ،شعرية النص الصوفي في الفتوحات المكية لمحي الدين بن عربي الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٥.

١٠٨. سعاد الحكيم ، ابن عربي ومولد لغة جديدة،ط١- ١٤١١هـ-١٩٩١م-دندرة- بيروت – لبنان .

١٠٩. سعيد حوى ، المستخلص في تزكية الأنفس ، دار السلام ،ط٤، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، مصر

أكرم ضياء العمري ، التربية الروحية والاجتماعية في الإسلام .

١١٠. سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ، البعد الصوفي في الفكر الإباضي ، بحث تكميلي لنيل درجة الدكتوراه في معارف الوحي والتراث ٢٠٠٧.الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا .

١١١. سليمان باشا الباروني مراجعة محمد علي الصليبي الأزهار الرياضية في أئمة وملوك .

١١٢. سليمان بن عبد السلام بن حسان الوسياني أبي الربيع سير الوسياني، ج١ تح ، عمر بن لقمان حمو سليمان بو عصبانة ، ط١ .

١١٣. سناء بنت مهنى الباروني ، البعد الحضاري لمناهج من الفقه الاباضي .

١١٤. سنن ابن ماجة ح= ٤١٠٩، رواه عن عبد الله بن مسعود ،كتاب الزهد ن باب مثل الدنيا ، ج ٢، ص ١٣٧٦، أنظر ابن ماجة السنن ت: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء الكتب العربية ج٢، أخرجه مسند الإمام أحمد ، ح= ٢٤٦٠١، رواه = عائشة رضي الله عنها ، مسند تتمة مسند عائشة ، ج ٤١، ص=١٤٨/١٤٩، وعلق عليه في الهامش : حديث صحيح ، وسيرد برقم ٢٤٨١٠، أنظر مسند الإمام أحمد ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون ط١، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، بيروت لبنان ج=٤١.

١١٥. السيد سابق العقائد الإسلامية ط١٠ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠م، دار الفتح للإعلام العربي ، القاهرة.

١١٦. السيد عبد الحافظ عبد ربه الأباضية مذهبا وسلوكا .

١١٧. سيد قطب في ظلال القرآن دار الشروق ط٣٢، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، القاهرة ج١.

١١٨. سيف بن سالم الهادي ، مواعظ المنابر ، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، خزائن الآثار .

١١٩. سيف بن سالم الهادي ، مواعظ المنابر ، ط١، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، خزائن الآثار.

١٢٠. سيف بن يوسف بن سيف الأغبري الكرامة لأهل الحق والاستقامة ، ج١، كرامات أهل الحق والاستقامة من أهل المشرق ، ط١-١٤٢٤هـ-٢٠٠٠م.

١٢١. شامل الأصل والفرع ، قطب الايمة محمد بن يوسف اطفيش .

١٢٢. -شريفة بنت خلفان اليحيائي ، شعر سعيد بن خلفان الخليلي ، ١٤١٥هـ-١٩٩٥_رسالة لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية- كلية الآداب – جامعة. السلطان قابوس – سلطنة عمان.

١٢٣. الشفاعة من منظور مصطفى محمود.

١٢٤. شمس الدين الذهبي أبي عبد الله محمد الدمشقي ، الكبائر ، أ عبد الفتاح منصور ، دار التراث العربي ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م .

١٢٥. الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير م ١، دار الرشيد – الجزائر –ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

١٢٦. الشيخ ابراهيم بن ناصر الصوافي ، الشيخ صالح بن خلفان البراشدي ، سلم بن راشد بن سعيد البوصافي الشيخ حمود بن حميد الصوافي ، مدرسة –نفسية –تربوية – اجتماعية ت: أحمد بن حمد الخليلي ، ، ط٢ ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، ص١٦-١٧.

١٢٧. الشيخ أحمد بن حمد الخليلي الحق الدامغ .

١٢٨. الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، جواهر التفسير من أنوار بيان التنزيل ، ج٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

١٢٩. الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي ، أماكن انتشار المذهب الاباضي .

١٣٠. الشيخ اسماعيل الجيطالي : عقيدة التوحيد .

١٣١. الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي الوصايا ، تقديم لجنة التأليف في دار الإيمان ، ط٢١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الإيمان ، دمشق –سوريا .

١٣٢. الشيخ زهير شفيق الكبي فقه التصوف لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية ، ط١ ١٩٩٣م، دار الفكر

١٣٣. الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي ، كرسي أصول الدين في الولاية للمؤمنين والبراءة من الكافرين والمنافقين والحجة على الملحدين الضالين .

١٣٤. الشيخ عامر بن علي الشماخي متن الديانات .

١٣٥. الشيخ محمد بن يوسف إطفيش كتاب الجامع الصغير (ج١)

١٣٦. الشيخ نور الدين سعيد بن خلفان الخليلي مخطوطة كتاب النواميس .

١٣٧. صابر طعيمة الإباضية عقيدة ومنهج ، سلطان بن محمد بن زهران الحراصي ،البعد الصوفي في الفكر الإباضي.

الدلائل على اللوازم والوسائل ، الشيخ العلامة درويش بن جمعة بن عمر المحروقي ، تحق: الحاج سليمان بن ابراهيم بابزيز الوارجلاني ، مراجعة سلطان بن عبد الله بن سلطان الشهيمي.

فواكه العلوم في طاعة الحي القيوم ، تأليف عبد الله بن محمد بن عامر بن خنبس الخراسيني النزوي ج١تحق محمد بن صالح ناصر ،أ مهنى بن عمر التواجيني .

قراءات في فكر البهلاني الرواحي ، حصاد الدورة التي أقامها المنتدى احتفاء بذكرى المرحوم أبي مسلم البهلاني الرواحي ١٤-١٦ رجب ١٧-١٩ن ديسمبر ١٩٩٤ط١ن ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

الموسوعة الميسرة التراث العماني تقديم علمي معاصر لخلاصة كتب التراث العماني ، ديوان أبي مسلم البهلاني للشاعر ناصر بن عديم الرواحي ، القسم الأدبي عرض ودراسة صلاح رزق .

محمد الحارثي ،الآثار الشعرية لأبي مسلم البهلاني ناصر بن سالم بن عديم الرواحي شاعر زمانه وفريد أوانه ١٨٦٠_١٩٢٠،.ط١، ٢٠١٠لبنان .

شحاتة عطية أبو مسلم البهلاني حياته وشعره ت تقديم سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي ط١١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، سلطنة عمان

١٣٨. صالح بن أحمد الصوافي ، الإمام جابر بن زيد العماني وآثاره في الدعوة .

١٣٩. صالح بن أحمد من أعلام عمان صور مشرقة من حياة الرعيل الأول ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، وزارة التراث القوي والثقافة ، سلطنة عمان ، ص١٣

١٤٠. صالح بن عيسى الحارثي ديوان أبي مسلم ،ناصر بن سالم بن عديم الرواحي العماني ،شاعر زمانه وفريد أوانه-ت:عبد الرحمن الخزندار -١٤٠٦هـ-١٩٨٢م.

١٤١. صحيح البخاري ، ح= ٢٣٣٦، رواه عمر بن الخطاب ، كتاب المظالم ، باب = الغرفة والعلية المسرفة في السطوح وغيرها ح٢، ص ٨٧١=٨٧٣، أنظر صحيح البخاري ت: مصطفى ديب البغا ، ط ٥، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، دار ابن كثير اليمامة دمشق.

١٤٢. صحيح مسلم ح ٢٢٩، رواه عمر بن الخطاب = كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضائل القرآن وما يتعلق به : باب من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره فعمل بها وعلمها ، أنظر صحيح مسلم ، ت: محمد فؤاد عبد الباقي ط١، دار الحديث مصر ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ج ١.

١٤٣. الضامري ، السيب ، سلطنة عمان

١٤٤. طرق الارشاد في الفكر والحياة ، محمد فتح الله كولن ترجمة إحسان قاسم الصالحي ،ط ٤ ٢٠٠٨م-١٤٢٨هـ دار النيل —مصر

١٤٥. عاشور بن يوسف كسكاس ، العقيدة القضية الكبرى في حياة الإنسان ، ط٢، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، وزارة الأوقاف سلطنة عمان .

١٤٦. عاطف جودة جاد نصر آداب السلوك الصوفي في خطاب أبي مسلم الشعري .كلية الآداب جامعة عين شمس/ مصر.

١٤٧. عبد الحليم محمود ، أقطاب التصوف ، سفيان الثوري أمير المؤمنين في الحديث ط٣، دار المعارف القاهرة

١٤٨. عبد الحليم محمود ، د، محمود بن الشريف عوارف المعارف شهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي ٥٣٩م-٦٣٢هـ-ج٢تح: ، دار المعارف القاهرة .

١٤٩. عبد الحليم محمود ، سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي ، ط٢/ ٦٢هـ

١٥٠. عبد الحليم محمود تاج الصوفيه أبو بكر الشبلي ، ط٢

١٥١. عبد الحميد درويش ، الإمامة والتقية عند مفكري الإباضية ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م، عالم الكتب القاهرة

١٥٢. عبد الرحمن بن الجوزي أبي الفرج مج١، تح: طارق محمد عبد المنعم صفة الصفوة ، ابن خلدون – الاسكندرية – مصر.

١٥٣. عبد الرحمن بن عبد الجبار صالح هوصادي ، منهج القرآن الكريم في تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم

١٥٤. عبد الرحمن جعفر بن عقيل ، صفحات من تاريخ إباضية عمان وحضرموت

١٥٥. عبد الرحمن جعفر بن عقيل ، صفحات من تاريخ الإباضية في عمان وحضرموت ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، دار حضرموت للدراسات والنشر.

١٥٦. عبد الرحمن راتب عميرة منهج القرآن في تربية الرجال ، ، مكتبة الاستقامة ، عمان ط٢،

١٥٧. عبد الرحمن عميرة ،الموجز لأبي عمار عبد الكافي الإباضي ج١ –ج٢ ، در الجيل بيروت ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

١٥٨. عبد الرزاق بن السبع الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري .

١٥٩. عبد الرزاق بن السبع الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

١٦٠. عبد العزيز بن الحاج بن ابراهيم الثميني ،معالم الدين ، عمر إسماعيل آل حكيم ..، ٢٠٠٧،

١٦١. عبد العزيز بن الحاج بن إبراهيم الثميني ، التاج المنظوم من درر المنهاج المعلوم ، م١،ط١٤٢١،١هـ-٢٠٠٠م.

أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي ، شرح غاية المراد في نظم الاعتقاد ، ط٣، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، وزارة الأوقاف، سلطنة عمان .

١٦٢. عبد العزيز بن سعود المعولي ابراهيم ، بن ناصر الصوافي، مذهب الإسلام .

١٦٣. عبد القادر أحمد عطا ، التصوف الإسلامي بين الأصالة والاقتباس في عصر النابلسي دار الجيل بيروت ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٦٤. عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، أبي منصور ،ت: محمد عثمان الخشب ، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة .

١٦٥. عبد الكريم الجيلي فيلسوف الصوفية تأليف يوسف زيدان ١٩٨٨م الاسكندرية : الشعر الصوفي

١٦٦. عبد الله الفقير سلمان بن أحمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الاباضية .

١٦٧. عبد الله بن سعيد المعمري ، القيم الخلقية عند العمانيين،ط١-١٤٣٧هـ-٢٠١٦م- الطلائع –سلطنة عمان –ولاية إبراء

١٦٨. عبد الله بن سلمان بن عبد الله الريامي ، دلائل الاعتقاد عند الإباضية ،ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، الضامري ، السيب ، عمان .

١٦٩. عبد الله بن سيف بن محمد الكندي ،كتاب عقود العقيان في ذكر شيء من مباحث القرآن ،ط١ ،١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٧٠. عبد المجيد الشرنوبي ، الحكم العطائية

١٧١. عدون جهلان الفكر السياسي عند الّإباضية ، من خلال أراء الشيخ آمحمد بن يوسف اطفيش ط٣، ١٢٣٦ /١٣٣٢١٨٠٨/ ١٩١٤ ، الضامري ، سلطنة عمان .

١٧٢. عدون جهلان الفكر السياسي عند الّإباضية ، من خلال أراء الشيخ آمحمد بن يوسف اطفيش١٢٣٦ ١٣٣٢،،،١٨٠٨ ١٩١٤ ، الضامري ، سلطنة عمان ، ط٣

١٧٣. العقد الثمين نماذج من فتاوى نور الدين السالمي والمجلد ١مكتبة الضامري سلطنة عمان تحق، سالم بن حمد بن سليمان بن حميد بن عبد الله الحارثي .

١٧٤. علي حسن عبد القادر الإمام أبو القاسم الجنيد ق٣هـ، رسائل الجنيد ، ، القاهرة .

١٧٥. علي يحي معمر ، الاباضية مذهب إسلامي معتدل

١٧٦. علي يحي معمر ، مراجعة سليمان بن الحاج ابراهيم بابزيز ، الاباضية في موكب التاريخ مكتبة الضامري ، سلطنة عمان السيب ،ط٢- ١٩٩٣.

١٧٧. -علي يحي معمر ، م: الشيخ بكير بن محمد الشيخ بالحاج ، الإباضية بين الفرق ط٢،مكتبة

١٧٨. عمر بن الفارض شرح ناصر بن أبي نبهان الخروصي قصيدة نظم السلوك إلى ملك الملوك ، { عدد صفحات المخطوط ٣٤٤

١٧٩. عمر بن الفارض مخطوطة قصيدة نظم السلوك إلى ملك الملوك ، شرح ناصر أبي نبهان الخروصي رقم ٣٤٤.

١٨٠. عمر سليمان الاشقر ، شرح ابن القيم لأسماء الله الحسنى ، دار النفائس ط١، ١٣٢٨هـ-٢٠٠٧م-عمان.الأردن .

١٨١. عمرو خليفة النامي ، ميخائيل خوري . مراد بن ماهر يزيد ، محمد صالح ناصر ، مصطفى صالح باجو .دراسات عن الاباضية .

١٨٢. فتحي شحاتة عطية تقديم سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي أبو مسلم البهلاني حياته وشعره تح" ط١١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، سلطنة عمان.

١٨٣. فرحات الجعبيري ، نظام العزابة عند الاباضية الوهبية .

١٨٤. فرحات الجعبيري البعد الحضاري للعقيدة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ط٢، ١٤٢٥هـ/٣٠٠٤م.

١٨٥. فرحات بن علي الجعبيري ، شخصيات إباضية .

١٨٦. فرحات بن علي الجعبيري ، الإمام جابر بن زيد ، ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م، الضامري ، السيب سلطنة عمان.

١٨٧. فضيلة الشيخ سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي نتائج الأقوال ج١، مختصر معارج الآمال ج٢نشر مدارج الكمال ط٣، ١٤٣٥-٢٠١٤م،مكتبة الضامري ج١مراجعة داوود بن عمر بابزيز الوارجلاني.

١٨٨. -فكر الحوار المفتوح ،د قاسم بن محمد بن سالم الصالحي ، تقد : أحمد بن سعود السيابي ، ط١، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان .

١٨٩. فهد السعدي ، معجم شعراء الإباضية قسم المشرق ، ج١-ج٢، الطبقة الأولى ، مكتبة الجيل الواعد ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

١٩٠. فهد السعدي معجم علماء وفقهاء الإباضية ، ج١-ج٢، مكتبة الجيل الواعد ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م .

١٩١. قاسم محمد عباس ، حسن محمد عجيل رسائل ابن عربي ، شرح مبدأ الطوفان ورسائل أخرى ، محي الدين بن عربي المجمع الثقافي ١٩٩٨، ط١، الإمارات العربية المتحدة.

١٩٢. قراءات في فكر الخليلي حصاد ندوة المنتدى الأدبي تكريما للمرحوم العلامة المحقق سعيد بن خلفان الخليلي من ١٧، ١٨ذي القعدة ١٤١٣هـ الموافق ل٨مايوا ١٩٩٣، ط٢/١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م،

١٩٣. قطب الأئمة الشيخ الحاج امحمد اطفيش مختصر كتاب تيسير التفسير ، من أوائل سورة الرحمان

١٩٤. الكاتب : أحمد بن مظفر الرواحي أثر العقيدة في الإنسان.

١٩٥. كتاب السير أبوا العباس أحمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشماخي تحق محمد حسن ج١ط١، ٢٠٠٩، طرابلس ٥٠-١٠٠هـ.

١٩٦. كتاب النور الشيخ العالم الفقيه عثمان بن أبي عبدالله الأصم .

١٩٧. كتاب سعيد بن خلفان الخليلي رائد الشعر الصوفي ، في النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني ، لابي مسلم الشيخ ناصر بن سالم بن عديم البهلاني

١٩٨. كرم أمين أبو كرم حقيقة العبادة عند محي الدين بن عربي ، ، دار الأمين ١٤١٧هـ-١٩٩٧م،القاهرة ط١.

١٩٩. الكوكب الدري لعبد الله الحضرمي:

٢٠٠. لشيخ محمد بن يوسف اطفيش ت: ابو اسحاق ابراهيم اطفيش الذهب الخالص المنوه بالعلم القالص ، ط٢، دار البعث قسنطينة .

٢٠١. ليالي ابن دريد ، الشيخ أحمد بن سعود السيابي ٣/ ١/ ٢٠١٧، الثلاثاء / الإسلام والفكر السياسي التصوف الإسلامي.

٢٠٢. مأمون غريب أبو الحسن الشاذلي حياته تصوفه تلاميذه وأوراده ،دار غريب - ٢٠٠٠م .

٢٠٣. مبارك بن سعيد بن بدر بن محمد الشكيلي الغافري ، تحق، هلال بن محمود بن عامر البريدي ، مجموع البيان لحسن مكارم الأخلاق على مر الزمان ،ط١٤٣٤،١هـ-٢٠١٣م، وزارة التراث والثقافة —سلطنة عمان .

٢٠٤. مبارك بن عبد الله حامد الراشدي الامام ابو عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي وفقهه.

٢٠٥. مجدي حسين كامل ، أحلى قصائد الصوفية .

٢٠٦. مجدي فتحي السيد ،عيوب النفس لإمام أبي عبد الرحمن السلمي ٣٣٠-٤١٦، ،ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م دار صحابة التراث طنطا .

٢٠٧. مجموعة من الباحثين ، معجم مصطلحات الإباضية ، ،٢٠٠٨،ج١، ج ٢،سلطنة عمان

٢٠٨. محسن بن جمعة بن محمد اللواتي ، أخوتي الإباضية ويليه كتاب رشحات التصوف في أوساط الإباضية .دار المحجة البيضاء

زايد بن سليمان بن عبد الله الجهمضي ،من معالم الفكر التربوي عند الشيخ أحمد بن حمد

الخليلي ج٢، التربية الروحية ، عشرون وسيلة للتربية الروحية ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م- مسقط٥

أحمد بن حمد الخليلي ، القيم الإسلامية ودورها في تقديم الحلول للمشكلات العالمية ،

٢٠٩. محمد أحمد حسب الله إيقاظ الهمم في شرح الحكم ،أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني ت: ، دار المعارف - القاهرة

٢١٠. محمد السعيد بن بسيوني أبو هاجر زغلول الطب الروحاني جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م،مكتبة الثقافة الدينية

٢١١. محمد الصالح العثيمين شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، م١، ط٦- جمادى الأولى ١٤٢١هـ،دار ابن الجوزي –المملكة العربية السعودية

٢١٢. محمد الغزالي ، من الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء ،ط١١٤١٩هـ-١٩٩٨م

٢١٣. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد ،ابن قيم الجوزية تح: محمد سيد كيلاني ،مكتبة دار التراث –القاهرة

٢١٤. محمد بن أحمد بن إبراهيم العماني مخطوطة كتاب مراهم القلوب ، في خلال الرد على عثمان بن أبي عبد الله الأصم .

٢١٥. محمد بن صالح العثيمين سليمان بن عبد الله بن حمود أبا الخيل القول المفيد على كتاب التوحيد ، د خالد بن علي بن محمد المشيقح ، ج١، دار العاصمة.

٢١٦. محمد بن صالح ناصر ، أبو مسلم الرواحي ، حسان عمان .

٢١٧. محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أبي الفتح ،ت أحمد فهمي محمد الملل والنحل .ج ١، ٢، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان .

٢١٨. محمد بن علي بن سعيد الشرياني ، غاد ورائح في الأدب والحكم والنصائح ، ١٤١٥هـ/١٩٩٣م

٢١٩. محمد بن علي بن محمد الشوكاني فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في فن التفسير

٢٢٠. محمد بن قاسم ناصر بوحجام ، البعد الروحي لنظام حلقة العزابة .

٢٢١. محمد بن يوسف اطفيش القطب شرح كتاب النيل وشفاء العليل دار الفتح، بيروت. ودار التراث العربي، ليبيا. ومكتبة الإرشاد، جدة الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م

٢٢٢. محمد سحواج ، معجم المصطلح الصوفي الفلسفي في شعر الأمير عبد القادر .

٢٢٣. محمد سعيد رمضان البوطي ، من روائع القرآن تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عز وجل ، مكتبة الفارابي

٢٢٤. محمد سعيد كعباش ، من أخلاق القرآن ، الوصايا العشر ووصية لقمان ، ط١ _٢٠١٠م ألفا _ الجزائر

٢٢٥. محمد سيد كيلاني من كتاب إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان للإمام عبد الله محمد بن أبي بكر الشهير بابن القيم تحق، ج١، مكتبة دار التراث القاهرة .

٢٢٦. محمد شيبة نهضة الأعيان بِحُرِّيَّة عُمان أبو بشير بن نور الدين عبد الله بن حُمَيْد السالمي ،مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، محمد حلمي المنياوي ج١.

٢٢٧. محمد صالح ناصر مشايخي كما عرفتهم ، ط٢ ١٤٣٤هـ-٢٠١٣، الجزائر

٢٢٨. محمد صالح ناصر مع كلام رب العالمين ، ،ج١، جمعية التراث ، القرارة ،ط١١٤٦هـ-٢٠١٤م.

٢٢٩. محمد صالح ناصر منهج الدعوة عند الاباضية ، مكتبة الاستقامة مسقط ، سلطنة عمان ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٢٣٠. محمد فتح الله كولن ، التلال الزمردية نحو حياة القلب والروح ، تر إحسان قاسم الصالحي ، ط٥ ٢٠١٢_١٤٣٣ ، دار النيل ، القاهرة .

٢٣١. محمد قطب ،ركائن الإيمان،ط١-١٤٣٢هـ-٢٠٠١م-دار الشروق —القاهرة

٢٣٢. محمد قطب الإنسان بين المادية والإسلام ط٩، ١٤٠٨هـ/١٩٨٩م، دار الشروق ، بيروت.

٢٣٣. محمد متولي الشعراوي ، الله والنفس والبشرية ط١/ ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م الحرية للنشر –مصر

٢٣٤. محمد مصطفى حلمي ،ابن الفارض والحب الإلهي ، دار المعارف –١١١٩–القاهرة ط٢.

٢٣٥. محمد ناصر ، الأصول العقدية للناشئة المحمدية ، مكتبة الضامري ، السيب سلطنة عمان ط١، ١٩٩٣م.

٢٣٦. محمد ناصر ، حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي .

٢٣٧. محمد ناصر حلقة العزابة ودورها في بناء المجتمع المسجدي ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م مكتبة الضامري سلطنة عمان .

٢٣٨. –محمودبن مبارك السليمي ، أثر الفكر الإباضي في الشعر العماني في ق ١٣و١٤هـ،ط١–١٤٢٣هـ–٢٠٠٣ممكتبة الجيل الواعد–سلطنة عمان

٢٣٩. مريم بنت سعيد القتبية مراجعة : الشيخ مبارك بن عبد الله الراشدي نظرات حول المذهب الإباضي

٢٤٠. مسلم بن سالم بن علي الوهيبي مدرسه الشيخ حمود بن حميد الصوافي انموذج معاصر ، جامعه السلطان قابوس كليه التربية قسم العلوم الإسلامية ن ورقه عمل لندوه التراث التربوي التعليمي الاسلامي العماني ومؤسساته ، للثقافة الاسلاميه سلطنه عمان مسقط . سلطنه عمان ٢٥.٢٧ شعبان ١٤٢٢هـ ١١ . ١٣ نوفمبر ٢٠٠١م.

٢٤١. مصطفى حلمي ابن تيمية والتصوف دار الدعوة ، الإسكندرية ١٩٨٢، ط٢

٢٤٢. منصور بن ناصر بم محمد الفارسي عيون الآثار : سعود بن عبد الله بن حمد بن حمود الفارسي وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ط ١ ، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م سلطنة عمان.

٢٤٣. مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه

٢٤٤. -ناصر بن سالم بن عديم البهلاني ، العقيدة الوهبية، ت صالح بن سعيد القنوبي ، عبد الله بن سعيد القنوبي ، مكتبة مسقط ، سلطنة عمان ط٥١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م،

٢٤٥. ناصر بن سالم بن عديم البهلاني أبي مسلم الشيخ ، نثار الجوهر في علم الشرع الأزهر ج١، ط٤، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، مكتبة مسقط —سلطنة عمان ؟

٢٤٦. ناصر بن سالم بن عديم البهلاني الرواحي ، شاعر العرب،ت: راشد بن علي الدغيشي، شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني ،م١-ط١-١٤٣٦هـ-٢٠١٥م- الضامري —السيب — سلطنة عمان .

٢٤٧. ناصر بن سعيد المسقري ، الاباضية في ميدان الحق .

٢٤٨. -ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ط١١٤٣٤هـ-٢٠١٢م

٢٤٩. -ناصر بن سليمان بن سعيد السابعي ، روائه السلف الصالح وأقوال ووصايا وأراء وفتاوي ومواقف لعلماء أهل الحق والاستقامة الحلقة الأولى من القرن الأول إلى القرن السادس من الهجرة ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م .

٢٥٠. ندوة الخطاب الديني في شعر أبي مسلم البهلاني الرواحي المنعقدة خلال الفترة من ٣ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٦ يناير ٢٠٠٣م حتى ٥ ذي القعدة ١٤٢٣هـ/ ٨ يناير ٢٠٠٣مسلطنة عمان – وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

٢٥١. النظم الاجتماعية والتربوية عند الاباضية ، في إفريقيا في مرحلة الكتمان ، عوض محمد خليفات .

٢٥٢. نفحات من السير ، ج١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، سلطنة عمان.

٢٥٣. نور الدين السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الاباضية .تح سلطان بن مبارك الشيباني، ط١، ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م، ذاكرة عمان ، سلطنة عمان .

٢٥٤. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، جوابات الإمام السالمي : عبد الله بن محمد بن عبد الله السالمي مكتبة الإمام السالمي ، بدية ، سلطنة عمان ، ٢٠١٠م ،ج ٥

٢٥٥. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي اللمعة المرضية من أشعة الإباضية، العدد الثامن عشر ، وزارة التراث القومي ، سلطنة عمان .

٢٥٦. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج١-٢، مكتبة الاستقامة ١٤٣٥هـ-٢٠١٣م .

٢٥٧. نور الدين عبد الله بن حميد السالمي تحق الحاج سليمان بن ابراهيم بابزيز، معارج الآمال على مدارج الكمال بنظم مختصر الخصال .

٢٥٨. وليد محمود خالص ، تح: إيضاح نظم السلوك إلى حضرات ملك الملوك لناصر بن جاعد الخروصي ، ، ، ط١هيئة أبة ظبي للثقافة والتراث دار الكتب الوطنية ٢٠١٢م

٢٥٩. يزار أباظة _محمد رياض المالح ، إتمام الأعلام ، ذيل لكتاب الأعلام لخيرالدين الزركلي ، ط٢ ١٤٣٤هـ-٢٠٠٣م، دار الفكر دمشق.

٢٦٠. يوسف زيدان المقدمة في التصوف ، أبي عبد الرحمن السلمي، ط١، ١٤١٩هـ١٩٩٩/مدار الجيل بيروت .

٢٦١. ومضات فكرية لسماحة الشيخ الخليلي ، اقتباسات من روائع أقوله – الحلقة الأولى –ط١-١٤٣٥هـ-٢٠١٤م-موقع بصيرة-مسقط –سلطنة عمان

٢٦٢. "شبكة الدرة الإسلامية www.aldura.nt aldura@aldura.net مقدمة الشيخ أحمد الخليلي لكتاب جواهر التفسير ج١، "الجزء الأول.

٢٦٣. فهمي توفيق محمد مقبل ، عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والنهضة في تاريخ الجزائر الحديث ، ١٣٠٧هـ.١٣٥٩هـ/١٨٨٩م،١٩٤٠م.

قائمة اللقاءات

في وادي ميزاب ...شهر مارس

١-لقاء مع الشيخ المؤرخ إبراهيم طلاي –بني يزجن – غرداية –في مكتبته

٢-لقاء مع الشيخ أحمد نوح - بني يزجن – تافيلالت – في بيته

٣-لقاء مع الشيخ المفسر محمد أيوب صدقي – بني يزجن - في بيته

٤-لقاء مع الشيخ كروم – قصر مليكة- غرداية – في مكتبته

٥-لقاء مع الدكتور صالح سيوسيوا –مدير كلية المنار طالبات –قصر غرداية

٦-لقاء مع د يحي بن يحي – جامعة غرداية- بغرداية – في مكتبه

٧-لقاء مع د: مصطفى بن دريسوا – جامعة غرداية –

٨-إبراهيم بن محمد تيريشين – قصر بنورة – غرداية

٩-لقاء مع الناشطة لالة بابا عمي-بني يزقن

١٠- لقاء الأخت بية مطهري من قصر تمليشت (مليكة)

في سلطنة عمان ....شهر ديسمبر

١-لقاء مع سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي المفتي العام لسلطنة عمان –في بيته

٢-لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود السيابي الأمين العام لمكتب الإفتاء –وزارة الأوقاف – في مكتبه

٣-لقاء مع الشيخ كهلان الخروصي نائب المفتي –وزارة الأوقاف – في مكتبه –مسقط

٤-لقاء مع الشيخ سيف الهادي - مسقط

٥-لقاء مع الشيخ ماجد الكندي – وزارة الأوقاف – في مكتبه –مسقط

٦-لقاء مع الشيخ إبراهيم الغماري- بيته -مسقط

٧-لقاء مع الشيخ إبراهيم الأغبري –كلية العلوم الشرعية- مسقط

٨-لقاء مع الشيخ عاشور كسكاس – كليةالعلوم الشرعية

٩-لقاء مع الدكتور محمد الزيني –كلية العلوم الشرعية- مسقط

١٠- لقاء مع الشيخ منذر السيفي –بكلية العلوم الشرعية

١١-لقاء مع الفقيه العلامة الشيخ عبدالله بن سيف بن محمد الكندي -الخوض مسقط-

١٢-لقاء مع الشيخ محمد الرواحي – ولاية نزوى في بيته -

١٣-لقاء مع الشيخ مهنا الخروصي – العوابي – الرستاق – مسقط- في بيته

١٤-لقاء مع الشيخ محمد الهنائي – مسقط- في بيته

١٥- لقاء مع الأستاذة أميرة الهنائي مرشد في قسم الإرشاد النسوي ، وزارة الأوقاف

١٦- لقاء مع بنت سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة الدورات والندوات :

قائمة دورات التدبر :

١-دورة تدبر القرآن الكريم ، الشيخ مصطفى اتبيرن –أم البواقي ٢٠١٥.

٢- دورة تدبر القرآن الكريم ، الشيخ داود بوسنان سلطنة عمان ٢-١٦.

٣- دورة تدبر القرآن الكريم ، الأستاذة ميمونة الجامعية – سلطنة عمان ٢٠١٦.

قائمة الندوات

١- ندوة السير عند الإباضية بتونس الأولى بعنوان كتب السير الإباضية بدار العلوم تونس ٢٠١٤.

٢- ندوة السير عند الإباضية الثانية بعنوان سير الشماخي بنزل لاكروبول ٢٠١٥.

٣- ندوة السير عند الإباضية الثانية بعنوان طبقات الدرجيني بمدينة نفطة ٢٠١٦.

٤- ندوة السير عند الإباضية الثانية بعنوان كتاب السير والجوابات لأئمة وعلماء عمان ٢٠١٧.

٥- ندوة برهان الحق – سلطنة عمان ٢٠١٧.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات

السورة	الآيـــــــــــــة	الرقـــــــم	الصفحة
الفاتحة	﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾	٤	٥٢٥
	﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾	٦	٢٤٥
	﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾	٧	
البقرة	﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٢	١٠ ٥٢٣
	﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ...﴾	٤	٩٦
	﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾	٥	٥٢٨
	﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ...﴾	٢٥	٤٣٣
	﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ...﴾	٣٤	٣١٧
	﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ...﴾	٤٦	٩٥
	﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ...﴾	٥١	٥٢
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا...﴾	١٠٤	٩١
	﴿...وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ...﴾	١٠٥	٨٠

البقرة	﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم...﴾	١٠٩	٣١٧
	﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ...﴾	١١٢	١٦
	﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ...﴾	١١٤	٤٤٨
	﴿* وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ...﴾	١٢٤	٣٣٢
	﴿...فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	١٣٧	٣٠٣
	﴿...وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ...﴾	١٤٣	٤٣٦
			٩٢
	﴿...فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ...﴾	١٥٢	٤٥٧
	﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ...﴾	١٦٤	٣١٩
	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾	١٦٥	٢٤٨
	﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى﴾	١٨٦	٤٥٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

البـــقرة	﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	٢٠٧	٤٩٨ ١٧٠ ١٧٣
	﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ...﴾	٢٥٧	٢٤٧
	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ...﴾	٢٥٨	٨٥
	﴿...قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ...﴾:	٢٦٠	٩٤
	﴿..فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ...﴾	٢٧٥	٣١٦
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ...﴾	٢٧٨	٣١٦
	﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾	٢٨٥	٩٣

جامعة الأمير بدر للعلوم الإسلامية

آل عمران	﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ...﴾ قلا	١٩	٣٠٩
	﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ...﴾	٣١	٢٧ ٤٦٦ ٤٦٨
	﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ...﴾	١٠٤	٥١٠
	﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ﴾	١٣٥	١٧٣
	﴿وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ...﴾	185	٣٠٦ ٤٨١
النـــساء	﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ...﴾	٣١	٤٤٧ ٤٥٠
	﴿فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا﴾	٥٤	٣١٧
	﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾	٦٩	٢٤٦
	﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ...﴾ صلا	٧١	٥٣٤

المائـــدة	﴿...وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾	٢	٣٢٣
	﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ...﴾	٤١	٩٢
	﴿...وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	٤٤	٣١٨
	﴿...وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٤٥	٢٠١
	﴿...لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ...﴾	٤٨	٢١١
	﴿...فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ...﴾	٥٤	٢٤٨
	﴿...وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ...﴾	٨٣	٤٢٨
	﴿...قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ...﴾	١١٩	٩٢

الأنعام	﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾	٢٢	١٤٤
	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم﴾	٨٢	٤٤٤
	﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ﴾	١٢٥	٩٥
	﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟...﴾	١٥٣	٨٩
الأعراف	﴿...وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ...﴾	٢٦	١٣٢
	﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	٣١٩
	﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ...﴾	١٦٥	٢٤٨
	﴿إِنَّ وَلِىِّىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٩٦	٢٤٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأنـــفال	﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ﴾	١٢	٢١٧
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٤٥	٤٥٦
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٧٢	١١٥
	﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٧٤	١١٤
التوبـــة	﴿وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	٨١	٣٢١
	﴿فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾	١٠٨	١٤١
	﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...﴾	١٢٨	١٩
يونـــس	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾	٧	٤٨٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يونس	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ..﴾	٥٧	٢
	﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ...﴾	٦٢	٢٤٧
	﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ﴾	١٠٧	٤٨٣
هود	﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا﴾	٦	٤٧٨
يوسف	﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾	١٧	٩٠ ٤٤٠
الرعد	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	١١	٥٢٦
	﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾	٢٨	٤٢٤ ٤٦٠
إبراهيم	﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ...﴾	١	٤
	﴿قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ﴾	١١	٣١١

النحل	﴿...وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ...﴾	٩	٨١
	﴿بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ﴾	٤٤	٦
	﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾	٨٩	٤٥٥
	﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾	١٠٦	٩١
	﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ﴾	١٠٧	٩٣
	﴿...أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ...﴾	١٠٨	
الإسراء	﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾	٩	٩
	﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ﴾	١٨	٤٨٢

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإسراء	﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾	١٩	٤٨٢
	﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾	٥٧	٣١٩
	﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾	٧٨	١٠٢
	﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ...﴾	٨٠	٤٧٩
الكهف	﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ ...﴾	١٤	٨٦
			٢٤٨
	﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾	١٦	٢٤٨
	﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	٢٨	٤٢٥

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مريم	﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ...﴾	٥٩	٣١٦
	﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ...﴾	٦٠	
	﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى...﴾	٧٦	٨٨
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾	٩٦	٥٢٩
طـــــه	﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾	٧٢	٤٣٩
	﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾	١٢٤	٥٢٣
	﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ ...﴾	١٣٠	١٠٢
الأنبـياء	﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ﴾	٢٢	٨٠
	﴿وَلَقَدۡ قَالَ لَهُمۡ هَٰرُونُ مِن قَبۡلُ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي ٩٠﴾	٩٠	٣١٨

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الحج	﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾	١٤	٣١١
المؤمنون	﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠﴾	١٠	٤٤٣
	﴿ثُمَّ أَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ٣١﴾	٣١	٤٢٨ ٤٤٣ ٤٤٧
النور	﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	٣١	٤٤٧
	﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ ...﴾	٦٢	٤٤٨
الفرقان	﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾	٦٣	٢٨٩
الشعراء	﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ وَمَا رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢٣	٨٦
	﴿قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ﴾	٢٤	
	﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾	٤٢	٤٣٩
	﴿... إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾	٨٩	٤٢٧
	﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٩٢	٤٢٧
	﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾	١٩٣	٤٢٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الشعراء	﴿عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ﴾	١٩٤	٤٢٧
النمل	﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ﴾	١٤	٩٣
القصص	﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾	٧٧	١١ ٢٢
	﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	٨٣	٤١
العنكبوت	﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾	٢	٩٣
	﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾	٣	
	﴿۞..وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	٢٦	١٠٩
	﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ﴾	٤٥	٤٥٧

جمعية الإمام بلد الفقير للعلوم الإسلامية

العنكبوت	﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٤٨١
	﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٢٥٥
الـــروم	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ...﴾	٣٠	٣٠٨
لقمـــان	﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ﴾	٢٢	٣١٠
السـجدة	﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا﴾	١٥	٧
	﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	١٦	
الأحـزاب	﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٨	٩٨
	﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾	٢١	١٦ ١٩ ٢٤ ٤٢٤

الأحـــزاب	﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾	٣٦	٨٧
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾	٤١	٤٥٦
سبـــــأ	﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾	٤٨	٢١٧
الزمـــــر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٩	٣١٠
	﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ﴾	٧٢	٣١٧
غافـــــر	﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾	١٨	٣١٥
	﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ...﴾	٤٤	٣١١
فصلـــت	﴿...قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ...﴾	١١	٧٩
	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ﴾	٣٠	٤٣٧
	﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	٥٢٣

جامعة التيسير لعلوم القرآن والعلوم الإسلامية

الشورى	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	٨٥
	﴿... ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ...﴾	١٣	٤٣٤
	﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠﴾	٢٠	٢٠
	﴿وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ﴾	٣٧	٤٥٠
	﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾	٣٨	٣٢٥
	﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾	٥٢	٩٥
الزخرف	﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾	٦١	٢١٨
الجاثية	﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ..﴾	٢١	٩٥
	﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ﴾	٣٢	٣١٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأحقاف	﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾	٢٠	٤٨٤
محمد	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	٢٤	٤٢٥
الفتح	﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ﴾	٤	٩٤
	﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	٢٩	٢٦
			٣٢٣
الحجرات	﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾	١٤	٩٢
			٤٣٦
	﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ ...﴾	١٥	٤٤٣
ق	﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾	١٦	٣١٣
	﴿لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا ...﴾	٢٢	٥٣
	﴿فَذَكِّر بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾	٤٥	٥١٨

الذاريات	﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾	٥٠	١٠٩
	﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾	٥٦	٨٠ ٤٧٩
النجـــم	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾	٣	١٩
	﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾	٥	
	﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾	٤٢	٧٦
الحديد	﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ...﴾	٢٠	١١ ٤٨٣
المجادلة	﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾	١١	٩٦
	﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ....﴾	٢٢	٢٤
الحشر	﴿...يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ...﴾	٩	٣٢٢
	﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴿٢٣﴾﴾	٢٣	٤٦١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

القلـــم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	١٨
المزمل	﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾	٢	
	﴿نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا﴾	٣	١٠٢
	﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾	٤	
	﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾	٨	٢
	﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا﴾	١٠	١١٣
الأعـلى	﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾	١٤	٣
	﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٥	
	﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	١٦	
	﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	١٧	٤٨٤
الشمس	﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٧ ٨ ٩	٢٠
	﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٨ ٨	٢١١

جامعة الأمير سطام للعلوم الإسلامية

الليـــل	﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى﴾	١٧	٢٨
	﴿ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾	١٨	
الضحى	﴿وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾	١ ١ ٣	٢٢
	﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾	٨	٢٥
البينـــة	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾	٥	٩٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الرقم	طرف الحديث	راوي الحديث	الصفحة
٠١	« الإسلام علانية والإيمان في القلب»	أنس بن مالك	٤
٠٢	«ستكون من بعدي فتن كقطع الليل المظلم، قيل: يا رسول الله وما المخرج منها؟»	علي بن أبي طالب	٥
٠٣	«إن الله يرفع بهذا القرآن أقواما ويخفض آخرين»	عمر بن الخطاب	٦
٠٤	« كان خلقه القرآن»	عائشة	٦-٨ ١٢
٠٥	«... فدخلت عليه فإذا هو مضطجع على رُمَال حصير ليس بينه...».	عمر بن الخطاب	١٨
٠٦	«اضطجع النبي على حصير، فأثَّر في جلده...».	عبد الله بن مسعود	١٩
٠٧	«خرج رسول الله ذات يوم أو ليلة، فإذا هو بأبي بكر وعمر...».	أبو هريرة	١٩
٠٨	«أكان رسول الله ﷺ يخص شيئا من الأيام ؟ ... ».	عائشة	١٩
٠٩	«رأيت أبا هريرة يشير بأصبعه مرارا :والذي نفس أبي هريرة بيده... ».	أبي حازم	١٩
١٠	«رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخَافُونَ أَلاَ أَقْسِمَ بَيْنَكُمْ مَا أَفَاءَ اللهُ...».		٢٠
١١	«إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ ...».		١٢
١٢	«إن الله تعالى اختارني واختار لي أصحاب وجعل لي منهم... ».	أبو بكر الصديق	٢٥
١٣	«إن هذا الأمر لا يصلح آخره إلا بما صلح به أوله ولا يحتمله... ».	أبو بكر	٣

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

		الصديق	
١٤	«يا أخي إن أنت حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك... » .	أبو بكر الصديق	٢٦
١٥	«إن العبد إذا دخله العجب بشيء من زينة الدنيا مقته الله ».	أبو بكر الصديق	٢٦
١٦	«ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل، وكان يأخذ بطرف...».	أبو بكر الصديق	٢٦
١٧	« "قد وليت عليكم ولست بأخيركم فأعينوني فإذا رأيتموني... ».	أبو بكر الصديق	٢٦
١٨	«من أبغض عمر فقد أبغضني ،ومن أحب عمر فقد أحبني ... ».	أبي سعيد الخدري	٢٧
١٩	«إذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر ، إن عمر كان أعلمنا ...».	عبد الله ابن مسعود	٢٧
٢٠	«وجّه عمر جيشا ورأّس عليهم رجلا يدعى سارية...».	ابن عمر	٢٧
٢٢	«خطب عمر الناس وهو خليفة وعليه إزار فيه ثنتا عشرة رقعة.».	الحسن	٢٧
٢٣	«كان بين كتفي عمر ثلاث رقاع».	أنس	٢٧
٢٤	«يا أمير المؤمنين لو اكتسيت ثوبا هو ألين من ثوبك ...».	مصعب بن سعد	٢٧
٢٥	«أول إسلامي أن ضرب أختي المخاض فأخرجت من البيت ...».	عمر بن الخطاب (أثر)	٢٨
٢٦	« هذا عمر وليس من الباطل في شيء...».		٢٨
٢٧	« لو استمر على تلاوته لاستمرت تلك السكينة واقفة عليه باقية ...».		٢٩

٢٨	«جاء ابن التباع فقال: " يا أمير المؤمنين امتلأ بيت...».	علي بن أبي طالب	٢٩
٣٠	«رؤي عليه إزار مرقوع فعوتب في لبوسه فقال: "يقتدي ...».	علي بن أبي طالب	٣٠
٣١	« رأيت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق ويقول: من ...».	علي بن الأقمر	٣٠
٣٢	«جاءه ابن التياح فقال: "يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال ...».	علي بن أبي طالب	٣٠
٣٣	«نضحك ولعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا"، فقال: ...».	الحسن	٣٠
٣٤	« بكى الحسن، فقيل له ما يبكيك ،فقال: أخاف أن يطرحني ...».	حفص بن عمر	٣٠
٣٥	«بينما الحسن في المسجد تنفس تنفسا شديدا ثم ...».	حميد	٣٠

الشـــــــــــــــعر	الصفـحة
ومصدر العلم هو القرآن موهبة جاد بها الرحمـــــــــن معجزة الرسول جاءت فيه واضحة للعاقل النبـــــــــيه وسنة الرسول أصل ثان لطالب العلوم بالإتقـــــــان	٣
موضحا علومه العميقة بما حوت من درر الحقيـــــقة	٣
وبعد فالقرآن هو المرجع لكل علم سابق والمنبـــــع وإنه معتمد الأنام والمورد العذب لكل ضـــــام آياته قد بهرت أولي البصر الكاشفين بالعقول ما اســـتتر	٤
هذا إحياء وخياره فيه وكل جـــاز يده إلى فيـــــه	
هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيـــــه	٣٠
يا معشر العلماء يا ملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد	٣٦
للقمة بجريش الملح آكلها ألذ من تمرة تحشى بزنبـــور	٣٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فلا أدري عشائي من غذائي	٤٠
فنفسي كانت قبل لوامة أطعها عصت أو أعص كانت مطيعتي فأوريتها ما لموت أيس بعفة وأتعبتهـــــــــــا كيما تكون مريحتي فعادت فمهما حملته تحملته مـــــــــني وإن خففت عنها تأذت وكل فتنها لابل كفلت قيامها بتكليفـــــــــها حتى كلفت بكلفتي	٥٩
وأذهبت في تهذيبها كل لذة بإبعادها عن عادتها فاطمأنـــت ولم يبق هول دونها ما ركبته وأشهد نفسي فيه غير زكيـــــة وكل مقام عن سلول قطعته عبودية حققتها بعبوديـــــــــة	٥٩
رجعت لأعمال العبادة عادة وأعددت أحوال الإرادة عدتـــــــــي وعدت بنسكي بعد هتكي وعدت من خلاعة سيطي لانقباض بعفة وصمت نهاري رغبة في مثوبة فأحببت ليلي رهبة من عقوبـــــــــة	٥٩
وعمرت أوقاتي بورد لـــــورد وصمت لسمت واعتكاف لحرمـــــة ونبت عن الأوطان هجران قاطع مواصلة الاخوان واختزن عزلتـــــــي ودققت فكري في الحلال تورعا وداعبت في إصلاح قوتي قوتـــــي	٥٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وأنقصت من يسرا القناعة راضيا من العيش في الدنيا بأيسر بلغـــة وهذبت نفسي بالرياضة ذاهبا إلى كشف ما حجب العوائد غظـت وجردت في التجريد عزمي تزهدا وآثرت في نسكي استجابة دعـــي	٥٩
إن كان منزلي في الحب عندكم ما قد رأيت فقد ضيعت أيام أمنية طمعت بها روحي زمنا واليوم أحسبها أضغاث أحلام	٦٢
أروم وقد طال المدى مثل نظرة وكم من دماء دون مر ماي طلق	٦٣
أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لـــــــذاك وأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمن ســـواك وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجـب حتى أراك فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكـا	٦٤
بيت الولاية قسمت أركانه سادتنا فيه من الأبـــدال ما بين صمت واعتزال دائم والجوع والسهر النزيه الغالي	٤١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إني لأعرف مولاي بمولاي ولست آمله إلا لبلـــــواي هو الجواد فلم يدرك من أحد هويته بدليل العقل والرأي	٧٧
إيماننا القول والتصديق مع العمل فالقول مر فصدقه وكن عملا بما عليك من الإيمان مفترض والنفل إن تستطع فافعله مبتهلا	
وإنما الإيمان قول وعمل ونية فهو على هذا استـــــــقل	٤٤١
فإن شئت وصلا فكن واقفـــــــا على الباب لا يُرتـــــــجُ وقم بافتقارٍ وذل وقـــــــــل فقير على بابكم أعـــــــرج	٤٥٤
كرر على الذكر من أسمائه واجلوا القلوب بنوره وسنـــــــــانه	٥٥٦

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

كـرر على الذكر من أسمائه واجلوا القلوب بنوره وســـــــنانه ودر الكؤوس على النفوس فإنها تصبوا على المشروب من صيهابه اسم به الكون استفاد ضيـاءه في أرضه وفضائه وسمـــــــــائه	٥٥٦
حارت عقول القوم عند صفاته نادت قلوب الخلق عند ضـيائه وإذا تجلى للقلوب جلالـــــــه شعرن بسر سنانه وبقـــــــائه	٥٥٧
قرت قلوب المتقين بقـــــربه وعلت على عليائه وعلاتـــــــه عز اسمه للعارفين مكـــــــررا معروفة المعروفة من آلائـــــــــه	٥٥٧
معرفة الباري من العقول فكيف بالسماع والنقـــــول ولا يجوز جهلها لجاهل طرفة عين عند ذي الدلائـــل	٤٧٢
أيها العاذل ذرها تنهمي تلك أحشائي فدعها تتقـــد	٤٧٣
أبعد ابن وهب في الوفاء وفي التقى ومن خاض في تلك الحروب المهالكا أحب بقاء أو أرجى سلامة وقد قتلوا زيد بن حصنـــــا فيا رب سلم نيتي وبصيرتي وزدني التقى حتى ألاقي أولئـــــــك	

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعـــــــــي كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي	٥٤٢
فعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا	٥٤٢
لقد هممت بقتلها من أجلها كيما تكون خصيمتي في المحشر ثم ارتجعت فقلت روحي روحها فإذا هممت بقتلها لم أقـــدر	٥٤٢
لا تحسبن المجد تمر أنت آكله لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا	٥٤٣
لا يدرك العلم بطال ولا كسيل ولا ملول ولا يلقاه من نظرا	٥٤٣
وليس يدركه إلا فتى يقظ قد كابد الجد والدؤب والسهـــرا	٥٤٣
قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أسقامي وأوجاعـــــــــي	٥٤١
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي	٥٤١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أجز تقية يقول إن خلـــــص من نيل خير من به القول يخص وامنعها في إتلاف نفس أن جنى والخلف في إتلاف ما ضمـــنا	١٢٤
ونحن الأولين لم يشرع لـــنـــا نحل إباض مذهبا يحملنـــا من ذاك لا تلقى له في المذهب مسألة نرسمها في الكتـــب	١٣٢
معيشتنا خبز لغالب قوتنـــــا وماء وليمون وملح وقاشع فإن حصلت مع صحة الجسم والتقى فيا حبذا هذا بما هو قانع	٢٠٠
سَميري وَهَلّ للمُسْتَهامِ سَميرُ ... تَنَامُ وبرقُ الأبْرقينَ سَهِيرُ تمزق أحشاءَ الرَّبَابِ نِصَالهُ ... وقَلْبي هِيَاتيك النّصَال فَطيرُ	٢٢٣
على المعرج الأسنى من الذكر عولا فإشراق شمس السر فيه تهلـــلا وما هو إلا ذكر أسماء ربنـــا ولكن كن على الشـــرط أولا	٢٢٣
فأوله التطهير للقلب من أذى المعاصي وثانيه التفرد في الخلا	٢٢٣
من أطلعوه على سر فباح به لم يطلعوه على الأسرار ما عاشا	٢٥٥
العلم إلهام من الحميد في مذهب الشيخ أبي سعيـــــد وعنده التعليم كالنبات للنخل للتلقيح والثبـــــــــات	٢٥٩

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وهاك أخي نعت الطريق إذا به أردت سلوكا كي تفوزَ بإحســـان	٢٧٩
فبالله إيماني يقين يقيمني ويقعدني لله في كل أحيـــانِ ويلهمني سر القيام بخدمتي لطاعة مولاي الذي هو ســـواني	٢٧٩
أعاين تسبيحي بِنور جَناني .. فأَشهَدُ مني ألفَ ألفِ لســـان وكل لسانٍ أَجتلي من لُغاتِه . إذا الألف ألفٍ من غريب أغـان	٢٨٠
وكل ما صورته ببالك فالله جل بخلاف ذلـــك فعلم كنه ذاته محال ممن سواه ولذاك قالـــوا	٣٠٨
دع غيره فالغير عفس ضيق والجهل فيه لدى الجهالة حاب	٣٣٥
نظر الجليل من العبادة والسياحة والزهادة طلبة المتصـــوفة طمست بصائرهم أشعة نوره فعموا بذاك عن السبيل المزلفة	٣٣٨
فطوبى لمن في نفسه عن صفاتها تخلّى وحلّى قلبه فانجلى هَجْبا وأرخى إلى مولاه هوجاء نفسه مُجدّاً على جدّ لوجدٍ جَرى ضَرْبا	٣٤٠
شموس قلوب العارفين بوازغ ومن حب غير الله هن فوارغ لها في خفيات الخفي مطالع وفي غرب أعيان العيان مبـــازغ	٣٤٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

العلـــــــــــــم	الصفحة
سلمة بن ســـــــعد	١٤٩
الشيخ سليمان الكندي	٣
محمد بن سعيد الشرياني	٤٨٦
أبي يحي الفرسطـــائي	١٤٧
البلجاء الخزامـــــية	٩٩٦
ابن زيـــــــــاد	٤٩٧
عبد الله وهب الراسبي	١٦١
يحي بن معين	١٣٤
عمرو بن العاص	١٧٦
الشيخ عمروس	١٣٣
الإمام الوارث بن كعب الخروصي	٥٠٢
الإمام الجلندى بن مسعود	٥٠٣
أبي حاتم الملـــــــزوزي	١٦٧
عبد الله بن سعيد الحضرمي	١٦٨
القطب اطفيـــــــــش	٢٠٣
الإمام عبد الله بن إبـــاض	١١٧
علي يحي معـــــــــمر	١٧٣
عبد الملك بن مـــــروان	١١٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة	١٩٢
طالب الحـــــــــــق	١٦٩
أبي الخطاب عبد الأعلى	١٨٤
عبد الرحمن بن رســتم	١٥٥
مازن بن غضـــــــــوبة	١٧٥
عبد وجيفر إبني الجلندى	١٧٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

العلـــــــــــــم	الصفحة
سلمة بن ســـــــعد	١٤٩
الشيخ سليمان الكندي	٣
محمد بن سعيد الشرياني	٤٨٦
أبي يحي الفرسطـــائي	١٤٧
البلجاء الخزامـــــية	٩٩٦
ابن زيـــــــــاد	٤٩٧
عبد الله وهب الراسبي	١٦١
يحي بن معين	١٣٤
عمرو بن العاص	١٧٦
الشيخ عمروس	١٣٣
الإمام الوارث بن كعب الخروصي	٥٠٢
الإمام الجلندى بن مسعود	٥٠٣
أبي حاتم الملـــــــزوزي	١٦٧
عبد الله بن سعيد الحضرمي	١٦٨
القطب اطفيـــــــــش	٢٠٣
الإمام عبد الله بن إبـــاض	١١٧
علي يحي معـــــــــمر	١٧٣
عبد الملك بن مـــــروان	١١٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أبو عبيدة مسلم بن ابي كريمة	١٩٢
طالب الحـــــــــــق	١٦٩
أبي الخطاب عبد الأعلى	١٨٤
عبد الرحمن بن رســتم	١٥٥
مازن بن غضـــــــــوبة	١٧٥
عبد وجيفر إبني الجلندى	١٧٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الفرق

الفرقـــــــــــــة	الصفحـة
الصفريـــــــــة	١٣٥
القدريـــــــــة	١٢٠
الخـــــــــوارج	١٢٥
الشيعـــــــــة	١١٩
الأزارقـــــــــة	١٤٣
المرجئـــــــــة	١٢٠
المعتـــــــــزلة	١٤٠

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس البلدان

البـــــــــــــــــــلد	الصـــفحة
عمـــــــــــــــان	١٧٥
حضرمـــــــــــــوت	١٧٩
وارجـــــــــــــلان	١٨٨
جزيرة جـــــــربة	١٧٣
جبل نفوســـــــــــة	١٩٤
زنجـــــــــــبار:	١٥١

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصطلحات

المصطلح	الصفحة
مسالك الديـــــــــن	١٧١
إباضية المشـــــرق	١٧٨
أهل النهـــــــروان	١٧٠
أهل الحق والاستقـامة	١٢٦
معركة النهـــــروان	١٧٠
وقعة مانـــــــوا	١٨٧
حملة العـــــــلم	١٣٧
الشـــــــــراة	١٧٣
القعـــــــــدة	١٢٢
الـــــــــورع	١٣٠
الشراء	١٧٢
البـــــــــراءة	١٢٨

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جذبـــــــــــــــــات	٦١
الحروريـــــــــــــة	١٢٢
البربـــــــــــــر	١٥١
الســـــــــــرداب	١٣٧
المحكـــــــــــمة	١٢٥
الإمامـــــــــــة	١٢١
الدولة الرستمية	١٧٧
الدولة الرستمية	١٧٧

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

الموضوعـــــــــــــــــــــــــات	الصفـــــحة
الفصل الأول : مصادر التجربة الروحية في الإسلام وأركانها **المبحث الأول: مصادر التجربة الروحية في الإسلام** المطلب الأول: القرآن الكريم	٢
المطلب الثاني: النبي صلى الله عليه وسلم	١٣
المطلب الثالث: الصحابة والأولياء الصالحين	٦٦
المبحث الثاني: نماذج لأصحاب التجربة الروحية في الإسلام ممارسة وتأليفا..... المطلب الأول: الشيخ الأكبر ابن عربي	٤٣
المطلب الثاني: : ابن الفارض	٥٧
المطلب الثالث: ابن عطاء الله السكندري	٦٦
المبحث الثالث: أركان التجربة الروحية الإسلامية المطلب الأول: معرفة الله سبحانه وتعالى والإيمان به	٧٥
المطلب الثاني : القدوة والإخلاص	٩٢
المطلب الثالث : الهجرة إلى الله	١٠٤

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني التعريف بالمذهب الإباضي **المبحث الأول: النشأة والتطور** المطلب الأول: نشأة المذهب الإباضي وأعلامه	١١٧
المطلب الثاني: :مكانة المذهب الإباضي بين الفرق	١٤٠
المطلب الثالث: أثر المذهب الإباضي في التاريخ الإسلامي	١٤٧
المبحث الثاني: مراحل تطور المذهب الإباضي المطلب الأول :مرحلة الإعداد ودورها في انتشار المذهب الإباضي	١٥٣
المطلب الثاني :مرحلة القوة والظهور	١٦٣
المطلب الثالث : مرحلة الدفاع والشراء	١٦٧
المبحث الثالث :أماكن وجود المذهب الإباضي المطلب الأول : الإباضية في عمان	١٧٥
المطلب الثاني :الإباضية في ليبيا	١٨٢
المطلب الثالث :الإباضية في الجزائر و تونس	١٨٧

الفصل الثالث :حقيقة التصوف عند الإباضية **المبحث الأول :ظهور التصوف عند الإباضية** المطلب الأول :مدلول التصوف والسلوك عند الإباضية ومضامينهما	٢٠٠
المطلب الثاني : : المصطلحات الصوفية عند شيوخ الإباضية	٢١٥
المطلب الثالث : المجاهدة و الرياضة	٢٣٠
المبحث الثاني : مقومات التصوف المطلب الأول : الولاية والكرامة	٢٤٢
المطلب الثاني :الأربعينية و الأذكار	٢٥٤
المطلب الثالث :الحضرة الإلهية والمشاهدة	٢٦٢
المبحث الثالث :نماذج لبعض من الشخصيات الروحية في الماضي والحاضر المطلب الأول : الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي شاعر المحبة الإلهية	٢٧١
المطلب الثاني :المدرسة الروحية للشيخ حمود الصوافي	٢٨٢
المطلب الثالث : الشيخ أحمد بن حمد الخليلي العالم الروحاني	٢٩٢

الفصل الرابع : تجليات التجربة الروحية في المذهب الإباضي **المبحث الأول : البعد السلوكي للآراء العقدية في المذهب الإباضي** المطلب الأول :الآراء المتعلقة بالإلهيات	٣٠٨
المطلب الثاني :الآراء المتعلقة بالإنسان ومجتمعه	٣١٤
المطلب الثالث ::الآراء المتعلقة بالسياسة الشرعية	٣٢٥
المبحث الثاني : أقطاب شعر الزهد والسلوك الإباضي العماني المطلب الأول : الشيخ أبي نبهان جاعد بن خميس الخروصي وديوانه نفائس العقيان	٣٣٤
المطلب الثاني : الشيخ ناصر بن جاعد الخروصي من خلال إيضاح نظم السلوك	٣٥٦
المطلب الثالث : الصوفي الشاعر أبي مسلم البهلاني –النفس الرحماني	٣٧٢
المبحث الثالث: ملامح التجربة الروحية في النظام الاجتماعي الإباضي المطلب الأول : حلقة العزابة	٤٠٤
المطلب الثاني : الحياة الروحية للمرأة الإباضية	٤١١
المطلب الثالث: دورات المصابرة وتدبر القرآن الكريم	٤١٩

الفصل الخامس : المقاربة الصوفية بين أهل الاستقامة وأهل السنة **المبحث الأول : العقيدة وأثرها في التجربة الروحية** المطلب الأول : تلازم الإيمان والعمل عند المذهبين	٤٣٣
المطلب الثاني : المعاصي والكبائر وأثرها على النفس	٤٤٦
المطلب الثالث : أسماء الله وتجلياتها الروحية بين المذهبين	٤٥٤
المبحث الثاني : تطابق محاور التجربة الروحية عند أهل السنة والإباضية المطلب الأول : محبة الله وتعظيمه	٤٦٦
المطلب الثاني : الإنسان	٤٧٥
المطلب الثالث: الدنيا	٤٨١
المبحث الثالث :نماذج المقاربة للتجربة الروحية الإباضية والسنية المطلب الأول :أبو بلال مرداس بن حدير والأمير عبد القادر	٤٨٩
المطلب الثاني : التقارب الروحي من خلال تفسير القرآن	٥١٦
المطلب الثالث : كتاب الإحياء و قناطر الخيرات	٥٣١
الخاتمة	
قائمة المصادر والمراجع	
الفهارس	
ملاحق الصور	
الملخـــــــــص	

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص

خلق الله الإنسان لغاية سامية أرادها وحكمة هادفة تنقله من دار الفناء إلى دار البقاء وجعل له مجال رحب ، وفسحة للاختبار في عمله بأركان الإيمان وأحكام القرآن قبل بلوغه دار القرار. ومضمون التجربة الإسلامية عموما هي علاقة الإنسان بربه وتدور رحاها حول تزكية النفس وتأديبها ،وتقويم السلوك وفقا لمنهج القرآن الكريم وسنة النبي وهي ليست حكرا على مذهب دون آخر، أو مجتمع دون آخر ، لأن النبي (بعث رحمة للعالمين وللناس أجمعين حامل القرآن والكتاب المبين ،مجسدا لأخلاق القرآن) وهو الأنموذج الفريد ومبلغ رسالة التوحيد، فاتبعه أصحابه والتابعين والعلماء والأولياء والصالحين وكل عباد الله المخلصين.

وموضوع بحثي هو التجربة الروحية في المذهب الإباضي والذي تناولت فيه مجموعة من المحاور تدور حول التعريف بالتجربة الروحية الإسلامية ومصادرها وأركانها ثم أوردت نماذج من الصوفية و تعريف موجز للمذهب الإباضي، كما أبرزت حقيقة التصوف عند الإباضية ، و تجليات التجربة الروحية في المذهب الإباضي وأخيرا أبرزت بعضا من أوجه المقاربة الصوفية بين الإباضية وأهل السنة . وخلصت في نهاية البحث إلى أن المدرسة الإباضية مارست التصوف وشواهد التاريخ تؤكد تعمق علماء الإباضية في التصوف آخذين ممن سبقهم من متصوفي أهل السنة ، والنتيجة المتوصل إليها هي : أن المدرسة الإباضية مدرسة سلوكية استوعبت في فكرها مضامين التصوف وفيها نماذج من العلماء والشعراء الذين عاشوا التصوف الفردي بالإضافة إلى كون المجتمع الإباضي على العموم مجتمع زاهد يتسم بحسن السلوك والالتزام بمبادئ الشريعة الإسلامية .

Abstract

God has created man for a very sublime purpose and guided wisdom moving him from the worldly life to the Hereafter 'the eternal life', and God has made to him a wide area and space to test if he really works with the pillars of faith and the provisions of the Quran before reaching the permanent abode. The content of the overall Islamic experience is the relationship between man and his Lord, and it revolves around the self righteous and discipline, and repairing of the behavior according to the method of the Holy Quran and the Sunnah of the Prophet, and this is not exclusive to a doctrine without another, or society without another because the Prophet has been sent as a mercy to the world and to all the humankind, he is the holder of the revealed book Quran, reflecting the ethics described in the Quran and he is the unique model and the messenger of monotheism, followed by his companions and followers, scientists, saints and righteous and all the faithful worshipers of God.

In this thesis, we deal with the spiritual experience in the Ibadi doctrine; we treat a set of axes revolving around the definition of the Islamic spiritual experience and its sources and elements, then giving some examples of Sufism and a brief definition of Ibadi doctrine, we also highlight the reality of Sufism in the Ibadi dictrine, and the consequences of spiritual experience in this later and we mention some of the Sufism similarities between the Ibadi and the Sunnis. Finally, we conclude that the Ibadi school has practiced Sufism very well and the evidences of history confirm the depth learning of Ibadhi scientists in Sufism, taking advantages from the previous Sufis of the Sunnis.

As a result of this research, we can state that the Ibadi school is a behavioral school that takes in their thoughts the contents of Sufism and it contains models of scientists and poets who lived the experience of individual mysticism. In addition to the fact that in general, the Ibadi community is known by its asceticism and characterized by good behavior and adherence to the principles of Islamic law.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

Résumé

Dieu a créé l'homme pour un but et une raison très sublime et guidé qui lui permet de passer de la vie d'ici-bas vers la Demeure de l'au-delà, et Dieu lui a fait un vaste espace pour tester s'il travaille vraiment avec les piliers de la foi et les dispositions du Coran avant qu'il 'atteint la demeure de la stabilité. Le contenu de l'expérience islamique globale se base sur la relation entre l'homme et son Seigneur, et il s'articule autour de l'auto-droit, la discipline, et la réparation du comportement selon la méthode du Saint Coran et de la Sunna du Prophète, et ceci n'a jamais été exclusif à une doctrine sans autre, ou à une société particulier parce que le Prophète a été envoyé comme miséricorde pour l'univers et toute l'humanité, il est le détenteur du livre révélé, reflétant l'éthique décrite dans le Coran et il est le modèle unique et le messager du monothéisme, suivi de ses compagnons et disciples, les scientifiques, les saints et les justes et tous les fidèles adorateurs de Dieu.

Dans cette thèse, nous traitons l'expérience spirituelle dans la doctrine ibadite; nous traitons un ensemble d''axes tournant autour de la définition de l'expérience spirituelle islamique et de ses sources et éléments, puis nous donnons quelques exemples de soufisme et une brève définition de la doctrine ibadite, nous soulignons également la réalité du soufisme dans la doctrine Ibadite, et les conséquences de l'expérience spirituelle sur cette dernière et nous mentionnons quelques similitudes soufistes entre les Ibadites et les Sunnites. Finalement, nous concluons que l'école ibadite a très bien pratiqué le soufisme et que les évidences de l'histoire

confirment l’apprentissage approfondi des chercheurs ibadites sur le soufisme, profitant des soufis des sunnites.

À la fin de cette recherche, nous pouvons affirmer que l’école Ibadi est une école comportementale qui prend en compte le contenu du soufisme et qui contient des modèles de scientifiques et de poètes qui ont vécu l'expérience du mysticisme individuel. En plus du fait qu’en général, la communauté Ibadi est connue par son ascétisme et caractérisée par un bon comportement et l’adhésion aux principes de la loi islamique.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية